السلسلة الأولي

الظاهر والباطن

٢

جذور الشيعة

وجيش المهدي

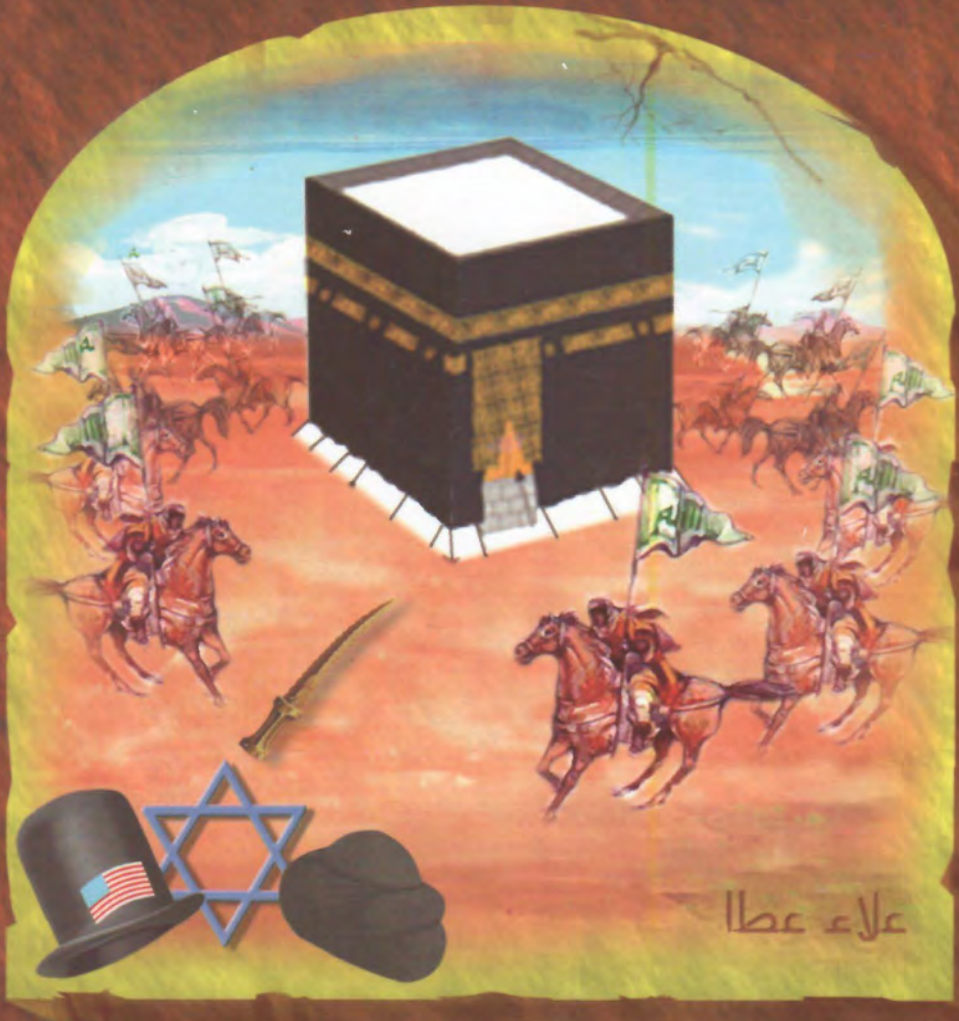

تأليف

محمود المراكبي

الظاهر والباطن الظاهر والباطن الظاهر والباطن الظاهر والباطن الظاهر والباطن الظاهر
Upload by : altawhedmag.com

Upload by : altawhedmag.com

سلسلة الظاهر والباطن
الكتاب الثاني

جذور الشيعة وجيش المهدي

(تسرب الفكر الباطني إلى الشرائع السماوية)

تأليف
محمود المراكبي

(حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)

(الطبعة الثالثة)

Upload by : altawhedmag.com

رقم الإيداع: ١٠٣٨٩ / ١٩٩٦ م

الترقيم الدولي

I.S.B.N.٩٧٧-١٩-١٧-٣٤-X

Upload by : altawhedmag.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده سبحانه حمد الشاكرين، خيره إلينا نازل، وفضله علينا سابغ، يبارك في الكثير والقليل، ولا يقدم الناس بين يديه إلا جهد المقلين، وأستغفره جل شأنه لكثرة الإعراض، وتعاقب الذنوب، وطول الغفلة مع الغافلين، سبحانه وتعالى موصوف بجميع الكمالات، له الأسماء الحسنى والصفات العلا، منزه عن التصور والإدراك، سبحانه تفضل على خلقه ببيان الهداية، وأرسل إليهم من أنفسهم رسلا يخاطبونهم بلسانهم، ويدلونهم سبل الفلاح عند ربهم، والصلاة والسلام على سيد ولد آدم، محمد بن عبد الله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، بعثه ربه بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا، وداعيا إليه بإذنه، وسراجا منيرا، فبلغ رسالته أكمل تبليغ، وبيّنها لقومه أشفى بيان، ولم يتركهم إلا على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يضل الطريق إليها إلا خاسر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبد الله ورسوله شهادة نلقى بها ربنا يوم القيامة، ونحن بها مستمسكون، وعلى دربها سالكون، وبهديها متبعون، وبأوامرها عاملون، وبنواهيها وحدودها ملتزمون، وبأنوارها مقتدون، ولثوابها نائلون.

أما بعد،

فليس كل من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، نال سعادة الدنيا والآخرة، فأُمة الإسلام انقسمت إلى فرق، وتفرقت إلى شعب وشيع، وبهذا أنبأ الصادق المصدوق، فالإسلام ليس كلمة تقال باللسان، ثم يناقضها أفعال الجوارح، ويكذبها مكنون الفؤاد.

إن قائل شهادة التوحيد يعصم نفسه وماله، ويشهد الناس بإسلامه، ويحتمي بحمى الإسلام، ويستظل بظله في المجتمع الذي يعيش فيه، أما عند مثول العبد بين يدي ربه للحساب، فلا بد أن يقدم لإسلامه الظاهر حقيقة تؤكده، وباطنا مستنيرا يوقد شجرة الإيمان في قلبه، وهل كان هواه تبعا لما جاء به الصادق الأمين ﷺ؟ أم أنه سلك سلوك الذئاب في مسوح الحملان؟ ولا يخفى يومئذ حقيقة العبد وصدق سلوكه لمولاه الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فلله الأمر وحده، إن شاء عاقبه وإن شاء غفر له.

Upload by : altawhedmag.com

وليس معنى هذا أننا نحكم على الناس، أو نكفرهم بذنب، فالهدف من وراء دراستنا هذه مناقشة الفكر بالحجة والدليل والبرهان، ونترك حال قائله إلى مولاه، فلا يعلم الغيوب إلا الله، فقد يكون الرجل قد تاب من قوله أو رجع عنه، ولعله في جنات النعيم، فهذا أمر لا يحكم به إلا خالق السموات والأرض، من نقف جميعا بين يديه وصدق الله العظيم، حيث يقول: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك-١٤].

وليس معنى طرحنا للفكر الباطني ومناقشة عقيدة اليهود والنصارى أننا نلزمهم بقولنا، فنحن نؤمن بحرية الاعتقاد، ونتبع قول ربنا سبحانه، حيث يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة-٢٥٦]، وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف-٢٩]، وهدفنا بيان كيف سار باطنيو الإسلام على درب من سبقوهم قذة بقذة، وما تركوا جحر ضب سلكوه إلا سلكوه خلفهم؟

لقد كان لنفاد الطبعتان الأولى والثانية من هذه السلسلة أكبر دافع لإعداد هذه الطبعة المزيدة لمواجهة الطلب المتزايد عليها، ولقد كان من توفيق الله تعالى أن أشارت جريدة الأهرام القاهرية الصفحة الثقافية للأهرام بتاريخ: ٢٠/ ٩/ ٩٦، ١٥/ ١١/ ٩٦، ١٤/ ٣/ ١٩٩٧، ثم نوه القائمون على مجلة التوحيد من رجالها الغيورين على العقيدة الصحيحة كلمة التحرير يكتبها فضيلة الشيخ الجليل/ صفوت الشوادفي رحمه الله [العدد ١٠ لسنة ٢٥] على أهمية هذه السلسلة، وحث كل مسلم يريد أن ينجو من مزالق الفكر الباطني على قراءتها، ثم نشرت مجلة التوحيد مشكورة، ولمدة زادت عن العامين مقالات شهرية لكاتب هذه السطور، حتى يتحصن السالكون إلى الله ﷻ من حبائل الأفكار الباطنية، ويتعرف على سبل نفاذ دعاتها إلى الناس عامة والبسطاء خاصة، أولئك الذين يقصدون السلوك إلى الله تعالى دون زاد من العلم يضيء لهم الطريق، ويصحح لهم المسار، فما بالك والقوم يغلفون عقيدتهم بمداخل شيقة، وكلام معسول، ووعود هائلة، وجنات ونعيم مقيم، يستدلون فيها بالأحاديث الموضوعة والأخبار الواهية، وكيف يميز الناس الطيب من الخبيث؟! وقد طحنتهم الدنيا بمطالب زادت عن الطاقة، فأرهقت كواهل العباد، وكبدتهم ما لا طاقة لهم به، فأنى لهم البحث والتنقيب، وهم يريدون الأمر السهل المريح الموصل إلى الغاية بأبسط الطرق، ومن هنا تشعبت بالناس السبل، وعلى رأس كل طريق زعيم يقدم

Upload by : altawhedmag.com

قومه يوم القيامة، لا يدع أتباعه حتى يوردهم النار، فبئس التابع، وبئس المتبوع.

إن المتتبع لهذه الطبعة من سلسلة الظاهر والباطن سيجد إضافات هامة وعمق أكثر في تناول القضايا المطروحة في الطبعتين الأولى والثانية، وسيرى تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن، فهناك شريعة للعوام، وهناك حقيقة للخواص، فأصبح الدين مستويات يناقض بعضها بعضا، وهذا التقسيم ليس جديدا، وإنما هو قديم طال صراعه مع الأيام، والنتيجة النهائية ألحقت الضرر بالأتباع، فتاهوا في شعب الضلال المتفرقة، فمنهم من تجاوز الحدود، ومنهم من مرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

وقد ناقشنا أساس هذه القضية في كتابنا الأول: **"موسى والخضر علما الظاهر والباطن"**، وأن المقصود من لقائهما شيء يختلف اختلافا جوهريا عما ذهب إليه الباطنيون، فالخضر نبي كريم، أشار إلى ذلك الكتاب والسنة، سواء تلميحا أو تصريحا، كما أن حياته لا تتميز عن حياة غيره من الناس، وأنه قد توفي في عمر قرنائه من البشر، ولا صحة لمزاعم حياته إلى اليوم، كما فسرنا مَرَائي تلقي بعض الصوفية والباطنية عن الخضر عليه السلام في اليقظة.

ونتأمل في هذا الكتاب الماثل أمامك: **"جذور الشيعة وجيش المهدي"** نشأة وتطور الفكر الباطني وتقسيم الدين إلى ظاهر وباطن، مع التركيز على المفاهيم التي انتقلت من التوحيد إلى التثليث في المسيحية، ثم ضربت بأفكار الإمامة والوصاية في أعماق الفكر الشيعي، ويتتبع الكتاب تطور الفكر الباطني قبل تنزل التوراة؛ ويبين أفكار باطنية اليهود، ويتناول تنامي الفكر الباطني عند النصارى منذ البداية، وكيف دونت الأناجيل؟ ولماذا ألغت الكنيسة حوالي ثلاثمائة إنجيل، وحرمت التعامل معها، واعتبرتها منحولة مكذوبة، وسوف نمر في عجالة على الأناجيل الأربعة المعتمدة اليوم في الكنيسة المسيحية، وكما نتتبع كيف تحولت رسالة المسيح عليه السلام من التوحيد الخالص إلى التثليث المقدس؟ كما نتعرف على تطور معتقدات القوم وظروف نشأة أفكارهم، ثم نناقش الفكر المسيحي ودعائمه الأساسية، ثم نتطرق إلى مراحل الفتنة التي أدت إلى ظهور نفس الأفكار بين المسلمين رغم استكمال الدين وتمام أركانه وسننه، وبيان أحكامه وتحديد نواهيه، وسنرى كيف تسربت الباطنية إلى هذا الدين الخاتم؟ ومَن كان وراء إشعال فتيل الباطنية في المجتمع الإسلامي؟

إن هذا الكتاب الذي بين يديك الآن يعد واسطة هذه السلسلة من الكتب، فهو يهدف

Upload by : altawhedmag.com

إلى توضيح أسس الفكر الباطني، ويتتبع جزئياته منذ البداية، وكيف نَمَت وتسربت الأفكار الضالة في رياض التوحيد؟ وكيف أن الانحراف - وإن تعددت مسمياته، وتغيرت أساليبه - ليس له إلا حقيقة واحدة، والفاعل فيها واحد، فهي جريمة واحدة تتكرر على أيدي أناس تختلف أسماؤهم وألوانهم، وتتفق قلوبهم وتتوحد نياتهم في صعيد واحد، وهي شق عصا الجماعة وإحداث الفُرقة في الأمة الموحدة التي هي خير أمة أخرجت للناس. ويقدم هذا الكتاب دراسة وافية عن انحراف عقيدة أهل الكتاب، فقد أشرنا إلى تسرب أفكار الباطنية إلى اليهودية، ثم تتبعنا المؤامرة الكبرى التي أدارها اليهود حتى حولوا المسيحية من التوحيد إلى التثليث، وكيف ساهمت الأحلام والمنامات ومن ورائها الأهواء والمؤامرات في الانسلاخ مما قاله ونبه إليه السيد المسيح نفسه؟ وألقينا الضوء على الدور المحوري الذي قام به شاءول اليهودي ليخرج بالنصارى من عباد الله تعالى إلى أتباع له، وكيف أنه أباح لنفسه أن يحلل ويحرم، يغير ويبدل، حتى طمس الحقائق كلها؟!

إن دور اليهود لم يتوقف عند تغيير مسار المسيحية، بل استمر وبقوة وضراوة بعد أن زلزلت عقيدة التوحيد الجزيرة العربية، ودكت حصونهم في المدينة المنورة، فراحوا يزرعون الفتنة، ويمهدون لأفكار الشيعة أن تترعرع تحت سمعهم وبتدبيرهم حتى قلبوا لهم جميع أركان الإسلام ودعائمه القوية، فراحوا يعتقدون تحريف القرآن بيد الصحابة، وأن جمهور الصحابة قد ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ، وأنهم يرفعون الأئمة أوصياء الدين فوق مستوى البشر، ونعرض أيضا عقيدتهم عن المهدي المنتظر، وما أفعاله وإلام يدعو، وسيجد القارئ قدرا كبيرا من مفاجآت جيش المهدي التي لا تخطر على بال الملايين من أهل السنة، ثم نقدم عقيدة غلاة الباطنية من الإسماعيلية والفاطميين والدروز، وعلى القارئ أن يحدد في ختام قراءته لهذا الكتاب ما إذا كان أتباع هذه الفرق ما زالوا مسلمين أم أنهم مرقوا منه، وأصبحوا من غير أهله.

وقد أفردنا للصوفية كتابنا الثالث: **"عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة"**، نبحث فيه حقيقة عقائد القوم في ميزان كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ونُلقي فيه الضوء - بإذن الله تعالى - على روافد الفكر الصوفي ومنابعه الأصلية التي نَهَل منها، وسيجد القارئ الكريم أن الترابط بين أفكار هؤلاء وهؤلاء أظهر من أن ينكرها جاحد أو مجادل، ويختلف كتاب

Upload by : altawhedmag.com

الصوفية الثالث من هذه السلسلة عما ألف عن الصوفية في نقطة جوهرية، فما كتب عن الصوفية نوعان من المؤلفات: إما كتاب ألفه صوفي؛ فلا بد أن يكون منتصرا للصوفية، ذائبا في حبها، غير عابئ بالنصوص المحكمة من الكتاب والسنة، مفضلا أقوال المشايخ والأقطاب عن معارف الصحابة والتابعيين، وإذا سقت إلى المريدين أقوال الصوفية أجابك بأن طريقتنا، وشيخنا لا يقول بهذا، وبهذا يفصل طريقته عن الصوفية في أوقات الدفاع، ويتحد معهم عند الثناء على التصوف، والنوع الثاني من الكتب كتاب ألفه من لم يذق التصوف أو يمارسه، فهو شديد الهجوم على أفكار القوم، وقوي التنكيل بمعتقداتهم، رغم أنه لا يعرف الكثير من أسرارهم، وما يقولونه في اجتماعاتهم وحضراتهم، أما ما يميز كتابنا الثالث أنه جمع بين التجربة العملية، وبين البحث العلمي النظري، ثم درس أوراد الطرق الصوفية المتداولة اليوم، وحدد مواضع الزلل فيها، فلا يستطيع المريد أن يتبرأ أو يفصل طريقته كما اعتاد.

ثم يأتي بعد ذلك **كتابنا الرابع**: **"القول الصريح عن حقيقة الضريح"**، والذي قد عقدت النية على كتابته منذ سنوات طوال حين تكشفت لي حقائق لا يعلمها كثير من الناس، ومما زاد من أهمية نشر هذه الحقائق ما يحدث إلى الآن في الأضرحة [ونخص في هذا الكتاب ضريح الحسين وضريح السيدة زينب] من موالد، وحضرات، ونذور، وتوسل إلى الله ﷻ بآل البيت. ولما كانت الصوفية هي المسئول الأول عن إمداد هذه الأضرحة والموالد بالمريدين وغيرهم، فماذا سيفعل هؤلاء وهؤلاء عندما يتبين لهم أن هذه الأضرحة التي يتبركون بمن بها من آل البيت لا تضم رفات أحد من آل البيت بها؟!

كما فرغنا بتوفيق الله تعالى ومشيئته من تأليف **الكتاب الخامس** من هذه السلسلة، وذلك استجابة لطلب كثير من القراء اللذين يرون ضرورة أن نكتب للناس: **"السلوك القويم على الصراط المستقيم"**، وسيرى القارئ الكريم تناولا جديدا ومبسطا لقضايا مهمة، دارت وتدور وستدور، ولن تكف عن الدوران في الفكر الإنساني: فمن نحن؟ ولماذا خلقنا؟ ومن أين أتينا؟ وإلى أين نسير؟ وما الهدف وراء كل ذلك؟ وكيف نحقق المراد منا؟ وكيف يسلك المسلم لربه؟ وسبيله إلى تهذيب نفسه وقلبه وعقله، وتطهير وجدانه وتصحيح إيمانه على ضوء كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فالناس يقولون: ماذا نفعل لنصحح سلوكنا بعيدا عن

Upload by : altawhedmag.com

صور الانحراف، ومزالق الباطنية، وأفكار الصوفية؟ وكيف النجاة في أبسط صورها؟، فليس لدينا الوقت ولا الطاقة حتى ندخل في متاهات لا أول لها ولا آخر، نحن نحتاج إلى الصحيح من مفاهيم الدين الحنيف، والصواب من السلوك على درب الرسول الكريم وصحابته والتابعين خير القرون، فكان الهدف المأمول من وراء الكتاب الخامس من هذه السلسلة هو التعريف بالملكات الإنسانية، وكيف تسخر بالصورة الصحيحة لتحقيق الغايات الكبرى من وراء خلق هذا الكون، ورغم أن الغاية عظيمة وإدراكنا ضخامة المسئولية، فليس أمامنا إلا طلب العون من المولى الكريم، ونسأله ﷻ التوفيق لخدمة ديننا، وكتاب ربنا، وسنة نبينا ﷺ تيسرا لإخواننا، والله من وراء القصد، وهو يهدي سواء السبيل.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد، وعلى آل بيته الأبرار، وصحابته الأخيار، وعلينا معهم برحمتك يا كريم، يا حليم يا ستار، يا واسع الإحسان، يا ذا الجلال والإكرام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمود المراكبي
٠١٠٦٣٥٧٩٠٠

Upload by : altawhedmag.com

الباب الأول

نشأة علم الباطن

١. علم الباطن قبل التوراة

٢. علم الباطن عند اليهود

٣. الكلمة في الفكر اليهودي

Upload by : altawhedmag.com

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الأول

علم الباطن قبل التوراة

ترجع نشأة القول بتقسيم العلم إلى ظاهر وباطن إلى قرون عديدة قبل الإسلام، فالثابت تاريخيا أن كهنة المعابد وسدنة الهياكل يزعمون رقي علومهم عن علوم الناس، وأن علوم العامة غايتها معرفة الألفاظ ودلالتها الظاهرة، أما علومهم فهي الأسرار وإدراك الحقائق الخفية المرادة من النصوص التي يتعبدون بها، ولم يكن هذا الزعم محصورا في أمة بعينها، وإنما ساد الدنيا من أدناها إلى أقصاها، ولعل هذا يفسر لنا سبب اختلاف العلماء والمؤرخين في تحديد أول ظهور لهذه الأفكار: فيقول الخطيب البغدادي: "الواقع أن مؤرخي الفرق مختلفون في أصلها ومصدرها، فمنهم من يرجعها إلى المجوس"،[١]

والسرية في العقائد وعدم إظهارها أمام العامة كانت معروفة أيضا في الهندوسية، فكتاب "الأوبانيشاد" المقدس عندهم، "اعتبرت مواده من القدسية بحيث لا يجوز ترديدها بحضور الطبقات الدنيا، باعتبارها أسرارا خاصة لا يمكن أن تباح أمام هؤلاء".[٢]

بينما يذهب أكثر العلماء إلى أن الفلسفة اليونانية هي الأصل الأول، ومنهم الدكتور محمد أحمد الخطيب حيث يقول: "إلا أن هذا الاختلاف سرعان ما يزول عندما نعرف أن الأصول التي تعتمد عليها الباطنية بكل فرقها وطوائفها نابعة من الفلسفة اليونانية التي غذت بأفكارها الكثير من هذه الفرق"،[٣] ويؤكد هذا الرأي د. صابر طعيمة بقوله: "إن القول بأن لكل ظاهر باطنا، ولكل تنزيل تأويلا، ولكل نص روحا هو المقصود والمراد منه، بدأ منذ بزوغ فجر الثقافة اليونانية، وانتشار الفلسفات القديمة، فمنذ صاغ هوميروس شعره، أخذ الأدباء اليونانيون في القرن الخامس قبل الميلاد في تأويله، ومنهم زينون الرواقي الذي انتهج الأسلوب الباطني في

---

١ الفرق بين الفرق للخطيب البغدادي ٢٨٤ "ومنهم من ينسبها إلى الصابئة بحران". خطط الشام لمحمد كرد علي ٦: ٢٥١

٢ حكمة الأديان الحية جوزيف كاير ١١٢، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي د/ محمد الخطيب ٤٧

٣ الحركات الباطنية في العالم الإسلامي د. محمد أحمد الخطيب ٢٠

Upload by : altawhedmag.com

تأويل النصوص الأدبية".[١]

وقد يكون للفلسفة اليونانية أثر كبير في نشأة علم الباطن فيما يخص الإلهيات، وربما كان ذلك محصورا بين أهل الفكر والفلسفة والخاصة من المثقفين، إلا أني أرى أن هذا الفكر ظهر في غير الإلهيات وعلى مستوى عامة الناس، متزامنا مع كل مجتمع إنساني ترك رسالات الله ودعوة أنبيائه، وسار وراء الكهان والرهبان وسدنة المعابد والأصنام.

فالقول بعلم ظاهر للعوام وعلم باطن لا يدركه إلا الصفوة هو من وضع البشر لينالوا به المنزلة والحظوة بين الناس، وليتوجوا بأنفسهم على رءوسهم هالات التقديس والنيابة عن الله في مخاطبة العوام، وإذا كان المنجم أو الكاهن يحتل مكان الصدارة في القبائل البدائية وسطوته غالبة على أهل القبيلة، فإن زعامته تأسست على فكرة امتلاكه لناصية البواطن والأسرار التي لا تُدْرَك إلا باتباعه. كما لا تخلو حضارة من الحضارات القديمة في فارس والهند من وجود حزب للمنتفعين من ترويج هذه الأفكار، ففي مصر الفرعونية كان البناءون العاديون يبنون الأهرام، ولكن الخاصة منهم والكهنة يوكل إليهم بناء ما بداخل الأهرام من أسرار، فليس كل من اشترك في بناء الأهرام يعرف غرفة الملك ولا الطريق الموصل إليه، ولا مخبأ كنزه من مجوهرات، ولهذا اتخذت الماسونية لها اسم " البنائين" للإشارة إلى ما في طبيعتها من الأسرار الخفية.

أولا: نظرية الإنسان الأول

"يحاول الإنسان منذ فجر التاريخ أن يعرف علاقته بالخالق والمخلوق، وقد تكون في القرن الخامس قبل الميلاد وبالتحديد في الديانة الإيرانية القديمة، تفسير شامل للعالم قائم على أساس مبدأ التناظر بين الكون الأكبر والكون الأصغر أي المبدأ القائل بأن العالم إنسان كبير، وبأن الإنسان عالم صغير، كما ظهر تعبير الإنسان الأول بوصفه الإنسانية ومعناها الباطن أنه رسول الله المدافع عن الله ضد القوى الشريرة، ومن هنا نشاهد الإنسان الأول كائنا ذا طبيعة إلهية، وهو يمثل بوصفه نموذجا أول للإنسانية - مجموع النفوس - لكنه يظل مع ذلك متميزا

١ دراسات في الفرق د. صابر طعيمة

Upload by : altawhedmag.com

من الألوهية العليا، فهو ليس خالدا وليس واحدا من القديسين، إلا أنه يناظر ويقابل العالم الكبير".[١]

وتظهر أيضا في الديانات الإيرانية القديمة فكرة الإنسان الأول الذي يسمى في الديانة الأبستاقية "جيامريتن" أي الحياة الفانية، أو في صورة أبسط "جيا" بمعنى الحياة، كما ورد اسم الإنسان الأول أيضا - في أحد الكتب الفارسية المقدسة وهو "الجاتا الثالثة" - على أن له وظيفة كونية فحسب، فهو النموذج الأول للإنسانية وأصلها، ويخلقه الله على هيئة صورة نورانية شابة، ويعتقد أصحاب هذه الديانة أن الزوج الأول من بني الإنسان ينشأ من جثة الإنسان الأول بعد موته في معركة يقودها الإنسان الأول ضد قوى الشر.

وقد بدأت فكرة التقابل بين أجزاء "العالم الأكبر" وأعضاء "العالم الأصغر" في الفلسفة الإغريقية، وأن الله بدأ الخلق بخلق "صفة الكمال" وهي المعبر عنها "بالعالم الكبير"، قبل تابعه وهو "العالم الصغير" المعبر عنه بالإنسان. ويقرر ذلك هرميس في كتابه "استوطاس".[٢] حيث يقول: "إن الله بدأ بخلق "العالم الكبير" قبل "العالم الصغير"، وأثبت أسرار "العالم الكبير" في "العالم الصغير" في أعلاه وأسفله وجعل ذلك في روحانية وجسمانية، فليس في "العالم الكبير" شيء من خلق الأرواح الروحانية، والأجسام الفاعلة، والجماد والجوهر والنامي والعرض إلا وقد اجتمع ذلك كله في تراكيب "العالم الصغير"، شبيها "بالعالم الكبير".

---

١ عبد الكريم الجيلي ومكانته في الفكر الصوفي أطروحة دكتوراة لنجاح الغنيمي ص ٩٥٨، نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين مصدرها وتصويرها الشعري تأليف هانز هينزش شيدر نقلا عن الإنسان الكامل في الإسلام د. عبد الرحمن بدوي ٢٥

٢ المصدر السابق ص ٩٤٦، يقول الدكتور الغنيمي: ولدينا نصا في غاية الأهمية وهو كتاب استوطاس لهرميس نقل إلى العربية في عصور الترجمة القديمة، وله نسخة خطية بمكتبة باريس الأهلية برقم ٢٥٧٧، ويرى بلوشيه أن هذه الترجمة العربية ترجع لنص منحول لأرسطو ومع هذا لا ينفي أن نظرية العالم الأصغر والعالم الأكبر التي يعرض لها الكتاب تبدو بوضوح أنها ترجمت عن أصل إغريقي، وهذا واضح من الألفاظ اليونانية مثل كلمة الاسطقسات وغيرها مما يضيق المجال عن ذكره.

Upload by : altawhedmag.com

ثم يجري هرمس مضاهاة كاملة بين العالم "الكون الأكبر" والإنسان "الكون الأصغر"، وهذه المقابلات بتفصيلاتها تطابق تماما ما ورد في أحد الكتب المقدسة للمزدكيين وهو كتاب البوندهيش الكبير، والتي تناولت الإنسان باعتباره ممثلا للعالم.

Upload by : altawhedmag.com

وتتلخص أفكار هرميس في النقاط التالية:

١. أن الله خلق أولا صفة الكمال وهي العالم الكبير.

٢. ثم خلق العالم الصغير وهو الإنسان.

٣. أن هناك تقابلا كاملا بينهما.

٤. أن أسرار العالم الكبير قد انطوت في الإنسان.

"ولا يقتصر فهم هرميس والمنجمين الإغريق على هذه النواحي العضوية، بل إنهم يتعدونها إلى مقابلة الأفلاك بالصفات الإنسانية، فهم يعتبرون أن الإنسان الإلهي يمتلك سبع صفات كل واحدة منها تقابل فلكا من الأفلاك السبعة، فيقابل الشمس الروح الطيبة الخيرة، ويقابل القمر الحظ الطيب، والمشترى يقابل النصر، ويقابل عطارد الضرورة، ويقابل الزهرة الحب، ويقابل المريخ الجرأة، ويقابل زحل العدل".[١]

كما أثر ما يسمى بالتيار الفارسي المختلط في بلورة فكرة الإنسان الأول، وهذا ما يمثله تيار المدرسة المانوية عموما، والذي يعتبر امتدادا للتيار السابق، ومن ثم فهو مطابق ومكمل له في نواحٍ عديدة من ناحية، ومضيفا أشياء جديدة له من ناحية أخرى، والفارق الوحيد بين التيارين هو أن الإنسان الأول عند ماني كان عليه أن يتخذ طابع المُخَلص الغنوصي.

ثانيا: وحدة الوجود

وضع الفلاسفة القدماء أساس فكرة وحدة الوجود، والتي تقرر أن وجود الخالق والمخلوق وجود واحد، ولا ترى أن الخالق أوجد الوجود وخلقه من عدم، ووهبه نوعا من الوجود المناسب له كمخلوق، وإنما ترى هذه الفكرة أن الكائنات إنما هي مظاهر لحقيقة وجودية واحدة، هي في جوهرها الإله، ونشاهد مظاهرها فنظنها مخلوقا.

---

١ عبد الكريم الجيلي ومكانته في الفكر الصوفي أطروحة دكتوراة لنجاح الغنيمي ص ٩٥١، ونفس هذه المفاهيم يعتنقها الجيلي صاحب نظرية الإنسان الكامل ويأخذ بها ويشرحها في بيان مراتب الوجود

Upload by : altawhedmag.com

وتقرر "الفيدا" "وقوانين مانو" وهي من أسفار البراهمة نشأة نظرية وحدة الوجود فتقول: "إن الله واحد لا شريك له، وإنه قد صدرت عنه جميع الكائنات، وسرت منه روح في الجماد والنبات والحيوان، فالموجود بحق هو الله وحده، وليست هذه الكائنات إلا مظاهر منه، ... وغالوا في توحيد الله وبالغوا فيه حتى انتهوا إلى وحدة الوجود التي تسربت فيما بعد إلى التصوف عموما، ويقول براهما: "إنني أنا نور الشمس وضوء القمر، وبريق اللهب ووميض البرق، وصوت الرياح، والعرف الطيب ينبعث في الأرجاء، والأصل الأزلي لجميع الكائنات، وحياة كل موجود، إنني صلاح الصالح، أنا الأول والآخر، أنا الحياة والموت لكل كائن، إنني أنا الله لا إله غيري، رب الأرباب، مالك السموات والأرض، الله واحد لأنه الجميع،... أي جميع الكائنات فهي كلها مظاهر منه".[1]

وأتباع هذه الأفكار من الهنود وغيرهم يؤمنون بوحدة الوجود، ولذلك لا يقتلون الحشرات مثلا، ويرون في البقرة أكمل مظاهر الإله، ويحرقون موتاهم ويذرون ترابهم في الكون ليتحدوا بالإله، وغير ذلك من الاعتقادات المعروفة بينهم.

١الأسفار المقدسة ص ١٥٧ نقلا عن التفسير الإسلامي للجاهلية د. نوح الغزالي ١١٣

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الثاني

علم الباطن عند اليهود

أولا: إله واحد رغم التحريف

لا يوجد اختلاف حول كتاب اليهود الذي أنزله الله تعالى على موسى عليه السلام، فهو التوراة ولا ريب، والتوراة لفظ مستعرب أصلها العبري تورا: بمعنى الهدى والعلم والإبانة والتبصرة، يصف القرآن الكريم التوراة التي أنزلها الله تبارك وتعالى على موسى عليه السلام بقوله: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾. [المائدة: الآية ٤] وفي قوله تعالى: وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرائِيلَ [الاسراء: من الآية٢] وقد أكد القرآن الكريم معني العلم في سورة محمد: ١٦ حيث يقول سبحانه: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً ﴾ [محمد: من الآية١٦] والمراد باللذين أوتوا العلم اليهود، ومن معاني التوراة البينة والبيان التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ [طه: من الآية١٣٣]، والتوراة هي الكتاب المنزل على موسى عليه السلام، وهي خمسة أسفار: التكوين ويسمى أيضا سفر الخليقة، ثم سفر الخروج الذي يروي خروج اليهود من مصر، وسفر الأحبار المسمى سفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية، وقد ألحقوا بها كتب الأنبياء خلال تسعة قرون من وفاة موسى عليه السلام.

نزلت رسالات السماء تترى كل منها تؤكد وحدانية الإله، فهو واحد أحد، لا وزير له، ولا مشير بين يديه، لا صاحبة له ولا ولد، جل عن الشريك والند، ورغم تعرض التوراة إلى تحريف وحذف وتبديل من الأحبار، إلا أن عقيدة التوحيد لا تزال واضحة في التوراة التي بين أيدي اليهود الآن فقد جاء في الوصية الأولى من الوصايا العشر:

Upload by : altawhedmag.com

- "أنا الرب إلهك، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك تمثالا منحوتا، ولا صورة مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء مما تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن. "
- وفي سفر التثنية: "إن الرب إلهنا رب واحد"، وكذلك: "فاعلم اليوم وردد في قلبك: أن الرب هو الإله في السماء من فوق، وعلى الأرض من أسفل ليس سواه" [الخروج ٢٠: ٢-٦]، والمتأمل في هذا النص لا يجد أي صعوبة أن يستنتج أنه خرج من نفس المشكاة التي خرج منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٨٤].
- كما ورد في مناجاة داود لربه: "لأنك أنت الله وحدك"
- وعلى لسان أشعياء: "أنا الرب وليس آخر، لا إله سواي"
- وأيضا: "أنا الرب ولا إله غيري، أنا الله وليس آخر" [التثنية ٣٩:٤ , ١٤:٦]

والباحث في تاريخ الأديان ومفاهيم الشعوب يجد أن الإله الواحد حقيقة لا تختلف من مكان إلى غيره، فالله عند البراهمة إله واحد متصرف لا شريك له، وقد كتب طاغور كتابا أوجز فيه أصول عقيدته في ثلاثة بنود تدور كلها حول إله واحد لا ثاني له خالق للكون، وقد كانت صلوات أخناتون في القرن الرابع عشر قبل الميلاد قائمة على الإيمان بإله واحد هو روح رابض وراء الشمس، دعا إلى عبادته وبشر الناس به، وقال عنه في نشيد له: "أيها الإله الأوحد الذي ليس لغيره كسلطانه، يا من خلقت الأرض كما يهوى قلبك".

يقول الأستاذ ناصر المنشاوي في كتابه الجيد: الجوانب الخفية من حياة المسيح : " وقد توقفت النبوات في بني إسرائيل قبل قرون من مولد عيسى عليه السلام، ومن هنا يُفهم خلو أسفار التوراة من النص على أعلام المسيحية الأربعة: زكريا، يحيى، مريم، عيسى عليهم السلام، ولم تذكر عمران جد عيسى، ويلاحظ أن أسفار العهد القديم مكتوبة كلها بالعبرية، ما عدا أجزاء قليلة كتبت بالآرامية رأسا أو متأثرة بها، منها عبارات في سفر التكوين نفسه، ومنها بعض إصحاحات متفرقة في أسفار ثلاثة هي أسفار: إرميا، دانيال، عزرا (عزير في القرآن)"

Upload by : altawhedmag.com

ثانيا: تحريف التوراة

١. أصدرت مجلة (لايف) عددا خاصا[١] عن الكتاب المقدس بدأته بمقدمة عامة تلخص فيها تاريخ هذا الكتاب وتطوراته وترجماته، وقد جاء فيها ما يدل على التحريف وأن الألواح الأولى التي نزل بها الوحي على موسى وعلى عيسى عليهما السلام، ليست واردة بنصها وأغلب الظن أنها ضاعت، وتقول المجلة: "الكتاب المقدس أوسع الكتب انتشارا وأكثرها أثرا في تاريخ البشر... ولكنه مع ذلك كتاب كتبه الإنسان.. إن مؤلفيه يحملون أسماء ذائعة الصيت مثل القديس بولس، ولكن أغلب كلماته كتبها أشخاص آخرون لا يعرف أحد من هم؟ لقد ظل الوحي الإلهي ينتقل من الأب إلى الابن ألف سنة تقريبا بعد إبراهيم من غير أن يكتب، وبعد ذلك بدأ اليهود فقط في تدوينه قبل ميلاد المسيح بنحو ألف سنة، فأخذوا يسجلون القصص والقصائد، وأضافوا إليها قصصا وقصائد أخرى جديدة، واستدعى الأمر أن تعاد كتابة لفائفهم عدة مرات، وأن تنقل وتنسخ مما أوجد فرصا عديدة لا تحصى لتغييرات كثيرة لا حد لها، بعضها مقصود وبعضها غير مقصود،.. لذلك فإنه لا يوجد اليوم أي نص أصلي لأي جزء من الكتاب المقدس،.. وربما حوى العهد الجديد تغييرات أكثر وأبلغ من العهد القديم، ثم جاءت الحركة المعاصرة لتحقيق ما في الكتاب المقدس تحقيقا علميا وتاريخيا بالرجوع إلى الآثار القديمة واللفائف والحفريات مما أدى إلى إعادة النظر في شروح هذا الكتاب المقدس وتهذيب التفسيرات القديمة".

٢. أشارت دائرة المعارف البريطانية تحت كلمة بايبل إلى "أن التوراة أو العهد القديم قد ألف على مدى عشرة قرون، وأنها تتألف من عدة كتب، وأن

---

١ مجلة لايف: العدد ٧ مجلد ٣٨ الصادر في إبريل سنة ١٩٩٥

Upload by : altawhedmag.com

محتويات ومدى هذه الكتب موضع نزاع من ناحية صحتها، ومن ناحية تاريخها أو سرد الأحداث"، وتستطرد دائرة المعارف في صفحة ٥٧٢ : "ولما كان الكتاب المقدس عبارة عن مجموعة من الوثائق التي تلقيناها من التراث (أغلبه الأساطير) - وكانت الأجزاء الأخيرة من هذا التراث قد وقعت أحداثها في نحو مائة سنة بعد الميلاد، والأجزاء الأولى منه في نحو ألف سنة أو أكثر قبل الميلاد، فإن دراسته تتطلب تكنيكات معينة، كذلك يجب التعرف على الكلمات التي كانت تستخدم في فحص الأدب القديم، ولما كانت أقدم المخطوطات للكتب المقدسة عبارة عن نسخ - عدلت وبدلت عدة مرات - مأخوذة عن التراث، ولما كان علينا أن نحسب حسابا للأخطاء العديدة عند النسخ، ونحن نتعامل مع نسخ من التراث وجب التخفيف من نقد النصوص حتى نستطيع أن نعين بقدر الإمكان الكلمات الأصلية، ومعنى ذلك أن نغمض أعيننا عن ما لا يتلائم مع عقولنا"، ويقر كثير من علماء أهل الكتاب "أن التوراة الموجودة بين أيدينا الآن ليست منزلة من السماء، إذ يعتريها الاضطراب في كثير من القصص مثل قصة الطوفان، فقد ورد في سفر التكوين (٧:١٢) "أن الطوفان استمر أربعين يوما"، في حين تشير الفقرة ٢٤ من نفس الإصحاح أن الطوفان استمر ١٥٠ يوم، وفي ذلك تناقض غريب".[١]

٣. مما يثبت تحريف التوراة أن بين نصوصها الحالية إشارات إلى ٧ أسفار غير موجوده حاليا ضمن الكتاب المقدس، فأين ذهبت أسفار: سفر حروب الرب المشار إليه في سفر العدد، وسفر ياشر الذي ورد اسمه في سفري القضاة وصموئيل، وسفر أخبار داود الملك ، وسفر أخبار ملوك يهوذا، وسفر أخبار

١ نقلا عن الأناجيل دراسة مقارنة لأحمد طاهر : ١٤

Upload by : altawhedmag.com

ملوك إسرائيل، وسفر ناثان النبي، وسفر جاد الرائي والتي أشير إليها في سفر التثنية.

Upload by : altawhedmag.com

ثالثا: تسرب الفكر الباطني إلى اليهودية

حاول عدد من اليهود تأويل التوراة متأثرين بالفلسفة الأفلاطونية القديمة الأكثر انتشارا في زمنهم، ومن ثم ظهرت فرقة تسمى القبالة، هدفها تأويل التوراة، والبحث فيما وراء الكون، وكشف الغيب، ومعرفة أسرار الحروف، وعلوم التنجيم والأبراج اتباعا لما تلته الشياطين على ملك سليمان حين زعمت أنه يستخدم السحر في تسخير الجن.

١. وساطة الكلمة والإنسان الأول: كونت فرقة القبالة جمعيات أطلقوا عليها "جمعيات أهل العرفان"، بدأت نشاطها سرا ثم بدأت تعلن عن أفكارها، حتى ظهر في الإسكندرية الفيلسوف اليهودي فيلون الذي "أوقف حياته على دراسة الفلسفتين اليهودية واليونانية، فلم يكن هناك واحد من اليهود نظيره، في الإلمام التام بكل ما ورد في أسفار العهد القديم، كما لم يكن هناك يهودي مثله أدرك عظمة الفكر اليوناني وتعمق في أسراره، وهو أيضا خَلَبَتْ لُبَّهُ فكرة الكلمة أو اللوجوس فنادى بأن اللوجوس هو فكر الله مطبوعا على العالم كما أنه وسيلة للخلق، ... فالكلمة هي الواسطة لبعث الكون وتسيير دفته"،[١] وينسب إلى فيلون أنه واضع قواعد وأصول مدرسة التأويل الباطني للتوراة، والمقصود بالعرفان عندهم هو العلم الباطني الذي يهبط على قلوبهم إشراقا ووحيا دون واسطة أو معلم، ويقول د. الخطيب: "ويدور أكثر تفلسف فيلون حول شرح التوراة شرحا رمزيا، فحواء مثلا كناية عن الحس، والحية كناية عن اللذة،... ولقد نفى - أي فيلون - عن الله جميع الصفات التي وصفته بها التوراة، فالله في نظره لا يمكن أن يتصل بالعالم، ولهذا خلق أولا الكلمة،" ويرى فيلون أن الكلمة هي الابن الأول لله، أما العالم فهو الابن الثاني لله، وبما أن الإنسان لا يستطيع أن يتصل بالله مباشرة، فقد جعل الله الكلمة والملائكة شفعاء للبشر في

١ تفسير العهد الجديد لوليم باركلي صفحة ٤٩

Upload by : altawhedmag.com

توسلهم إليه، وبسبب هذه الفلسفة ظهرت طائفة القبالة، وأهم مسائلها هي سرية التعليم، وإمكان فك رموز التوراة، وكذلك رمزية الأعداد والحروف".[١] ويعلل فيلون الحاجة إلى سرية التعاليم بقوله: "لا ينبغي الإفضاء بالحقيقة إلا لعدد صغير، وبحذر وحيطة، فإن آذان العامة الجهلاء لا تقدر على فهمها واحتوائها، ومن ثم ليس للحكيم أن يكشف الحجاب عن الحقيقة لكل أحد، بل إنه ليعرف كيف يكذب أحيانا في هذا السبيل، مدفوعا بالتقوى والرحمة وحب الإنسانية؟!".

٢. مقابلة الإنسان للكون: إن من أبرز أفكار القبالة اليهودية قولهم: "وساطة الكلمة" أي الإنسان الأول أو الأصلي ويسمونه بالاصطلاح العبري "آدم قدمون" وهو المبدأ الإلهي الثاني وهو تجسيد أو مجلى للسفروت العشرة، وهي الصفات المختلفة التي تصدر عن الله، وهذا الإنسان السماوي يعتبر صورة لكل شيء في السماء وعلى الأرض، وتمثل السفروت السفروت: لفظ عبري تطلقه القبالة اليهودية على القوى العشر الخلاقة، مرتبة بالتدرج ابتداء بأكثرها روحانية حتى أقلها، ومن خلالها تتجلى الذات الإلهية الأصلية بنفسها في العالم. العشرة بأعضاء الإنسان المختلفة ووظائفها".[٢]

كما استقت طائفة القبالة اليهودية فكرة تماثل الإنسان كعالم صغير مع الكون كعالم كبير من نظرية هرميس الحكيم، فقد ورد في أحد كتبهم والمسمى زهر ما يلي: "أن شكل الإنسان هو صورة كل شيء فوق (في السماء)، وتحت على الأرض، ومن ثم فقد اختاره القديم المقدس (الله) ليكون شكله الخاص"، وورد في نفس الكتاب "أن الإنسان السماوي هو مجلى كل التجليات الإلهية، والسفروت العشرة هي الصورة الأصلية للإنسان، أما آدم السماوي فإنه يبرز من عمق الظلمة الأصلية، ويخلق آدم الأرضي، وبعبارة أخرى فإن نشاط الذات الأصلية تتجلى بنفسها

١ الحركات الباطنية في الإسلام د. محمد أحمد الخطيب ٢٢، ٢٣

٢ موسوعة اليهودية طبعة ١٩٤٨، نقلا عن الجيلي ومكانته في الفكر الصوفي د الغنيمي ٩٦٩

Upload by : altawhedmag.com

في خلق الإنسان، وهو في الوقت نفسه صورة الإنسان السماوي والعالم"،[١] وقد تحورت هذه النظرية في القبالة المتأخرة بحيث أصبحت تميز بين آدم السماوي وآدم الأرضي أو الإنسان كما يلي:-

- آدم السماوي: هو الوسيط أو الابن الأول المخلوق على صورة الله، والذي لا يشارك أي جوهر أرضي أو فاسد، وهو عقل مجرد، ومثال محض.
- آدم الأرضي: المخلوق من مادة مفككة توسم باسم كتلة الصلصال، ويمكن إدراكه بالحواس وله نصيب من الصفات الأرضية.

ويشرح الفيلسوف اليهودي "فيلون" فكرة الوساطة بقوله: "الله بعيد عنا كل البعد، ولذلك لا نستطيع أن نعلم عنه شيئا أكثر من اسمه، إنه تعالى لا يتصل بالعالم، ولا يعني به مباشرة، بل بواسطة وسطاء، فالوسيط الأول هو العقل أو الكلمة أو اللوغس، وبهذا الوسيط خلق الله العالم ويعني[٢] به، وبواسطته أيضا يمكننا الاتصال بالله ومعرفة أفكاره، والوسيط الثاني هو الحكمة التي تدبر العالم وتقوده إلى اللوغس، أما الوسيط الأخير فهو آدم الذي ولد منه البشر".[٣]

ولا ندري أي إله هذا الذي يتحدث عنه فيلون وينفي عنه كل شيء، ويصفه في موضع آخر بقوله: "الله واحد وهو بسيط غير مركب، لأنه لا يمكن أن يضاف إليه شيء لا أسمى منه، ولا أقل منه، ولا متساوٍ معه، وثابت أنه لا يوجد أسمى منه ولا مساوٍ له، فإذا أضيف إليه من هو أقل فإن هذا ينفي كماله تعالى".[٤]

ولقد حاول "ميمون" من فلاسفة اليهود أن يجادل الذين يصفون الله بالأوصاف المادية مجادلة عنيفة تحملهم على الاعتراف بالتنزيه فادعى أن وصف الله بالسوالب والتنزيهات هو

---

١ الجيلي ومكانته في الفكر الصوفي للدكتور الغنيمي ٩٦٩

٢ ويعني به أي أن الله يعتني ويقوم على شئونه بواسطة الوسيط الأول

٣ الإلهيات للقس صموئيل مشرقي ٦٥

٤ الإلهيات للقس صموئيل مشرقي ٥٧

Upload by : altawhedmag.com

الوصف الصحيح ، أما وصفه بالصفات الايجابية فيحمل خطرا جسيما، إذ يؤدي إلى التجسيم والشبه بينه تعالى وبين مخلوقاته والانفعالات، وهذه مما ينبغي التصريح بنفيها عنه تعالى".[١]، ولهذا يقول: "إن الله بلا صفات ولا علاقات ولا يتأثر بمؤثرات خارجية، وبلا رغبة ولا احتياج، وبلا اسم، وليس له نوع ولا كمية، فليس هو مبدأ عقليا ولا نفسيا، ليس هو في حركة ولا سكون، وليس هو في مكان ولا زمان.

١ الإلهيات للقس صموئيل مشرقي ٦٥

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الثالث

الكلمة في الفكر اليهودى

نوجز مقولة وليم باركلي صاحب تفسير العهد الجديد عن الكلمة في الفكر اليهودي فيما يلي: "هناك أربعة عوامل شكلت أفكار اليهود عن الكلمة هي:

أولا: استقلال الكلمة

يرى اليهودي في الكلمة أكثر من صوت صارخ، لها قوتها ووجودها الذاتي المستقل الذي يعمل عمله، .. وكما قال أحد الشعراء: فإذا كنت حريصا مرة في تداول النار، فاحرص عشر مرات على تداول الكلمات"، فالله جل جلاله لا يستطيع أن يمحو الكلمات الحية التي تقال. إن الكلمة في الفكر الشرقي لها كيانها المستقل الجبار الفعال.

ثانيا: قوة الكلمة

يمتلئ العهد القديم بالإشارات إلى هذه الفكرة العامة عن قوة الكلمة، فحينما خدع إسحق، ونطق بالبركة ليعقوب بدلا عن عيسو البكر، لم توجد قوة تستطيع أن تسترد البركة، ولم يبق للبكر سوى اللعنة، "لقد خرجت الكلمة من فيه لتعمل عملها، ولا تستطيع قوة على الأرض أن توقفها". ودائما يفتتح سفر التكوين كل فصل من فصوله قصة الخلق بالقول: قال الله [تكوين ١:٣، ٦، ١١] .... إن كلمة الله قوة جبارة تخلق كل شيء من لا شيء، وفي سفر المزامير نستمع إلى المرنم يقول: "بكلمة الرب صنعت السموات".[مزامير٦:٣٣] وأيضا: "أرسل كلمته فشفاهم"، [مزامير ٢٠:١٠٧] وأيضا: "يرسل فكلمته في الأرض سريعا جدا يجري قوله".(مزامير ١٤٧: ١٥) وفي نبوات أشعياء: لأنه كما ينزل المطر.... هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي، لا ترجع إلي فارغة، بل تعمل ما سررت به وتنجح فيما أرسلتها إليه".[أشعياء ٥٥: ١١] ويتحدث الله على لسان أرميا فيقول: "أليست هكذا كلمتي كنار، وكمطرقة تحطم الصخر".[أرميا ٢٣: ٢٩]

Upload by : altawhedmag.com

ثالثا: تطور الحياة العبرانية:

حدث تطور في الحياة العبرانية نجم عنه أثر كبير في تشكيل الفكر العبراني عن الكلمة، فلمدة تزيد على مائة عام قبل مجيئ المسيح، أمست اللغة العبرية لغة منسية، فالشعب يتحدث الآرامية وهي لغة متطورة عن العبرية، فاضطر العلماء إلى ترجمة الكتب المقدسة إلى اللغة الجديدة، ودعيت هذه الترجمات "بالترجوم"، وبدعوى تنزية الله تعالى وحتى لا ينسبوا له الصور المادية والتشبيهات الحسية واللمسات الإنسانية، راح العلماء كلما مروا بآية تتحدث عن الله بصورة إنسانية (في مفهومهم) كانوا يعبرون عن ذات الله بلقب "كلمة الله" على سبيل المثال ورد في سفر الخروج القول: "وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله" فتُرجمت "فأخرج موسى الشعب لملاقاة كلمة الله"،[خروج ١٩:١٧] وفي نفس السفر نقرأ أن الله قال لشعبه عن يوم السبت: "سبتوني تحفظونها، لأنه علامة بيني وبينكم في أجيالكم المتعاقبة"، فترجموها: "السبت علامة بين كلمتي وبينكم"،[الخروج ٣١:١٣] وفي سفر التثنية : "الرب إلهك العابر أمامك نار آكلة"، فترجموها: "كلمة الرب إلهك نار آكلة"،[تثنية ٩:٣] وفي نبوات أشعيا قول الله "أنا الأول وأنا الآخر... بيدي أسست الأرض ويميني نشرت السموات"، رأى فيها علماء الترجوم استعارة بشرية فترجموها: "بكلمتي أسست الأرض، وبقوتي نشرت السموات".[أشعيا ٤٨:١٣]، وبالتالي أصبحت كلمة الله تعبيرا جديدا في قاموس علم اللاهوت العبري، واعتادها الشعب من كثرة ما سمعها في المجامع اليهودية.

رابعا: التأثير اليوناني

تعني الكلمة أو اللوجوس عند اليونانيين: الفكر أو العقل، ولما استعملها المفكرون من اليهود أضافوا إليها السلطان والقوة الخلاقة، ومن هنا نرى الجانب الثاني من الفكر عن اللوجوس يتبلور ويتضح، فما الحكمة والعقل أو الفهم إلا صنوان أو تعبيران عن شيء واحد، ففي البداية رأينا الفكر العبراني يتحدث عن كلمة الله، ثم تحول إلى حكمة الله، وفكر الله".[١]

١ تفسير العهد الجديد لوليم باركلي لشرح بشارة يوحنا ٣٩ - ٤٤

Upload by : altawhedmag.com

خامسا: تغلب الماديات على عقيدة التوحيد:

يصف المستشار/ محمد عزت الطهطاوي في كتابه النصرانية والإسلام تطور انحراف اليهودية عن التوحيد فيقول:

١. تغلبت المادة على الجانب الروحي عند بني إسرائيل،وأصبح الدين والشريعة في عرف اليهود عبارة عن تشريعات رسمت للمعاملات التي يمكن بها أن يستحلوا أموال غيرهم من الناس، وطقوس العبادة عندهم أصبحت صورا من شريعة المعاملات وصيغ السندات والديون والمطالبات، وانتهاك الحرمات، واستعباد الشعوب، واستحلال المحرمات، وفي جملتها يمكن أن يقال أن عبادة اليهود إما للاعتداء، أو زيادة الرزق عن طريق السلب والنهب، حتى أصبحت قلوبهم وعقولهم فارغة إلا من المادة وما يتفرع منها.

٢. ثم مرت باليهود أطوار تعرضوا فيها لنقمة الله جزاء ابتعادهم عن شريعته حتى انقرضوا، لكن دخل في اليهودية قوم آخرون ليسوا أصلا من بني إسرائيل، لكنهم تهودوا، وعلى سبيل المثال: القبائل التي كانت حول بحر الخرز في الاتحاد السوفيتي، ومع ذلك نسبوا إلى إسرائيل عفوا، فضلا عن ذلك، فإن اليهود اختلطوا بغيرهم من الأمم، وأخذوا عنهم كثيرا من العلوم والآداب، كما اكتسبوا طرقا جديدة في التفكير.

٣. أما في العبادات فقد انحرف اليهود عن أهدافهم في عبادة الواحد الأحد، فأقاموا الهياكل كما تقيم الأمم والشعوب الوثنية، ثم زادوا في إسفافهم حتى جعلوا الأوثان في بيوتهم، وسموها الطرافين، وعبدوا آلهة الأمم التي اختلطوا بها، مثل آلهة الآراميين والكلدانيين والمؤابيين أمثال: البعل والبعليم والعشتاروت، ووضعوها في هيكلهم المقدس، هيكل النبي سليمان".[1]

---

١ النصرانية والإسلام، للمستشار/ محمد عزت الطهطاوي ص ١٢٨ - ١٢٩

Upload by : altawhedmag.com

ملخص الباب الأول

- أرسل الله الرسل بالتوحيد، وفي كل مرة يتسرب الغلو والفكر الباطني إلى الدين، ويخرج الناس عن التوحيد إلى دائرة الفلسفة ووحدة الوجود واتحاد الخالق مع المخلوق.
- إن شعر هوميروس قد شجع قدامى الأدباء اليونانيين على انتهاج الأسلوب الباطني في تأويل النصوص الأدبية.
- أظهرت الديانات الإيرانية القديمة فكرة الإنسان الأول، وأن له وظيفة كونية.
- أكد هرميس مبدأ التقابل بين العالم الأكبر، والعالم الأصغر ويعنون به الإنسان.
- تشير أسفار البراهمة إلى نظرية وحدة الوجود، وهذا الوجود الواحد هو للإله وأن كل الكائنات هي مظاهر لهذا الإله، ليس لها وجود مستقل، أو إيجاد من العدم.
- زرع فيلون في اليهودية بذور الفكر الباطني، ووضع نظريات الظاهر والباطن ومقابلة الإنسان للكون. وتتلخص أقوال الباطنية في المفاهيم الآتية:
  - أن العلم علمان: علم ظاهر للعوام وعلم باطن للخواص لايدركه العوام.
  - أن العلم الباطن سر من الأسرار، وهم يعنون فهم الفلاسفة وتأويلاتهم.
- قول الباطنية بالوساطة بين الله وبين خلقه، وطبيعة الوسيط هي النور، وله صفات إلهية، وأنه خُلِق أو صدر عن الله أو فاض من حياض الجبروت
  - العقل الأول
  - العالم الكبير أو الجيامرتين

Upload by : altawhedmag.com

- آدم السماوي أو آدم قدمون
- كلمة الله أو ابن الله.

- بدعوى تنزيه الله تعالى تحول معنى كلمة الله في الفكر اليهودي حتى أصبحت فكر الله وحكمة الله التي لها السلطان والقوة الفاعلة.
- انحراف اليهودية سار في اتجاهين، الاتجاه الأقوى كان في اتجاه غلبة المادة على الروح، فتحولت الشريعة إلى معاملات مادية، وسمحوا لأنفسهم بتقليد الشعوب الوثنية، حتى دخلت التماثيل إلى معابدهم، والاتجاه الأضعف هو الميل للفكر الباطني والتفسير الرمزي.

Upload by : altawhedmag.com

الباب الثاني

علم الباطن عند النصارى

١. التفسير الرمزي عند النصارى.

٢. الشريعة والحقيقة عند النصارى.

٣. كلمة الله عند النصارى.

٤. تزاوج المسيحية والفلسفة.

Upload by : altawhedmag.com

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الأول

التفسير الرمزى عند النصارى

ومن يتتبع تطور علم الباطن في المسيحية يجد له جذورا يهودية، فظهور مدرسة التأويل في المسيحية كان على يد أوريجانوس النصراني الذي سار على درب فيلون اليهودي، ويشير إلى ذلك الدكتور الخطيب بقوله: "وعمل على طريقته [أي فيلون] تلميذه أوريجانوس النصراني الذي كان أول من عمل على تفسير الإنجيل تفسيرا رمزيا سيرا على طريقة فيلون والفلسفة الأفلاطونية الحديثة"[١]. وتعد حياة أوريجانوس نقطة تحول في تاريخ المسيحية من مجرد شيعة إلى كنيسة عامة عالمية، فقد واصل أوريجانوس عمل أكليمندس في إدماج الأفلاطونية والرواقية في الفكر المسيحي، ممهدا الطريق للتوافق النهائي بين الكنيسة والإمبراطورية، ذلك الأمر الذي تحقق بعد مائة سنة من عصر أوريجانوس على يد الإمبراطور قسطنطين.

ومن أمثلة التفسير المجازي تفسيرهم لقصة يسوع والمرأة السامرية عند بئر يعقوب التي أوردها يوحنا في الإصحاح الرابع، فيقولون: "إن الشرارة الإلهية التي كانت في المرأة السامرية جعلتها لا ترضى بالمعرفة القديمة التي تتمثل في بئر يعقوب، وكانت تتطلع إلى المعرفة الجديدة [الغنوسية] التي يهبها المسيح وحده.

ويشير علماء المسيحية ورهبانها إلى أن الإنجيل له ظاهر للعامة، وله بواطن وأسرار لا يصل إليها إلا الكامل من الرجال، وهذا ما يقرره الأستاذ حداد قائلا: "والحقيقة المسيحية سامية قد تقصر عنها عقول البشر"[٢].

التفسير المثلث للكتاب المقدس:

"كان أوريجانوس يفسر الكتاب المقدس تفسيرا مثلثا، فيقول:

---

١ الحركات الباطنية في الإسلام د. محمد أحمد الخطيب ٢٢ -٢٣

٢ صوفية المسيحية في الإنجيل بحسب يوحنا - يوسف درة حداد صفحة ١: ٤١١

Upload by : altawhedmag.com

- التفسير الظاهري الحرفي وذلك للبسطاء وغير التعلمين.
- هناك تفسير أخلاقي يجب أن يستخلصه القارئ.
- التفسير الروحي المشتق من التفسير المجازي أو الرمزي.

وقد بنى أوريجانوس نظريته هذه على أساس بعض ما جاء في الترجمة السبعينية كما في سفر الأمثال [٢٠:٢٢، ٢١]، أو الثلاث طرق لتقديم القربان[١]، أو الآبار الثلاث التي حفرها إسحاق [تكوين ٢٦:١٧- ٢٢]، ويعلل أوريجانوس نظريته هذه قائلا: "كما أن الإنسان جسد ونفس وروح، هكذا الكتاب المقدس له المعنى الجسدي [الظاهري]، والنفسي [الأخلاقي]، والروحي [الرمزي]، وهذا المعنى الأخير هو أسماها جميعا، ويستخدم أوريجانوس الفهم التدريجي للكتاب المقدس لشرح هذه المعاني الثلاثة: "نحن نرتقي درجة درجة في معرفة الله، ولكن كل درجة هي المسيح، ففي الدرجة الأولى نعرفه كإنسان وكراعي، ثم كملاك وكائن سماوي ثم كرب، أولا هو الحمل الذي يرفع كل خطايانا ثم يصبح جسده طعامنا الحي، وبهذه الطريقة فقط دون سواها نستطيع أن نصل إلى معرفة الآب"، وفي تفسيره لسفر الانشاد يتكلم عن الدرجات الثلاث، فيقول:

- "في الأولى ندرب أنفسنا في حفظ الوصايا وفي السلوك الأخلاقي
- وفي الثانية: ننكر العالم وشهوته.
- وفي الثالثة: نتطلع إلى رؤية غير المنظور الإله السرمدي هذا التطلع يجد كفايته عندما تشعل رحمة الله أنفسنا بمحبة جمال "الكلمة" "اللوجوس" وعندما يستجيب الكلمة لهذه المحبة.

ويستطرد كاتب تاريخ الكنيسة ليقرر أن استعمال المجاز كان شائعا بين العلماء في عصر أوريجانوس، فهو لم يخترع التفسير المجازي، ولكنه سار في نفس الطريق الذي سلكه اليونانيون واليهود الذين طوروا هذه الطريقة التفسيرية من قبله بسنين طويلة"[٢].

١ المذكورة في سفر لاويين ٢: ٤ -٧

٢ تاريخ الكنيسة لجون لوريمر ٢: ٦٢ - ٦٤

Upload by : altawhedmag.com

ولنضرب مثالا لأسلوب أوريجانوس في التفسير المجازي لأحد أمثال الرب يسوع وهو ما يسمونه مثل السامري الصالح[١]، فيقول:

- الرجل الذي كان نازلا من أريحا هو آدم.
- أورشليم هي الفردوس.
- أريحا هي العالم.
- الكاهن هو الناموس.
- واللاوي يمثل الأنبياء.
- السامري ربنا.
- الدابة تمثل جسد المسيح.
- والفندق هو الكنيسة.
- صاحب الفندق هو رئيس الكنيسة.
- والدرهمان هما الآب والابن.
- والوعد برجوع السامري هو إشارة إلى مجيء المسيح ثانية"[٢].

لا شك أن فهم علم الباطن في المسيحية يبدأ بفهم الرموز الواردة في الأناجيل عامة وفي إنجيل يوحنا خاصة، ويمكن تقسيم الرموز إلى نوعين: الرموز الحسية، والرموز المعنوية فيقول: "الرموز الحسية منها حمل الله، والهيكل الجديد، والميلاد الجديد، والماء الحي، والخبز الحي، والباب، والراعي الصالح، والكرمة الحقيقية، تلك ثمانية رموز حسية"[٣]، ثم يشرع في بيان هذه الرموز ومدلولاتها،... ويستكمل دراسته للرموز المعنوية التي منها: "الساعة، والعبادة بالروح، والحق، والنور، والرفع"، ويضيف إلى كل ذلك بعض الألقاب الرمزية

١ الوارد في إنجيل لوقا ١٠: ٢٩ - ٣٧

٢ تاريخ الكنيسة لجون لوريمر ٢:٦٤ تفسير أوريجانوس للمواعظ ٣٤: ٢٠١ - ٢٠٢

٣ صوفية المسيحية في الإنجيل بحسب يوحنا - يوسف درة حداد صفحة ٣٨٥

Upload by : altawhedmag.com

المجازية للمسيح منها: "العريس، مخلص العالم، ملء النعمة والحقيقة، ملك يوم الدين، خبز الحياة، نور العالمين، القيامة والحياة، حبة الحنطة، الصراط، الحقيقة".

ولعل أكل الخبز وشرب النبيذ [أو ما يسمى بالمناولة]، يمثل أهم الرموز الباطنية في حياة المسيحي وطقوس عبادته، وتشرح الدراسات الإنجيلية معنى المناولة كما يلي: "ويتم تأليه الإنسان الجديد بالقربان المسيحي الذي فيه يأكل جسد المسيح ويشرب دمه، فيمتد تجسد المسيح إلى المسيحي، فيصير معه كيانا واحدا وحياة واحدة، "فقال لهم يسوع: الحق الحق أقول لكم: إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم، من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أُقِيمُهُ في اليوم الآخر، لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق، من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه، كما أرسلني الآب الحي وأنا حي بالآب، فمن يأكلني فهو يحيا بي، هذا هو الخبز الذي نزل من السماء" [يوحنا ٦: ٥٣-٥٨]. فحياة الله تنزل إلى الإنسان الجديد بالمسيح، فهو صلة وحدة الحياة بين الله والإنسان"[١].

ومن الجدير بالذكر أن السلوك الصوفي المسيحي يمر بمراحل سبعة يشرحها يوسف حداد بقوله: "ويتم الاتصال الكياني والحياتي بين الخالق والمخلوق، بين الله والإنسان يتم بواسطة الأسرار الرمزية السبعة: العماد، والميرون، والتوبة، والقربان، والزواج المسيحي، والكهنوت، والمسحة، فهذا النظام المسيحي يحمل الإنسان المسيحي ويرفعه إلى الله من المهد إلى اللحد، ومن الأرض إلى السماء"[٢].

١ صوفية المسيحية في الإنجيل بحسب يوحنا - يوسف درة حداد صفحة ١: ٢٨٤

٢ صوفية المسيحية في الإنجيل بحسب يوحنا - يوسف درة حداد صفحة ٢٨٢

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الثاني

الشريعة والحقيقة عند النصارى

يرى المسيحيون أن الشريعة هي ما تكلم به موسى وإبراهيم، أو هو الوحي المنزل على الأنبياء، وأن الحقيقة هي المسيح نفسه، يقول علماؤهم: "وفي مقابلة رائعة ترُد كلمات إنجيل يوحنا على اليهود الذين يرون الحقيقة في الشريعة الموسوية، حين يقول إن الشريعة نزلت بموسى، وبيسوع المسيح النعمة والحقيقة، ومع تجسد كلمة الله تجسدت الحقيقة المطلقة فيه، فلم يعد وحي الله كتابا منزلا، بل صار شخصا مرسلا"[١]. حتى إبراهيم الخليل نزل في اعتقاد النصارى بالشريعة فقط، ويقولون على لسان المسيح: "لقد كلمتكم بالحقيقة التي سمعتها من الله، وهذا ما لم يفعله قط إبراهيم نفسه" [يوحنا ٨: ٤٠].

فالتوراة هي الشريعة، والحقيقة هي سر المسيح نفسه وحقيقته، وكما يقررون: "والحقيقة المسيحية سامية قد تقصر عنها عقول البشر"، ويشرحونها بقولهم: "في الكتاب [التوراة]، وغيره، "كان إلهام الله للإنسان وحيا وتنزيلا، فصار في المسيح يسوع كشفا عن سر الله والإنسان والكون، بالكشف عن سر المسيح صلة الوصل الكيانية والكونية بين الله والإنسان والكون.. فالسيد المسيح قد أظهر شخصه سر الله"[٢].

ينقل يوسف حداد من إنجيل يوحنا: "أن الله لم يره أحد قط، إلا إله، الوليد الوحيد، إنه في حضن الآب، هو خَبَّر"[٣]. ولما راجعت الإنجيل وجدته نقل النص بعد تحريفه، فالنص الأصلي كما يلي: "أن الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد، الذي في حضن الآب، هو خَبَّر". "به لم يبق الوحي والتنزيل كتابا منزلا، بل صار شخصا منزلا"[٤].

---

١ صوفية المسيحية في الإنجيل بحسب يوحنا - يوسف درة حداد صفحة ١: ٤٠٨

٢ صوفية المسيحية في الإنجيل بحسب يوحنا - يوسف درة حداد صفحة ١: ٢٨٢

٣ إنجيل يوحنا ١: ١٨ - يوسف درة حداد صفحة ٢٨٢

٤ صوفية المسيحية في الإنجيل بحسب يوحنا - يوسف درة حداد صفحة ٢٨٢

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الثالث

كلمة الله عند النصارى

يشرح خدام الإنجيل المعنى اللغوي للكلمة فيقولون: "إن الكلمة لسان حال صاحبها وهي في نظر رجال الفلسفة، المعنى الموجود في العقل، والمعبر عنه أو المتجسد إما في صوت أو كتابة أو رسم، فهي تحتوي على ما في عقل المتكلم من معنى بالشكل الذي يفهمه المتكلم إليه، وفي الاصطلاح يعرف عند فلاسفة اليونان بأنه العقل الإلهي المنفذ لمشيئة الله أو بالحري هو المعبر عن الله"[١].

كما يعتقد المسيحيون وغيرهم من الباطنيين أن الحديث عن الحقائق يحتاج إلى استخدام الرموز والإشارات والتعبيرات الباطنية المتداولة في وقتهم، وهم يرون أن إنجيل يوحنا يكثر من استخدام الأسلوب المناسب للحقائق، وهذا ما يدافع به أحد علماء المسيحية بقوله: "وقد وجد بعضهم بعض المطابقات في بعض التعابير، مثل النور والخلاص بين يوحنا وكتب الأديان السرية، لكنها موافقات بيئية لا اقتباسات مقصودة.

ويضرب المثال التالي: وقد وطن المتكلم اليهودي فيلون تعبير "الكلمة" في الكلام الإسرائيلي للأميين، كناية عن الحكمة الإلهية، لكن وإن اتفق يوحنا مع فيلون في مصدر التعبير كناية عن الحكمة الإلهية، فهو يختلف عنه ويستقل عنه في ذات "كلمة الله": فعند فيلون "كلمة الله" هي حكمته من حيث هي صفة ذاتية في الله، أما عند يوحنا "فالكلمة" هي ذات في ذات الله"[٢].

والكلمة عند "فيلون" تحولت في المسيحية إلى المسيح نفسه، وهم بذلك يفسرون صدر الإصحاح الأول لإنجيل يوحنا الذي استفتحه بقوله: " في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله" [يوحنا ١ : ١] ، فالمسيح الكلمة كان في البدء عند الله وفي نفس

---

١ ما معنى المسيح ابن الله لنخبة من خدام الإنجيل ٤٦

٢ صوفية المسيحية في الإنجيل بحسب يوحنا - يوسف درة حداد صفحة ١٣٤

Upload by : altawhedmag.com

الوقت هو الله، ويفسر فلاسفة المسيحية هذا النص على أنه يحدد أدوار المسيح قبل تجسده في ثلاثة أدوار ذكرها يوحنا في صدر إنجيله وهي:

- التكوين: "كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان"[يوحنا ١: ٣].
- الإحياء: "فيه كانت الحياة، والحياة نور الناس" [يوحنا ١: ٤].
- التنوير: "والنور يضيء في الظلمة، والظلمة لم تدركه"[يوحنا ١: ٥].

كما ورد في دراسة أخرى ما يلي:

"بالوحي الكتابي أنزل الله إلينا كلامه، أما في الوحي الإنجيلي فقد نزل هو نفسه إلينا... بالوحي الكتابي عرفنا التوحيد الصحيح، وبقي غيب الله محجوبا عن العالمين، أما في الوحي الإنجيلي فقد كشف الله لنا عن سر كيانه ووجوده، بالتثليث المسيحي... ونقدر أن نوجز المسيحية وسموها وإعجازها بهذه التعابير الثلاثة:

- بالتجسد: ينزل الخالق إلى المخلوق.
- بالفداء: على الصليب يرتفع المخلوق إلى الخالق.
- بالقربان المسيحي: يلتقي الخالق والمخلوق! في وحدة وجود، ووحدة كيان، ووحدة حياة- بدون حلولية، ولا تأليه، ولا تجسيد، ولا شرك!!

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الرابع

تزاوج المسيحية والفلسفة الغنوسية

أولا: الفلسفة الغنوسية.

يعرف جون لوريمر صاحب كتاب تاريخ الكنيسة أصل الغنوسية بقوله: "كانت هذه الفلسفة العجيبة المسماة بالغنوصية هي أهم ما تحدى الكنيسة من هرطقات، والغموض يحيط بكيفية ظهورها، ففيها عناصر من الفكر الفارسي والمصري والأفلاطوني"، ثم يستطرد قائلا: "لقد كانت معرفتنا بالفلسفة الغنوسية - إلى عدة سنوات قليلة مضت - مشتقة من كتابات المفكرين المسيحين عنها من أمثال: جاستن وإيريناويوس اللذين هاجماها، أما الآن أصبحت في أيدينا كتابات الغنوسيين الأصلية بعد اكتشاف المخطوطات الغنوسية الكثيرة في نجع حمادي سنة ١٩٤٥ م والتي حفظت ورممت وترجمت وأعدت للنشر في المتحف القبطي بالقاهرة، وبعض هذه الكتابات أصبحت في متناول اليد، ويمكن تلخيص تعاليمها في عدة جمل: فهي فلسفة ثنائية تقول أن العالم الملموس المادي شر، ولا يمكن أن يكون الله هو خالقه، بل خلقته كائنات أقل مركزا تسمى ديمارج، أما الله فهو يحيا منفصلا انفصالا تاما عن العالم المادي الشرير، ويسكن في عالم الروح النوراني، أما خلاص الإنسان فهو بهروب الإنسان من العالم المادي إلى عالم الروح بواسطة المعرفة التي لا يمكن أن ينالها الإنسان إلا عن طريق معجزي، يعطيها رسول إلى جماعة لها وعي روحي". ثم يضرب أمثلة للفكر الغنوسي قائلا:

يقول آباء الكنيسة: إن أول مسيحي غنوسي هو سيمون الساحر الذي من السامرة، والذي أراد أن يشتري قوة الروح القدس من بطرس ويوحنا، ويذكر جاستن ماريرأن كل السامريين تقريبا يمجدون سيمون الساحر، ويعتقدون أنه هو الله، وأنه مرتبط بما يسمى هيلين وهي فكرة الأول".

ثانيا: دعوة الغنوسية.

يقول ماكجفرت: "يوجد في تعاليم الغنوسية بعض التشابه مع تعاليم بولس ويوحنا، وحتى مع بعض أقوال يسوع نفسه، وثنائيتهم وجدت سندا في تعاليم بولس عن الروح

Upload by : altawhedmag.com

والجسد وعقيدة الدوسيتية التي يعتنقونها، ووجدت أيضا سندا في القول بأن المسيح كان كائنا إلهيا جاء من السماء، كما أن رفضهم للعهد القديم وللإله الذي أعطاه، يستند على حوار بولس ضد الناموس، وتقسيمهم البشر إلى طبقتين الذين يستطيعون الخلاص والذين لا يستطيعونه، بنوه على التمييز الذي وضعه يسوع بين أبناء الله وأبناء إبليس"[1].

شهد القرن الثاني الميلادي العصر الذهبي لما يسميه المسيحيون بالهرطقات، والتي تعني الميل إلى الفلسفة والفكر الباطني، يقول جون لوريمر: "يقولون أن عصر الإمبراطور هارديان [١١٧ - ١٣٨م]، هو العصر الذهبي للهرطقات، ففي تلك الفترة ظهرت داخل الكنيسة وخارجها بعض الاتجاهات الخاصة التي شكلت تحديا خطيرا للعقائد المسيحية وللسلام في الكنيسة، فمن الناحية الأولى حدث فراغ في حياة الكنيسة باختفاء الرسل، فافتقدت حضورهم المؤثر روحيا وكنسيا" ثم يستطرد معددا عددا من الفرق ويشير إلى أهم معتقداتهم فيقول:-

- الدوسيتية: "ونادت هذه البدعة بأن المسيح لم يكن بشرا حقيقيا، ولكنه بدا كذلك، وقد جاء هذا المفهوم من التراث الفلسفي اليوناني والشرقي الذي نفر بشدة من فكرة الإله قد يختلط بالعالم المادي بأية كيفية، ولهذا فالمسيح - كما يقول هؤلاء - ظهر لتلاميذه كأن له عظام ولحم، كأنه يجوع ويعطش، يشعر بالألم والحزن، وهو لم يكن كذلك، ويقول بعضهم: إن الذي صلب بدلا من المسيح هو سمعان القيرواني".
- الغنوسي الكبير الأول: وهو لقب أطلقه جاستن الشهيد على ساترنينوس الذي يمثل تأثير الغنوسية على المجتمعات اليهودية المسيحية في آسيا، وقد وضعت تعاليمه الملائكة السبعة الذين يرأسهم إله اليهود في موقف العداوة من الإله المحتجب، وقد خلق هؤلاء الملائكة الإنسان، ولكن هذا الإنسان بدأ يتخبط في الأرض حتى أعطاه الإله المحتجب قبسا من النور الذي يصدره، وقد أنكر

١ تاريخ الفكر المسيحي لماكجفرت ١: ١٥١، ويشير إلى يوحنا [٨: ٣٧-٤٧]

Upload by : altawhedmag.com

ساترنينوس الزواج ووصفه بأنه جاء من الشيطان، وبعض تلاميذه امتنعوا عن أكل اللحم، وقد ميز بين جنسين من الناس: أولئك الذين لهم شركة في النور السماوي، وأولئك الذين حرموا منه".

• باسيليدس السكندري: الذي يقول: إن الله خلق العقل، ومن هذا العقل خرجت الملائكة والسموات وعددها ٣٦٥ في ترتيب تنازلي إلى أن وصلت إلى إله العهد القديم "يهوة"، الذي خلق آخر الأشياء وهو العالم المادي الذي يعيش فيه الجنس البشري، أما الله الآب فيرى الجنس البشري في حالة اليأس فيرسل العقل وهو الابن لكي يعطي المعرفة للخلاص لجماعة الروحيين المختارين، ويقول باسيليدس: إن المسيح ظهر كإنسان ظاهريا فقط، ولكنه لم يتألم أو يمت ولكن سمعان القيرواني قتل مكانه.

• فالنتينوس: يعتبر من أهم الغنوسيين الذين كان لهم أثرهم الكبير، وقد عمل في روما وعاش فيها، وكان مبجلا من الجميع، وقيل إنه رشح للأسقفية، وفي كتاباته نجد الغنوسية في أهم مظهرها متحدية للمسيحية حيث يقول: "فليست المعمودية فقط هي التي تحرر الإنسان، ولكن المعرفة، معرفة من نحن؟ ولماذا وجدنا هكذا؟ وأين نحن؟ ومن أي شيء خلصنا، وما هو الميلاد؟ والميلاد الثاني؟ يقول جون لوريمر: مع أننا لا نملك شيئا من كتابات فالنتينوس نفسه إلا أن الرأي الغالب هو أن كتاب "إنجيل الحق" الذي وجد في نجع حمادي هو من ضمن كتاباته"[1].

• حوادث داخل الملأ: تعتقد الغنوسية بإله كان موجودا بنفسه ووحده وتطلق عليه عدة أسماء: الأب غير المعروف، الهاوية، غير المولود، وهذا الإله لم يرض أن يظل وحيدا فخلق اثنين من الأيونات [الأيون: كائن إلهي] اسمهما العقل وهو ذكر، والحق وهو أنثى، وهذان بدورهما أنتجا زوجين آخرين: الحياة العالمية

١ تاريخ الكنسية لجون لوريمر ٥: ١٠٨

Upload by : altawhedmag.com

وكنيسة الإنسان، هؤلاء جميعا مع الآب يكونون الملأ أو ملأ اللاهوت، والحياة العالمية أنتجت عشرة أيونات فأصبح الجميع ثمانية عشر، أما كنيسة الإنسان فأنتجت ١٢ أيونا، فصار الجميع ثلاثين، والأيون الأخير الذي ولدته كنيسة الإسنان كان أنثى واسمها صوفية أي الحكمة، وكان لها رغبة أن تعرف الآب غير المعروف، ولما لم تستطع أصابها الحزن الشديد، وفي حزنها وبدون مشاركة من زوجها أنجبت مولودة أسمتها أخاموث [معناها غير مؤكد]، ولكنها لم تستطع أن تمكث في ملأ اللاهوت نظرا لولادتها غير الطبيعية [أي لأنها زنت]، فسقطت من هناك، فلما رأت الحكمة ما فعلته، ازداد حزنها وأضحت لا تتعزى مطلقا، فحزن عليها سائر الأيونات، وقدموا رجاء إلى العقل والحق لمساعدتها، فما كان من هذين إلا أن أنتجا أيونين آخرين لإنقاذ الحكمة من حزنها هما المسيح والروح القدس، ففعلا عاد الانسجام للملأ، فأراد الأيونات الثلاثون أن يظهروا امتنانهم لذلك، فأنتجوا أيونا آخر اسمه يسوع... ونكتفي بهذا القدر فالحكاية لا نهاية لها.

Upload by : altawhedmag.com

ملخص الباب الثاني

• يقرر كاتب تاريخ الكنيسة أن استعمال المجاز كان شائعا بين العلماء في عصر أوريجانوس، فهو لم يخترع التفسير المجازي، ولكنه سار في نفس الطريق الذي سلكه اليونانيون واليهود الذين طوروا هذه الطريقة التفسيرية من قبله بسنين طويلة.

• تحولت كلمة ابن الله من اصطلاح عام يقال لبني إسرائيل، ولسليمان ويعقوب، وأنبياء بني إسرائيل، إلى معنى خاص بالمسيح، فأصبح إله ابن إله، وبالتالي تجسدت عبارة: ابن الله من لفظة إلى مسيح حي، له صفات الآب، وفي هذا إطراء بعيسى عليه السلام لا يليق إلا بالإله الواحد الأحد، ولا يرتقي إليه الإنسان المخلوق للخلافة في الأرض.

• حدوث تزاوج بين الفلسفة الغنوسية والعقيدة المسيحية، وفتح الطريق أمام العقل ليصل إلى الغيبيات في الوقت الذي تطلب فيه الكنيسة عدم إعمال العقل في العقيدة المسيحية.

• نفي واقعة صلب المسيح في عدد من الأناجيل التي لم تشأ الكنيسة أن تعترف بها، واتفاق تلك الأناجيل على أن المصلوب هو سمعان القيرواني، وهذه الحقيقة كانت مدونة بين يدي بعض المسيحيين قبل نزول القرآن الكريم بخمسة قرون، مما يؤكد أن الكنيسة بمجامعها المتتالية هي صاحبة المصلحة في إخفاء هذه الحقيقة.

• ما زال يمثل حجب الكنيسة لتلك الأناجيل عن الناس يمثل عدوانا صارخا على حريتهم في اختيار عقيدتهم، وكما نعلم جميعا أن الغرب المسيحي المتشدق بحقوق الإنسان في كل مناسبة، لم يطالب الكنيسة بنشر تلك الأناجيل، وترك الناس أحرارا في الوصول إلى الحقيقة.

Upload by : altawhedmag.com

الباب الثالث

أطوار عقيدة النصارى

١. في البدء كان التوحيد.

٢. بولس مؤسس المسيحية الحقيقي.

٣. كتابة الأناجيل.

٤. مولد عيسى في الأناجيل المعتمدة.

٥. إنجيل برنابا.

٦. قرون المسيحية الأولى.

Upload by : altawhedmag.com

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الأول

في البدء كان التوحيد

رغم أن عقيدة النصارى تقوم على نصوص إنجيل يوحنا الذي يبدأ في إصحاحه الأول بأشهر عبارات الإنجيل عامة وهي عبارة: "في البدء كانت الكلمة"، إلا أني أردت أن أبدأ حديثي عن عقيدة النصارى بعنوان في البدء كان التوحيد.

تعرض النصارى إلى قدر لا مثيل له من الاضطهاد والتعذيب، لم يكن على يد قياصرة الرومان فقط، وإنما ساهم اليهود أيضا بقسط وافر منه، ويقرر كثير من علماء المسيحية الفحول أن هذه المصائب والفتن التي تعرضوا لها قد أفقدت أناجيلهم[1] الإسناد المتصل إلى مصنفيها، ومن المعروف أن تدوين الأناجيل كان بعد سبعين إلى مائة سنة من رفع المسيح عليه السلام. ورغم ذلك فإن عقيدة التوحيد ما زالت موجودة في الأناجيل المتداولة اليوم، ونعرض فيما يلي لبعض النصوص الواردة على لسان المسيح عليه السلام على سبيل المثال لا الحصر تؤكد هذه النصوص أن الأصل في العقيدة كان التوحيد:

- "الرب إلهنا إله واحد وليس آخر سواه" [مرقس ١٢: ٣٠-٣١].
- "إلهي إلهي لما شبقتني - أو تركتني" [مرقس ١٥: ٣٤].
- "اسمعي يا إسرائيل الرب إلهنا واحد" [مرقس ٣٤:١٥].
- وسأل واحد من الكتبة المسيح قائلا: "أي وصية هي أول الكل؟ فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك، هذه هي الوصية الأولى" [مرقس ١٢: ٣٠]

---

١ كلمة إنجيل تعني البشارة

Upload by : altawhedmag.com

- علم الساعة لا يعلمه إلا الآب: قال عيسى: "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة [يوم القيامة]، فلا يعلم بها أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن، إلا الآب" [مرقس١٣: ٣٢]، ويؤكد هذا النص أيضا على عدم تساوي الآب والابن في العلم، وبالتالي تضرب فكرة الثالوث في مقتل.
- الآب أعظم من الابن: قال عيسى عليه السلام: "إن أبي أعظم مني" [يوحنا ١٤: ٢٨].
- قال المسيح لمريم المجدلية: "لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي، ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم" [يوحنا ١٧: ٢٠].
- روى يوحنا مناجاة المسيح عليه السلام لربه: "هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته"[يوحنا ٢:١٧]، وهذا النص من أدمغ الحجج على دعاة الثالوث، فالجنة التي هي الحياة الأبدية لا تؤتى إلا لمن عرف طريق التوحيد، وقوله: أنت الإله الحقيقي وحدك تماثل تماما قول لا إله إلا الله، وقوله ويسوع المسيح الذي أرسلته تعنى عيسى رسول الله.
- "إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم" [يوحنا ١٧: ٢٠].
- "كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدا بعضكم من بعض؟ والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبون"[يوحنا ٥: ٤٤].
- "نعلم أن ليس وثن في العالم، وأن ليس إله آخر إلا واحدا"[كورنثوس الأولى ٨: ٤].
- "لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله وبين الناس: الإنسان يسوع المسيح" [تيموثاوس الأولى ٢: ٥]
- وفي إنجيل متّى يخاطب يسوع المسيح الشيطان قائلا: "اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك، تسجد وإياه وحده تعبد" [متى ٤: ١٠].
- "أم الله لليهود فقط! أليس للأمم أيضا؟ بلى للأمم أيضا، لأن الله واحد" [رومية ٣: ٣٠].
- "وأما الوسيط فلا يكون لواحد، ولكن الله واحد" [غلاطية ٣: ٢٠].

Upload by : altawhedmag.com

- "أنت تؤمن أن الله واحد حسنا تفعل" [يعقوب ٢: ١٩].

أولا: صلاة المسيح لمن؟

وقد ورد في الأناجيل أن المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام كان يصلي، فكيف يكون إلها ويصلي لإله آخر؟ وهل يعقل أن يتجه بصلاته إلى نفسه، بصفته إله أو أحد أقانيم الإله؟ ولنتأمل هذه النصوص كما وردت في العهد الجديد.

- "وإذا كان في جهاد كان [أي المسيح] يصلي بأشد لجاجة، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض، ثم قام من الصلاة وجاء إلى تلاميذه" [لوقا ٢٢: ٤٣].
- "وفي الصباح صحا عيسى قبل طلوع الشمس بوقت طويل، وخرج ذاهبا إلى مكان خال حيث راح يصلي" [مرقس ١: ٣٥]، وفي موضع ثالث: "ثم انسحب عيسى نفسه إلى البرية وأخذ يصلي" [لوقا ٥: ١٦].

ثانيا: عيسى يحدد الهدف من بعثته.

ويحدد عيسى عليه السلام الهدف من بعثته بشكل محدد حيث فيقول: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل جئت لأكمل...." [متى: ٥:١٧]، فالهدف إذن ليس الخلاص، وإنما إكمال شرائع الدين بمكارم الأخلاق، ومن واجبات إكمال المهمة أن يزيل اللبس والاختلاف في فهم وتطبيق التوراة الذي لحق بها التحريف خلال القرون السابقة على بعثته.

ومن الجلي إدراك منطلق الوصايا التي جاء بها المسيح عليه السلام، وكلها تقع تحت عنوان مكارم الأخلاق ومقام الورع، فهو يعلم أتباعه كيف يهذبون أنفسهم بالسماحة والحب والأخوة الإنسانية، ومن أمثلة ذلك: "قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل، ومن قتل يكون مستوجب الحكم، وأما أنا فأقول لكم: إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم، ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب الحكم، ومن قال: يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم، فإن قدمت قربانك إلى المذبح، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئا عليك، فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولا اصطلح مع أخيك" [متى: ٥:٣١ - ٣٤]، ويستكمل المسيح وصاياه متتبعا الوصايا العشر التي تلقاها موسى عليه السلام عن ربه، ويضيف بعد كل وصية توجيهاته لأتباعه ترفعهم إلى مرتبة أعلى على سلم تهذيب النفس، فعند اليهود شريعة

Upload by : altawhedmag.com

تحكم بين الناس، وتقيم الحدود بينهم، وفي رسالة عيسى عليه السلام نجده يقيم أولا شريعة موسى، فهو لم يأت لينقض، وإنما جاء ليكمل الطريق بتعليم أتباعه سبيل البر والورع والخوف والرجاء، والتضرع والابتهال، ولا شك أن معاناة موسى مع قومه كانت أشد حتى يقيم بينهم الحدود، ويؤسس قواعد الإيمان، ثم جاء دور عيسى عليه السلام ليتمم البنيان، ويزين الأركان.

ويقرر القرآن الكريم مهام أساسية في رسالة عيسى عليه السلام حين يقول على لسانه: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عمران-٥٠]، فأول المهام التصديق للتوراة، ثم التخفيف في التطبيق، وصولا للتقوى التي هي رأس الأمر وذروته. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ ۞ إِنَّ اللهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف٦٣-٦٤].

ثالثا: عيسى يقر بالرسالة.

قبل أن ننقل نصوص العهد الجديد عن عيسى النبي، نشير إلا ما توصل إليه علماء المسيحية وما قرروه بأنفسهم، وهو ما يقع تحت عنوان وشهد شاهد من أهلها.

- دائرة المعارف البريطانية ورد ما نصه: "ولم يدع عيسى قط أنه من عنصر فوق الطبيعة، ولا أن له طبيعة أسمى من البشر، وكان قانعا بنسبه العادي ابنا لمريم منسوبا من جهة الأب إلى يوسف النجار"[١].
- جريدة التايمز في ١٥ يوليو ١٩٦٦ نشرت وثيقة دينية اكتشفت حديثا، وقد جاء في ترجمتها: "تعتقد المسيحية أن عيسى ابن الله المقدس، ولكن مؤرخي الكنيسة يسلمون بأن أكثر أتباع المسيح في السنوات التالية لوفاته اعتبروه مجرد نبي آخر لبني إسرائيل"[٢].

١ دائرة المعارف البريطانية جزء الخامس ص ٦٣٦، نقلا عن المسيحية د أحمد شلبي ١٣٢

٢ نقلا عن المسيحية للدكتور أحمد شلبي ١٣٣

Upload by : altawhedmag.com

- يقرر هارناك عن شخصية المسيح ما يلي: "وصف المسيح إله السماء والأرض بأنه إلهه وأبوه، وبأنه الأعظم والإله الواحد، وأن المسيح يعتمد عليه في كل شيء، وأن خضوعه له تام، ويدخل عيسى نفسه ضمن الناس معلنا أنه من طبيعة البشر التي تختلف عن طبيعة الله"[١].
- يقول القس هـ. د. أ. ماجور رئيس معبد ربيون بأكسفورد: "يجب أن يُعلم علم اليقين، أن عيسى لم يقل في الأناجيل أنه ابن الله، بحالة طبيعية كما تقول قصص ولادته العذرية، ولم يقل إنه ابن الله بحالة نفسية كما يدعي علماء لاهوت نيس، بل قال إنه ابن الله بحالة مجازية".
- وننقل فيما يلي مجموعة من نصوص العهد الجديد تؤكد نبوة المسيح عليه السلام وتنفي عنه الغلو المعروف اليوم.
- يقول عيسى عليه السلام في إنجيل مرقس: "فقال له يسوع: لماذا تدعوني صالحا؟ ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله"[١٠: ١٨]..
- وفي إنجيل متّى: "هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل"[٢١: ١١].
- وفي إنجيل لوقا: "فأخذ الجميع خوف، ومجدوا الله قائلين: قد قام فينا نبي عظيم" [٧: ١٦].
- ويروي لوقا عن المسيح قوله: "لا يمكن أن يهلك نبي خارج أورشليم، يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين"[١٣: ٢٣].
- وفي إنجيل يوحنا: "إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم "[٦: ١٤، ٧: ٤٠].
- وفي إنجيل يوحنا أيضا: "فأجابوه وقالوا له: إن إبراهيم هو أبونا، فقال لهم عيسى: إذا ما كنتم أولاد إبراهيم فافعلوا ما كان يفعله إبراهيم، ولكنكم تتداولون لقتلي، وأنا الذي قلت لكم الحق كما سمعته من ربي"[٨: ٣٩-٤٠].

١ ما المسيحية لهارناك صفحة ١٢٦، نقلا عن المسيحية د/ أحمد شلبي ١٣٢

Upload by : altawhedmag.com

- وكذلك: "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته" [يوحنا ٣:١٧].
- قال عيسى: "الكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني" [يوحنا ١٤: ٢٤].
- وفي نفس الإنجيل يناجي المسيح ربه بقوله: "في هذه الحياة الأبدية أن يعرفوك بوصفك الإله الحقيقي الوحيد، وأن يسوع المسيح هو الرسول الذي أرسلته" [يوحنا ١٧: ٣٠]. وهذه المناجاة معناها ببساطة لا إله إلا الله عيسى رسول الله".

إذا كان التوحيد هو البداية، والمسيح يصلي لله، ويقر أنه أحد أنبياء الله إلى بني إسرائيل، فكيف انحرفت عقيدة القوم؟ وللإجابة على ذلك نقول إن عقيدة النصارى حول حقيقة المسيح مرت بعدة أطوار، إلا أن الدور الرئيسي الذي بلور عقيدة المسيحيين هو دور بولس الرسول حتى أنه ليس من قبيل المبالغة أن نقول إن بولس هو المؤسس الحقيقي للمسيحية.

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الثاني

بولس مؤسس المسيحية

ربما يرى البعض أن هذا الفصل ينبغي أن يتأخر لما بعد الحديث عن الأناجيل، إلا أننا قدمناه مراعاة للترتيب الزمني للأحداث، فدور بولس في تأسيس المسيحية يسبق كتابة الأناجيل، فبولس - الذي كان اسمه قبل أن يدعو للنصرانية شاءول بن كيساي البنياميني الروماني، ثم سمى نفسه بولس - ولد بولس من سبط بنيامين، من عائلة يهودية أقامت بطرسوس بآسيا الصغرى، وكان الابن الوحيد لتاجر يهودي ثري، أرسله أبوه ليتعلم في القدس على يدي الحاخام اليهودي عمالائيل واسمه جماليل حفيد الحاخام الكبير هليل بمدرسة من ألمع المدارس اليهودية في ذلك العصر، وتدرج في الدراسات الدينية إلى أبعد حدودها، وبعد أن أتم شاءول دراسته عاد إلى طرسوس حيث نشأ ليعمل مع أبيه ويدرس القانون، ويبشر بتعاليم القانون اليهودي، ويضيف هـ. ج. ولز في كتابه معالم تاريخ الإنسانية: "وكان متبحرا في لاهوتيات الإسكندرية الهيلينية، وكانت لغته الإغريقية ولكنها غير مرضية فهو لم يستخدم لغة أثينا، بل إغريقية الإسكندرية بيد أنه استخدمها بقوة وطلاقة، وكان صاحب نظرية دينية ومعلما يعلم الناس قبل أن يسمع عن يسوع المسيح بزمن طويل"[1]، رغم كونه ليس حواريا، ولم يشهد المسيح، إلا أنه يعد المؤسس الحقيقي للمسيحية الحالية، وكثير من علماء المسيحية يقرون بذلك، ومنهم بيري الذي يكرر - في كتابه [أديان العالم] عدة مرات - أن المسيحية الحالية مسيحية بولس، وأنها ديانته وهو منشئها وأنه أدخل عليها بعض تعاليم اليهود ليجذب أتباعا له من اليونان، فبدأ يذيع أن عيسى منقذ ومخلص وسيد استطاع الجنس البشري بواسطته أن ينال النجاة،... وعمد ليرضي مثقفي اليونان فاستعار من فلاسفتهم وخاصة فيلون فكرة اتصال الإله بالأرض عن طريق الكلمة،

١ التوراة والأناجيل بين التناقض والأساطير للسيد سلامة غنمي ٢٥١

Upload by : altawhedmag.com

أو ابن الإله أو الروح القدس"[١].

أولا: شخصية بولس وقدرته على التلون.

١. ولنفسح المجال لبولس ليعرفنا بنفسه: "أنا يهودي فريسي ابن فريسي على رجاء قيامة الأموات [أعمال الرسل ٦:٢٣] سمعتم بسيرتي قبلا في الديانة اليهودية، إني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها، وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي، إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي" [غلاطية ١: ١٣-١٤].

٢. إن بولس الفريسي حتى ينجو من السياط زعم أنه روماني في الموقف التالي: "فلما مدوه للسياط، قال بولس لقائد المائة الواقف: أيجوز لكم أن تجلدوا إنسانا رومانيا غير مقضي عليه؟! فإذا سمع قائد المائة ذهب إلى الأمير وأخبره قائلا: انظر ماذا أنت مزمع أن تفعل، لأن هذا الرجل روماني، فجاء الأمير وقال له: قل لي أنت روماني؟ فقال: نعم، فأجاب الأمير: أما أنا فبمبلغ كبير اقتنيت هذه الرعوية، فقال بولس: أما أنا فقد ولدت فيها، وللوقت تنحى عنه اللذين كانوا مزمعين أن يفحصوه، واختشى الأمير لما علم أنه روماني، ولأنه قيده" [الأعمال ٢٢: ٢٥- ٢٩.].

٣. يصف لوقا في الإصحاح السادس [فقرة ٥]: كيف وقف شاءول مع شهود الزور حين رجموا رجلا صالحا يدعى استفانوس فيقول: "فاختاروا استفانوس رجلا مملوءا من الإيمان والروح القدس"، وفي [الفقرة ٨] من نفس الإصحاح يقول: وأما استفانوس فإذ كان مملوءا إيمانا وقوة، كان يصنع عجائب وآيات عظيمة في الشعب"، وأن جموع الحانقين عليه: "وأخرجوه خارج المدينة ورجموه، والشهود خلعوا ثيابهم عند رجلي شاب يقال له شاءول،، وكان شاءول راضيا بقتله" [الأعمال ٨: ٥٨-٦٠].

---

١ أديان العالم لبيري صفحة ٧٠، نقلا عن المسيحية للدكتور أحمد شلبي ص ١٠٠

Upload by : altawhedmag.com

٤. بولس عدو المسيحية اللدود: يقر بولس بعداوته للمسيحية قائلا: "فإنكم تعلمون بسيرتي قبلا في الديانة اليهودية، أني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها، وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثير من أترابي في جنسي، إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي، ولكن لما سر الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعميه أن يعلن ابنه فيَّ لأبشر به بين الأمم..." [رسالة بولس إلى أهل غلاطية ١: ١٣ -١٦]، كما يقول عنه تلميذه لوقا: "كان شاءول راضيا بقتل المسيحيين، وكان يسطو على الكنيسة، ويدخل البيوت ويجر رجالا ونساء ويسلمهم إلى السجن" [أعمال الرسل ٧: ٦٠، ٨:٣]، ولم يزل ينفث تهديدا وقتلا على تلاميذ الرب، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب رسائل إلى دمشق، حتى إذا وجد أناسا في الطريق رجالا أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم"[الأعمال ٩: ١-٢].

٥. بولس يتحول إلى رسول المسيح للناس: ويحكى لوقا كيف صار عدو الأمس، الداعي الأول اليوم فيقول: "أما شاءول فكان لم يزل ينفث تددا وقتلا على تلاميذ الرب، فتقدم إلى رئيس الكهنة [زعيم اليهود]، وطلب منه رسائل إلى دمشق حتى إذا وجد أناسا من الطريق رجالا ونساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم، وفي ذهابه حدث أنه اقترب من دمشق فبغته أبرق حوله نور من السماء، فسقط على الأرض، وسمع صوتا قائلا له: شاءول شاءول لماذا تضطهدني؟ فقال: من أنت يا سيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده، صعب عليك أن ترفس مناخس، فقال: وهو مرتعد ومتحير: يا رب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له: قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل؟ وأما الرجال المسافرين معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحدا، فنظر شاءول عن الأرض، وكان مفتوح العينين لا يبصر أحدا [أي فقد بصره]، فاقتادوه بيده وأدخلوه دمشق، وكان ثلاثة أيام لا يبصر، فلم يأكل ولم يشرب"[أعمال الرسل ٣:٩-٩].

٦. استكمال القصة: يروي لوقا في أعمال الرسل[٩: ١٠- ١٧] كيف أن تلميذا في دمشق اسمه "حنانيا" رأى الرب في رؤيا ويأمره بالذهاب إلى شاءول، فيسأل حنانيا ربه قائلا: "يا رب قد سمعت من كثيرين عن هذا الرجل كم من الشرور فعل

Upload by : altawhedmag.com

بقديسيك في أورشليم، وهاهنا له سلطان من قبل رؤساء الكهنة أن يوثق جميع الذين يدعون باسمك، فقال له الرب: اذهب لأن هذا لي إناء مختار ليحمل اسمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل، لأني سأريه كم ينبغي أن يتألم من أجلي، فمضى حنانيا ودخل البيت ووضع عليه يديه، وقال: أيها الأخ شاءول قد أرسلني الرب يسوع الذي ظهر لك في الطريق الذي جئت فيه، وتمتلئ من الروح القدس، فللوقت وقع من عينيه شيء كأنه قشور فأبصر في الحال".

إن كم الغرائب التي في قصة شاءول تصيب الباحث بحيرة، فأي جوانب الخلل يتناول؟ أليس بارزا دور اليهود في سبك هذه الحكاية؟ وكيف يا ترى دخلت قصة شاءول على أتباع المسيح؟ والإجابة عن هذه التساؤلات "ويعتقد كثير من مفكري النصارى ومؤرخيهم أن بولس دخل النصرانية ليفسدها بدهائه، وقد سجن بولس في سجن رومية، وأعدم ضربا بالسيف خارج روما بثلاثة أميال سنة ٦٧ أو ٦٨ ميلادية، وجميع فرق النصارى يعدونه رسول الأمم العظيم، والقديس الأول، وأنه أول تلاميذ المسيح ورئيسهم، وأنه رأس الكنيسة المنظور والباباوات خلفاؤه، فهو وإن لم ير المسيح إطلاقا لكنه عندهم حواري باعتبار الصحبة الروحية، وهو نفسه يدعي المساواة بأعظم الحواريين - بطرس - وعند البروتستانت لا رجحان لبطرس عليه، وترى جميع طوائف النصارى أن رسائل بولس مكتوبة بالإلهام، وأن لها القداسة كما للإنجيل بل أزيد"[1].

ثانيا: بولس صاحب بدعة المسيح ابن الله.

١. سند بولس مباشر بالله: إن قصة إعلان المسيح نفسه وظهوره لشاءول اليهودي ليس لها أي دليل يسندها سوى قول قائلها الداهية، وقد دعم تصديق الناس لهذه المعجزة الاتصال المباشر بين بولس وبين المسيح، الذي لم يزعم أحد بعد أنه ابن الله، وقد حققت هذه القصة نتائج مذهلة، وقوة دافعة هائلة استغلها شاءول في تحريك دفة المسيحية إلى عقائد الوثنية، بل إنها لم توفر على بولس أن يتتلمذ على يدي أحد

١ الجوانب الخفية في حياة المسيح لناصر المنشاوي ٢٨، نقلا عن عدد من المصادر المسيحية.

Upload by : altawhedmag.com

تلاميذ المسيح حتى يصير فقيها عارفا بكل ما تركه المسيح من تعاليم، بل إنها اختصرت له الطريق فانطلق بسرعة إلى الهدف مباشرة، وهذا ما صرح به شاءول نفسه، وافتتح به رسالته لأهل غلاطية حيث يقول: "بولس رسول لا من الناس، ولا بإنسان بل بيسوع المسيح والله الآب الذي أقامه من الأموات، وجميع الإخوة الذين معي إلى كنائس غلاطية، نعمة لكم وسلام من الله الآب، ومن ربنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير حسب إرادة الله وأبينا الذي له المجد إلى أبد الآبدين"، ويستطرد قائلا: "وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشرت به إنه ليس بحسب إنسان، لأني لم أقبله من عند إنسان ولا عُلمته، بل بإعلان يسوع المسيح" [غلاطية ١١:١-١٢].

٢. إن التسليم بإعلان المسيح لشاءول اليهودي حقق له الترفع على غيره من المبشرين، كما أعطاه الجرأة ليقول ما شاء فهو رسول بعثه الرب يسوع المسيح، فلا غرابة أن يقرر شاءول صراحة أنه: "الوحيد المؤتمن على المسيحية الصحيحة"[تيطس ١: ٣]، "وعلى إنجيل مجد الله المبارك الذي أؤتمنت أنا عليه، وأنا أشكر المسيح يسوع ربنا الذي قواني أنه حسبني أمينا إذ جعلني للخدمة"[تيموثاوس الأولى ١: ١١-١٢]، وأن من يخالفه فتعاليم كلام باطل دنس، مخالف للعلم، كاذب الاسم، يتظاهر به قوم زاغوا عن الإيمان، ولهذا يجب الإعراض عن مثل هذا الكلام"[تيموثاوس الأولى ٦: ٢٠-٢١].

٣. وننقل عن أحد علماء المسيحية ويدعى هـ. ج. ويلز تقييمه لدور بولس حيث يقول: "وقد أوتي بولس قوة عقلية عظيمة، كما كان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية، فتراه على علم عظيم باليهودية والميثرائية وديانة ذلك الزمان التي تعتنقها الإسكندرية، فنقل إلى المسيحية كثيرا من أفكارهم ومصطلح تعبيرهم، ولم يهتم بتوسيع فكرة عيسى الأصلية وتنميتها، وهي فكرة ملكوت السموات" ولكنه علم الناس أن عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب، بل إنه ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قربانا ويصلب تكفيرا عن خطيئة البشر، فموته كان تضحية مثل مما

Upload by : altawhedmag.com

الضحايا القديمة من الآلهة في أيام الحضارات البدائية من أجل خلاص البشرية"[١].

ثالثا: شاءول يقسم الدين إلى قسمين.

إن شاءول فرض على الناس أن دعوته تقوم على رؤيته المسيح في طريق دمشق، وهذه الرؤية أطلقته من سجن الشريعة الموسوية وأعطته الحرية ليفعل ما يشاء، وهذا ما يقرره في قوله: "فاثبتوا إذا في الحرية التي قد حررنا المسيح بها، ولا ترتكبوا أيضا بنير عبودية" [غلاطية ٥:١]، ولهذا كان يضيق بأقوال الحواريين، ويؤمن أنه لو هادنهم سيقضون على خطته في صرف المسيحيين عن دينهم الحق، لذلك تحرك في اتجاه غريب وهو تقسيم الدين إلى قسمين، القسم الأول: وهو الأصولي المتمسك بالشرائع، ووضع على رأس هذا القسم بطرس، وهؤلاء عليهم بالدعوة بين اليهود ويرمز شاءول إليهم دائما بالمختتنين، أما القسم الثاني: فهو القسم المتحرر من الشريعة، المؤمن بأن المسيح ابن الله، وأنه ظهر لشاءول وأعلن نفسه له، ومن ثم أعطاه الحق في التحرر من كل ما عاش من أجله حتى رفع إلى السماء، وهذا القسم بزعامة شاءول وبرنابا، وهم يتجهون بالدعوة إلى غير اليهود أي كل من لم يختتن، ولذلك سمى دعوته بإنجيل الغرلة، وقد أردنا بهذه المقدمة إلقاء الضوء على النص التالي لأهميته القصوى، فإن قراءته قراءة متأنية ستظهر دور شاءول على حقيقته.

ومن المهم أيضا ملاحظة زعمه المستمر أنه لا يتحرك إلا بإعلان ومراده أن يأتيه المسيح ويكلفه بما يتحرك له، ومن ذلك قوله: "صعدت أيضا إلى أورشليم مع برنابا آخذا معي تيطس أيضا، وإنما صعدت بموجب إعلان، وعرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأمم، ولكن بالانفراد على المعتبرين لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلا، لكن لم يضطر ولا تيطس الذي كان معي وهو يوناني أن يختتن، ولكن بسبب الإخوة الكذبة المدخلين خفية الذين دخلوا اختلاسا ليتجسسوا حريتنا التي لنا في المسيح كي يستعبدونا، الذين لم نذعن لهم بالخضوع ولا ساعة، ليبقى عندكم حق الإنجيل، وأما المعتبرون أنهم شيء مهما كانوا لا فرق

١ ويلز: التاريخ الصغير للعالم ص ١٧٨، ١٧٩ نقلا عن المسيحية د/ أحمد شلبي ص ١٠٠

Upload by : altawhedmag.com

عندي، الله لا يأخذ بوجه إنسان، فإن هؤلاء المعتبرين لم يشيروا علي بشيء، بل بالعكس إذ رأوا أني أئتمنت على إنجيل الغرلة كما بطرس على إنجيل الختان، فإن الذي عمل في بطرس لرسالة الختان، عمل فيَّ أيضا للأمم، فإذ علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة، أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم، وأما هم فللختان" [غلاطية ٢: ١ - ١٠].

رابعا: شاءول يحلل ويحرم.

إن أول مشكلة ستواجه شاءول - وهو يريد أن يهدم هذا الدين - فهم أولئك المتمسكون بشريعة المسيح، وحرصه الشديد على التمسك بالناموس، والناموس هو شريعة موسى، فالمسيح لم يقل لحظة واحدة أنه يريد أن ينسخ التوراة، بل على العكس، تراه يقول قولته الشهيرة: "ما جئت لأنقض الناموس..."، فرغبة شاءول من التحرر من شريعة موسى حقيقة لا يخفيها هو نفسه، وعندما واجهه بطرس اندفع شاءول يدافع عن الطريق الذي اختاره لنفسه، فتراه يقول: "قلت لبطرس قدام الجميع: إن كنت وأنت يهودي تعيش أمميا لا يهوديا، فلماذا تلوم الأمم أن يتهودوا، نحن بالطبيعة يهود، ولسنا من الأمم خطاة إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، بل بإيمان يسوع المسيح آمنا نحن أيضا بيسوع المسيح لنتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس، لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما، فإن كنا ونحن طالبون أن نتبرر في المسيح نوجد نحن أنفسنا أيضا خطاة، أفالمسيح خادم للخطيئة حاشا" [غلاطية ٢: ١٤ - ١٨].

إن حوادث تلون بولس ليست عارضة على شخصيته، ولكنها منهج راسخ يعتنقه ويتعامل به وإن تعددت الأسباب والحيثيات، بل إنه يعلنها بنفسه بعد أن صدقه الناس، فيقول: "استعبدت نفسي للجميع لكي أربح الأكثرين: فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود، وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس، وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس، مع أني لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس للمسيح لأربح الذين بلا ناموس، صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء، صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال قوما، وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكا فيه" [كورنثوس الأول ٩: ٢٠ - ٢٣].

Upload by : altawhedmag.com

إن إعلان بولس عن هدفه أن يكون شريكا في الإنجيل يجب أن يلفت انتباه المسيحيين قبل غيرهم، فعيسى عليه السلام حين بلغ إنجيل ربه، وصعد إلى خالقه وبارئه، ترك تعاليم الإنجيل أمانة في عنق تلاميذه وحوارييه، فمن أين أتى شاءول ليصبح شريكا في الإنجيل؟ من أعطاه صلاحيات أن يغير في تعاليم المسيح، وهل يا ترى توقف شاءول عند هذا الحد؟ أم تراه تجاوزه بكثير؟ إن دفاع شاءول هنا يوضح قدرته الذهنية واستعداده لسوق الأباطيل على أنها حقائق، وتظهر حماسته الشديدة في بناء جدار واضح بين ناموس موسى، وبين الإيمان بعيسى، وأنه على المسيحي أن لا يتقرب إلى الله بالناموس بل بالإيمان بالمسيح الرب المخلص، إن هذه النقطة جوهرية ومحورية ولا بد له أن يقاتل في سبيلها حتى الموت، فالتمسك بالناموس يكبله، وهو يريد أن يتحرر حتى يستطيع إبدال الدين وتقويض جميع أسسه ودعائمه، فالناموس هو الجسد، أي أن الشريعة هي الظاهر، والحقيقة هي الباطن الموصل للروح، ولهذا يصرح قائلا: "لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة، لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به، ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله فظاهر لأن البار بالإيمان يحيا، ولكن الناموس ليس من الإيمان بل الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها. المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب: ملعون كل من علق على خشبة".

١. "ها أنا بولس أقول لكم: إنه متى اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئا" غلاطية ٢:٥ ، ثم يؤكد على تحريم الختان بقوله: "وهكذا أنا آمر جميع الكنائس، دعي أحد وهو مختون فلا يصر أغلف، دعي أحد في الغرلة فلا يختتن، ليس الختان شيئا، وليست الغرلة شيئا، بل حفظ وصايا الرب" [كورنثوس ٧: ١٧ - ١٨].

٢. يبعث شاءول اليهودي المتعصب للتوراة - قبل أسطورة طريق دمشق - رسالة إلى أهل كورنثوس يحلل فيها جميع الأطعمة حين يقول: "كل الأشياء تحل لي، لكن ليس كل الأشياء توافق، كل الأشياء تحل لي، ولكن ليس كل الأشياء تبني، لا يطلب أحد ما هو لنفسه بل كل واحد ما هو للآخر، كل ما يباع في الملحمة [أي الجزار] كلوه غير فاحصين عن شيء من أجل الضمير، لأن للرب الأرض وملأها،

Upload by : altawhedmag.com

وإن كان أحد من غير المؤمنين يدعوكم [أي إلى طعام]، وتريدون أن تذهبوا فكل ما يقدم لكم كلوا منه غير فاحصين من أجل الضمير"[١٠: ٢٣ - ٢٨].

٣. يبعد شاءول أتباعه عن بقية الحواريين لأنهم علماء الظاهر، ويدعوهم للتوغل في العلم الباطن وعالم الأسرار بقوله: "اتبعوا المحبة، ولكن جدوا للمواهب الروحية، وبالأولى أن تتنبئوا [أي تصيروا أنبياء]؛ لأن من يتكلم بلسان لا يكلم الناس بل يكلم الله لأن ليس أحد يسمع، ولكنه بالروح يتكلم بأسرار، وأما من يتنبأ فيكلم الناس ببيان ووعظ وتسلية، من يتكلم بلسان يبني نفسه، وأما من يتنبأ فيبني الكنيسة.... فالآن أيها الأخوة إن جئت إليكم متكلما بألسنة، فماذا أنفعكم إن لم أكلمكم إما بإعلان [أي ظهور المسيح له]، أو بعلم أو بنبوة أو بتعليم"[كورنثوس ١٤: ١-٧].

٤. يكرر شاءول قوله قائلا: "كل الأشياء تحل لي، ولكن ليس كل الأشياء توافق، كل الأشياء تحل لي، ولكن لا يتسلط علي شيء.... ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح"[كورنثوس ٦: ١٢-١٥].

٥. "كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة في دم المسيح، الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح"[كورنثوس: ١٠: ١٦ - ١٧].

ومما يؤكد أن جمهور المسيحيين لم يكونوا مقبلين أول الأمر على مزاعم شاءول أنه اشتكى تفرق الناس عنه قائلا: " في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي، بل الجميع تركوني".

خامسا: عدم صلب المسيح خطر على بولس.

لقد ظل عدد من أتباع المسيح يعتقدون أن من مات على الصليب رجل غير المسيح، وبالتالي فالمدفون ليس المسيح، وأن المسيح حين ذهب ليودع أصحابه بعد واقعة الصلب وفزعوا منه، لم يكن بعد قيامه من الأموات، وإنما كان المسيح بلحمه ودمه، ظهر لهم بعد اختفائه طوال عملية الصلب والدفن، وقد سمع شاءول هؤلاء المؤمنون يقولون هذا، فراح يحذر أتباعه بخطورة هذا الاعتقاد؛ لأنه ببساطة لو آمن الناس بعدم صلب المسيح معناه افتضاح أمر شاءول وانتهاء القول بظهور المسيح له؛ لذا يدافع بحرارة قائلا: "ولكن إن كان المسيح يُكرز به أنه قام من الأموات، فكيف يقول قوم بينكم: أن ليس قيامة أموات، فإن لم

Upload by : altawhedmag.com

تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام، وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضا إيمانكم، ونوجد نحن أيضا شهود زور لله، لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح، وهو لم يقمه إن كان الموتى لا يقومون"، ثم يكرر نفس العبارات ثانية ويختمها بقوله: "وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم، أنتم بعد في خطاياكم، إذا الذين رقدوا في المسيح أيضا هلكوا، إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح فإننا أشقى جميع الناس" [كورنثوس ١٥: ١٢-٢٠].

سادسا: علاقة الثالوث: بولس وبرنابا ولوقا.

يمكن الحديث عن علاقة بولس وصاحبيه برنابا ولوقا من منطلق معرفتنا بشاءول الداهية المتلون الذي يستخدم كل من حوله لتحقيق غاياته من إفساد هذا الدين، فنراه يستخدم الحواري برنابا كأفضل غطاء وستار يستظل به من حرارة النقد الذي قد يتعرض له خلال مسيرته، وقد قدم له برنابا خدمات جليلة أولها أنه أدخله إلى الرسل، وثانيا: جعل التلاميذ يصدقونه بعد أن كانوا له من المكذبين، فمن يستطيع أن يكذبه بعد أن سار في ركب المرسلين، وقدم له ثالثا الفرصة للقيام برحلات تبشيرية مع برنابا، وقد انقطعت هذه العلاقة بعد أن افتضح أمره:

١. برنابا أدخل بولس إلى الحواريين: يصف لوقا في الإصحاح التاسع فقرات [٢٦ - ٢٩] من أعمال الرسل قصة تهريب شاءول من محاولة لقتله قام بها اليهود، إلى أن وصل إلى أورشليم، فيقول: "ولما جاء شاءول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ، وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ، فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب في الطريق، وأنه كلمه وكيف جاهر في دمشق باسم الرب يسوع". وكان زمن هذه الحادثة بعد ثلاث سنوات من زعم بولس رؤية المسيح، وقد نشط خلال تلك السنوات الثلاث في التبشير، ومن الواضح أنه لم يعلن بعد قوله بالمسيح ابن الله، رغم قول لوقا أنه راح يبشر بالمسيح ابن الله منذ أعلن له المسيح، وسبب ذلك أنه لو جاء الحواريين في بداية أمره معهم بهذا الزعم فربما عادوه ومنعوا الناس من أفكاره، لذلك نرى أنه تدرج في الأمر.

Upload by : altawhedmag.com

٢. بولس يصاحب برنابا: لقد تحمس برنابا الحواري لشاءول الذي سمى نفسه بولس، وأعجب به لحماسه ونشاطه في التبشير بالمسيحية، كما أنه صدق حكاية إعلان المسيح له، وربما اعتبرها معجزة مبهرة تساعد في التبشير بالمسيحية، لذلك أخذ بولس وقدمه لبطرس ويعقوب، وبالتالي فقد أدخله في زمرة التلاميذ، وفي نفس الوقت، رأى شاءول في برنابا بغيته، فبرنابا من الحواريين، وهو رجل طيب تعلم المسيحية مباشرة من المسيح، وزاد من صلاحيته للقيام بالدور الذي رسمه له أنه أخذ بيده وأدخله على الحواريين، وهذه قمة التصديق من برنابا، ويصف لوقا برنابا بالصلاح في أعمال الرسل [١١: ٢٢-٢٦]. فيقول: "فأرسلوا برنابا لكي يجتاز إلى أنطاكية الذي لما أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب، لأنه كان رجلا صالحا وممتلئا من الروح القدس والإيمان، فانضم إلى الرب جمع غفير، ثم خرج برنابا إلى طرسوس ليطلب شاءول، ولما وجده جاء به إلى أنطاكية، فحدث أنهما اجتمعا في الكنيسة سنة كاملة، وعلّما جمعا غفيرا". ويستطرد لوقا قوله في أعمال الرسل[١٥: ٣٤]: "أما بولس وبرنابا فأقاما في أنطاكية يعلمان ويبشران مع آخرين كثيرين أيضا كلمة الرب". كما يشير بولس نفسه إلى مصاحبته لبرنابا في رسالته لأهل غلاطية أنه صاحب برنابا إلى أورشليم قائلا: "صعدت أيضا إلى أورشليم مع برنابا"، وبالتالي رأى شاءول أن برنابا يمكن أن يكون في صفه ضد حزب الأصوليين، إلا أن ظنه خاب، وحساباته كانت خاطئة، وظهرت صلابة برنابا في الحق وتمسكه بالشريعة في أول موقف واجهه شاءول.

٣. برنابا يعترض على بولس: حدث أن قدم بطرس إلى أنطاكية وكان فيها آنذاك برنابا وشاءول، رحب به أهلها وقدموا له طعاما من أطعمتهم، فخاف بطرس أن يكون فيها لحم خنزير وهو محرم في شريعة موسى وفي تعاليم المسيح، فكان يتأخر عن الطعام، فلاموا عليه، فاستغل برنابا الفرصة ليظهر سماحة إنجيل الغرلة الذي يدعو إليه، فلام على بطرس أمام الناس، وهنا كان دور برنابا الذي نترك لشاءول أن يقصه علينا بنفسه، فنراه يقول: "ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوما، لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم، ولكن لما

Upload by : altawhedmag.com

أتوا [بطرس ومن معه] كان يؤخر ويفرز نفسه خائفا من الذين هم من الختان [يحاول تصوير بطرس على موقفه بخوفه من أن يغضب اليهود، بينما يتمسك الرجل بتعاليم المسيح]، وراءى معه باقي اليهود أيضا، حتى أن برنابا أيضا انقاد إلى ريائهم، لكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل قلت لبطرس قدام الجميع، إن كنت وأنت يهودي تعيش أمميا لا يهوديا، فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا، نحن بالطبيعة يهود، ولسنا من الأمم خطاة إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح آمنا نحن أيضا بيسوع المسيح، لنتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس، لأنه بإعمال الناموس لا يتبرر جسد ما....."، ويختم قوله بنقطة غاية في الأهمية إذ يقول: "إن كان بالناموس بر، فالمسيح إذا مات بلا سبب".

٤. برنابا يفارق شاءول: أدرك شاءول أن برنابا متمسك بما نزل على المسيح عيسى ابن مريم، فنعته بالرياء، ووصفه بمناصرة إنجيل الختان على حساب إنجيله الذي أسماه إنجيل الغرلة، وكانت الصدمة الكبرى من نصيب برنابا، فهو من أوائل من صدق فرية شاءول عن ظهور المسيح له في طريق دمشق، ثم هو الذي عرفه على الحواريين، كما أنه اختاره في رحلاته رفيقا له، كل ذلك واليهودي شاءول يتحرك من منطلق واحد هو هدم هذا الدين وتقويض أركانه، ترى ماذا سيفعل برنابا وقد اعتراه الأسى ليس فقط على ما وصل إليه شاءول، وإنما أيضا على نفسه لدوره في بروز شأن شاءول في الأوساط المسيحية، ومن شعوره بخطورة المسئولية عكف برنابا على كتابة إنجيله، لجمع الناس على الإنجيل الصحيح، وإنقاذ الشريعة من التعطيل أو الإبطال، ويحذر الجميع من شاءول وخطورة تعاليمه الشديدة الكفر، ويسعى بكل السبل لحماية التوحيد الذي بشر به المسيح عليه السلام، ومن يقرأ افتتاحية برنابا لإنجيله يجد هدفه من كتابته واضحا وضوح الشمس في كبد السماء، حيث يقول في صفحة ٣ تحت عنوان: "الإنجيل الصحيح ليسوع المسمى بالمسيح، نبي جديد مرسل من الله إلى العالم بحسب رواية برنابا رسوله"، "برنابا رسول يسوع الناصري المسمى المسيح يتمنى لجميع سكان الأرض سلاما وعزاء، أيها الأعزاء، إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة

Upload by : altawhedmag.com

عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى، مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر به الله دائما، مجوزين كل لحم نجس، الذين ضل في عدادهم أيضا بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله، وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصا أبديا"، وإذا أردت أن تعرف تحيز لوقا إلى جانب شاءول فانظر إلى روايته عن سبب افتراق برنابا عنه، حيث جعله سببا شخصيا واختلافا عارضا حيث يقول: "فأشار برنابا أن يأخذا معهما أيضا يوحنا الذي يدعى مرقس، وأما بولس فكان يستحسن أن الذي فارقهما من بمفيلية ولم يذهب معهما للعمل لا يأخذانه معهما، فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر"[أعمال الرسل ١٥: ٣٦-٢٩].

ولا شك أن افتراق اثنين من أعلام الدعاة المبشرين بالدين الجديد بسبب اختلاف بسيط كهذا شيء غير مقبول عقلا، وأيضا لأن من قدم هذا العذر ليس أحد الرجلين المتخاصمين، وإنما هو ثالث لا يعلم حقيقة ما يدور بين الرجلين، ومن هنا يتأكد السبب الحقيقي كيفما أشار إليه برنابا نفسه.

أما علاقة شاءول ولوقا فنشير إليها عند الحديث عن إنجيل لوقا، وكيف تأثر لوقا بشاءول؟ وسنوضح دور شاءول في صياغة إنجيل لوقا وسفر أعمال الرسل.

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الثالث

كتابة الأناجيل

يطلق على اليهود والنصارى اسم أهل الكتاب، ويقال لهم في نفس الوقت بني إسرائيل، فلا اختلاف على أن المسيح ابن مريم رسول الله إلى بني إسرائيل، كفر به اليهود، ولم يصدقوا برسالته فهم أهل جحود ونكران، فكم احتمل منهم موسى عليه السلام؟ وكم قتلوا من أنبياء؟ وآمنت به طائفة سماهم القرآن الكريم النصارى، وأُطلق عليهم المسيحيون لاتباعهم المسيح عليه السلام، وطوال القرون الأولى من تاريخ المسيحية اعتبرهم أغلب الناس فرقة منشقة من فرق اليهود، أما تسميتهم بأهل الكتاب فهو منصوص عليه في القرآن الكريم، ولعل المراد من الكتاب في هذه التسمية هو التوراة والإنجيل معا، ويكون المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [المائدة- ٦٨]، وفي الآية دليل على وجوب تصديق اليهود بعيسى عليه السلام، إذ ليس من المعقول أن يقر القرآن الكريم نكران اليهود لعيسى ابن مريم وهو رسول الله إليهم، بعثه بالبينات والهدى، ونحن لا نوافق على رأي من قال: إن المراد بالكتاب هو التوراة فقط، لأنها القاسم المشترك الذي يؤمن بها اليهود والنصارى معا، لأن هذا الرأي يبيح لليهود عدم التصديق برسالة عيسى عليه السلام، وهذا خطأ جلي، فسنة الله ماضية إلى يوم القيامة، أن يؤمن الناس بآخر وحي أنزله الله لعبادة، أما مبدأ الإيمان ببعض والكفر ببعض فمبدأ لا يقره الإسلام ولم تؤيده النصوص القرآنية.

ومن الجدير بالذكر أن التوراة كتبت باللغة العبرية كما أسلفنا، بخلاف أسفار العهد الجديد فهي لم تكتب بالآرامية أو العبرية، وإذا كان بعض أصول الإنجيل قد كتبت بالآرامية فإنها فقدت ولم يعد لها وجود، وأول ما دون من الأناجيل كان مترجما إلى اللغة اليونانية التي لم يتكلم بها المسيح، وتنقسم الأصول التي أسست عليها الأناجيل إلى ثلاثة مصادر هي:-

١. أناجيل من مصدر German Quelle ويعتقد أنها وثائق كتبت بالأرامية، ولم تصل بصورتها الأصلية إلى كتاب الأناجيل، وإنما وصلت مترجمة إلى اللغة اليونانية

Upload by : altawhedmag.com

٢. أناجيل تعتمد على أقوال نقلها مرقص عن بطرس بشأن المسيح، وبالطبع لم يكن مرقص من الحواريين.

٣. أما الأصل الثالث فهو مصادر لوقا وهي عبارة عن تقارير كتبت عن عيسى ولم يستخدمها سوى لوقا.

والكتاب المقدس في المسيحية اليوم هو مجلد واحد يضم التوراة والإنجيل، وهم يطلقون على التوراة العهد القديم، ويسمون الإنجيل العهد الجديد، الذي يضم سبعة وعشرين سفرا، أولها الأناجيل الأربعة متّى ومرقس ولوقا ويوحنا، ثم تأتي ثلاثة وعشرين سفرا أولها: أعمال الرسل الذي ينسب إلى لوقا كاتب الإنجيل الثالث، والمراد بالرسل هنا الحواريين ومن دخلوا في عدادهم بعد رفع المسيح، ويتلوها أربع عشر رسالة تنسب إلى بولس، ثم رسالة تنسب إلى يعقوب الحواري، واثنتان منسوبتان إلى بطرس رئيس الحواريين، وثلاث منسوبة إلى يوحنا أصغر الحواريين سنا، ثم رسالة منسوبة إلى يهوذا الحواري، وآخر الأسفار يسمى رؤيا يوحنا الاهوتي، وليس هو يوحنا الحواري.

وقد أخذ المسيحيون تسمية العهد الجديد من نص في سفر إرميا:[٣١/ ٣١-٣٣] يقول: "ها أيام تأتي يقول الرب: وأقطع مع بيت إسرائيل، ومع بيت يهوذا عهدا جديدا، ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدي، فرفضتهم يقول الرب بل هذا هو العهد الذي أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب".

١. طبيعة الأناجيل: لتقريب طبيعة الأناجيل إلى القارئ المسلم نقول: إن العلوم الإسلامية واضحة المعالم ولا تداخل بينها، فالقرآن الكريم هو كلام الله الموحى به إلى النبي الخاتم ﷺ يليها الحديث الشريف وهي المذكرة التفسيرية التفصيلية للقرآن الكريم، سطرت أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفته الخلقية والخلقية، وكما أن القرآن محفوظ بحفظ الله له، كذلك السنة محفوظة بخاصية الإسناد وعلم الجرح والتعديل، ولا بد للراوي أن يكونا معروفا بالعدالة والحفظ حتى يكون أهلا للرواية، وعلى الإسناد أن يكون متصلا، وأن يخلو الإسناد من أي شذوذ أو علة، وبهذه الضوابط الدقيقة يميز المسلم بين الحديث الصحيح والحسن وبين السقيم

Upload by : altawhedmag.com

سواء الضعيف أو الموضوع، ثم يأتي بعد ذلك أقوال الصحابة الذين شاهدوا النبي وآمنوا به وماتوا على الإسلام، ثم تأتي أخبار طبقة التابعين وتابعيهم بإحسان، هذا التقسيم يحدد مرتبة النص ومستوى تعامل المسلم معه في جميع أوقات حياته، فالقرآن الكريم وصحيح السنة النبوية ملزم تماما، بينما أقوال الصحابة فيؤخذ منها ويرد، وللرد قواعد علمية معروفة عند المحدثين والفقهاء، وأهمها ورود نص لصحابي آخر يروى خبرا أرجح، أما أقوال التابعين فيسترشد بها بعد ثبوت الأمر من الكتاب والسنة.

٢. أما طبيعة الأناجيل ففيها: وحي الله إلى عيسى عليه السلام وهذا يسهل تحديده في أقوال عيسى عن وحي ربه، وفيها أقوال وأفعال لعيسى عليه السلام وهو ما يقابل السنة النبوية في الإسلام، وفيها أقوال للحواريين والتي تقابل أقوال الصحابة عندنا، والصنف الأخير في الأناجيل هي أخبار يرويها من لم ير المسيح ولم ير أحدا من الحواريين وهو ما يقابل عندنا أقوال التابعين.

٣. يعترف علماء المسيحية ومنهم القس هـ. ر. فنجتن رئيس الكنيسة الأسقفية الإنجليزية: "أن الأناجيل كُتبت حوالي سنة ٥٠ - ١٠٠ بعد صعود المسيح، وبعدها الرسائل الموجودة الآن في العهد الجديد، وأن العهد الجديد الموجود الآن هو ما أمكن انتخابه بعد عقد عدة مجامع لفحص هذه الكتب، وإخراج ما يجبه أن يكون قانونيا أو غير قانوني"، بينما يقول العلامة هورن: "الحالات التي وصلت إلينا في بادئ تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخي الكنيسة بتراء وغير معينة، بحيث لا توصلنا إلى أمر معين، والمشايخ القدماء الأولون صدقوا الروايات الواهية وكتبوها، ثم قَبِل الذين جاءوا من بعدهم مكتوباتهم تعظيما لهم، وهذه الروايات الصادقة والكاذبة وصلت من كاتب إلى كاتب آخر، وتعذر نقدها بعد انقضاء المدة". تفسير الكتاب المقدس للعلامة هورن المجلد الرابع نقلا عن الإسلام الدين الفطري الأبدي لمبشر الطرازي.

٤. الأناجيل المعتمدة: زاد عدد الأناجيل التي كتبها طبقة التابعين في صدر المسيحية عن سبعين إنجيلا، وقد بلغ عدد الأناجيل في تقدير بعض مؤرخي المسيحية إلى

Upload by : altawhedmag.com

نحو ثلاثمائة إنجيل، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: إنجيل توما الإسرائيلي، إنجيل جاك الصغير، إنجيل العبرانيين، إنجيل المصريين، إنجيل الطفولية، وإنجيل مارسيون، وإنجيل الأبيونيين، وإنجيل الناسيين، وإنجيل برنابا، وإنجيل يعقوب،، ونظرا لتطور العقيدة عند النصارى عبر المجامع الكنسية، فقد تم استبعاد كل ما يشير إلى فكر مخالف للكنيسة، وبالتالي صدرت الأوامر بعدم صحة تلك المصادر لأنها كذب مفترى، ورغم أن عددا منها طبع عدة مرات إلا أنها اختفت عن الأنظار وتوارت بالحجاب، هذا بخلاف الأناجيل الأربعة المعتمدة اليوم عند النصارى.

أولا: إنجيل مرقس.

يعد إنجيل مرقس أول إنجيل كتب، وذلك بعد استشهاد بطرس سنة ٦٥ ميلادية، ومرقس ليس من الحواريين، وإنما كان ترجمانا لبطرس، عاش في روما، وبالتالي لا يعرف شيئا عن اليهود وعدائهم لهذا الدين، ويقول عنه نينهام: "لم يوجد أحد بهذا الاسم عرف أنه كان على صلة وثيقة وعلاقة خاصة بيسوع، أو كان له شهرة خاصة في الكنيسة الأولى"[١]، وهذه الأوصاف تجعلنا نقول بلسان أصحاب الحديث وعلماء الجرح والتعديل: إن مرقس يعد تابعي مجهول العدالة، ويعرفنا الكاتب المسيحي القديم مرقس فيقول: "في الواقع أن مرقس الذي كان ترجمانا لبطرس، قد كتب بالقدر الكافي من الدقة التي سمحت بها ذاكرته ما قيل عن أعمال يسوع وأقواله، ولكن دون مراعاة للنظام، وقد حدث ذلك لأن مرقس لم يكن سمع يسوع، ولا كان تابعا شخصيا له، لكنه في مرحلة متأخرة قد تبع بطرس الذي اعتاد التوفيق بين تعاليم المسيح والمطالب"[٢].

ومما يسترعي الانتباه أن هناك اختلاف بين مئات المخطوطات المتوفرة لإنجيل مرقس، ومن أهم مشاكل هذا الإنجيل الاختلاف الكبير في خاتمته، فالإصحاح الأخير وهو السادس عشر يحتوي على ٢٠ عددا، إلا أن الأعداد من ٩ - ٢٠ تعد فقرات غير موثوق منها.

١ الجوانب الخفية في حياة المسيح لناصر المنشاوي ٥٣

٢ الجوانب الخفية في حياة المسيح لناصر المنشاوي ٥٣

Upload by : altawhedmag.com

ثانيا: إنجيل متّى.

يعد إنجيل متّى الثاني من حيث توقيت كتابته، والأول في ترتيب العهد الجديد، وقد كتب باللغة اليونانية في مدينة أنطاكية حوالي سنة ٩٠ بعد الميلاد، والمشهور أن كاتب هذا الإنجيل هو متّى أحد تلاميذ عيسى وكان يعمل عشارا أي جابي الضرائب، ولدائرة المعارف البريطانية رأي آخر، يقر به علماء المسيحية شرقا وغربا، تقول دائرة المعارف: "وفق ما توارد من عرف يعتبر متّى كاتب ومؤلف الإنجيل الأول، ولكن هذا خطأ دون شك، فهو ليس مؤلف الإنجيل المعروف باسمه". وتستطرد دائرة المعارف القول: "لقد استبدل مرقص في إنجيله بقصة لفي جابي الضرائب [متّى]، ووصف متّى بجابي الضرائب، ووضعه في دائرة المبعوثين الاثنى عشر"[1]. ويعتبر هذا الإنجيل نسخة مطولة من إنجيل مرقس، ويرى علماء الكنيسة أن متّى كتب أحد المصادر التي استقى منها كاتب الإنجيل مادته التي سميت بإنجيل متّى.

ويثير هذا الإنجيل الملاحظات التالية نوجزها بتصرف عن كتاب [الجوانب الخفية في حياة المسيح]، لناصر المنشاوي، وكتاب [الأناجيل دراسة مقارنة] لأحمد طاهر:-

١. خطأ الاستشهاد بنبوءات العهد القديم.
٢. توقع نهاية العالم سريعا.
٣. يضيف متّى صورا أسطورية خاصة فيما يتعلق بمولد عيسى، كما يضيف فقرات جديدة إلى مشهد الصلب كلها من عنده.
٤. "يشك العلماء في خاتمة إنجيل متّى التي تنتسب للمسيح قوله لتلاميذه: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" [متى ٢٨:١٩]، ويرجع هذا الشك -كما يقول أدولف هرنك وهو من أكبر علماء التاريخ الكنسي - إلى الآتي:

---

١ دائرة المعارف البريطانية ص ١١١٦، و١١١٧ نقلا عن [الأناجيل دراسة مقارنة]، لأحمد طاهر

Upload by : altawhedmag.com

- لم يرد إلا في الأطوار المتأخرة من التعاليم المسيحية ما يتكلم عن المسيح وهو يلقي مواعظ ويعطي تعليمات بعد أن أقيم من الأموات، وبولس لا يعلم شيئا عن هذا.
- إن صيغة التثليث هذه غريب ذكرها على لسان المسيح، ولم يكن لها نفوذ في عصر الرسل، وهو الشيء الذي كانت تبقى جديرة به، لو أنها صدرت عن المسيح شخصيا"[1].

٥. أضفى على عيسى ألقابا مسيحية اعتبرها شاهدا على تنبؤات العهد القديم قد تحققت في شخصية المسيح ابن داود [الرب، ملك إسرائيل، ابن الإنسان، ابن الله] علما بأن تلاميذ عيسى لم يستخدموها عندما كانوا ينادونه بمولانا أو سيدنا، ففي إنجيل متّى [٨: ٢٥]، يقول: "وجاءه تلاميذه وأيقظوه من نومه قائلين يا إلهنا أدركنا فنحن هالكون"، بينما في إنجيل مرقص: "وكان [أي عيسى] في مؤخرة السفينة نائما على وسادة فأيقظوه، وقالوا له: يا سيدنا ألا تهتم إذا ما هلكنا"، ونجد متّى يصر دائما أكثر من مرقص على إسناد ألقاب نورانية إلهية إلى عيسى عليه السلام، ففي إنجيل متّى [١٠: ٣٣]، يقول على لسان عيسى: "ومن يتنكر لي أمام الناس سوف أتنكر له أمام أبي الذي هو في السموات"، بينما في إنجيل مرقص [٩:٣٧] يقول: "من يستقبل أحد هؤلاء التلاميذ باسمي، إنما يستقبلني، ومن يستقبلني يستقبل الذي أرسلني وليس أنا".

٦. انفرد متّى في إنجيله بذكر لفظة كنيسة مرتين مع أنها لم ترد في أي إنجيل آخر، والأغرب أنه نسب في الموضع الأول إلى عيسى عليه السلام عزمه على بناء كنيسته بنفسه حيث قال: "وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها" [١٦: ١٩]، وفي الموضع الثاني: وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة، وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثني والعشار" [١٨:١٧].

---

١ أودلف هرنك ١:٧٩ نقلا عن مناظرة بين الإسلام والنصرانية صادر عن الرئاسة العامة للإفتاء بالسعودية طبعة دار الحديث.

Upload by : altawhedmag.com

ومن الغرائب التي قررها إنجيل متّى وتابعه عليها يوحنا أنه منح صلاحيات التحريم والتحليل أولا لبطرس ثم عممها على كل الرسل كما ورد أن المسيح خاطب تلميذه بطرس قائلا: "وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات". [١٦: ١٩]، ثم عمم تلك الصلاحيات لجميع التلاميذ في قوله: "الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا في السماء، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا في السماء". [١٨:١٨]، ومن الجدير بالذكر استحالة أن ينطق المسيح بمثل هذه الصلاحيات للحواريين لسبب بسيط ومنطقي هو أنه نفسه لم يكن يملك تلك الصلاحيات مع شريعة موسى عليه السلام، والدليل أنه ما جاء لينقض الناموس، فكيف بالله عليك يمنح تلك الصلاحية لاثني عشر رسولا! ويا ليت الأمر توقف عند الحواريين، بل هو ممنوح بموجب ما أورده يوحنا في إنجيله وبصورة مستمرة للباباوات والمجامع الكنسية، وقد امتد هذه الصلاحيات إلى حد حرمان بعض الأتباع من الكنيسة وطرده منها، ولا يجب أن ننسى الاستخدام التجاري لهذه الصلاحيات في أبشع صوره بما هو معروف تاريخيا بصكوك الغفران والتي يقول نصها ما يلي:

"ربنا يسوع المسيح يرحمك يا..... [يكتب اسم الشخص المبشر بالجنة والمغفور له]، ويحلك باستحقاقات آلامه الكلية القدسية، وأنا بالسلطان الرسولي المعطى لي أحلك من جميع القصاصات [جمع قصاص]، والأحكام، والطائلات الكنسية التي استوجبتها! وأيضا من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة، ومن كل علة وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا، وللكرسي الرسولي، وأمحو جميع أقذار الذنب، وكل علامات الملامة التي ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرصة، وأرفع القصاصات التي كنت تلتزم بمكابدتها في المظهر، وأردك حديثا إلى الشركة في أسرار الكنيسة، وأقربك في شركة القديسين، أردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كانا لك عند معموديتك، حتى أنه ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذي يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب، ويفتح الباب الذي يؤدي إلى فردوس الفرح، وإن لم تمت سنين مستطيلة

Upload by : altawhedmag.com

فهذه المتعة تبقى غير متغيرة، حتى تأتي ساعتك الأخيرة، باسم الآب والابن والروح القدس"[١]

ثالثا: إنجيل لوقا.

"يعتبر إنجيل لوقا وأعمال الرسل من الناحية الأدبية أبرز ما في العهد الجديد من أعمال، ويقال إن لوقا كان طبيبا وينحدر من أبوين وثنيين، وأنه كان في رفقة بولس في رحلته الثانية والثالثة، كما أنه كان متمكنا من التاريخ، ومطلعا على التوراة اليونانية، وتعمق فيها إلى درجة أنه مال إلى تقليد أسلوبها، ذلك إلى جانب ميله إلى القصة والوصف الجميل"[٢]، مختصرا كتب لوقا إنجيله في الفترة بين سنة ٧٠ - ٨٠ ميلادية، ثم أضاف إليه بعد خمس سنوات برسالة ثانية عرفت فيما بعد بأعمال الرسل، ويبدأ الإصحاح الأول من إنجيل لوقا بقوله: "إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة، رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به". وتثير هذه النصوص النقاط التالية:-

١. ملاحظة لوقا أن عددا كثيرا بدأ يكتب الأناجيل.
٢. أنه لم يعاين الأحداث لأنه ليس من حواري المسيح أو صحابته، وإنما نقلت إليه أخبار.
٣. أنه كان يتحرى الدقة في كتابته قدر استطاعته.
٤. أن إنجيله الذي يكتبه هو رسالة شخصية إلى صديق له يخبره فيها بما تناهى إلى سمعه.

إن لوقا لم يزعم أنه تلقى هذا الإنجيل وحيا أو نزل عليه ملك، أو نفث روح القدس في

---

١ نقلا عن النصرانية والإسلام للمستشار/ محمد عزت الطهطاوي ص ١٣٢

٢ الأناجيل دراسة مقارنة لأحمد طاهر ٢٣٤

بولس إلياس: يسوع المسيح ص ٢١نقلا عن المسيحية د أحد شلبي ص ١٠٠

Upload by : altawhedmag.com

روعه، ولم يزعم أنه نبي أو رسول، ومن هنا يمكننا تطبيق قواعد ضبط الحديث بعد هذه المقدمة، فنقول:

١. الإنجيل كله يعد كلام تابعي يتحدث فيه عن عهد النبوة دون أن يذكر الصحابي الذي نقل عنه، وبالتالي فإسناده منقطع وغير متصل وهو ما يعرف في علم الحديث بالمرسل.

٢. يتضمن كلام لوقا في إنجيله نصوصا تاريخية تعد من قبيل السيرة النبوية، وأقوال لعيسى عليه السلام، ونصوص تعد وحي من الله لعيسى عليه السلام.

٣. لم يخطر على بال لوقا وهو يدون هذا الإنجيل أن القرون التالية ستعتبره دينا ووحيا وخطابا من الآب نزل به الروح القدس فتحدث به لوقا، ولولا رغبته في إعلام صديقه ثاوفيلس بما لديه من أخبار ما سطر هذا الإنجيل من الأساس.

وقد لاحظ العلماء المشاكل التالية في إنجيل لوقا:

١. يذكر الإنجيل تسلسل نسب عيسى عليه السلام بصورة مغايرة لما ورد في إنجيل متّى، ومخالفة أيضا لأسفار العهد القديم.

٢. هناك ١١ فقرة ذكرها لوقا في موضعين مختلفين من الإنجيل، منها عشرة لها نظير في إنجيل مرقس.

ومن الجدير بالذكر قبل أن ننتقل إلى إنجيل يوحنا أن نؤكد على أثر شاءول في فكر لوقا، الذي صدق رواية ظهور المسيح التي حكاها شاءول، مما جعله يتتلمذ على يديه ويكتب رسالة أعمال الرسل والتي ألحقت فيما بعد بالعهد الجديد يصف فيها أعمال بولس ومعجزاته، ثم كتب لوقا بعد ذلك إنجيله المعروف باسمه إلا أنه في الحقيقة أفرغ فيه أفكار أستاذه بولس، وهكذا اختلطت أفكار بولس ولوقا حتى قال القديس ترتليانوس أسقف قرطاجة: "إن إنجيل لوقا ينسب كله إلى بولس الأب". ولتقرأ معي أيها الأخ الكريم ما يقوله لوقا في ختام القصة، وهي العبارة التي غيرت وجه التاريخ: "وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله"، ولم تكن هذه الفكرة قد عرفت من قبل أعمال الرسل ٩:٢٠.

Upload by : altawhedmag.com

رابعا: إنجيل يوحنا ومكانته في الفكر المسيحي.

يعتبر إنجيل يوحنا رابع الأناجيل المعتمدة من الكنيسة، ولكنه يمثل الكتاب الأول من بين المطبوعات الكنسية، وترى دائرة المعارف البريطانية: "أن إنجيل يوحنا كُتب قرب مدينة أفسوس أو داخلها بعد مائة وعشرة أو مائة وخمس عشرة سنة من ميلاد عيسى، وأن كاتب هذا الإنجيل الذي ينسب إلى يوحنا مجهول الشخصية". ويطرح جون مارش العديد من التساؤلات فيقول: "من كان هذا اليوحنا الذي قيل أنه المؤلف؟ أين عاش؟ لمن من الجمهور كان يكتب إنجيله؟ أي المصادر كان يعتمد عليها؟ متّى كتب مصنفه؟ حول كل هذه الأسئلة وحول كثير غيرها توجد أحكام متباينة أحيانا تقرر تأكيدات قوية، ومع ذلك فإن أيا منها لا يرقى إلى مرتبة التوكيد، وبعد أن نفرغ كل ما في جعبتنا نجد أنه من الصعب إن لم يكن من المستحيل تحقيق أي شيء أكثر من الاحتمال حول مشاكل إنجيل يوحنا". ويدلي الدكتور [وليم باركلي] بدلوه قائلا: "من المرجح أن بشارة يوحنا قد كتبت حوالي عام ١٠٠ للميلاد في مدينة أفسوس، في ذلك الوقت كانت قد ظهرت ظاهرتان متميزتان في وضع الكنيسة المسيحية:

- أولهما: أن المسيحية كانت قد انتشرت في العالم الوثني، فلم تعد وقفا على أورشليم واليهودية والسامرة.
- ثانيهما: أن معظم أتباعها لم يعودوا من اليهود، بل من الأمم، وابتدأت المسيحية تقف وجها لوجه أمام الفلسفة اليونانية.

لذلك فقد أصبح من اللازم تقديم الحق المسيحي الخالد في ثوب جديد، ليس لأن حق المسيحية يحتاج إلى التغيير والتبديل حسب مقتضيات العصر، بل لأن هذا الحق ينبغي أن يلبس الثوب الذي يلائمه، لنأخذ مثلا واحدا: بشارة متّى، لنفرض أن يونانيا في ذلك العصر تناول هذه البشارة، ماذا يرى فيها؟ إن أول ما يلتقي به سلسلة طويلة من الأنساب التي تتصل بشخص المسيح وأصله بحسب الجسد، ولقد كانت الأنساب معروفة عند اليهود، ولكن العقلية اليونانية ما كانت تستسيغها. ثم ماذا بعد؟ إنه يقرأ عن يسوع أنه ابن داود، من النسل الملكي، وماذا يعرف اليونانيين عن داود، وعن نسبه، وعن تلك الرموز العنصرية التي تركز فيها آمال أمة خاصة، وشعب خاص؟ وأي صلة لليهود به، وللوكهم بأفكاره وآماله؟

Upload by : altawhedmag.com

ثم تتحدث البشارة عن يسوع كالمسيا أو الملك المنتظر. هل يلزم لليوناني الذي يريد أن يعتنق المسيحية أن يدخل في معميات هذه الأفكار اليهودية ومجاهلها؟ هل يلزم أن يدرس التاريخ اليهودي والأدب الرمزي النبوي، الذي تحدث عن المسيا، وعلاماته، حتى يصبح مسيحيا؟ ألا يوجد هناك طريق سهل للوصول إلى قلب المسيحية ورسالتها، غير الطريق اليهودي الطويل؟ لقد كانت العقلية اليونانية مركز الفكر الثقافي في العالم الكائن حينذاك.

ترى هل يلزم لليوناني أن يتنكر لتراثه الفلسفي العظيم ويعتنق العقلية اليهودية، ومنهج الفكر العبراني ليكون في هذا المدخل الوحيد إلى الفلسفة المسيحية؟ لقد جابه يوحنا المشكل بعقلية متسعة متزنة، وأرشده روح الله للحل الذي يبدو كأعظم حل توصلت إليه عقلية إنسان، رضع لبان العبرانية وتأثر بها، ثم عنت له مشاكل الفلسفة اليونانية[1].

١. إنجيل يوحنا وعين النسر:

إن المطلع على الأناجيل الثلاثة المنسوبة إلى مرقص ولوقا ومتّى لا يجد أي نص صريح، أو حتى إشارة بعيدة الدلالة عن عقيدة التثليث أو الأقانيم أو تجسد الابن ليخلص البشرية من خطيئتها، بخلاف إنجيل يوحنا، ويلخص لنا مؤلف كتاب تاريخ الكنيسة وصف كل إنجيل على حده، فيقول:

- مرقس: قصة دقيقة تنطلق إلى الهدف مباشرة عن يسوع ابن الإنسان.
- لوقا - وأعمال الرسل: موجهان إلى جماعة المثقفين، يمتلئان بالتفاصيل وينوهان بعمومية الإنجيل ويساعدان الكنيسة على أن تحيي الحق الذي أعلن في يسوع ثم تبشر به العالم.
- متّى: قصة تربط حياة السيد وعمله بالعهد القديم والنبوات، وتعطي العالم مجموعة من تعاليم يسوع وأعماله
- يوحنا: يتكلم عن يسوع التاريخي بكيفية يفهمها اليهودي واليوناني،...

---

١ تفسير العهد الجديد لوليم باركلي صفحة ١٦ ويستطرد الدكتور باركلي في شرحه موضحا كيف حل يوحنا مشكلات اللاهوتية بما يتفق والعقلية اليونانية".

Upload by : altawhedmag.com

وكانت هناك أناجيل أخرى كإنجيل الناصريين وإنجيل الأبيونيين [الفقراء]، وإنجيل العبرانيين، وإنجيل المصريين، وإنجيل بطرس وغيرها مما كتب في القرن الثاني الميلادي، ولكن الكنيسة في ذلك الوقت حكمت - بكل فطنة - بأن الأناجيل الأربعة مرقس ومتّى ولوقا ويوحنا هي وحدها التي تعطي القصة الصحيحة لحياة المسيح"[١].

بينما يرى علماء المسيحية أن إنجيل يوحنا يمثل قمة الوحي الإنجيلي، فيقول أحدهم: "لقد وصف علماء المسيحية قديما الإنجيل بحسب يوحنا أنه الإنجيل الروحي بالنسبة إلى الأناجيل المؤتلفة: الإنجيل الجسدي"، دراسات إنجيلية - صوفية المسيحية في الإنجيل بحسب يوحنا[٢]

ويستطرد في بحثه قائلا: "فالإنجيل بحسب يوحنا هو إنجيل سر المسيح، حيث يتألف سره في سيرته: سر المسيح يكشف سيرته، وسيرته تكشف سره"، ثم يستشهد على ذلك بقوله: "قديما قال العلامة أوريجين في مطلع تفسيره نعلن بجرأة أن زهرة الكتب المقدسة كلها هي الأناجيل، وأن زهرة الأناجيل هو إنجيل بحسب يوحنا، فلم يفقه معناه إلا الذي اتكأ على صدر يسوع، الذي ورث من يسوع نفسه مريم أما له، فهو أسمى كتاب في آداب الدين والدنيا، إنه ذروة الوحي في الإنجيل، وقمة كل وحي وتنزيل"[٣].

يقول الدكتور وليم باركلي أستاذ العهد الجديد بجامعة جلاسجو: "بشارة يوحنا بالنسبة للكثيرين من المسيحيين هي أثمن سفر من أسفار الإنجيل، بل هي قدس أقداس العهد الجديد، فهو السفر الذي يغذي العقل ويملأ القلب وتستريح إليه النفس. وكثيرا ما نشاهد مرسوما على زجاج النوافذ الزجاجية في الكنائس التقليدية، صور الحيوانات الأربعة، ومع أن هذه الرموز يمكن أن نطبقها على أكثر من بشير إلا أن التقليد اصطلح على أن يرمز:

١ تاريخ الكنيسة لجون لوريمر ١: ٨٤

٢ يوسف درة حداد ص ٥

٣ صوفية المسيحية في الإنجيل بحسب يوحنا - يوسف درة حداد صفحة ٤٩

Upload by : altawhedmag.com

- للبشير مرقس بوجه إنسان، لأنه كاتب أكثر البشائر صراحة وأوضحها، وأقربها إلى صورة الإنسان.
- أما الأسد فهو يرمز إلى البشير متّى، لأن بشارة متّى تقدم لنا شخص المسيح في صورة المسيا، والأسد الخارج من سبط يهوذا.
- والثور هو رمز البشير لوقا، لأن الثور رمز الخدمة، والتضحية، والذبيحة، ولقد رسم لنا البشير لوقا، شخص المسيح في صورة خادم الإنسانية الأعظم والذبيح الذي يكفي البشرية جمعاء.
- أما النسر فهو الرمز الذي يشير إلى كاتب البشارة الرابعة، [إنجيل يوحنا]؛ لأن النسر بين كافة المخلوقات الحية هو الكائن الوحيد الذي يستطيع أن يتطلع بعينين مفتوحتين إلى وهج الشمس الساطع، وهو يشق طريقه إلى العلا، ويوحنا بين كافة كتاب العهد الجديد هو الذي استطاع بنظرته الثاقبة، أن يفتح عينيه على سعتها في نور شمس البر، وأن يخترق أسرار الحق الخالد، ويصل إلى معرفة الله في شخص المسيح عن طريق بشارة يوحنا أكثر من أي انجيل آخر.

ويستكمل وليم باركلي بيان اختلاف انجيل يوحنا عن غيره من الأناجيل فيقول تحت عنوان البشارة التي تختلف عن سواها: "والدارس لهذه البشارة حتى ولو بصورة سطحية سريعة، يستطيع أن يكتشف تباينها عن البشائر الثلاث الأولى، فهي لا تورد الكثير مما أوردته تلك البشائر، إنها لا تتحدث عن ميلاد المسيح ولا معموديته ولا تذكر شيئا عن التجارب الثلاث في البرية، وهي لا تتحدث أيضا عن العشاء الأخير ولا حادثة الصعود، ولا تشير بكلمة واحدة إلى معجزات إخراج الشياطين والأرواح الشريرة وربما أغرب الكل أننا لا نقرأ فيها شيئا من أمثال المسيح، وقصصه التي تكون جانبا جوهريا من البشائر الأولى، وفي البشائر الثلاث الأولى نستمع إلى يسوع يتحدث إلينا، إما عن طريق أمثاله أو قصصه التعليمية أو في صور كلمات قوية أخاذة، تلصق بالذاكرة. أما في البشارة الرابعة، فإننا نجد أي خطاب للمسيح يحتل إصحاحا كاملا أو أكثر من إصحاح، وأقوال المسيح في بشارة يوحنا نراها تتخذ طابعا جدليا، على النقيض من الجمل الحكمية التي تتألق في البشائر الأولى،

Upload by : altawhedmag.com

ومن الأمور التي تدعو للغرابة أيضا الصورة المغايرة التي قدم بها يوحنا بعض الحقائق عن حياة المسيح وخدمته، مما يعطي المجال للقارئ السطحي أن يكتشف بعض التناقضات الظاهرية[1].

رغم هذا الإقرار الواضح من أستاذ العهد الجديد عن انفرد إنجيل يوحنا بالحديث عن لاهوت المسيح بخلاف غيره من البشارات وتقديمه أيضا لحقائق مغايرة لغيره من الأناجيل، إلا أن عقيدة النصارى تقوم أساسا على ما جاء في إنجيل يوحنا.

ولعل ما يفسر لنا أيضا سبب اهتمام علماء المسيحية بإنجيل يوحنا أنه وافق متّى حين منح الرسل أي الحواريين حق التحليل والتحريم، وذلك في نص صريح يزعم أنه ورد على لسان المسيح: "الحق أقول لكم، ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا في السماء، وما تحلونه على الأرض يكون محلولا في السماء" [١٨:١٨].

٢. الدافع لكتابة بشارة يوحنا:

عندما دخلت المسيحية إلى معقل الفلسفة اليونانية حاولت أن تلبس عقيدة التوحيد السهلة الواضحة ثوب الغموض لذلك: "اجتمع عموم أساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح وينادي بإنجيل لم يكتبه الإنجيليون الآخرون، وأن يكتب بنوع خصوصي لاهوت المسيح"، جرجس زوين اللبناني فيما ترجمه: "إن شيرينطوس وأبيسون وجماعتهما لما كانوا يعلمون المسيحية بأن المسيح ليس إنسانا، وأنه لم يكن قبل أمه مريم فلذلك في سنة ٩٦ اجتمع عموم أساقفة آسيا، نقلا عن محاضرات في النصرانية للشيخ أبو زهرة [صفحة ٥٤] ويشهد على ذلك بعض علماء المسيحيين المتقدمين منهم والمتأخرين الذين يقولون:

- جاء في دائرة المعارف البريطانية التي أعدها خمسمائة عالم من علماء المسيحية ما نصه: "أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض، وهما القديسان يوحنا ومتّى، وقد

١ تفسير العهد الجديد للدكتور وليم باركلي أستاذ العهد الجديد بجامعة جلاسجو ٩، ١٠

Upload by : altawhedmag.com

ادعى هذا الكاتب المُزَوِّرُ في متن الكتاب أنه الحواري الذي يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصا، مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا، ولا يخرج الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نُسبت إليه، وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفي الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني بالحواري يوحنا الصياد الجليليّ، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى، لخبطهم على غير هدى". لقد صدق على هذه الشهادة ٥٠٠ عالم لاهوتي أشرفوا على تحرير المسائل المسيحية بدائرة المعارف البريطانية، كما صدق عليها ٥٠٠ عالم آخرون في جمعية دار المعارف الكبرى بباريس.

- تقول دائرة المعارف الفرنسية [لاروس القرن العشرين]: "إنه ينسب ليوحنا هذا الإنجيل، وثلاثة أسفار أخرى من العهد الجديد، ولكن البحوث الحديثة في مسائل الأديان لا تسلم بصحة هذه النسبة".
- وتقول دائرة المعارف الأمريكية: "إن إنجيل يوحنا الذي انتسب صوابا أو خطأ إلى التلميذ الذي كان يسوع يحبه، يعتبر الإنجيل المحبوب للكثيرين، بيد أن العلماء يجادلون فيه باعتباره جزءا من مشكلة يوحنا، ولهذا الجدل أسباب قوية"، ثم ذكرت الموسوعة ١٧ اختلافا جوهريا منها: "إن هناك مشكلة مهمة وصعبة تنجم عن التناقض الذي يظهر في نواح كثيرة بين الإنجيل الرابع [يوحنا]، والثلاثة المتشابهة، إن الاختلاف بينهم عظيم، لدرجة أنه لو قبلت الأناجيل المتشابهة باعتبارها صحيحة وموثوقا فيها فإن ما يترتب على ذلك هو عدم صحة إنجيل يوحنا"[1].

١ دائرة المعارف الأمريكية جزء ١٣ ص ٧٣

Upload by : altawhedmag.com

- ترى دائرة المعارف البريطانية أن الإنجيل الرابع من ناحية الأسلوب والتأليف متجانس، ولكن تبويب الأحداث في النص المعتمد من الكنيسة والذي بين أيدينا الآن يسبب مشاكل جمة، حتى أنه أثار عدة محاولات لإعادة ترتيب فقراته لتصبح منطقية، فمثلا من ناحية المعلومات الجغرافية، نجد الأمر يتطلب حتما أن يأتي الإصحاح السادس قبل الإصحاح الخامس، وتنقل الفقرات من ١٥ إلى ٢٤ من الإصحاح السابع إلى الإصحاح الخامس، كذلك يجب أن توضع الفقرة ٢٢ من الإصحاح العاشر في بداية الحديث عن الراعي، كما توضع الفقرات ١٩:٢٢ من الإصحاح العاشر وما تشير إليه من شفاء الأعمى في مكان آخر، والفقرات من ٤٤: ٥٠ من الإصحاح ١٢، تبدو شاذة لا صلة لها بين سابقتها ولاحقتها من الفقرات الأخرى، وبالتالي تعتبر دخيلة وترفع من مكانها، وفي الإصحاح الرابع عشر الفقرة ٣١ تعتبر مقدمة للإصحاح الثامن عشر، ولما كان هذا الإنجيل المنسوب إلى يوحنا في حالة من التشويش يرثى لها، ومن الاضطراب البين نستطيع أن نجزم بأنه عدل وأعيد تحريره، ومن المحتمل أن هذا التعديل قد أدخل على الإنجيل المنسوب إلى يوحنا خاصة"[1].
- يحدد يوحنا هدفه من كتابته إنجيله في الإصحاح الأول [فقرة ٦، ٧] قائلا: "كان إنسان مرسل من الله اسمه يوحنا، هذا جاء للشهادة، ليشهد للنور لكي يؤمن الكل بواسطته، ولم يكن هو النور بل ليشهد للنور" وهذا النص يفيد نقاطا معينة أهمها أنها من صياغة أحد تلاميذ يوحنا، وليست من عباراته هو بدليل قوله: "ولم يكن هو النور"، ولو كان كاتبها يوحنا لقال: "ولم أكن أنا النور"، وأنه ما سيحكيه هذا المتحدث المجهول إنما هي شهادة في قضية، هدفها "لكي يؤمن الكل بواسطته"، وأن هذا الراوي المجهول قد

١ دائرة المعارف البريطانية، نقلا عن الأناجيل دراسة مقارنة لأحمد طاهر ٣٦

Upload by : altawhedmag.com

قرر أن يوحنا الذي سيروي عنه مرسل من الله، وهكذا منح هذا الراوي يوحنا - وهو تابعي وفق علم مصطلح الحديث الإسلامي - مرتبة النبوة، حين قال مرسل من الله.

- "المقصد من كتابته [لإنجيل يوحنا] إبقاء بعض مسامرات المسيح الضرورية ذات التروي مما لم يذكره باقي الإنجيليين، وإفناء لبعض هرطقات مفسدة، أشهرها معلمون كذبة في شأن ناسوت المسيح وموته، وخاصة ترسيخ النصارى الأوائل في الاعتقاد بحقانية لاهوت وناسوت ربهم وفاديهم ومخلصهم"[١].
- "إن يوحنا صنف إنجيله في آخر حياته بطلب من أساقفة آسيا وغيرهم، والسبب أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح فطلبوا منه إثباته، وذكر ما أهمله متّى ومرقص ولوقا في أناجيلهم".
- "إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية صنفه باللغة اليونانية [تلك المدرسة التي اعتنقت مبادئ الثالوث وألوهية المسيح والروح القدس وبشرت بها]، ولقد كانت فرقة ألوجين في القرن الثاني تنكر هذا الإنجيل وجميع ما أسند إلى يوحنا من تصانيف"[٢].

إن أغلب المسيحيين لا يوافقون على هذه الآراء، رغم أن قائليها من جلدتهم وعلى دينهم.

١ صاحب مرشد الطالبين نقلا عن محاضرات في النصرانية للشيخ أبي زهرة ص ٥٤

٢ يوسف الدبس الخوري في مقدمة تفسيره من تحفة الجبل، نقلا عن محاضرات الشيخ أبي زهرة ٥٤

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الرابع

مولد عيسى في الأناجيل المعتمدة

من أراد أن يتتبع الاختلاف بين الأناجيل فعليه أن يرجع إلى كتاب إظهار الحق للعلامة الفاضل رحمة الله خليل الرحمن الهندي، فقد قسم الاختلافات بين الأناجيل إلى أنواع متعددة، وأظهر ١٢٤ اختلاف بالمقارنة بين الأناجيل في النوع الأول فقط، ثم فصل ١١٠ موضعا من مواضع الأغلاط في الكتاب المقدس ككل، وختم الباب الأول من كتابه ببيان خطأ ادعاء المسيحيين أن كتبهم إلهامية، ثم أثبت التحريف في الباب الثاني، وقسمه إلى أنواع فمنها: التحريف اللفظي بالتبديل في ٣٥ موضعا، والتحريف اللفظي بالزيادة في ٤٥ موضعا، والتحريف اللفظي بالنقصان في ٢٠ موضعا، وتناول في الباب الثالث إثبات النسخ، ثم خصص العلامة الهندي الباب الرابع من كتابه لبيان إبطال التثليث، فذكر مقدمة تضم اثني عشر أمرا، ثم ساق ٧ براهين نقلية، وأتبعها ١٢ قولا من أقوال المسيح تبطل التثليث، ثم ختم الباب بإبطال إلهية المسيح. فمن أراد البيان الفصل في هذا الموضوع فليرجع إلى إظهار الحق، وهو حقا اسم على مسمى.

ولبيان خطورة الاختلاف بين روايات الأناجيل وما يمكن أن تؤدي إليه اخترنا موضوعا واحدا، هو مولد عيسى عليه السلام؛ كي نتتبعه في نصوص الأناجيل المعتمدة اليوم، ونجري دراسة مقارنة بين رواياتها، وسبب اختيارنا لهذا الموضوع أنه بعيد كل البعد عن مسألة الاعتقاد في طبيعة المسيح، وقبل أن يراه البعض إلها أو أحد أقانيم الثالوث الواحد، ويمكننا أن نحكم من واقع النتائج التي تظهرها هذه الدراسة سنتأكد من حقيقة الأناجيل، وهل هي كلام التابعين أم وحي من الروح القدس؟ ومن حسن الحظ أن نجد مرقس ويوحنا لم يذكرا شيئا عن المولد في إنجيليهما، مما يحصر مجال الدراسة بين نصوص متّى ولوقا، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

أولا: المولد في إنجيل متّى.

١. بداية عجيبة تلك التي بدأ بها متّى إصحاحه الأول من إنجيله بقوله: "كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم"، ثم راح نسبه من إبراهيم إلى داود ثم من داود

Upload by : altawhedmag.com

يذكر ٢٦ جيلا بينه وبين يوسف أولها: "داود الملك ولد سليمان".... وآخرها "ومتناب ولد يعقوب، ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح"، ولا ندري ما علاقة نسب يوسف بالمسيح عليه السلام؟ فلم يزعم أحد أن يوسف كان والد المسيح! فجعل يوسف من نسل سليمان وبينهما ٢٥ جيلا.

٢. ثم راح يشرح قائلا: "أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا: "لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وُجدت حبلى من الروح القدس، فيوسف رجلها إذ كان بارا، ولم يشأ أن يشهرها، أراد تخليتها سرا، ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له في الحلم قائلا: يا يوسف بن داود، لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك؛ لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس، فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم....، فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته، ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر، ودعا اسمه يسوع".

٣. يستكمل الإصحاح الثاني قصة المولد فيقول: "ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك، إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين: "أين هو المولود ملك اليهود؟ فإننا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له"، فلما سمع هيرودس الملك اضطرب وجميع أورشليم معه، فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم: أين يولد المسيح؟ فقالوا له في بيت لحم اليهودية"....، ثم يستطرد قائلا: "حينئذ دعا هيرودس المجوس سرا وتحقق منهم زمان النجم الذي ظهر، ثم أرسلهم إلى بيت لحم وقال: اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبي، ومتى وجدتموه فأخبروني لكي آتي أنا أيضا وأسجد له، فلما سمعوا من الملك ذهبوا، وإذا بالنجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف حيث كان الصبي، فلما رأوا النجم فرحوا فرحا عظيما جدا، وأتوا إلى البيت ورأوا الصبي مع مريم أمه، فخروا وسجدوا له، ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهبا ولبانا ومرا، ثم إذ أوحي إليهم في حلم أن لا يرجعوا إلى هيرودس، انصرفوا في طريق أخرى إلى كورتهم".

Upload by : altawhedmag.com

٤. ويستطرد الإصحاح الثاني قائلا: "وبعد ما انصرفوا إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم قائلا: قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر، وكن هناك حتى أقول لك، لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبي ليهلكه، فقام وأخذ الصبي وأمه ليلا وانصرف إلى مصر، وكان هناك إلى وفاة هيرودس"، "لما رأى هيرودس أن المجوس سخروا منه غضب جدا، فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم وفي كل تخومها من ابن سنتين فما دون".

ثانيا: المولد في إنجيل لوقا.

١. جاء في آخر الإصحاح الثالث ذكر نسب يوسف قائلا: ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة، وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي بن متشاب، وهكذا حتى يصل إلى بن ناثان بن داود"، ومن الملاحظ أن بين يوسف وداود ٤١ جيلا.

٢. جاء في الإصحاح الأول: "كان في أيام هيرودس ملك اليهود كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيا، وامرأته من بنات هارون واسمها إليصابات، وكانا كلاهما بارين أمام الله سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم، ولم يكن لهما ولد إذ كانت إليصابات عاقرا وكانا كلاهما متقدمان في أيامهما، فبينما هو يكهن في نوبة فرقته أمام الله حسب عادة الكهنوت أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويبخر، وكان كل جمهور الشعب يصلون خارجا وقت البخور، فظهر له ملاك الرب واقفا عن يمين مذبح البخور، فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه الخوف، فقال له الملاك: لا تخف يا زكريا لأن طلبتك [أي دعاءك] قد سمعت، وامرأتك إليصابات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا، ويكون لك فرحا وابتهاجا وكثيرون سيفرحون بولادته، لأنه سيكون عظيما أمام الرب، وخمرا ومسكرا لا يشرب، ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس، ويرد كثيرون من بني إسرائيل إلى الرب إلههم، فقال زكريا للملاك: كيف أعلم هذا لأني أنا شيخ وامرأتي متقدمة في أيامها، فأجاب الملاك وقال له: أنا جبرائيل الواقف قدام الله، وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا، وها أنت تكون صامتا، ولا تقدر أن تتكلم إلى اليوم الذي يكون فيه هذا، لأنك لم تصدق كلامي الذي سيتم في وقته، وكان الشعب منتظرين زكريا ومتعجبين من إبطائه في الهيكل، فلما

Upload by : altawhedmag.com

خرج لم يستطع أن يكلمهم، ففهموا أنه قد رأى رؤيا في الهيكل، فكان يومئ لهم وبقي صامتا. ولما كملت أيام خدمته مضى إلى بيته، وبعد تلك الأيام حبلت إليصابات امرأته وأخفت نفسها خمسة أشهر.

٣. وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم، فدخل إليها الملاك، وقال: سلام لك أيتها المنعم عليها، الرب معك، مباركة أنت في النساء، فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية، فقال لها الملاك: لا تخافي يا مريم؛ لأنك قد وددت نعمة عند الله، وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع، فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا لا أعرف رجلا؟ فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحل عليك، وقوة العلي تظللك، فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله، وهو ذا إليصابات نسيبتك هي أيضا حبلى بابن في شيخوختها، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا، لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله، فقالت مريم: هو ذا أنا أمة الرب، ليكن لي كقولك، فمضى من عندها الملاك.

٤. ثم يستكمل الإصحاح الأول كيف ذهبت مريم إلى إليصابات، ثم ولدت بعد ذلك إليصابات، وفي اليوم الثامن اختتن المولود وسموه يوحنا، وحينئذ تكلم زكريا بعد شهور من الصمت، ثم يصف الإصحاح خوف جيران زكريا منه بعد أن تكلم فيقول: "فوقع خوف على كل جيرانهم، وتحدث بهذه الأمور جميعا في كل جبال اليهودية، فأودعها السامعين قلوبهم قائلين: أترى ماذا يكون هذا الصبي؟

٥. يبدأ الإصحاح الثاني حديثه عن مولد عيسى وكيف ولدته مريم في بيت لحم عند عشيرة يوسف، فيقول: "بينما هما هنالك تمت أيامها لتلد، فولدت ابنها البكر وقمطته في المزود، وكان في تلك الكورة رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم، وإذا ملاك الرب وقف بهم ومجد الرب أضاء لهم حولهم، فخافوا خوفا عظيما، فقال لهم الملاك: لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب، أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب، وهذه لكم العلامة تجدون

Upload by : altawhedmag.com

طفلا مقمطا مضجعا في مذود، وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين الله قائلين: المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة.

٦. ونوجز ما ذكره الإصحاح من وصول الرعاة إلى مكان مريم وحكايتهم مع الملاك، ثم كيف أسموه يسوع في اليوم الثامن عند اختتانه، وكيف ذهبوا به إلى أورشليم بعد مرور أيام نفاسها، وكيف التقوا سمعان، فيقول: "وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان، وهذا الرجل كان بارا تقيا ينتظر تعزية إسرائيل والروح القدس كان عليه، وكان قد أوحي إليه بالروح القدس: أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب، فأتى بالروح إلى الهيكل، وعندما دخل بالصبي يسوع أبواه ليصنعا له حسب عادة الناموس أخذه على ذراعه وبارك الله وقال: الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام، لأن عيني قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته قدام وجه جميع الشعوب". ويستمر الإصحاح في القصة إلى أن يقول: "وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح".

ثالثا: الاختلافات بين رواية المولد عند متّى ولوقا.

هناك اختلاف حاد في قضية ثانوية وهي نسب يوسف خطيب مريم، فنسبه عند متّى ينتهي إلى سليمان بن داود بعد ٢٦ جيلا، وعند لوقا ينتهي إلى ناثان بن داود من خلال ٤١ جيلا، إلا أن ثانوية المسألة ترجع إلى أن القرآن ينفي وجود يوسف كخطيب لمن وهبت نفسها للمحراب، فهي البتول. فلقد أقحمت روايتا الإنجيل قصته ونسبه دون داع يذكر، ولنشرع الآن في بيان الاختلافات الجوهرية حول قضية المولد، فنقول وبالله تعالى التوفيق:-

١. لم تذكر رواية متّى أية إشارة عن زكريا ويوحنا والمعجزة المبهرة التي صاحبت ميلاد يحيى عليه السلام -المسمى يوحنا المعمدان في العهد الجديد- بينما ذكرت رواية لوقا تفصيلات قريبة من القصص القرآني مع بعض الاختلاف سنذكرها تباعا.

٢. انفردت رواية متّى بإعطاء دور رئيس المجوس الذين شاهدوا النجم على مرحلتين، الأولى حين ظهر النجم بالمشرق وبدلا من أن يدلهم على بيت لحم، تركهم يذهبون للسؤال عنه في أورشليم، ومن الغريب أن يصيغوا سؤالهم عن المولود بصفته ملك اليهود، مما أثار انتباه هيرودس الملك، فاستدعى الكهنة أولا فعلم منهم مكان

Upload by : altawhedmag.com

المولود، ثم استدعى المجوس سرا، ليدلهم على بيت لحم، فيعود النجم للظهور مرة ثانية ليقود خطاهم إلى منزل المولود في بيت لحم، وينام هيرودس ملء جفنيه، ولا يبعث خلفهم عيونه وأعوانه ليأتوه بالمولود. ولا شك أن بنيان هذه الرواية متهالك تماما، فإذا كان دليل المجوس أول الأمر معجزة كبرى وهي نجم السماء، فلم لم يوصلهم النجم مباشرة إلى بيت لحم؟ ولم ينقطع دور النجم فقط لإعطاء المبرر لهروب المولود إلى مصر.

٣. اختفاء أي دور للمجوس في حياة عيسى وأمه مريم بعد ذلك.

٤. أول ظهور لمريم في رواية متّى كانت للإشارة إلى معاناة يوسف حين وجد خطيبته حبلى حسب قول متّى: "قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس"، وبالتالي سقط من القصة بشارة ملاك الرب لمريم بأنها ستحمل بدون رجل، أليست هذه الواقعة أولى بالذكر من الانشغال بمعاناة يوسف؟!

٥. الدور المكرر في رواية متّى لملاك الرب في أحلام يوسف:

- الظهور الأول: لتثبيت يوسف من خوفه من الزواج بمريم، وهي حبلى.
- الظهور الثاني: ليأمره يوسف بأخذ الصبي وأمه ويهرب إلى مصر.

٦. لم تذكر رواية لوقا أي شيء عن امرأة عمران، ونذرها لما في بطنها للعبادة، ولا اعتكاف مريم في المحراب إلا أن تلقت بشارة ربها.

٧. إن معجزة ميلاد عيسى من عذراء ظلت مجهولة بين جماهير بني إسرائيل، فكل من شعر بهذه المعجزة هم الرعاة في رواية لوقا، والمجوس في رواية متّى، ثم اختفت المعجزة تماما في رواية متّى بهروب الصبي وأمه مباشرة إلى مصر، وفي رواية لوقا لم نر أثرا لمشاهدة الرعاة لملاك الرب، وكلتا الروايتين لا تسمن ولا تغني من جوع، فهما غير كافيتين لسكوت اليهود حول هذا الحدث العظيم.

إن هذا الحجم من الاختلاف يؤكد أن هذه الأناجيل هي مرويات بشرية، ولا علاقة لها بالروح القدس، ولا بوحي السماء، وأن أية محاولة لربطها بالروح القدس تعني بالضرورة وصف الروح القدس بما لا يليق بالثقات من الرجال، بينما إقرارنا بأنها اجتهاد بشري بخلاف أنه يرفع الحرج عن الوحي، فهو أيضا يفتح باب تهذيب تلك المأثورات وبيان الغث

Upload by : altawhedmag.com

من الثمين. وإذا افترضنا أن ذلك سيكون - وهو أمل ضعيف - فسنجد دائما الحقيقة الثابتة عند القرآن حيث البيان أشمل وأكمل وأتم، فالرواية القرآنية تؤكد حقائق ثابتة هي:-

١. أن مريم مرت بمراحل إعداد هائلة من قبل ولادتها إلى ذلك اليوم المبارك الذي ظهر لها أمين الوحي جبريل، مبشرا لها بالاصطفاء والاجتباء؛ لتكون خير نساء العالمين.

٢. التأكيد على دور زكريا عليه السلام ليس بوصفه كاهنا من الكهنة ثم تحول إلى نبي بعد أن رزقه الله بيحيى، وإنما كنبي كريم منذ تلقى رسالة ربه قبل ميلاد مريم.

٣. ليس من المعقول أن يصمت زكريا لمدة تسعة أشهر طوال حمل امرأته بولده يحيى كما نص على ذلك لوقا، وثلاثة أيام فترة كافية للصمت الذي جعله الله له ولبني إسرائيل معه آية من آيات الله تعالى، وهي نفس الآية التي جعلها الله لمريم العذراء بعد ولادتها، وتكرار الآية يجعل أهل الفكر والتأمل يربطون بين تماثل هذا الصمت بين زكريا ومريم، وأن الحدث واحد في القصتين، وهو بيان قدرة الله تعالى أن يخلق من عدم، فهو ﷻ نعم المولى ونعم النصير.

٤. أن الآية الرئيسة التي أسكتت بني إسرائيل هي تكلم عيسى في المهد، ورؤية الناس جميعا للمولود في لحظات حياته الأولى وهو يسمعهم صوت التوحيد والحكمة.

٥. تجاهل القرآن عمدا أي ذكر ليوسف خطيب مريم، إنكارا لوجوده، فمريم ما كان ينبغي لها أن تكون مرتبطة بأي رجل حتى تستطع أضواء الآية في الآفاق، فالعذراء البتول المنقطعة للعبادة في المحراب حين تحمل تكون الحجة قاطعة، أما حمل الفتاة المخطوبة تفتح أبواب الشك، فلا محل لوجوده في حياة مريم البتول، إن القرآن يحافظ على مريم بتولا طوال حياتها، أما الأناجيل فتشعر أن يوسف تزوج مريم بعد أن أنجبت عيسى عليه السلام، ولا غرابة إذن أن نجد في نصوص العهد الجديد نصوصا تشير إلى إخوة لعيسى من يوسف.

٦. تجاهل القرآن الكريم هروب مريم إلى مصر، وهو نفس ما يتضح من رواية لوقا، حيث نقل أحداثا وقعت مع عيسى وزياراته السنوية لأورشليم في عيد الفصح.

Upload by : altawhedmag.com

٧. إن من يتدبر القرآن يجد كلمته واحدة وحقائقه ثابتة لا اختلاف ولا تباين فيها، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾[النساء: ٨٢]، فلو كانت هذه الأناجيل المعتمدة من الكنيسة قد دونت بوحي من الله، وإلهام من الروح القدس لما وجدنا فيها اختلافا كثيرا.

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الخامس

إنجيل برنابا

أولا: هل برنابا من الحواريين؟

ينبغي - ونحن نقلب صفحات العهد الجديد - أن نبحث عن الحواريين لعلنا نجد جوابا شافيا يحدد لنا من هو برنابا[1]، "لقد وردت أسماء الحواريين في ثلاثة أناجيل [متّى، مرقس، لوقا]، وقد اتفقت رواية متّى مع رواية مرقس تماما، وبهذا يقل عدد القوائم إلى اثنتين فقط، كلتا القائمتين تتفق في أحد عشر حواريا وهم:

- سمعان ويقال له بطرس.
- أندراوس أخوه.
- يعقوب بن زبدي.
- يوحنا أخوه.
- فيليبس.
- برثولماوس.
- توما.
- متّى العشار.
- يعقوب بن حلفى.
- سمعان [القانوني] الغيور.
- يهوذا الاسخريوطي.
- وتختلف في الحواري الثاني عشر، حيث يقول متّى أنه لباوس الملقب تداوس [متى ١٠: ١-٤]، وفي مرقس[٣: ١٣- ١٩] ذكر تداوس وهو لقبه ولم يذكر اسمه، بينما اسم الحواري الثاني عشر هو يهوذا أخو يعقوب، وينحصر الخلاف الآن في تحديد

١ الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة للأستاذ/ محمد عبد الرحمن عوض ٢٩

Upload by : altawhedmag.com

الحواري الثاني عشر، هل هو لباوس أم يهوذا أخو يعقوب ؟ والنتيجة الأكيدة أن أحدهما ليس حواريا، ويرى الأستاذ/ محمد عبد الرحمن عوض أن الاختلاف يخرج كلا الاسمين من القائمتين، فلا يهوذا أخو يعقوب من الحواريين، ولا لباوس أو تداوس هو الآخر من الحواريين، ولا بد أن يكون حدث اختلاف حول شخص معين أريد إخراجه من الحواريين لسبب ما، ورأى أصحاب هذا الفكرة أن يدرجوا اسما بدل اسم هذا الحواري غير المرغوب فيه، وراقت هذه الفكرة لهم، ولكنهم اختلفوا في تدوين الاسم المختلق".

ومن الغريب أن نجد لوقا يتناسى الاسم الحقيقي للحواري الثاني عشر عمدا، ويجعل مكانه يهوذا أخو يعقوب، إلا أنه عاد لينص في أعمال الرسل أن برنابا أحد الحواريين، حين يصف كيف كان الحواريون يبذلون أموالهم في سبيل الدعوة، فيقول: "وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة؛ لأن الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها، ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل [يقصد أرجل الحواريين] فكان يوزع [أي المسيح] على كل أحد كما يكون له احتياج، ويوسف الذي دعي من الرسل برنابا الذي يترجم ابن الوعظ، وهو لاوي قبرصي الجنس، إذ كان له حقل باعه، وأتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل". [٤:٢٢ - ٢٧]، وبالتالي تكون قائمة الحواريين الصحيحة هي قائمة لوقا بعد حذف يهوذا أخو يعقوب وإحلال برنابا مكانه، ولكن ما الداعي لهذا الفعل من لوقا ؟ والجواب على ذلك: أن لوقا تتلمذ على يدي بولس، كما صاحبه في رحلاته، وتأثر بآرائه، حتى أنه وضع سفرين كاملين، أحدهما إنجيل لوقا دون فيه ما يعرفه عن المسيح، والثاني: سفر أعمال الرسل الذي دون فيه جانبا من حياة الكنيسة، مركزا على إسهام معلمه بولس في تلك المرحلة التاريخية المهمة، حتى قيل عن الإنجيل بحسب لوقا أنه إنجيل الرحمة والذي لا ريب فيه فكرة رفق الله بالبشر، وهي التي كانت من الأفكار الكبرى التي سيطرت على إيمان بولس، وإذا بها تهيمن على إنجيل لوقا أيضا، ولذلك شهد المفكرون والمؤرخون المسيحيون الأوائل منذ مطلع القرن الثالث أن لوقا دون الإنجيل الذي بشر به بولس"حول

Upload by : altawhedmag.com

الإنجيل وإنجيل برنابا للأب: [1] ويكفي لوقا أنه الوحيد الذي ظل وفيا للمعتقدات التي كان يروجها بولس في أول أمره، مما دعا الجميع بالانصراف عنه، يقول بولس: "في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي، بل تركني الجميع، لوقا وحده معي" [رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس ٤ :٩- ١٦].

وحين يخالف برنابا آراء بولس ويعترض عليه، ويفارقه، وحين ينعت بولس برنابا بالرياء كالآخرين، فلا بد للوقا أن يتجاهل اسم برنابا من الحواريين.

ورب قائل يقول إن الأناجيل الأربعة لم تزد على أن برنابا من الحواريين فكيف نستدل بقول لوقا هذا، ونقحمه بينهم؟ والجواب على ذلك: إن إنجيل برنابا ظل مباحا في قرون المسيحية الثلاثة الأولى، حتى حرمه مجمع نيقية سنة ٣٢٥، وما تلاه من مجامع، فلا بد أن ننظر في إنجيل برنابا لعلنا نجد ما يجلي هذا الغموض المتعمد، فإذا كان برنابا حواريا، وكان إنجيل برنابا منسوبا إليه حقيقة، لارتفعت منزلة هذا الإنجيل فوق الأناجيل الأربعة، فبرنابا شاهد المسيح فهو كالصحابي للنبي ﷺ بينما باقي الأناجيل فهي لتابعين لم يروا المسيح رسول الله.

ثانيا: إنجيل برنابا ينفرد بالحقيقة.

حين بدأ برنابا في تدوين إنجيله وضع لنفسه هدفا محددا وذكره في مقدمة الإنجيل، وعنوانه الذي اختاره له، "الإنجيل الصحيح ليسوع المسيح، نبي جديد مرسل من الله إلى العالم"، وهذا العنوان يذكرنا لما اختاره الإمام البخاري لكتابه الذي جمع فيه الأحاديث، حيث سماه: الجامع الصحيح المسند،" فبرنابا تعهد بكتابة الصحيح عن يسوع النبي الجديد، ولهذا تراه وهو يحرص على الحقيقة والصحة يقلل الفجوة الكبيرة بين الأناجيل الأربعة من ناحية وبين القرآن الكريم من ناحية أخرى، فالمقارن بين إنجيل برنابا وبين القرآن الكريم يدرك أنهما ضياء من مشكاة واحدة، ولذلك وصفت الكنيسة هذا الإنجيل بأنه مدسوس، وجاءت كتابات بعض مفكري المسيحية لتقول: إنجيل برنابا شهادة زور على القرآن الكريم،

١ إلياس زحلاوي ٣١، ٣٢، نقلا عن الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة لمحمد عبد الرحمن عوض

Upload by : altawhedmag.com

وقالوا إن كاتب إنجيل برنابا رجل يهودي، ومنهم من تجاهل تحريم قراءة إنجيل برنابا على المسيحين قبل قرون من ظهور الإسلام، وقال: إن كاتب هذا الإنجيل كاتب مسلم.

إن ما يهمنا أن نوجزه دون أن نورد نصوصا من إنجيل برنابا أنه يؤكد الحقائق التالية:

- أن عيسى عليه السلام بشر رسول بعثه الله تبارك وتعالى بالتوحيد، وأنه حذر أتباعه في حياته أن يتخذوه إلها من دون الله.
- أن المسيح لم يصلب وإنما شبه على اليهود.
- التصريح بشهادة التوحيد كاملة، والبشارة بقرب بعثة النبي الخاتم المسمى محمدا.
- إثبات الشفاعة للنبي الخاتم، وأن اسمه مكتوب على ساق العرش.

Upload by : altawhedmag.com

الفصل السادس

قرون المسيحية الأولى

وظهرت عدة فرق خلال القرون الأربعة الأولى قدمت نظريات مختلفة عن طبيعة المسيح وعلاقته بالآب، أدت إلى بلورة العقيدة الحالية للنصارى ويشير جون لوريمر إلى الصراع بين مفهوم المسيح الذي هو كلمة الله وبين كونه مساويا للآب في اللاهوت، وحتى نهاية القرن الثاني الميلادي وابتداء القرن الثالث كان علماء اللاهوت يدرسون بتعمق أكثر، ذلك السؤال الشائك الذي واجههم والمختص بالعلاقة بين الله الآب والمسيح الابن.

- هل بقي الله في السماء بينما يسوع يقوم بعمله على الأرض؟
- هل كان يسوع أزليا وفي مساواة مطلقة بالله في سلطانه ومجده؟
- هل كان الاثنان منفصلين ومتحدين في نفس الوقت؟
- وإذا كان المسيح مساويا لله الآب فكيف ترك المسيح السماء إلى الأرض؟

وقد اجتهد كل فريق من فرق المسيحية في وضع تصور عن هذه العلاقة، وبالتالي تحول الأمر من عقيدة يتلقاها البشر عن طريق الوحي، إلى آراء واجتهادات وتفسيرات باطنية ومفاهيم رمزية تفتح باب التحزب والاختلاف، ومن نتيجة ذلك أن تفرق الدين الواحد إلى سبل شتى وطرائق قددا، وسنعرض لأشهر هذه الاتجاهات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

أولا: اعتقاد الحلول والاتحاد.

١. قال أوطاخي: "إن طبيعة المسيح الناسوتية، اندمجت في اللاهوتية" [تاريخ الأقباط ١: ١٦٤].

٢. قال يوليانوس الهيليكارنسوس سنة ٥١٩ م: "إن الطبيعة الإلهية اتحدت بجسد السيد المسيح منذ حبل به فتغير في طبيعته وصار عديم الفساد" تاريخ الأقباط ١:

Upload by : altawhedmag.com

١٦٥ - ١٦٦]. ثم قامت في القرن السادس طائفة تعارض رأي يوليانوس وتقول: "إن جسد المسيح كان نظير جسدنا، قابلا للفناء والفساد"[١].

٣. اللاهوت الملكي: تقوم هذه العقيدة لتنصر الله الآب ولكنها في نفس الوقت تحاول أن تسمو بأهمية الابن، وقد ظهرت هذه المدرسة على يدي رجل اسمه ثيودوتس من بيزنطة ثم نادى بها بولس الساموساتي وهو أسقف أنطاكية [٢٦٠-٢٧٣]، وسميت عقيدته بالملكية الديناميكية أو التبني وتتلخص: "في أن يسوع كان إنسانا ولد من العذراء وكانت حياته مقدسة وحل عليه المسيح الإلهي [أو الروح القدس] عند المعمودية، وبعض معتنقي هذه العقيدة يقولون: "إن يسوع نفسه صار إلها بعد قيامته. لقد أظهر يسوع في حياته الصفات الإلهية بكيفية فائقة جعلت الله يتبناه. لقد بدأ كإنسان، ولكن كانت له الصفات الخاصة، فكانت إرادته في توافق تام مع إرادة الله، حتى أنه تقوى وتمجد بطريقة إلهية وصار ابن الله"[٢]. وقد جعل ثيودوتس يسوع إنسانا صار إلها، وليس الله صار إنسانا.

٤. كان البابا دميان البطريرك الخامس والثلاثين في القرن السادس يعتقد: "أن لكل من الأقانيم الثلاثة وجودا خاصا، وأن للثلاثة وجودا رابعا"[٣].

فرقة المارسيونية: يقرر مؤلف كتاب تاريخ الكنيسة: "أن هذه الفرقة من أكثر الهراطقة أهمية الذين أتعبوا الكنيسة في القرن الثاني، ومع أن الكنيسة قطعت مارسيون من عضويتها إلا أن معارضيه ظلوا يحترمونه بل هناك من اعتبره واحدا من المصلحين"[٤].

٥. وتقوم تعاليم مارسيون على رفض التفسير المجازي ونادت بالتفسير الحرفي

---

١ تاريخ الأقباط ١: ١٦٦

٢ تاريخ الكنيسة لجون لوريمر ٢: ٤٦

٣ تاريخ الأقباط ١: ١٦٦ - ١٦٧

٤ تاريخ الكنيسة لجون لوريمر ١: ١١٤

Upload by : altawhedmag.com

التاريخي، وأن تؤخذ النصوص كما هي، ومن تعاليمه أنه لم يميز بين الله والمسيح، فالله ظهر في هيئة المسيح الذي كان جسده شبحا لم يولد أبدا من امرأة بل ظهر فجأة وبطريقة إعجازية كإنسان كامل، ولم يمت على الصليب ولم يدفن ولم يقم من القبر، ولكنه اختفى فجأة ليبشر الموتى في الهاوية ثم رجع بعد ذلك ليقوم بعمله كالأب المحتجب في السماء"[1]. ويعقب جون لوريمر بقوله: "ومع أن الكنيسة كانت تتمنى لو لم يولد مارسيون، لكن يجب أن نشكر الله لظهوره لأنه وضع أمام الكنيسة قضايا أساسية ما كانت لتفكر فيها أو تجيب عليها، كطبيعة الله، وصلة الله والمسيح، وتفسير الكتب المقدسة، وأهمها جميعا حصر الكتب المقدسة القانونية، ففي هذا المعنى السلبي يمكننا أن نعتبر مارسيون مصلحا".

٦. يرى نسطور ومن ورائه فرقة النسطورية رأيا مخالفا حيث تقول: "إن مريم العذراء أم المسيح لم تلد الإله، بل ولدت الإنسان فقط، ثم اتحد ذلك الإنسان بعد ولادته بالأقنوم الثاني وهو الابن وليس ذلك الاتحاد بالمزج، أو هو اتحاد حقيقي بل كان اتحادا مجازيا؛ لأن الإله منحه المحبة، ووهبه النعمة فصار بمنزلة الابن"، وقد تسبب رأي نسطور في انعقاد مجمع أفسس سنة ٤٣١ وقرر لعنه وطرده، وإثبات أن مريم العذراء ولدت الإنسان والإله.

ثانيا: الروح القدس أقل من الآب والابن.

غفل المسيحيون وضع الروح القدس في بداية الأمر حين انشغلوا بوضع تصور عن علاقة الآب والابن، وفي بداية الأمر كان إيمان النصارى أن الروح القدس أقل مقاما من الآب والابن، إلى أن حسم مجمع القسطنطينية عقيدة القوم عن الروح القدس، وقد ظهرت الاتجاهات التالية قبل حسم القضية:-

١ تاريخ الكنيسة لجون لوريمر ١: ١١٥

Upload by : altawhedmag.com

١. فرقة المقدونيين: وعلى رأسهم يوساثيوس الذي كان يرى: "أن الروح القدس كائن مخلوق أقل من الآب والابن، وقد عرفت هذه الجماعة باسم أعداء الروح [أي نيوماتوماخي]، ومن أقوالهم: "الروح القدس عمل إلهي منتشر في الكون، وليس أقنوما متميزا عن الآب والابن"[١] ولم تحل هذه القضية إلا في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ حيث توصلوا إلى قرار بالأقانيم الثلاثة المتساوية في كل شيء"[٢].

٢. زعم لوكيوس في القرن التاسع:"أن الروح القدس منبثق من الآب والابن"[٣].

٣. أوريجانوس وتسلسل الآلهة: كان أوريجانوس يميل إلى النظر في التثليث على أنه علاقة مسلسلة: فالابن خاضع للآب، والروح خاضع للابن، ومن النادر أن يذكر أوريجانوس الروح القدس في نظريته، حيث نسب معظم أعمال الروح القدس إلى الابن وكان يرى الروح القدس كذبيحة فقط، وكان يصف المسيح بأنه: "ابن الله المولود من الآب منذ الأزل، كما يتولد البهاء من النور، وهو بهاء مجد الله ورسم جوهره، فالابن إذن من ذات طبيعة الآب؛ لأنه مولود من الله غير مخلوق، لقد انبثق من الآب دون أن ينقص من جوهر الآب بنفس الكيفية التي تتولد الإرادة من الروح، ولكن الابن هو أقنوم متميز، وبذلك يمكن القول بأنه إله ثان خاضع للأب"[٤].

ثالثا: القائلون ببشرية المسيح.

١. المسيح نبي: اعتبرت جماعة الأبيونيون التمسك بالفروض اليهودية وطقوس الآباء ضرورة على المسيحيين، وأن المسيح مجرد ابن داود بدون وجود قبل الجسد، ومجرد نبي ممتاز كانوا ينتظرون" وشبههم في اعتقادهم تلاميذ يوحنا المعمدان [النبي يحيى

١ تاريخ الأقباط ١: ١٦٠.

٢ تاريخ الكنيسة لجون لوريمر

٣ تاريخ الأقباط ١: ١٦٧

٤ تاريخ الكنيسة لجون لوريمر ٢: ٦٧

Upload by : altawhedmag.com

ﷺ] الذين بدورهم اعتبروا السيد المسيح شبيها بيوحنا وتابعا له وأنكروا لاهوته"[١]، والأبيونيون جماعة من المؤمنين من أصل يهودي وكلمة الأبيونيون معناها الفقراء

٢. وقال نسطور - الذي كان بطريقا للقسطنطينية - ببشرية المسيح: "إن مريم لم تلد إلها، بل ما يولد من الجسد ليس إلا جسدا، وما يولد من الروح هو روح، إن الخليقة لم تلد الخالق، بل ولدت إنسانا ثم اتحد هذا الإنسان بعد ولادته، بالأقنوم الثاني اتحادا مجازيا حقيقيا، وكان مصير نسطور الطرد من منصبه ثم النفي إلى أخميم في صعيد مصر حتى مات"[٢].

٣. وبولس الشماطي يقول: "إن ابن الله لم يكن من الأزل، بل ولد إنسانا"[٣].

٤. المسيح لم يصلب: استمر مذهب باريليدس حتى أواخر القرن الرابع وكان يقول: "حين أراد اليهود صلب المسيح، اتخذ صورة سمعان القروي وأعطاه صورته، فصلب سمعان وأما يسوع فقد صعد إلى السماء"[٤].

٥. فرقة الدوسيتية: والتي يعدها المسيحيون واحدة من تلك الهرطقات المبكرة، ونادت تلك الفرقة بأن: "المسيح لم يكن بشرا حقيقيا ولكنه بدا كذلك، حيث ظهر لتلاميذه كأن له عظما ولحما، كأنه يجوع ويعطش ويشعر بالألم والحزن، وهو لم يكن كذلك، ويقولون كذلك: إن الذي صلب بدلا من المسيح هو سمعان القيرواني"[٥].

٦. "المسيح الكلمة"، وتصف هذه العقيدة المسيح بالوصف الذي جاء في الإنجيل الرابع بأنه "كلمة الله صار جسدا"، إلا أنهم فسروا الكلمة حسب التفسير اليوناني

---

١ تفسير إنجيل يوحنا للأنبا أثناسيوس نقلا عن كتاب أقانيم النصارى ٨٣

٢ تاريخ الأقباط ١: ١٦١

٣ تاريخ الأقباط ١: ١٤٨

٤ تاريخ الأقباط ١: ١٤٥

٥ تاريخ الكنيسة لجون لوريمر ١: ١٠٢

Upload by : altawhedmag.com

فقالوا إن الذي تجسد في يسوع لم يكن هو الآب الأزلي، ولكنه الكلمة أو العقل الأبدي الذي ولد في عقل الآب، وكان يسكن أساسا في ذاته ثم عمل في الخليقة، لقد انطلق من عند الآب كما ينطلق المجرى من الينبوع أو شعاع الضوء من الشمس، وهو مثل الآب ولكنه مختلف عنه وهذا هو السر الأعظم"[١].

٧. أريوس وبشرية المسيح: حاول كثير من النصارى الوقوف أمام محاولات الفلاسفة والباطنية تحريف العقيدة التي جاء بها عيسى عليه السلام، وإلباسها ثوب التثليث الفلسفي الأفلاطوني، وأشهر هذه المحاولات تلك التي قام بها آريوس الذي ظهر في الإسكندرية قائلا: "إن الكلمة [أو اللوجوس] المسيح، مهما سما فوق باقي الخليقة فهو كائن مخلوق أوجده الله ولذلك بداية، وفي وقت ما لم يكن له وجود، ولذلك أيضا كان الابن من جوهر آخر غير جوهر الآب، إن وجود اللوجوس الكلمة ليس وجودا حتميا، ولكنه نتيجة لفعل اختياري حر من الآب خالق الكلمة اللوجوس، وكمخلوق زمني كان الكلمة اللوجوس خاضعا للتغيير، كان إلها لكن ليس في نفسه ومن نفسه، فهو يستمد ألوهيته من الآب، فإن كان اللوجوس حائزا لحكمة الآب وقوته، فالأمر ببساطة أن الآب منحه هذه الصفات. لذلك قد يكون للابن صفات إلهية لكن بدون مشاركة كاملة في اللاهوت الجوهري ذاته، وعلى حسب قول أريوس: "ما كان "الكلمة" في حاجة إلى أن يكون ذا جوهر إلهي؛ لكي يملأ العالم بمعرفة حقيقية عن الله، وينقل معرفة صحيحة للفضيلة"[٢].

وطبقا لآراء أريوس، فهو يرى المسيح كائنا وسيطا أعظم من الإنسان وأقل من الله، ومن خلال المسيح خلق الله بقية الكائنات، ويقرر أريوس الحقيقة التالية: "كلمات كثيرة نطق بها الله، فأي من هذه الكلمات نسميها الابن الوحيد؟[٣]. وتتلخص آراء آريوس في أن: "الآب

١ تاريخ الكنيسة لجون لوريمر

٢ تاريخ الكنيسة لجون لوريمر ٣: ٤٠ - ٤١

٣ تاريخ الكنيسة لجون لوريمر ٣: ٤١

Upload by : altawhedmag.com

أقدم من الابن، لأنه خلق الابن من العدم، فالابن إذن غير مساو للآب في الجوهر، لأنه أدنى منه في الطبيعة والمنزلة"[١].

١. الحوار مع أريوس:

ولما نادى أريوس: "أن الآب وحده هو الله الفرد، والابن مخلوق مصنوع، وقد كان الآب إذ لم يكن الابن، أشاع بطرس - بطرك الإسكندرية آنذاك - أنه رأى المسيح في المنام مشقوق الثوب، فقال له يا سيدي من شق ثوبك؟ قال له: آريوس، وراح يحذر تلاميذه منه، إلى أن قتل بطرس هذا وتولى مكانه الأكصندروس الذي منع آريوس من دخول الكنيسة، وقال للناس: إن الله لعن آريوس فلا تقبلوه ولا تدخلوه الكنيسة.

فاستغاث آريوس بقسطنطين الملك - رغم أنه كان وثنيا ولم يعتنق المسيحية يروي المؤرخ أبوسيبوس الذي تسميه الكنيسة سلطان المؤرخين، وتُقَدِّسُ كلامه: "أنه هو الذي عَمَّدَ قسطنطين الملك وهو على فراش الموت، وهذا معناه أنه لم يكن قد دخل المسيحية يوم رأس مجمع نيقية، وأن الرجل استحسن رأي بولس لأنه أقرب إلى وثنيته آنذاك"[٢] - فجمع الإمبراطور بينهما في مناظرة بدأت بطلب من قسطنطين لآريوس أن يشرح مقولته.

قال آريوس: أقول إن الآب كان إذ لم يكن الابن، ثم الله أحدث الابن، فكان كلمة له إلا أنه محدث مخلوق، ثم فوض الأمر إلى ذلك الابن المسمى "كلمة"، فكان هو خالق السموات والأرض وما بينهما، كما قال في إنجيله، إذ يقول: "وهب لي سلطانا على السموات والأرض"، فكان هو الخالق لها بما أعطي من ذلك، ثم إن الكلمة تجسدت من مريم ومن روح القدس، فصار ذلك مسيحا واحدا، فالمسيح الآن معنيان: كلمة وجسد، إلا أنهما جميعا مخلوقان.

قال البطرك: أيها أوجب علينا عندك، عبادة من خلقنا [المسيح]، أو من لم يخلقنا [الله]؟. قال آريوس: بل عبادة من خلقنا.

---

١ تاريخ الأقباط ١: ١٥١

٢ نقلا عن محاضرات في النصرانية للشيخ أبي زهرة ١٣٢

Upload by : altawhedmag.com

قال البطرك: فإن كان خالقنا الابن كما وصفت، وكان الابن مخلوقا، فعبادة الابن المخلوق أوجب من عبادة الآب الذي ليس بخالق، بل تصير عبادة الآب الخالق للابن كفرا، وعبادة الابن المخلوق إيمانا، وذلك من أقبح الأقاويل.

فاستحسن الملك وكل من حضر مقالة البطرك، وشنَّع عندهم مقالة آريوس، فأمر الملك أن يلعن آريوس وكل من قال مقالته.

٢. مجمع نيقية:

بعث الإمبراطور قسطنطين في البلدان يدعو إلى اجتماع للأساقفة والبطاركة في نيقية، لمناقشة آراء آريوس فاجتمع ٢٨٤٠ أسقفا مختلفي الآراء فيما عُرِف فيما بعد بمجمع نيقية المنعقد في سنة ٣٢٥، وترك كل فريق يعرض مقولته وهو يستمع لهم:

أ- قال المريميون: المسيح ومريم إلهان من دون الله.

ب- قال سبارينون وأشياعه: إن منزلة المسيح من الآب كشعلة نار تعلقت من شعلة نار فلم تنقص الأولى لإيقاد الثانية.

ج- قال البان وأشياعه: "إن مريم لم تحمل تسعة أشهر، وإنما مر نور في بطنها كما يمر الماء في الميزاب، لأن "كلمة الله" دخلت من أذنها، وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها".

د- قال البوليانيون: إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت، كواحد منا في جوهره، وأن ابتداء الابن من مريم، وأنه اصطُفِيَ ليكون مُخَلِّصا للجوهر الإنسي، صحبته النعمة الإلهية فحلت فيه بالمحبة والمشيئة، فلذلك سمي ابن الله، ويقولون: إن الله جوهر واحد، وأقنوم واحد يسمونه بثلاثة أسماء، ولا يؤمنون بالكلمة ولا بالروح القدس. وهي مقالة بولس الشمشاطي بطرك أنطاكية وأشياعه، ويسمونهم البوليانيون.

هـ- قال مرقيون وأشياعه: إن الآلهة ثلاثة، لم يزل صالح وطالح وعدل بينهما

و- مقالة بولس الرسول و ٣١٨ أسقفا: ربنا هو المسيح.

٣. القضاء على التوحيد:

"دارت مساجلات عدة أيام بين أريوس ويوسابيوس أسقف نيقوميدية وأتباعه من طرف، وإسكندر أسقف الإسكندرية ورفاقه من طرف، وظهر فريق ثالث بقيادة يوسابيوس

Upload by : altawhedmag.com

آخر القيصري أسقف قبرصية ومؤرخ الكنيسة، حاول الأخير أن يقدم حلا وسطا كان من الممكن أن يقبله أريوس، إلا أن الأسقف إسكندر لم يرض بهذا الحل، فتدخل الإمبراطور نفسه حسب كلام يوسابيوس المؤرخ واقترح إضافة جملة أن الابن [هوموأوسيوس]، أي من ذات جوهر الآب، فاعترض عليها أريوس، وبالتالي لجأ المجمع إلى اتخاذ أخطر قراراته وهو طرد الموحدين ولعنهم وحرمانهم من الكنيسة التي قررت ما يسمونه الأناثيما أي الحرم ونصه: "أما أولئك الذين يقولون أن المسيح في وقت من الأوقات لم يكن موجودا، وأنه قبل أن يولد لم يكن موجودا، وأنه جاء إلى الوجود من العدم، أو الذين يتمسكون بأن ابن الله من جوهر آخر، أو أنه مخلوق، أو أنه قابل للتغيير أو أنه خاضع للتغيير والتبديل - أولئك، تعلن الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية أنهم ملعونين محرومين"[١].

٤. قرارات مجمع نيقية:

استمع قسطنطين الملك إلى هذه المقولات وغيرها، وتعجب كل العجب من قدر التباين في اعتقاد أبناء العقيدة الواحدة، ثم أخلى داره وعقد مجلسا خاصا للأساقفة أتباع بولس، وكانوا ٣١٨ أسقفا وانحاز إلى رأيهم، ووضع سيفه في وسطهم، وسلطهم على مملكته؛ ليصنعوا ما بدا لهم حتى يستقيم الناس على رأيهم، فباركوا على الملك وقلدوه سيفه، وقالوا له: أظهر دين النصرانية وذُبَّ عنه[٢]. مختصرا وبتصرف.

وقد تمخض مجمع نيقية المنعقد في سنة ٣٢٥ ميلادية عن مجموعة من القرارات، أهمها ما يلي:

١. قرار بإثبات ألوهية المسيح وتقرير عقيدة التثليث.

٢. تكفير من يذهب إلى أن المسيح إنسان

٣. تكفير آريوس وحرمانه وطرده.

٤. إحراق جميع الكتب التي لا تقول بألوهية المسيح، وتحريم قراءتها، ومن هذه أناجيل

---

١ تاريخ الكنيسة لجون لوريمر

٢ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ٣: ٢٠ - ٢٤

Upload by : altawhedmag.com

فرق التوحيد التي تقرر بشرية المسيح، وأنه رسول فقط ومنها إنجيل برنابا.

وينص بيان مجمع نيقية على أن:"الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تَحْرِمُ كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجودا فيه، وأنه لم يوجد قبل أن يولد، وأنه وجد من لا شيء، أو من يقول إن الابن وجد من مادة أو جوهر غير جوهر الآب، وكل من يؤمن أنه خُلِقَ، أو من يقول إنه قابل للتغيير ويعتريه ظل دوران"[١].

ويعلق ديورانت في كتابه قصة الحضارة على دور الإمبراطور قسطنطين بقوله: "إن المسيحية كانت عنده وسيلة لا غاية، وهداه شيطانه الوثني أن يسخر المسيحية ورجال الدين لخدمة سياسته، فاستبقى من الأساقفة ٣١٨ فقط، وصرف أكثر من ١٧٠٠، واستطاع أن يشتري ضمائر من استبقاهم، فانتهى المجمع إلى القول بألوهية المسيح، والأمر بتحريق كل كتاب يخالف ذلك، ولم يستطع قسطنطين ومجمعه على القضاء على حدة التناقض بين المسيحيين".

١ ذكره صاحب كتاب تاريخ الأمة القبطية نقلا عن النصرانية والإسلام عالمية الإسلام ودوامه إلى قيام الساعة للمستشار الطهطاوي ٣٣

Upload by : altawhedmag.com

ملخص الباب الثالث

- في البدء كان التوحيد خالصا كما بلغ عيسى عليه السلام رسالة ربه، ورغم كل التحريف الذي حدث لمسار العقيدة المسيحية، بل وفي الأناجيل التي ينسبونها إلى الحواريين، إلا أنه وردت نصوص كثيرة في العهد الجديد تؤكد وحدانية الإله، كما يعترف القساوسة أن التوحيد ثابت في الكتاب المقدس من السفر الأول إلى السفر الأخير؛ كما وردت نصوص أخرى تقرر رسالة عيسى عليه السلام، وأنه نبي عظيم ورسول إلى بني إسرائيل، وأنه يصلي لربه ويطلب منه العون ويعتمد عليه تماما، كما لم يثبت أنه عليه السلام ادعى أن له طبيعة تسمو فوق طبيعة البشر.
- كان لظهور بولس في بداية المسيحية وعهود الاضطهاد دوره الخطير في تحويل مسار الدين، ولقد جاء تحوله المفاجئ من عدوها اللدود إلى المبعوث الخاص عن المسيح بعد حكاية رواها دون شاهد أو دليل على صدقها، بل وألبسته ثوب المتحدث عن يسوع، ليثير الشكوك في قصده من وراء ذلك، خاصة بعد أن أدخل في الدين فكرة الخطيئة والكفارة وابن الله المخلص، وزرع بذور الثالوث، فكتب تلميذه لوقا إنجيله معبرا عن فكر بولس، بعد أن مجد أستاذه المقدس بكتابة أعمال الرسل.
- كان لبرنابا الحواري دوره في إدخال شاءول إلى الحواريين، وكان تصديقه له سببا في تصديق الكثيرين له، ثم لما ظهر له حقيقة ما يدعو إليه من ترك الناموس والتحرر من كل ما عاش المسيح من أجله، تركه وانفض عنه، مما دفعه إلى كتابة إنجيله المعروف باسمه، وإن رفض الكنيسة لهذا الإنجيل بعد أن عاش بين المسيحين ثلاثة قرون، لم يكن بسبب انحرافه عن تعاليم عيسى، وإنما لانحرافه حسب رأيهم عن تعاليم شاءول ذلك اليهودي الذي اتخذ لنفسه اسم بولس، ونعته المسيحيون ببولس الرسول، كما أننا لم نعتمد في دراستنا على أي نص في إنجيل برنابا، فعندنا القرآن الكريم فيه البيان الحق، ولأن الكنيسة لا تعترف به حاليا، وكل ما رجعنا إليه هو مقدمة الإنجيل التى أوضح فيها برنابا السبب الذي دعاه للكتابة.

Upload by : altawhedmag.com

- إن الحقائق الثابتة تؤكد أن الإنجيل الذي يتضمن وحي السماء إلى عيسى عليه السلام غير موجود حاليا، وأن جيل الحواريين وتلاميذ المسيح لم يكتب حرفا واحدا مما سمعوه أو رأوه من عيسى عليه السلام، وأن أجيال التابعين حسب المصطلح الإسلامي هم الذين بادروا بالكتابة، ليس بصفتهم رسل الله، أو ناطقين عن الروح القدس وإنما باجتهاد شخصي محض، وأن عدد تلك المحاولات تجاوز ٣٠٠ إنجيل، ظلت الكنيسة تطارد هذه الأناجيل حتى قضت على ٩٩ ٪ منها وأبقت فقط على أربعة أناجيل.
- لا أحد يعرف مضمون تلك الأناجيل التي حجبتها الكنيسة، وحتى إنجيل الحق الذي ظهر في مخطوطات نجع حمادي تولى المتحف القبطي ترميمه وإعداده للنشر، ومن غير المتصور أن تظهر الكنيسة أي لفظ في هذا المخطوط النادر قد يقوض عقيدة النصارى رأسا على عقب، يكفي أن علماء الكنيسة يقرون أن عددا من الأناجيل المحجوبة يتضمن إقرارا غاية في الأهمية وهو أن المصلوب لم يكن عيسى وإنما سمعان، وهذا القول المدون بيد مسيحية قبل ظهور الإسلام بخمسة قرون ليحتاج إلى وقفة موضوعية عند النصارى.
- أن الأناجيل دونت بعد سبعين إلى مائة سنة من ميلاد المسيح وآخرها إنجيل يوحنا، وأن هناك تقارب واضح بين الأناجيل الثلاثة، ويشذ عنها إنجيل يوحنا، حيث أعطت نصوصه الضوء لكل من ساهم في انحراف الدين عما أراده الحق تبارك وتعالى.
- وأن عقيدة المسيحيين حاليا مرت بعدة أطوار معتمدة على إشارات وردت في إنجيل يوحنا فقط دون غيره من الأناجيل، وتدل الظروف التي كتب فيها إنجيل يوحنا أنه كتب خصيصا ليحقق انطلاقة للدعوة الجديدة في الإمبراطورية اليونانية التي تؤمن بتعدد الآلهة وتحترم الفلسفة وتتبنى آراء الوساطة والعقل الأول الذي يقوم بدور الوسيط بين الخالق والمخلوق.
- يشك عدد كبير من علماء المسيحية في نسبة إنجيل يوحنا إلى القديس يوحنا، ومنهم دوائر المعارف البريطانية والأمريكية وغيرها، وهم يؤكدون بشكل قاطع أن إنجيل يوحنا المتداول بين الناس الآن هو كتاب مزور.

Upload by : altawhedmag.com

- زاد من غربة الدين المسيحي بعد بروز دور بولس، أن تُرك للمجامع الكنسية ترسيخ عقيدة الثالوث، وكلما واجهت الرهبان والقساوسة قضية إيمانية، اجتمعوا لها، وقرروا من عند أنفسهم، وما يتبعون إلا الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئا، وشيئا فشيئا قضت المجامع على التوحيد الخالص.
- تأثر ثالوث النصارى بكثير من الديانات القديمة التي اعتنقت فكرة الثالوث، ثم تطورت فكرة الأقانيم على يدي عدد من فرق المسيحية، وقد أدى ظهورها إلى عقد العديد من المجامع الكنسية في قرون المسيحية الأولى، وبعد أن أصبح التوحيد البسيط قضية فلسفية معقدة، طالبوا أتباعهم بالاتباع الأعمى، لأن عقيدتهم لا تدركها العقول، فهي فوق مستوى الإدراك.
- اختلاف فرق المسيحية عبر التاريخ في العلاقة بين الآب والابن والروح القدس ومريم البتول، وقد بلغ اختلافهم مداه فكل ما قالوه تأويل لنصوص وآراء فلسفية واجتماعات ومجامع كنسية هي التي تختار من بين الآراء المطروحة وتلزم أتباعها بها، وتصادر الآراء الأخرى، وتمنع تداول الأناجيل التي تعتمد عليها، فالآب مرة هو الإله الأول، والابن يليه في الرتبة ثم الروح القدس، ومرة الآب والابن على نفس المرتبة، ومنهما ظهر الروح القدس،... وهكذا لا تنتهي احتمالات الأفكار والآراء ولا تتوقف الفرق التي تنادي بكل منها.

Upload by : altawhedmag.com

Upload by : altawhedmag.com

الباب الرابع

أركان عقيدة النصارى

١. الخطيئة والكفارة.

٢. عقيدة الثالوث.

٣. ألوهية المسيح الابن.

Upload by : altawhedmag.com

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الأول

الخطيئة والكفارة

الخطيئة والكفارة إحدى نقاط محددة، يمكنها تلخيص عقيدة المسيحية في ضرورة الإيمان، وهذه النقاط هي:

١. الخطيئة والكفارة.

٢. عقيدة الثالوث.

٣. ألوهية المسيح الابن.

تبدأ قصة صلب المسيح وفداءه للبشر وكفارته للخطيئة منذ خلق الله آدم وحواء، وأسكنهما الجنة وأمرهما بعدم الأكل من الشجرة، وحدث أثناء مرور الرب في الجنة كما ينص العهد القديم أن لاحظ أن آدم وحواء يغطيان عورتيهما بورق الشجر، فعلم سبحانه أنهما قد أكلا من الشجرة فلما استفسر منهما علم أنهما خالفا أمره بإيعاز من الحية، فغضب غضبا شديدا، ثم عاقب كل من اشترك في هذه الجريمة وهم: الحية وحواء وآدم بالعقاب التالي:

- فقال الرب للحية: لأنك فعلت هذا، ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين، وترابا تأكلين كل أيام حياتك ، وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها، هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه.
- وقال للمرأة: تكثيرا أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولادا، وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك.
- وقال لآدم: لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلا: لا تأكل منها، ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك، وشوكا وحسكا تنبت لك، وتأكل عشب الحقل بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها، لأنك تراب وإلى التراب تعود"[التكوين ٣: ١٤ - ١٩].

Upload by : altawhedmag.com

أولا: لعنة الأرض بخطيئة آدم.

يفهم من رواية سفر التكوين في العهد القديم أن الله تعالى قد لعن الأرض جميعا، قبل أن ينزل إليها آدم بسبب معصيته التي اقترفها في الجنة، وليست هذه اللعنة تهديدا أو من باب الترهيب من عظم مخالفة أمر الله، ولكنها في اعتقاد اليهود والمسيحيين لعنة حقيقة غضب الله بموجبها على عموم بني آدم، واستحقوا جميعا النار وهم في أصلاب آدم لم يخلقوا بعد، والمشكلة التي تواجه الفكر المسيحي أن الله لا يستطيع ولا يسمح بالعفو أو المغفرة لآدم حتى يعيش بنوه حياة لا يسبقها الحكم بالعذاب في النار ليس لأعمالهم وإنما لذنب ارتكبه أبوهم آدم، كما أن الله لم يجد وسيلة تكفر عن الأجيال المتعاقبة نصيبهم من وزر الخطيئة التي لا تغتفر. واستمر الموقف على جموده، فلا الرب يغفر وأعيت الناس الحيلة، والناس يولدون ويعملون الطيبات أو المعاصي والآثام ولا فرق بينهم فهم جميعا في النار، ولا مخرج من هذه الورطة الكبرى، فما العمل؟

ثانيا: كيف كان المخرج؟

الحل يقدمه لنا العهد الجديد حيث يقرر شيئا جديدا حقا حين يقول: "إن ابن الإنسان قد جاء ليخلص ما قد هلك، فبمحبته ورحمته قد صنع طريقا للخلاص، لهذا كان المسيح هو الذي يكفر عن خطايا العالم، وهو الوسيط الذي وفق بين محبة الله تعالى وبين عدله ورحمته، إذ أن مقتضى العدل أن الناس كانوا يستمرون في الابتعاد عن الله بسبب ما اقترف أبوهم، ولكن باقتران العدل والرحمة وبتوسط الابن الوحيد وقبوله للتكفير عن خطايا الخلق، قرب الناس من ربهم بعد الابتعاد"[1].

ويقول القس إبراهيم لوقا: "إن المسيحية تعلم أن الله - لكي يجمع بين عدله ورحمته في تصرفه مع الإنسان عقب سقوطه - دبر طريقة فدائه بتجسيد ابنه الحبيب وموته على الصليب نيابة عنا، وبهذا أخذ العدل حقه، واكتملت الرحمة فنال البشر العفو والغفران وهذه هي نظرية

١ إنجيل مرقس ١٠: ٤٤ وما بعدها، ويوحنا ٣: ١٦ ورسالة رومية ٣:٢٣ وما بعدها و٥: ١٠، ٦

Upload by : altawhedmag.com

الفداء"[١]. ويقول كاتب مسيحي آخر: "إن خطيئة آدم عصيان ضد الله وشرود عن الصلة به، ومعصية ضد قداسته تعالى، وأعلن لنا يسوع، وهو على الصليب أن الله قد تنازل ليجدد الصلة التي قطعت خطيتنا أواصرها ويتخطى الشقة التي أحدثها بيننا وبينه اعوجاجنا وزيغنا"[٢].

ويعيد الأب بولس الخوري الحق إلى نصابه حينما يقرر أن بولس هو مبتدع هذه الفكرة فيقول: "ومما لا ريب فيه أن الفكرة الأساسية التي ملكت على بولس مشاعره فعبر عنها في رسائله بأساليب مختلفة هي فكرة رفق الله بالبشر، وهذا الرفق بهم هو ما حمله على إقالتهم من عثارهم، فأرسل إليهم ابنه الوحيد ليفتديهم على الصليب، وينقل بهم من عهد الناموس الموسوي إلى عهد النعمة، وهذه الفكرة عينها هي التي هيمنت على إنجيل لوقا"[٣].

١. الكفارة: لا بد من إراقة الدماء هكذا قال بولس في رسالته للعبرانيين: "وكل شيء تقريبا يتطهر بالدم، كما قضى الناموس وبدون سفك الدماء لن تكون هناك مغفرة"[٤].

٢. الفداء بالدم الزكي: والكفارة ينبغي أن تكون من دماء زكية طاهرة لم تتنجس بالمعصية، لما كانت المعصية الأولى للإنسان موجهة ضد الله، فهي غير محدودة بحدود، ومن ثم تتطلب مغفرة لا حدود لها، وبالتالي ليس أمام الآب إلا أن يسمح للابن الحبيب يسوع أن يخلص العالم من هذه الخطية، ويخرج الناس من هذه الورطة، وكان لا بد أن يتنزل الإله الابن بنفسه في صورة بشرية، ويحيا بين الناس ثم يصلب ويراق دمه، حتى يذوق الموت والقبر، ثم يبعث ويصعد إلى جوار الآب بعد أن رفع خطية جميع بني آدم منذ آدم إلى وقت فداءه، كما يرفع خطية من يأتي بعده من الناس بحيث من يؤمن بهذه القصة ويعترف أن المسيح افتداه من حظه في خطيئة آدم دخل ملكوت

---

١ نقلا عن المسيحية للدكتور أحمد شلبي ١٣٧

٢ أديان العالم الكبرى ص ١١١، نقلا عن المسيحية للدكتور أحمد شلبي ١٣٨

٣ يسوع المسيح ص ٢٨، ٩٢، ٩٣، نقلا عن المسيحية للدكتور أحمد شلبي

٤ رسالة بولس للعبرانيين ٩: ٢٢

Upload by : altawhedmag.com

الآب، ومن رفض فقد استحق العقاب والحرمان من مجد الرب وملكوت الإله، ويؤكد هذا المعنى رسالة بولس إلى أهل روما والتي قال فيها: "وكما أدين الناس جميعا نتيجة خطيئة واحد [آدم]، فإن الناس جميعا ترفع عنهم الخطيئة ويجدون مبررا للحياة نتيجة عدل واحد فقط [المسيح]، ذلك لأنه كان من نتيجة معصية رجل واحد [آدم] أن أدين الناس بالخطيئة ونتيجة إطاعة واحد [المسيح]، أن حل العدل بالناس[١].

وجاء في رسالة بطرس: "واعلموا أنكم قد افتديتم لا بأشياء فانية كالفضة والذهب من أحاديثكم الباطلة التي توارثتموها عن آبائكم، ولكنكم قد افتديتم بدم كريم دم المسيح فغدوتم كالحمل أنقياء طاهرين"[٢].

يعتقد المسيحيون أن عدالة الله تقتضي أن يدفع الإنسان ثمن المعصية الأولى التي أتاها آدم والمعاصي الأخرى التي يقترفها في حياته، وأن الله لن يعفو عن الخاطئ أو العاصي دون أن يذوق العقاب أولا، وإلا كان في ذلك رفض لعدالته سبحانه، ويقول القسيس الفيلسوف جولدساك: "يجب أن يكون واضحا كنور النهار لكل فرد، أن الله لا يمكن أن يحيد عن شريعته وقانونه، لن يغفر الله لصاحب المعصية معصيته دون أن ينزل به عقابا، فإن فعل ذلك فلن يسمى بالعادل"[٣].

وهذا القس أوغسطين يقرر فهما إضافيا لهذا المفهوم يقول فيه: "إن جميع الأطفال الذين لم يتعمدوا بماء القدس سوف يحشرون في النار حشرا وإلى أبد الآبدين، بل ذهب الأمر بالبعض حتى عهد قريب إلى تحريم دفن من يموت من الأطفال دون تعميد في مقابر المسيحيين، لأنهم يعتقدون أنهم يحملون المعصية الأولى"[٤]. ويقرر دي جروت في كتابه تعاليم المسيحية عقيدة الكفارة بقوله: "كان المسيح الإله والإنسان قد حمل عنا معاصينا بصلبه على الصليب، مكفرا

١ رسالة بولس لأهل روما ٥: ١٨

٢ رسالة بطرس ١: ١٨ – ١٩

٣ الكفارة للقس جولدساك ص ٥، نقلا عن الأناجيل دراسة مقارنة لأحمد طاهر ١٢١

٤ الأناجيل دراسة مقارنة لأحمد طاهر ١٢١

Upload by : altawhedmag.com

عن ذنوبنا وخطايانا ومهدئا لغضب الله وثورته، وهكذا كان وسيطا بين الله وبين الإنسان"[١].

١ تعاليم المسيحية دي جروت ص ١٦٢

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الثاني

عقيدة الثالوث

ولا يخفى أن عقيدة التوحيد قد تحولت مع الوقت إلى عقيدة الثالوث، فالأناجيل الأربعة التي تعترف بها الكنيسة والتي كتبت بين سنة ٧٠ و ١١٥ سنة بعد ميلاد المسيح لم تشر إطلاقا في نصها الأول إلى التثليث حتى بولس الذي استعار الكثير من الأفكار الوثنية، وأدخلها في المسيحية لم يقل شيئا عن قداسة الثالوث"[١]، فمتى صاغ المسيحيون عقيدة الثالوث؟ هذا ما نبحث عن إجابته عند علماء ومفكرين مسيحيين، فنراهم يقولون:

- دائرة المعارف الكاثوليكية الجديدة التي تعترف أن التثليث لم يكن معروفا في العهد المسيحي الأول، وأنه أقحم في المسيحية في الربع الأخير من القرن الرابع الميلادي: "من الصعب ونحن في النصف الثاني من القرن العشرين أن نقدم تفسيرا واضحا إيجابيا لا لف فيه ولا دوران عن الوحي، وعن تطور النظرية، وتفسير لغز التثليث في العهد الجديد، خاصة وأن المدافعين عن التثليث في مناقشاتهم، يقدمون كما يقدم الكاثوليك الرومان وغيرهم صورة مهزوزة، فقد حدث شيئان أولهما: نادى المتضلعون في علم اللاهوت ورجال الدين المسيحي مع أعداد متزايدة من الرومان الكاثوليك، بأنه ممنوع على الفرد أن يتحدث عن التثليث في العهد الجديد، دون أن يكون مؤهلا لذلك، ويسير مع هؤلاء وعلى قدم المساواة المؤرخون للدين المسيحي والمذاهب الدينية المنبثقة عنه، فكل من يتكلم في التثليث دون أن يكون مؤهلا لذلك إنما ينتقل إلى أحداث الربع الأخير من القرن الرابع، ففي هذا الوقت فقط أدخل ما يسمى بالتثليث [إله واحد في ثلاثة أشخاص]، إلى المسيحية فكرا وحياة"[٢].

---

١ الأناجيل دراسة مقارنة لأحمد طاهر ١١٣

٢ دائرة المعارف الكاثوليكية الجديدة طبعة ١٩٦٧ المجلد الرابع عشر صفحة ٢٩٥

Upload by : altawhedmag.com

- وتستطرد دائرة المعارف قائلة: "لم تستقر نظرية التثليث [إله واحد في ثلاثة أشخاص] استقرارا قويا في حياة المسيحية وفي العقيدة قبل نهاية القرن الرابع الميلادي"[١].
- المؤرخ الشهير هـ. ج. ويلز أشهر أدباء إنجلترا الذي يستنكر في كتابه "الله الملك الخفي" كل مبادئ الكفارة والفداء، ويرى أنها موضوعة ولا سند لها من الأناجيل، ويقرر أنه من العسير أن تجد كلمة تنسب فعلا إلى المسيح فسر فيها هذه المبادئ أو حض فيها أتباعه على تقديم القرابين أو اصطناع عشاء رباني"[٢] ويقول أيضا: "من الكفر ومن السخف أن يعتقد الإنسان بنظرية الثالوث، وبما أحاط بالمسيح وأمه من خرافات أصبحت راسخة في الدين المسيحي، على أن المسيح لم يذكر شيئا من هذا، ولم يأتنا بهذه النظريات إلا إسكندر فيلون اليهودي وأتباعه، الذين جعلوا يفسرون أقوال المسيح بعد ثلاث مائة سنة من تاريخ وفاته،.... ولم يأت المسيح ولا بحرف واحد من هذه الكفريات المعقدة التي أصبحت فيما بعد أساس الدين المسيحي، وقيدت عقول الغربيين بسلاسل من تلك الاعتقادات والطقوس،.... ولم يدع عيسى ولم يفكر أبدا بنظرية الثالوث، ولم يصرح بالخلاص ولا الفداء،.... ولقد ازدادت الكفريات في الدين المسيحي منذ دخول بولس الرسول فيه، حتى أنها أخفت الدين المسيحي الحقيقي عن عالم المسيحي، وأضاعت علينا تعاليمه الحقيقية والأعمال التي قام بها المسيح دون زيادة أو نقصان أو مبالغة، ولقد حللنا نظريات المسيحية، ولا أرى ضرورة لإضاعة الوقت في ذكر الاعتقادات التي يعتقدها المسيحيون". ويختم تصريحاته بقوله: " ولا يمكن قطعيا لمن يريد البحث عن الله حقيقة، والإيمان به أن يعتقد بالثالوث، مهما كان وأيا كان

١ دائرة المعارف الكاثوليكية الجديدة طبعة ١٩٦٧ المجلد الرابع عشر صفحة

٢ قاله الأستاذ لن في العصور المتأخرة ونقله عنه صاحب كاتلك في ٧: ٢٠٥

Upload by : altawhedmag.com

مصدره، وأنا لا أدري فرقا بين هذا الاعتقاد وبين عبادة الآلهة ذوات الرءوس الثلاثة أو السبعة التي يعبدها الهنود"[١].

- الدكتور راشدال كارليل الذي يقول في خطبته بمؤتمر الأساقفة والقسيسين في أكسفورد سنة ١٩٢١: "إن قراءة الكتاب المقدس أظهرت له أن عيسى ليس بإله، ولم تسمح له تلك القراءة باتخاذ عيسى إلها، لأن عيسى كان رجلا بكل معنى الكلمة لا إلها،... ولم يدع المسيح الألوهية ولم يناد بها ربما كان قد سمح لنفسه أن يسمى مسيحا، إلا أنه لا يوجد في أي قول مثبت ما يدل على أن علاقته بالله تختلف عن علاقة أي بشر آخر بالله"[٢].
- تولستوي الفيلسوف الروسي يقول في كتابه "الإنجيل الصحيح": "لا يخفى أن جميع ما تعطيه الكنيسة من التعليمات الخاصة بابن الله، والله، وكونه ثلاثة أقانيم، ثم الخاصة بالخبز والخمر الذين يستحيلان فعلا إلى جسد ودم الله، ويتناولها المسيحيون على هذا الاعتقاد، كله غير معقول والذي هو خرافة! وفي الختام يقول: وبناء على ما تقدم فإني أنبذ كتب العهد القديم، والكتب المقدسة التي حصرتها الكنيسة في سبعة وعشرين كتابا"[٣].

لقد تأثرت المسيحية كثيرا بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة، أو لعلها ارتدت - كما أشرنا من قبل - ثياب الفلسفة حتى تقتحم الإمبراطورية الرومانية بأفكارها الفلسفية، لقد بلغ هذا الأثر مداه حين تحولت إلى ما نراه اليوم من التوحيد إلى التثليث.

أولا: الثالوث عقيدة قديمة.

"وقد لاحظ العلامة جارسلاف كربتي وجود تماثل وتطابق بين الثالوث المسيحي والفرعوني، الأمر الذي دعاه إلى التقرير بأن الثالوث المسيحي مأخوذ من الثالوث الفرعوني،

١ الإسلام الدين الفطري الأبدي لأبي النصر مبشر الطرازي كبير علماء تركستان

٢ الإسلام الدين الفطري الأبدي لأبي النصر مبشر الطرازي كبير علماء تركستان

٣ الإسلام الدين الفطري الأبدي لأبي النصر مبشر الطرازي كبير علماء تركستان ص ٧١

Upload by : altawhedmag.com

ويلاحظ جوستاف لوبون تشابها واضحا بين الديانة البوذية وبين المسيحية"[1]، كما تطورت عقيدة المسيحية التي أفرزتها المجامع المسكونية المنعقدة في السنوات ٣٢٥، ٣٨١، ٤٣١، ٤٤٩، ٤٥١ حتى وصلت إلى شكلها الحالي، وهي أن "عقيدة النصارى التي لا تختلف حولها الكنائس، وهي أصل الدستور الذي بينه المجمع النيقاوي، وهي الإيمان:-

١. بإله واحد: أب واحد ضابط الكل خالق السماء والأرض كل ما يرى وما لا يرى.

٢. وبرب واحد: يسوع الابن الوحيد المولود من الآب قبل الدهور من نور الله، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للأب في الجوهر، الذي به كان كل شيء والذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خطايانا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء تأنس، تأنّس: أي صار إنسانا واتخذ صورة بشرية وصلب عنا على عهد بيلاطس، وتألم وقبر، وقام من الأموات في اليوم الثالث على ما في الكتب، وصعد إلى السماء وجلس على يمين الرب، وسيأتي بمجد، ليدين الأحياء والأموات، ولا فناء لملكه.

٣. وبالروح القدس: الرب المحيي المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب يسجد له، ويمجد الناطق بالأنبياء".

وتقوم هذه العقيدة على العناصر التالية:-

- التثليث والإيمان بثلاثة أقانيم.
- صلب المسيح فداء عن الخليقة وقيامه من قبره، ورفعه.
- المسيح يدين الأحياء والأموات.

وقبل أن نسترسل في بيان عقيدة الثالوث نوضح أن الكنيسة تعترف أن نظرية التثليث هي سر كهنوتي يجب أن يؤمن به الإنسان إيمانا أعمى دون أن يناقشه، وهذا ما يقرره القس

---

١ ديانة قدماء المصريين للعلامة جارسلاف كرينتي أستاذ اللغويات بجامعة أكسفورد بانجلترا، نقلا عن النصرانية والإسلام للمستشار محمد عزت الطهطاوي ص ٩٠

Upload by : altawhedmag.com

جروت في كتابه تعاليم الكاثوليكية، حيث يقول: "إن الثالوث الأقدس، هو لغز بمعنى الكلمة، والعقل لا يستطيع أن يهضم وجود إله مثلث، ولكن هذا ما علمنا إياه الوحي! وحتى بعد وجود هذا اللغز الذي كشف عنه الوحي لنا، فلا يزال من المستحيل على عقل الإنسان أن يعي كيف يجتمع ثلاثة أشخاص في طبيعة إلهية واحدة"[١].

كما يقول القس توفيق جيد: "إن الثالوث سر يصعب فهمه وإدراكه، وإن من يحاول إدراك سر الثالوث تمام الإدراك كمن يحاول وضع مياه المحيط كلها في كفه"[١].

ويقول القمص باسيليوس إسحاق: "أجل إن هذا التعليم عن الثالوث فوق إدراكنا، ولكن عدم إدراكه لا يبطله". الحق للقمص باسيليوس إسحاق، وللأستاذ/ عوض سمعان إضافة أخرى، حيث يقول: "إننا لا ننكر أن التثليث يفوق العقل والإدراك، ولقد حاول كثيرون من رجال الفلسفة توضيح إعلانات الكتاب المقدس عن ذات الله، أو بالحري عن ثالوث وحدانيته فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلا، لأنهم انحرفوا عن أقواله واعتمدوا على عقولهم وحدها"[٢].

يرى كثير من علماء المسيحية أنهم لم يبتدعوا عقيدة الثالوث من عند أنفسهم وإنما هي عقيدة معروفة قبل المسيحية، ويقول حبيب سعيد ما يلي: "عقيدة الثالوث منتشرة في أهم الأديان الوثنية قديما وحديثا، ففي ديانة:

١. الفينيقيين: نرى أنه كان لكل عاصمة من عواصمهم ولكل مستعمرة ثالوث، وقد وجد المنقبون في جبيل ثالوثا هو ايل وتموز وعولم أي القدير، والسيد، والأزلي.

٢. وثالوث المصريين: أوزوريس، وإيزيس، وهورس.

٣. وثالوث الهنود: بوذا، وبرهما، وفيشنا.

---

١ سر الأزل للقس توفيق جيد

٢ الله ذاته ونوع وحدانيته لعوض سمعان

Upload by : altawhedmag.com

٤. وثالوث الصينيين: يعبرون عنه بمثلث متساوي الأضلاع والزوايا"[١].

وجدير بالذكر أن الفلسفة الأفلاطونية الحديثة التي واكبت المسيحية كان لها أثرها الكبير في تطور عقيدة التثليث، فقد اعتنق شيخ هذه المدرسة أمينوس المتوفى سنة ٢٤٢ الديانة المسيحية ثم ارتد عنها إلى وثنية اليونان الأقدمين، ثم جاء من بعده أفلوطين المتوفى سنة ٢٧٠ وقد تعلم في مدرسة الإسكندرية، ثم رحل إلى فارس والهند واطلع على تعليم بوذا ومبادئ صوفية الهند، ثم عاد إلى الإسكندرية، فبدأ يعلم الناس آراءه التي تتلخص في أن إنشاء الكون مر بثلاثة أطوار هي:

١. صدر الكون عن منشئ أزلي لا تدركه الأبصار، ولا تحده الأفكار، ولا تصل إلى معرفة كنهه الأفهام، له الكمال المطلق والبراءة من التغيير، يفيض على الأشياء بنعمة الوجود، صدر عنه وسيطان دونه في الكمال.

٢. العقل: وهو أول صادر عن المنشئ الأزلي، وهو المتولد عنه كما يتولد الولد عن أبيه، وللعقل قوة الإنتاج، إلا أنه ليس كمن تولد عنه.

٣. الروح الإلهية: وهي الوسيط الثاني المنبثق أيضا عن العقل، وإن هذه الروح منها الحياة ومنها انبثقت الأرواح، فهي تمثل وحدة الأرواح التي تتصل بالمنشئ الأول بواسطة العقل.

وإن العالم في تدبيره وتكوينه خاضع لهذه الثلاثة وتحت سلطانها، وإن كانت هذه الأقانيم غير متساوية في الجوهر والرتبة[٢]، ولا يخفى أن أفلاطون كان يعتمد على السرية التامة في إظهار أفكاره الحقيقية، وكان عندما يتحدث عن الإلهيات يصوغ فكرة واحدة بعبارات مختلفة وذات دلالات متباينة أحيانا، وأحيانا متناقضة، ويذكر أنه من المستحيل كشف الحقائق لكل الناس، لأن النور الذي يفيض من هذه الحقيقة يبهر أعين العامة،

١ تاريخ الأديان حبيب سعيد ص ٦٦، ٦٧ تحت عنوان عقيدة الثالوث في غير المسيحية.

٢ محاضرات في النصرانية للشيخ أبو زهرة ص ٣٦، ٤٠ عن المستشرق المعروف ليون جوتيه في مقدمة كتابه المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية المطبوع في باريس سنة ١٩٢٣

Upload by : altawhedmag.com

والظاهر أن أفلاطون كان يقتدي بكهنة مصر، ومن سبقه من الفلاسفة، باتخاذه تعليمين: سريا وجهريا، فالأول كان للداخلين في مذهبه، وكان يعلمهم إياه شفاهة لا كتابة، ولا يكتم عنهم شيئا، والثاني للعامة كان يعلمهم إياه كتابة"[١].

ثانيا: الاختلاف في طبيعة أقانيم الثالوث.

استمر اختلاف النصارى حول طبيعة الأقانيم الثلاثة وما زال مستمرا، وكلما تصاعدت حدة الصراع لجئوا إلى اجتماع عام يتمخض عن قرارات توجه العقيدة وتغير فيها، ومن الجدير بالذكر أن عدد هذه المجامع التي عقدت منذ قرون المسيحية الأولى، وحتى سنة ١٨٦٩ زادت على عشرين مجمعا، ويزداد الاختلاف تعقيدا عندما يشرع فلاسفة المسيحية في الحديث عن الأقانيم ويختلفون اختلافا شديدا في شرح فكرة الأقانيم الثلاثة، فتراهم يقولون:

١. وحدة في الجوهر.

يقول القس صموئيل مشرقي: "إن عدم فهم معنى التثليث هو الذي يجعل غير الفاهم يعتبره مناقضا للتوحيد، والحقيقة غير ذلك، لأن التوحيد هو الأساس الجوهري الذي ترجع إليه عقيدة التثليث، والمسيحيون لا يؤمنون بثلاثة آلهة، وكذلك فهموا معنى التثليث بأنه ليس ثلاثة وحدات أو ثلاثة آحاد! فالعقيدة الجوهرية العظمى التي تعلمناها عن الله في الكتاب المقدس من السفر الأول حتى السفر الأخير هي أنه تعالى واحد، وليس ذلك فحسب بل إنه الإله الوحيد، ولكن كنه هذا الإله الواحد لا يقدر أحد أن يدركه أو أن يفهمه بأكمله لأنه كائن في ثلاثة أقانيم موحدون لأننا نوحد الجوهر الإلهي. وليس التثليث بمستحيل ولا هو مضاد للعقل، لأننا لا نقول إن الله ثلاثة جواهر بل ثلاثة أقانيم في جوهر واحد هو سر وحدة الأقانيم، ومن ثم فإننا ونحن نثلث الأقانيم موحدون لأننا نوحد الجوهر الإلهي!!

---

١ دائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني ٤: ٦٥، ٦٦ الحركات الباطنية د. الخطيب ٤٧

Upload by : altawhedmag.com

نعم، إن هذه الحقيقة تفوق الإدراك، ولكن أي احترام وتقدير نقدمه لإله بلغ من البساطة بحيث يستطيع العقل البشري أن يفهمه ويستوعبه تماما!؟ لذلك ليس

في إمكاننا أن نفهم الوحدانية والثالوث بل أن نعبد الله في وحدانية ثالوثه، وثالوث وحدانيته!!"[١].

حيث إن الجوهر واحد لكل أقنوم، صح أن يقال بأن كل أقنوم هو الله، مع صحة عدم وجود ثلاثة آلهة، وأيضا أنهم معًا هم الله، لأنهم في اتحاد تام، وأيضا لا يمكن أن يوجد أقنوم منهم بمفرده مستقلا عن الأقنومين الآخرين.

ويقرر اثناسيوس عقيدة الكاثوليك بقوله:

- إن للآب أقنوما متميزا، وللابن أقنوما متميزا، وللروح أقنوما متميزا كذلك، ولكن الآب والابن والروح القدس لاهوت واحد، ومجد متساوٍ، وجلال أبدي معا:
- الآب غير مخلوق، والابن غير مخلوق، والروح القدس غير مخلوق، ولكنهم ليسوا ثلاثة غير مخلوقين، ولكنهم واحد غير مخلوق.
- الآب غير محدود، والابن غير محدود، والروح القدس غير محدود، ولكنهم ليسوا ثلاثة غير محدودين، ولكنهم واحد غير محدود.
- الآب سرمد، والابن سرمد، والروح القدس سرمد، ولكنهم ليسوا ثلاثة سرمديين، بل سرمد واحد.
- الآب إله، والابن إله، والروح القدس إله، ولكنهم ليسوا ثلاثة آلهة، وإنما إله واحد.

لاحظ كيف يقر القس أن الأناجيل كلها تدل على التوحيد، وأن عقيدة التثليث فوق مستوى العقل وإدراكه، وكيف أن بساطة التوحيد أيضا تجعل الإله لا يلقى عنده أي احترام

١ الإلهيات للقس صموئيل مشرقي

Upload by : altawhedmag.com

أو تقدير، وأن تعقيد العقيدة وتناقضها الواضح واصطدامها مع الفطرة والعقل والنصوص الإلهية هو السبيل إلى الإيمان بالتثليث.

- الآب رب، والابن رب، والروح القدس رب، ولكنهم ليسوا ثلاثة أرباب، ولكنهم رب واحد. ويلخص أثناسيوس عقيدته بقوله: "ونحن مضطرون بوصفنا مسيحيين أن نعترف بكل شخص على حدة كإله، ويحرم علينا ديننا الكاثوليكي أن نقول أن هناك ثلاثة آلهة أو ثلاث أرباب".
- ويقول إكليمنصنس: "ليس كل أقنوم هو عين الآخر، ومع ذلك فإن الأقانيم ليسوا ثلاث ذوات، بل هم ذات واحدة لأن جوهرهم واحد".
- ويقول غرغوريوس: "الآب والابن والروح القدس جوهر واحد، ولكن ليس كل أقنوم منهم هو عين الآخر، وليس الله شيئا رابعا بل هو ذاته الآب والابن والروح القدس، فكل من الأقانيم الثلاثة أزلي أبدي واجب الوجود، وغير قابل للانقسام أو التجزئة أو الانفصال عن الآخر، وذلك بدون مزج أو تركيب أو تجريد[1].
- إن كل أقنوم في تميزه عن غيره من الأقانيم، لا ينفرد بقول أو عمل لوحدانية الجوهر في العمل".
- لا يمكن لأي أقنوم منهم أن يكون منفصلا في ذلك الجوهر الفريد، لأن كلا منهم إنما يوجد متحدا ومرتبطا وكائنا بالآخر".
- إن التميز بين الأقانيم لا يدل على تفرد أو استقلال إذ لا انفصال بين أقنوم وآخر بأية حال من الأحوال، ولذلك فإنهم متوحدون في الإرادة والقوة والفعل بلا فرقة بينهم في شيء من ذلك على الإطلاق".

١ الإلهيات للقس صموئيل مشرقي ١٣٩

Upload by : altawhedmag.com

- إن أعمالهم الإلهية مشتركة فما يقوم به أقنوم منها من عمل لا يكون بغير الأقنومين الآخرين، فإذا أراد أقنوم قولا ما فليس معنى ذلك إخراج الأقنومين الآخرين، إذ لا انفكاك للأب عن الابن والروح القدس".
- وترى الكنيسة الكاثوليكية التابعة للفاتيكان في روما أن الروح القدس نشأ عن الآب والابن معا، وتعتقد المساواة الكاملة بين الإله الآب والإله الابن، وتقول أيضا إن للمسيح طبيعتين ومشيئتين.
- بينما تعتقد الكنيسة المصرية الأرثوذكسية "أن أقنوم الابن تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، فصير هذا الجسد معه واحدا: وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة بريئة من الانفصال، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين، ومشيئة واحدة".

٢. الأقانيم الثلاثة لأشخاص ثلاثة.

يدافع القس مشرقي عن عقيدته أمام فكرة استقلال كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة، بقوله: "وتصور بعضهم الأقانيم الثلاثة في حالة استقلال كوجود ثلاثة أشخاص مع بعضهم في مكان واحد، لاجئين للفظة "مع" واضعين إياها موضع لفظة "عند" محاولين بذلك الفرار من وجه الصدورات، ولهم في هذا التصوير أقوال تدل عليه - ثم يورد الأقوال التالية:

- إن الثلاثة أقانيم مستقلة، كل منها قائم بذاته لكونه أقنوما مستقلا"[١].
- إن كل أقنوم منفرد عن الآخر"[٢].
- إن كل أقنوم كائن قائم بذاته مستقل، وإن الأقانيم متساوية في الاستقلال، وواجبة الوجود والاستقلال الذاتي"[٣].

١ كتاب براهين صدق الديانة المسيحية

٢ كتاب شمس البر الأرثوذكسي

٣ كتاب تثليث الأقانيم الإلهية

Upload by : altawhedmag.com

- المسيح مستقل في كيانه مع الله، وذو شخصية مستقلة، وإن له أقنوما مستقلا عن الله من غير انفصال".[١]دليل على أن للمسيح ذاتا منفصلة ومتباعدة: "مجدني عند ذاتك"، وقد ورد في شرح بشارة يوحنا على لسان الابن: "لأنني بأخذي ذاتي منه في ميلادي الأزلي قد أخذت كمال القداسة" وهذا قول صريح بالتجزئة.

ويؤكد القس مشرقي على فساد هذا الاعتقاد بقوله: "وهذه كلها تعبيرات غير صحيحة فمن المؤكد أن عبارة "التمييز الأقنومي" أصح من لفظة "الاستقلال"، حتى لو قيل معها إنه من غير انفصال، لأن التناقض في ذلك واضح، إذ لا يوجد استقلال بدون انفصال!!، بيد أن هذه اللفظة "عند" قد وردت بمعنى الوجود المرتبط وليس المنفصل[٢].

٣. الأقانيم الثلاثة مظاهر لإله واحد.

يرى مسيحيو الشرق الأرثوذكس: "أن الله كآب خلق جميع الأشياء، وهو بعينه يقال له الابن حين تجسده من العذراء، وهو بعينه الروح القدس باعتبار تقديسه الخليقة الناطقة وتحريكه إياها إلى الحياة، وهذه أقوال علمائهم:

- الثلاثة أقانيم هي ثلاثة مظاهر"[٣].
- إن الله رأى إظهار ذاته بثلاثة أشكال". كتاب الله في المسيحية
- الأقانيم مظاهر متنوعة لله". كتاب رب المجد الإنجيلي

فالإله هو الآب قبل التجسد، والابن بعد التجسد، والروح القدس هو الاسم الذي كان له قبل إنشاء العالم، ولذلك يصر الأرثوذكس على أن الروح القدس نشأ عن الإله الآب فقط، كما رأت أفضلية الإله الآب عن الإله الابن، وتصر أيضا على أن المسيح له طبيعة واحدة ومشيئة واحدة. ويعتذر كثير من علماء المسيحية عن تعقيد مفاهيم الأقانيم بقولهم:

---

١ كتاب شرح بشارة يوحنا جاء في بشارة يوحنا

٢ الإلهيات للقس صموئيل مشرقي ١٥٤

٣ كتاب شمس البر الأرثوكسي

Upload by : altawhedmag.com

• إن الله ذو جوهر واحد، جل عن الوصف فليس كمثله في وحدانيته المثلثة الأقانيم،... وإن أدق معاني التوحيد عند المسيحية، تتركز في السر العظيم، الذي تحتويه الوحدانية، ولا يحيط به إدراك الخلائق قاطبة، إذ من المحتم وجود هذا السر فيها، بل هو سر الأسرار الذي انفردت به المسيحية، وهو وحدانية الأقانيم في الجوهر، وبالطبع ليس بغريب أن تكون وحدانيته تعالى سرا من الأسرار الفائقة، ومعلوم أن الإلهيات كلها أسرار بل إن الأسرار التي حولنا لا حصر لها"[١].

• "فإن قال المعترض كيف يكون الله جمعا وواحدا في آن واحد؟ قلنا: بأن هذا أمر لا يفحص كشيء واقع تحت قياس الحس، لأن الله روح والفحص لا يكون إلا على ما هو مادي، وهو أيضا غير محدود وغير مدرك، فلا يمكن البحث فيه بالعقل المحدود، فهذا أمر يسمو عن العقول والتصورات"[٢].

• ويقول هارتزلر الذي يعد أحد قادة الفكر المسيحي حديثا: "إننا قد لا نستطيع أن نوضح كيف يكون الثلاثة في واحد، وكيف يحوز كل من الثلاثة الكمال المطلق مع أنه متميز عن الاثنين الآخرين، ولكن هذا الذي نحاول الإحاطة به وتوضيحه هو سر اللاهوت الفائق المعرفة"[٣].

• ويحاول مكس ميشيل تبسيط عقيدة النصارى في كتابه: "لماذا ولد المسيح؟" فيقول: "لينير كل إنسان، المسيح جاء إلى عالمنا بهدف محدد، وهو أن ينير كل واحد فينا، بنوره العظيم، فهو نور أشرق من النور ليفيض بالنور على جميع الجالسين في الظلمة وظلال الموت، المسيح هو تجسد هذا النور، فيه حل النور، ونحن من ملئه جميعا أخذنا"[٤].

---

١ الإلهيات للقس صموئيل مشرقي ٧٥

٢ الإلهيات للقس صموئيل مشرقي ٧٧

٣ نقلا عن الإلهيات للقس صموئيل مشرقي ١٤٥

٤ لماذا ولد المسيح ؟ مكس ميشيل ٣٧

Upload by : altawhedmag.com

• ويحاول القس إبراهيم في كتابه التثليث والتوحيد تفسير علاقة الأقانيم الثلاثة بعضهم البعض شارحا قولهم: الآب والابن والروح القدس إله واحد، فيقول: إن الذات والد النطق، فيقال له الآب، والنطق مولود من الآب، فيقال له الابن، والحياة منبثقة من الذات، فيقال لها الروح القدس، فالله الآب قائم بذاته، ناطق بخاصية الابن الذي هو النطق، حي بخاصية الحياة التي هي الروح القدس، والله الابن قائم بخاصية الحياة التي هي الروح القدس، والله الابن قائم بخاصية الذات الذي هو الآب، ناطق بخاصيته هو، حي بخاصية الحياة التي هي الروح القدس، والله الروح القدس، قائم بخاصية الذات الذي هو الآب، ناطق بخاصية النطق الذي هو الابن، حي بخاصيته هو الذي هو الحياة، هذا هو القول بالآب والابن والروح القدس التي هي الروح القدس، بمكس ميشيل تبسيط الإله الواحد.

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الثالث

ألوهية المسيح الابن

لقد تعددت محاولات تصوير العلاقة بين الآب والابن في المسيحية، وكلما ظهرت صورة جديدة ترى فيها الكنيسة أنها خروج على الخط الذي رسمته لنفسها فإنها تنسب لصاحبها الهرطقة والبدعة، وقد تؤدي الضرورة إلى طرده من الكنيسة إذا استمر على اعتقاده إلا أن نجحت الكنيسة في فرض العقيدة من خلال العديد من المجامع التي أرست عقيدة ألوهية المسيح تلك التي تقوم على عدة دعائم هي:

١. القول بقِدَم نور المسيح.

٢. المسيح أصل الموجودات، ومن نوره خلقت الأشياء.

٣. وحدة الوجود تحققت في المسيح.

٤. اتصاف حقيقة المسيح بالأسماء الحسنى وبالاسم الأعظم.

٥. المسيح يدين الأحياء والأموات يوم الدينونة والعرض على الإله الابن.

ونفصل هذه العناصر فيما يلي:

أولا: القول بقِدَم نور المسيح.

يقول أحد دعاة المسيحية: "البداية لم تكن من الأرض، بمولد إنسان، ولكن المبادرة خرجت من السماء من قبل الله، حينما خرجت من عنده حياة من ذاته وجوهره، وتجسدت من جسد إنساني، فكان بحق نور العالم، كما قال هو في نفسه:

"أنا جئت نورا للعالم، حتى كل من يتبعني لا يمشي في الظلمة"[١]. ويستدل فيه بما أورده يوحنا في إنجيله: "كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتيا إلى العالم، كان في العالم، وكون العالم به، ولم يعرفه العالم"[٢]. وليس النور المذكور هنا نورا معنويا كما يتبادر

---

١ لماذا ولد المسيح؟ للقس مكس ميشيل ٩٧

٢ يوحنا ١: ١٠

Upload by : altawhedmag.com

إلى الذهن، ولكن القس يقول: "الله نور، والمسيح منه، نور من نور، نور خرج من النور، لينير كل إنسان، المسيح جاء إلى عالمنا بهدف محدد، وهو أن ينير كل واحد فينا بنوره العظيم، فهو نور أشرق من النور، وفيه حل كل ملء النور، ونحن من ملئه جميعا أخذنا"[١].

ويقول مؤلف كتاب صوفية المسيحية: "تعبير النور وتعبير الحقيقة مترادفان متلازمان، والسيد المسيح يعلن: "أنا النور"، يوحنا ٨:١٢، ١٢:٤٦ كما يعلن "أنا الحقيقة"[٢]، وحتى لا يظن البعض أن تعبير النور هنا تعبير مجازي، فذلك ما ينفيه علماء المسيحية ويقرون أن المسيح الابن قد أعلن أنه القديم مثل الله الآب: "يقول المسيح للأفراد مثل نيقوديم: إنه لم يصعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء، ابن البشر الكائن في السماء، ومن يكون في السماء وعلى الأرض في آن واحد إلا الله؟ ويعلنه للجماهير أيضا كما فعل في عيد الخيام "الحق الحق أقول لكم، قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن، وما بين المسيح وإبراهيم نحو ألفي سنة - ومن هو الكائن قبل إبراهيم إلا الله نفسه؟[٣] ثم يفرق بين الخالق والمخلوق بقوله: "يمتاز الخالق عن المخلوق بأنه "الكائن" على الدوام، "القديم" من قبل الكون، والمخلوق محدث، مهما تقادم عهده، والسيد المسيح يعلن لصحابته أمام الجماهير: "لو رأيتم ابن البشر يصعد إلى حيث كان أولا، فالسيد المسيح هو الأزلي، السرمدي، الأبدي مثل الله، كما يصلي: فالآن، أيها الآب مجّدني أنت فيك، بالمجد الذي كان لي فيك، من قبل العالمين"، "لأنك أحببتني قبل إنشاء العالمين"، فالمسيح الابن هو القديم مثل الله الآب، وبذلك لا نقول بقديمين، فالسيد المسيح يعلن "أنا والآب واحد" واحد في الجوهر والكيان[٤]. صوفية المسيحية بحسب يوحنا يوسف حداد [ص ٣١٨]، ويقدم نخبة من خُدام الإنجيل فهمهم عن معنى المسيح ابن الله، فيقولون: "إن

١ لماذا ولد المسيح؟ للقس مكس ميشيل ٣٧

٢ [يوحنا ١٤: ١٦] صوفية المسيحية بحسب يوحنا - يوسف درة حداد صفحة ٤٠٨

٣ صوفية المسيحية في الإنجيل بحسب يوحنا - يوسف درة حداد صفحة ٣١٨ - ٣٢٠

٤ إنجيل يوحنا [٨: ٥٦-٥٨، ٥: ١٧-٢٤، ١٠: ٣٠].

Upload by : altawhedmag.com

الأزلية والأبدية والوجود الذاتي، عدم التغير، القدرة على كل شيء، العلم بالخفيات وبكل شيء، الحضور في كل مكان، القداسة المطلقة، لا يتصف بها سوى الله، كما أن الإيمان والسجود له، وتقديم العبادة إليه هي من الامتيازات التي يتمتع بها الله وحده دون سواه، ولكن مع ذلك نجد أن جميع هذه الصفات والامتيازات يتصف بها المسيح، مما يقطع الشك باليقين بأن المسيح هو الله"[١].

ثانيا: المسيح أصل الموجودات عندهم.

يعتقد المسيحيون أن المسيح هو صورة الله غير المنظور، ويقول يوسف حداد إن المسيح: "هو مبدأ خلق الله" أي الخالق مع الخالق سبحانه، ويقول شعراء المسيحية: به كل شيء كُوِّن وبدونه لا شيء مما كون، ويقول أيضا خدام الإنجيل: "يعلن الكتاب المقدس أن المسيح هو الخالق بسلطانه الذاتي المطلق كالله بقوله: "كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان".. "الكل به وله قد خلق الذي هو قبل كل شيء، وفيه [بمقتضاه] يقوم الكل". هذه العبارة تعلن عن علاقة المسيح بالخليقة، فهو مصدر الخليقة، وليس منها "الكل به وله قد خلق"، وهو أصل كل الوجود، والخليقة صادرة منه، وبما أنه أصل ومصدر الخليقة فهي بالتبعية تتجه إليه لتجد فيه حفظها وصيانتها". ما معنى المسيح ابن الله - نخبة من خدام الإنجيل [٤٠]، ويقول الشاعر المسيحي:

كان آتيا إلى الكون ... وقد كان في الكون

والكون به كُوِّن ... والكون لم يدركه[٢]

ثالثا: وحدة الوجود تحققت في المسيح.

تشير عقائد المسيحية الحالية إلى الإيمان الكامل بنظرية وحدة الوجود، وأن حقيقة المسيح هي التي أعطت الوجود لكل شيء، وبالتالي تحققت وحدة الوجود في ذات المسيح،

---

١ ما معنى المسيح ابن الله؟ - نخبة من خدام الإنجيل ٢٥

٢ صوفية المسيحية بحسب يوحنا - يوسف درة حداد صفحة ٣٧١

Upload by : altawhedmag.com

ويستدلون على هذه العقيدة بقول المسيح لأتباعه بعد أن صلى بعد العشاء الأخير: ليس من أجل الحواريين فقط، وإنما من أجل جموع المسيحيين، حيث يقول المسيح: "لأجل الذين يؤمنون بي بكلامهم، ليكون الجمع واحدا، كما أنك أنت أيها الآب فيّ، وأنا فيك، ليكونوا هم أيضا فينا".[١] ويقول كذلك: "فالسيد المسيح هو الصلة الذاتية والكونية، والحياتية بين الخالق والمخلوق، فهو محور وحدة الوجود، في كامل التجريد والتنزيه"[٢].. ويستكمل الأستاذ يوسف حداد محاولاته لإثبات عقيدته، فيفرد لكل نقطة من النقاط التالية فصلا يشرح فيه نصوصا من إنجيل يوحنا:

- ما بين المسيح الابن والله وحدة في العمل.
- ما بين المسيح الابن والله وحدة في الحياة.
- ما بين المسيح الابن والله وحدة في الوجود الإلهي.
- المسيح الابن هو المظهر الإنساني والكوني لله الآب.
- ما بين المسيح الابن والله وحدة في الذات الإلهية[٣].

والمطلع على ما في هذه الأبواب يرى بوضوح اعتقاد المسيحيين في وحدة الوجود التي تحققت في شخصية المسيح، الذي هو في حقيقته قبضة النور الأصلية عن الآب، وهو المسمى بالابن في وحدة كاملة مع الإله الآب.

رابعا: المسيح له الأسماء الحسنى والاسم الأعظم.

يثبت المسيحيون ألوهية المسيح الموصوف بجميع أسماء الله [الآب عندهم] الحسنى بل والاسم الأعظم أيضا، بل ويقولون صراحة إن المسيح هو الخالق- ما معنى المسيح ابن

---

١ [يوحنا ١٧: ٢٠، ٢٣] نقلا عن صوفية المسيحية بحسب يوحنا - يوسف درة حداد صفحة ٣٧١، وبمراجعة النص الذي أورده في كتابه وجدت الجزء الأول من نقله فقط، إلا أنه زاد من عنده: "لقد آتيتهم المجد الذي آتيتني، لكي يكونوا واحدا كما نحن واحد: أنا فيهم وأنت في، لكي تتم فيهم الوحدة الكاملة".

٢ صوفية المسيحية في الإنجيل بحسب يوحنا - يوسف درة حداد صفحة ٣٢٦

٣ صوفية المسيحية في الإنجيل بحسب يوحنا - يوسف درة حداد صفحة ٣٢٢ - ٣٢٤

Upload by : altawhedmag.com

الله لنخبة من خدام الإنجيل ص ٤٠، ويستدلون على ذلك بنصوص عديدة لا يسعنا المقام لذكرها أو أمثلة منها لكثرتها، ولأن ما سبق عرضه يوضح المقصود لبحثنا هذا، لذا سأثبت فقط أسماء عناوين ورءوس الموضوعات، ومن شاء فليرجع إلى المصادر التي نقلنا عنها:

- المسيح هو مؤسس ملكوت الله[١].
- المسيح الابن يعلن أنه "القدير" مثل الإله الآب.
- المسيح الابن يعلن أنه "العليم" مثل الإله الآب.
- المسيح الابن يتمتع بمجد الله الآب في نفسه[٢].
- السيد المسيح هو الملك في ملكوت الله
- أسماء المسيح الحسنى في سفر الرؤيا
  - أنا الأول والآخر، والمبدئ والمعيد مثل الله.
  - أنا الحي القيوم.
  - هو رب العالمين يعبده أهل السماء بصفة "الوجود الواجب الوجود".
  - هو الجبار، والظافر، والمخلص، والفادي.
  - ملك الملوك ورب الأرباب، وهو القاضي، العدل.
  - إنه القدوس الحق، سيد الدنيا والآخرة، والشاهد الأمين.
  - المسيح يقيم الموتى روحيا وجسديا[٣].
  - يقول يوسف حداد "فالمسيح "كلمة الله" هو الاسم الأعظم، في أسماء المسيح الحسنى، وقد انفرد به يوحنا في سفر الرؤيا،

١ صوفية المسيحية في الإنجيل بحسب سفر الرؤيا، يوسف حداد، صفحة ١٤٨

٢ صوفية المسيحية في الإنجيل بحسب يوحنا - يوسف درة حداد صفحة ٣١٨-٣٢٠

٣ ما معنى المسيح ابن الله لنخبة من خدام الإنجيل ص٤٢

Upload by : altawhedmag.com

وفي الرسالة وفي الإنجيل، وهذا دليل وحدة المصدر فيها جميعا [١]. كما يقرر أن قول المسيح: "أنا هو" يعد أعظم تصريح عن حقيقته [٢].

خامسا: المسيح يدين الأحياء والأموات.

يقول خدام الإنجيل: "مكتوب، وتخبر السموات بعدله لأن الله هو الديان، ونحن حين نتصفح الكتاب المقدس نجد أن عمل الدينونة هو للمسيح، ونصل إلى نتيجة حتمية هي أن المسيح هو الله لأنه هو الديان" [٣].

ويقول الأستاذ يوسف حداد في كتابه صوفية المسيحية: "إن أضخم تصاريح المسيح قوله: "قال لها يسوع: أنا هو القيامة والحياة" [يوحنا ١١: ٢٥].

وهو كناية عن ألوهيته، لأن القيامة والحياة أعمال إلهية وصفات ربانية" [٤]. وأن: "الديَّان، ملك يوم الدين هو الله تعالى نفسه،.. ثم يستطرد قائلا: "ولكن يظهر أنه يمارس دينونة الخلق [أي حسابهم] بواسطة مسيحه، فبعد وصف يوم الدين، حيث الجالس على العرش هو الديان يقول السيد المسيح: "ها أنا آتي سريعا، وأجرتي معي، لأجازي كل واحد كما يكون عمله" [الرؤيا ٢٢:١٢] ، ويستطرد الأستاذ حداد قائلا: ويتخذ يسوع لنفسه صفات الله عينها، في تصريحه تعالى يوم الدين فيقول: "أنا الألف والياء، البداية والنهاية، الأول والآخر" [٥]. ويعتقد المسيحيون أن المسيح هو ملك يوم الدين، ودليلهم ما ورد في إنجيل يوحنا: "فإن الأب لا يدين أحدا بل قد أعطى كل الدينونة للابن، لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب" يوحنا ٥: ٢٢، وليس هذا فقط بل إنه هو الذي

---

١ صوفية المسيحية بحسب إنجيل يوحنا ليوسف حداد ص ٣١٨-٣٢٠ وبحسب سفر الرؤيا ١٠: ١٥٨-٢٠٥

٢ صوفية المسيحية بحسب إنجيل يوحنا ليوسف حداد ١: ٤٢٩

٣ [مزامير ٦:٥٠] نقلا عن كتاب ما معنى المسيح ابن الله لنخبة من خدام الإنجيل ص ٤٤

٤ صوفية المسيحية بحسب إنجيل يوحنا ليوسف حداد ١: ٤٢٠

٥ [الرؤيا ١: ٨، ٦:٢١، ١٣:٢٢] صوفية المسيحية بحسب إنجيل يوحنا ليوسف حداد بحث ٣٨ ص ٢٥٤،

Upload by : altawhedmag.com

يبعث الناس من قبورهم ليمثلوا بين يديه للحساب حيث ورد: "لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع من في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة" [يوحنا ٥: ٢٩]

ويقرر بولس في رسائله هذا الاعتقاد الجديد بقوله:

- "لأننا جميعا سوف نقف أمام كرسي المسيح" [رومية ١٠:١٤].
- "الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات، وأجلسه عن يمينه في السموات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة، وكل اسم يُسمى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضا، وأخضع كل شيء تحت قدميه" [أفسس ١: ٢١-٢٢].

Upload by : altawhedmag.com

ملخص الباب الرابع

- تتكون عقيدة النصارى من ثلاثة محاور: الخطيئة والكفران، ثم الثالوث ثم ألوهية يسوع الابن المخلص، وأن حادثة الصلب والموت على الصليب يراها المسيحيون أنها الفداء للجنس البشري ككل، وأن من يؤمن بها دخل الملكوت ومن لم يقبلها فإنه سيتحمل بالإضافة إلى ذنوبه نصيبه من معصية آدم التي لعن الله بسببها الأرض، حتى من مات من الأطفال قبل أن يعمدوا في الكنيسة سيحملون نصيبهم من وزر معصية آدم، وكانوا يدفنوهم في غير مقابر النصارى إلى عهد قريب.

- أن الله بزعمهم لا يغفر الذنوب، وأنه إذا غضب من فعل واحد من خلقه كآدم عليه السلام، فإنه يلعن الأرض، ويطرد أبنائه وأبناء أبناءه طوال القرون المتعاقبة من رحمته يستوي منهم من أحسن أو من أساء، ولا يطفئ ذلك غضب الله، ولولا الكفارة لأدخل جميع البشر في الهاوية لمعصية أبيهم آدم.

- ارتباط عقيدة الثالوث بفكرة الخطيئة والكفارة والفداء على الصليب، بحيث يمكن تلخيص العقيدة المسيحية في الإيمان بالصليب.

- أهمية العلم الباطن والرمز في الفكر المسيحي، ومع اختلافهم الشديد في حقيقة الأقانيم: وهل هي مظاهر لإله واحد؟ أو أجزاء من إله واحد؟ أو ثلاثة آلهة في اتحاد واحد؟

- القول بقِدَم نور المسيح، فهو بزعمهم نور من نور، قبس وقبضة من نور الآب؛ وأن المنشئ الأزلي للكون أوكل كثيرا من اختصاصاته للوسيط.

- أطلق المسيحيون على المسيح جميع الأسماء الحسنى والاسم الأعظم أيضا، وأن قول المسيح: "أنا هو"، هو أعظم تصريح عن حقيقته التي قد لا تدركها عقول العامة.

- من الأسماء التي أطلقوها على المسيح "الباب"، وأن الخلق يمر بدورات متكررة.

Upload by : altawhedmag.com

- أن المسيح أصل الموجودات، وهو يحاسب الناس يوم القيامة، وبه حياة الأرواح والأجساد، وبه تحققت وحدة الوجود.
- أن اليهود ساروا على درب الفلاسفة، وقالوا بنفس أفكارهم، ثم تبعتهم النصارى حتى وصل التوحيد عندهم إلى التثليث. وبالتالي أصبحت النظرة الفلسفية لازمة لفهم العقيدة المسيحية، التي يطالب المسيحي أن يؤمن بها إيمانا أعمى؛ لأنها باعترافهم فوق مستوى الإدراك.

Upload by : altawhedmag.com

Upload by : altawhedmag.com

الباب الخامس

مناقشة فكر المسيحية

١. الخطيئة والكفارة.

٢. مناقشة قضية أبناء الله.

٣. مفاجآت بين سطور المخطوطات.

٤. كلمة الله في الإسلام.

Upload by : altawhedmag.com

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الأول

الخطيئة والكفارة

لا يتسع المقام لمناقشة الفكر المسيحي بكل تفصيلاته، فهذا يحتاج إلى كتاب مستقل، وإنما سنكتفي بمناقشة عمود الرحى الذي يدور حوله كل مفردات هذا الفكر، ألا وهو الفداء وفكرة الصليب، الذي يعبر عن الكفارة للخطيئة الكبرى، ولا يخفى أن باقي عقائد المسيحية في النهاية تغذي هذا الرافد الأساسي في جملة عقائد القوم، وقبل أن نناقش الخطية نود أن نلفت الأنظار إلى أن هذه النظرية لم ترد صراحة في أي إنجيل من الأناجيل.

لا نعرف كيف يفسر القساوسة والأحبار والرهبان خلو الأناجيل المعتمدة عندهم من ذكر هذه النظرية التي كان من المفروض أن ترد متواترة، بأدلة متضافرة عبر كل هذه الأناجيل؟! فكيف يغيب صلب العقيدة وجوهر الدين من مصادر المسيحية ومنابعها الأساسية؟! حتى إذا غابت تسول للناس إشارة من هنا وتأويلا من هناك يقيمون عليه الدين؛ وهذا تولستوي يقول: "لقد استرشدت عن صحة الأناجيل القساوسة والرهبان والأساقفة والمطارنة وعلماء اللاهوت، فعجزوا عن إقامة الحجة، وكانوا فيما يقولون على تناقض بيّن، فلم أر فيهم فكرا قادرا على الحوم حول النقطة الجوهرية، ولعل سبب ذلك قلة يقينهم فيما يعتقدون، ثم وجدت غالب تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية موضوعا غير معقول، وبالجملة فإن جميع الطوائف مصدقون لعقائد لا تنفع الحياة،ويقضي بفسادها العقل الصحيح"[١].

بل إن هناك علماء منهم راجرس - وهو من أعلم علماء البروتستانت- وغيره من علماء فرقته أخرجوا الكتب المفضلة من الكتب المقدسة باعتقاد أنها كاذبة وهي الرسالة العبرانية، ورسالة يعقوب، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا، ورسالة يهوذا ورؤيا يوحنا"[٢].

---

١ الإنجيل الصحيح لتولستوي نقلا عن الإسلام الدين الفطري الأبدي لمبشر الطرازي ص ٧٥

٢ نقلا عن كتاب الإسلام الدين الفطري الأبدي لمبشر الطرازي ص ٧٣

Upload by : altawhedmag.com

أولا: مغفرة الله – عندهم- لا تعمل إلا بعد صلب ابنه.

تضعنا فكرة صلب المسيح -تكفيرا لخطايا البشرية- أمام سؤال في غاية الأهمية، وقد طرحه أحد حضور المناظرة الكبرى التي جرت بين العلامة أحمد ديدات والبروفيسور فلويد كلارك، وكان عنوانها [هل صلب المسيح؟] وإن السؤال هو: لو ضاعت إمكانية عقاب الخطاة الآثمين، لأن المسيح قد افتدى أخطاء البشر بدمه أثناء الصلب، فكيف يكون هناك ردع للخطاة الآثمين، وهم يعلمون أن خطاياهم قد افتداها المسيح أثناء صلبه؟ وإذا كان الخطاة الآثمون سيحاسبون ويعاقبون عقابا عادلا في الآخرة فما جدوى سفك دم المسيح؟ وما جدوى تضحية المسيح بدمه؟[1]، ولما كان السؤال في غاية الخطورة والأهمية فقد قوبل بتصفيق حاد من الحضور في قاعة ألبرت الملكية بالعاصمة البريطانية لندن، وقبل أن نجيب على هذا التساؤل الذي لم يسمح وقت المناظرة في الإجابة عليه، فإننا سنقدم أولا بعض الأسس التي ستساعدنا في الإجابة على هذا السؤال، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

توضح شريعة موسى عليه السلام - شأنها ككل الشرائع السماوية والوضعية أيضا - أن كل إنسان مسئول عن تصرفه وحده، فقد ورد: "لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يقتل". ويقول: "النفس التي تخطئ هي تموت: الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن، بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون" [حزقيال ١٨: ٢٠]. فكيف يطالعنا العهد القديم بقصة أكل آدم من الشجرة، والتي يستخلص منها القارئ توجيها صريحا بإهمال العقل، فهي تتضمن أمورا تتنافى وتنزيه الحق تبارك وتعالى، وتفتح عددا لا ينتهي من الأسئلة والاستفسارات منها:

- أين علم الله القديم؟ وهل فوجئ الرب بمعصية آدم؟ أليس من حكمته وتقديره أن ينزل إلى الأرض، ألم يسكنهما الجنة ليتعرفا خلالها على فضل الله وكرمه ثم يأتي الخطأ فيعلمهما أسلوب التوبة وطريقة الاستغفار حتى يمحو الله عنهما الذنب.

---

١ أخطر المناظرات [هل مات المسيح على الصيب ؟] بين الشيخ أحمد ديدات والبروفيسور فلويد كلارك ترجمة علي الجوهري ٦٩

Upload by : altawhedmag.com

- ما ذنب الأرض حتى يلعنها الله؟ أليس من العدل أن يلعن صاحب الذنب، أو على الأقصى يلعن المكان الذي قام العبد بالمعصية فيه، كان العدل يقتضي أن يلعن الجنة وليس الأرض.
- يقدم العهد القديم صورة قاسية للرب، ورد فعل في غاية العنف من الله وهو سبحانه الموصوف بالحلم والرحمة والرأفة، وليست صفاته العلا هذه حكرا على القرآن، ففي الإنجيل أيضا يخاطب بولس أهل رومية بقوله: "فماذا نقول؟ ألعل عند الله ظلما! حاشا، لأنه يقول لموسى: إني أرحم من أرحم، وأترأف على من أترأف" [الخروج ٣٣: ١٨-١٩]
- إن القوانين الوضعية ترحم الخاطئ الذي لا يدرك عاقبة فعله، وتخفف عنه إذا ثبت عدم إصراره وترصده، وليس القتل الخطأ كالقتل العمد في أعرافنا وشرائعنا اليوم، ونكاد نجزم أن آدم لم يتخيل للحظة واحدة أن الله سيلعن الأرض ونسله عبر آلاف السنين حين يأكل من الشجرة.
- من العجيب حقا أن تغفل التوراة دور إبليس في معصية آدم، بل إنها لم تشر من قريب أو بعيد إلى سبب طرد إبليس من رحمة الله، بل يكاد يخلو العهد القديم عامة وأسفاره الأولى خاصة من ذكر الشيطان.
- ثم إذا سلمنا بأن الله لعن الأرض، ولعن بني آدم وصدقنا بهذه النصوص الواردة في العهد القديم التي تتناول استمرار غضب الله لذنوب الآباء عبر الأبناء وأبنائهم، ومن هذه النصوص: "الرب طويل الروح كثير الإحسان يغفر الذنب والسيئة لكنه لا يبرئ، بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع"[العدد ١٤: ١٨]. "وأيضا في سفر الخروج يقول النص: "ولكنه لن يبرئ إبراء، مفتقد إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء في الجيل الثالث والرابع" [الخروج ٣٤:٨]. ويخصص المعنى في موضع آخر جاء فيه: "لأني أنا الرب إلهك إله غيور،أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي" [الخروج ٣٤:٨].

Upload by : altawhedmag.com

ثانيا: أنبياء إلى قوم ملعونين.

لقد فات على بولس، وهو يزعم أن المسيح ابن الله وابتدع نظريته عن الصلب والفداء أن لله أنبياء أرسلهم إلى الناس، وأولهم نوح عليه السلام، وإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، ولوط، وأشعياء، ثم موسى عليه السلام الذي كتب الله له الألواح، وآخرهم يوحنا المعمدان الذي عمد المسيح نفسه في نهر الأردن،.. فما هو موقفهم من نظرية بولس وباطنية المسيحية، إن ذلك يزيد من الشكوك في أطروحة الفداء!

- هل هؤلاء الأنبياء يحملون نصيبهم من خطية آدم؟
- هل أصابهم ما أصاب الناس جميعا من اللعنة التي أحاطت بالأرض؟
- هل مصيرهم إلى النار بموجب كلام بولس لأن يسوع المخلص تأخر نزوله إلى ما بعد وفاتهم بآلاف السنين؟
- هل يستوي موسى وفرعون أم هناك سبب لم يفصح عنه بولس يميز بينهما؟

إن حديث المسيح في الأناجيل يؤكد احترام الأنبياء وتقدير مكانتهم، ومن ذلك موقفه من أبناء قتلة الأنبياء حيث يخاطبهم قائلا: "ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقيين، وتقولون: "لو كنا في أيام آبائنا لما شاركنا في دم الأنبياء، فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء" [متّى ٢٣ -٢٤: ٢٩-٣٠]

ثالثا: بركات في زمن اللعنات؟

إن أية محاولة للنيل من هؤلاء الأنبياء تكذبها التوراة والإنجيل، فهناك العديد من النصوص التي تصف بركة الله عليهم بل وأنهم يباركون الآخرين، فكيف تحل البركات من قوم لم ينالوا حظهم من فدية الإله الابن، وكيف هرب هؤلاء الأنبياء من غضب الله على بني آدم حين أخطأ أبوهم وأكل من الشجرة؟

- الله يبارك نوحا وبنيه يقول سفر التكوين: "وبارك الله نوحا وبنيه" [١ ٩:١].
- الله ينجي نوحا وبنيه بالفلك المشحون، فلم النجاة والنار مثوى الجميع!
- "مبارك إبرام [أي إبراهيم] من الله العلي مالك السموات والأرض، ومبارك الله العلي الذي أسلم أعداءك في يدك"[التكوين ١٤: ١٩-٢٠].
- الله يحدث إبراهيم نافيا عن نفسه الظلم:"أديان كل الأرض لا يصنع عدلا؟"

Upload by : altawhedmag.com

[التكوين ٢٧: ٢٨].

- هناك قصة منح إسحاق بركته لابنه يعقوب، وهو يظن أنه عيسى الابن البكر.
- ما الداعي إلى معجزات موسى وإخراجه بني إسرائيل من ظلم فرعون؟

وكيف يحل لنا المسيحيون هذا التناقض الواضح، أهو زمن اللعنات أم زمن البركات؟ لو كان زمن اللعنات فلم الأنبياء؟ ولو كان زمن البركات فلم الصلب وفيم الكفارة والتضحية من الابن؟ نحن نطالب الناس أن يفكروا فيم يقولون وفيم يعتقدون؟

رابعا: ما الداعي لسفر اللاويين؟

يتحدث سفر اللاويين عن أحكام في شريعة اليهود، وكيف يقربون القرابين ويكفرون عن ذنوبهم، وهذا دليل على اتساع رحمة الله وفتحه لباب التوبة للعصاة والمذنبين، وهذا يضع أمامنا المزيد من الشكوك حول أطروحة خطيئة آدم:

- إذا كان زمن اللعنة مستمرا ففيم يكفر الناس عن ذنوبهم وخطيئة آدم ستحكم عليهم بالهلاك؟
- أما كان الأولى أن يقدم سفر اللاويين حلا للخطيئة الكبرى التي أوجبت اللعنة على الأرض بدل تناوله كفارة الذنوب وقواعد القربان عن صغائر ذنوب الناس.
- ألا يوجد قربان أو كفارة يكفر بها الناس فرادى أو جماعات تمحو آثار خطيئة آدم، ألا يقتضي العدل إيجاد سبيل للتكفير عن خطيئة لم يعملوها فقط لإزالة آثار لعنة الأرض؟

خامسا: الفداء هو عين الظلم.

لم يدر في خلد من ابتدع فكرة الخطيئة وحادثة الصلب، وهو يحاول أن يلبسها ثوب الرحمة والعدل والفداء وكل المعاني الجميلة التي يروجون لها أن هذه الفكرة تمثل عين الظلم، ليس من زاوية ما ذنب الابن في هذا العذاب، ولا من زاوية تحمل الأبناء لغير ما اقترفوه، ولا من حيث تأخرها آلاف السنين هلك خلالها خلق كثير، وإنما لافتقادها إلى الموضوعية؟ وتوجهها إلى غير الغاية الصحيحة، ونوضح ذلك فيما يلي:-

إذا افترضنا صحة ما يقوله أنصار الصليب وأن الإله الابن الذي افتدى البشر حين عاش حياتهم وذاق آلامهم وتلقى إهاناتهم وتحمل عذابهم ثم مات على خشبهم، ودفن في

Upload by : altawhedmag.com

قبورهم، وبذلك تطهروا من آثام جدهم.

نقول لهولاء: أين إبليس في هذه الأطروحة؟

إن أصل ابتلاء العالم ليس خطيئة آدم وحواء، وإنما في غضب الله على إبليس ذلك الشيطان المريد الذي يحض الناس على الفساد. أما كان من الأجدى ادخار الفداء لمواجهة أصل الخطيئة وهو الشيطان، دون فرعها وهو آدم؟ فلو لزم أن يضحي الابن لفداء الخطيئة لكان لزاما عليه النزول إلى عالم الجن، ليصلب عندهم ويرفع خطيئتهم، ففي ذلك نجاتهم وامتناعهم عن الوسوسة بالشر لآدم، ولو فعل ذلك ما وسوس الشيطان للحية، ولا وسوست الحية لحواء، ولما أغوت حواء آدم حتى عصى ربه.

هذا من ناحية الأولويات، ومن ناحية أخرى ماذا يكون رد الآب على إبليس إذا قال له: "إنك ما أنصفتني، فلقد بادرت بعد آلاف السنين بإرسال ابنك الحبيب في صورة آدمية حتى رفعت عن نسل آدم اللعنة، فلماذا حرمتني مما منحته له؟ لا شك أن الحجة هنا ستكون مع الشيطان، فهل يشاركني القارئ الكريم الرأي أن الفداء هو عين الظلم.

إن محاولة تكفير خطيئة آدم مع ترك إبليس يعيث في الأرض وفي النفس البشرية فسادا قد أفرغ الصلب والفداء من هدفه، وجعله عملا بلا ثمرة، ويؤكد ذلك أنك ما زلت ترى فسادا وعصيانا وفجورا وظلما وطغيانا، وتشاهد سفاحين وتجارا في الأنفس والأعراض والأقوات، يحولون الدنيا إلى جحيم دون أن تنالهم يد العدالة في الدنيا، فهل يغنيهم أن المسيح صلب من أجلهم؟ لو كان الأمر بهذه البساطة لفعل الناس كل ما بدا لهم، والحساب يتولاه فداء المسيح لهم، ثم هل يحمل المسيح المعاصي التي سبقت الصلب فقط، أم يحمل آثام السفاحين والعصاة الذين ولدوا بعد الصلب، أم تراه يحمل أيضا آثام أولئك الذين يظهرون في آخر الزمان، أم أن الأمر يحتاج إلى تكرار الفداء كل حقبة طويلة من الزمان؟ هذه التساؤلات هي غيض من فيض،ومن المؤكد أنها لا تجد إجابات مقنعة في أطروحة الفكر المسيحي.

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الثاني

مناقشة قضية أبناء الله

وصفت نصوص العهد الجديد المسيح ابن مريم بعدة ألقاب منها: "ابن الإنسان، والنبي، والرسول، وكلمة الله، وابن الله، فهل هذه الألقاب حقيقية أم مجازية؟ من هو المسيح؟ وتحصر نظرية بولس والمجامع المسكونية من بعده صفة الآب في الله تعالى، وصفة "ابن الله" ليسوع المسيح دون أحد سواه، بينما تطلق التوراة لقب الأب الذي هو بالعبرانية واليونانية الآب على الله تعالى، وتطلق لقب "ابن الله" ليس ليسوع المسيح وحده وإنما يلقب به جمع كثير، يضم كل أفراد بني إسرائيل صالحين أو فاسدين مما يؤكد أن لقب ابن الله هو لقب مجازي، وليس بمعناه الروحي أو العضوي.

أولا: أبناء الله في الكتاب المقدس:-

١. اليهود أبناء الله:

ففي سفر أشعياء [٦٣: ١٦] يخاطب اليهود ربهم قائلين: "فإنك أنت أبونا، وإن لم يعرفنا إبراهيم، وإن لم يدرنا إسرائيل، أنت يا رب أبونا". ويخاطب موسى اليهود بقوله: "أنتم أولاد للرب إلهكم" [تثنية ١٤:١]. كما يوبخ موسى اليهود قائلا: " الرب تكافئون يا شعبا غبيا غير حكيم، أليس هو أباك ومقتنيك، هو عملك وأنشأك" [تثنية ٣٢:٦]. وتقول التوراة عن الله على لسان شعب اليهود: "أليس أب واحد لكلنا؟ أليس إله واحد خلقنا؟" [ملاخي ٢: ١٠].

٢. أتباع المسيح أبناء الله:

ورد على لسان المسيح عشرات المرات أنه وصف أتباعه أنهم أبناء الله، منها على سبيل المثال: "وأما أنتم فأبوكم يعلم أنكم تحتاجون إلى هذا بل اطلبوا ملكوت الله وهذه كلها تزاد لكم، لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سر أن يعطيكم الملكوت" [لوقا ١٢: ٢١-٢٢]. وفي موضع آخر يقول: "ولا تدعوا لكم أبا على الأرض، لأن أباكم واحد الذي في السموات" [متّى ٢٣:٩].

Upload by : altawhedmag.com

٣. يعقوب ابن الله البكر:

قال الرب لموسى: تقول لفرعون هكذا يقول الرب: إسرائيل [يعقوب] ابني البكر، فقلت لك: أطلق ابني ليعبدني، فأبيت أن تطلقه، ها أنا أقتل ابنك البكر" [خروج ٤: ٢١-٢٣] ، ويقول الله عن يعقوب أيضا على لسان أرمياء: "صرت لإسرائيل أبا" [أرمياء ٣١:٩].

٤. داود ابن الله:

ورد في مزامير داود على لسانه قوله "إني أعلن أمر الله، لقد قال لي ربي أنت ابني ابتداء من اليوم" [المزامير٢: ٧].

٥. سليمان ابن الله:

ورد في العهد القديم أن الله تبارك وتعالى كلم داود عن سليمان قائلا "أنا أكون له أبا، وهو يكون لي ابنا" [صموئيل الثاني ٧: ١٤]. وبالتالي يسقط الاستدلال بأن المسيح يتمتع بصفة ابن الله، والأمر في حقيقته يشاركه فيه جميع بني إسرائيل.

ثانيا: كيف حدث الخطأ في استعمال ابن الله؟

يفسر الأستاذ/ ناصر المنشاوي سبب هذا اللبس بقوله: "ظن كتاب الأناجيل باليونانية أن لفظ "الأب" تصح بمعنى "الرب" في كل اللغات، لا في الآرامية والعبرية وحدهما، ووحدهما فقط، فكتبوها باليونانية pater [نظير - father الإنجليزية] بمعنى الوالد الذي ولد، على أن الآرامية شأنها شأن العبرية تستعمل لفظ "آب" [الأب المعروف] في الإشارة إلى الله ﷻ بعد أن تختم اللفظ بألف المد على التعريف، فتصبح أبَّا، أي الآب بمعنى الرب لا بمعنى الوالد الذي ولد، وتجوز أيضا على النداء والمناجاة: ربي لا يا أبي.

أما أن "الآب"، "الأب" معناها "الرب" في الآرامية والعبرية، فالدليل الدامغ هو اسم ذلك العلم العبراني: أبيَّاهو بن رحبعام بن سليمان بن داود، الذي سبق مولده مولد المسيح بسبعة قرون، ولفظ أبيَّاهو اسم مركب من شقين: "أبي + يهوا" [يهوا هو اسم الله في العبرية من بعد موسى]، ولا يصح لك أن تتصور أن معنى الاسم الذي سماه به رحبعام بن سليمان بن داود هو "الله أبي"، أعني أبي الذي ولدني، إذن لذبحه اليهود فور هذه التسمية على مرأى

Upload by : altawhedmag.com

من أبيه، إن لم يذبحوا أباه معه، وإنما فهم اليهود وأراد رحبعام الأب بمعنى الرب في مصطلحهم، فالمعنى هو "الله ربي"، لا "الله والدي" كما يفهمها علماء أهل الكتاب الذين لا يفقهون مجاز الساميات.

وهناك دليل آخر وهو قول المسيح عليه السلام في الأناجيل: "إني أصعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم" [يوحنا ٢٠:١٧] يرادف الأولى بالثانية، أي أن أبي وأباكم هو إلهي وإلهكم، وإنما أراد أني أصعد إلى والدي ووالدكم، الذي هو إلهي وإلهكم، ويؤكد هذا التفسير قول الحق تبارك وتعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَإِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [مريم-٣٦].

يلاحظ القارئ الكريم أننا طوال تناولنا للعقيدة المسيحية لم نرجع إلى إنجيل برنابا ليس لأن النصارى يرفضونه ولا لأن ما ورد فيه يطابق ما قرره القرآن الكريم، ولكننا انتهجنا هذا النهج لنوضح للقارئ عقيدة القوم من كتبهم المتداولة بينهم، والتي يظهر فيها بوضوح دور بولس ومن ورائه الكنيسة والمجامع المسكونية في إظهار العقيدة كما يريدونها وليس كما جاء بها المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، ولا يفوتنا قبل أن نتناول موضوعا آخر أن نشير إلى استمرار دور الفاتيكان واليهود في إخفاء حقائق الدين المسيحي، وهذا الدور المعاصر نتناوله تلخيصا لكتاب مخطوطات البحر الميت للأستاذ أحمد عثمان والذي يعبر أصدق تعبير عما استخلصناه من أدوار تمت في الماضي، فإلى مفاجآت من بين سطور المخطوطات.

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الثالث

مفاجآت بين سطور المخطوطات

أولا: مخطوطات كهوف قمران.

كان الاعتقاد سائدا في السابق أن كتبة الأناجيل كانوا من تلاميذ المسيح وحوارييه المعاصرين للأحداث، وهم شهود عليها، وقد تبين في العصر الحديث أن أحدا منهم لم يره، وأنهم اعتمدوا في رواياتهم على ما سمعوه عن آخرين، وأن تدوينهم لهذه الأناجيل كان بعد سبعين إلى مائة عام من ميلاد المسيح.

والأمر يزداد صعوبة إذا تتبعنا تاريخ تدوين التوراة أو ما يطلق عليه النصارى العهد القديم، حيث تبين أن أقدم نسخة عبرية موجودة الآن من كتب العهد القديم [التوراة] ترجع إلى القرن العاشر بعد الميلاد، وهي تتضمن اختلافات عديدة عن النسخة السبعينية اليونانية التي ترجمت في الإسكندرية خلال القرن الثالث قبل الميلاد، وبالتالي ظل التساؤل قائما؟ أيهما أكثر صحة عند الاختلاف؟ وأيهما يمكن الاعتماد عليه؟ لذلك فقد أثار الإعلان عن العثور على مخطوطات عبرية وآرامية قديمة بمنطقة قمران داخل أحد عشر كهفا في الجبال الواقعة غربي البحر الميت فيما بين عام ١٩٤٧ - ١٩٦٥ م حماس الباحثين في تاريخ الكتب المقدسة، وقد نشرت ترجمة لبعض هذه المخطوطات.

وتكمن أهمية هذه المخطوطات أنها كتبت ما بين القرن الثاني السابق للميلاد ومنتصف القرن الأول الميلادي، ونظرا لأنها واكبت ظهور السيد المسيح حتى رفع إلى السماء، فقد انعقد الأمل على هذه المخطوطات أن تضم نسخا قديمة من أناجيل العهد الجديد، أو على الأقل الإشارة إلى هذه الديانة الجديدة، أو تورد كتابات أي من الحواريين، ولكن الذي حدث أنها أشارت فقط إلى جماعة شبه مسيحية تعيش في قمران على بعد عدة أميال من القدس، وهي تنتظر عودة معلمها الذي سبق أن مات، وتعتبر كهنة المعبد ممثلين للشيطان على الأرض، ومسئولين عن موت معلمهم.

وانتهى أمر الباقي إلى قبضة إسرائيل، سواء الجامعة العبرية أو في متحف القدس إثر احتلالها للقدس الشرقية ومنطقة قمران بعد حرب ١٩٦٧، ولم تقم لجنة المخطوطات بنشر

Upload by : altawhedmag.com

أية ترجمات أخرى. بل يعكف الجنرال الإسرائيلي إيجال يادين - الذي خلف أبيه كأستاذ للحفريات في الجامعة العبرية - على خلط مخطوطات قمران مع كتابات الماسادا، وأخيرا أعلن إيجال يادين أنه حصل على مخطوطة المعبد التي قال إن مصدرها كهف قمران رقم ١١ واعترف قائلا: "لا يمكنني في هذه المرحلة الكشف عن الطريقة التي وصلت بها هذه المخطوطة إلى أيدينا".

وفي عام ١٩٩١ ظهر في لندن كتاب بعنوان: "خداع مخطوطات البحر الميت"، للكاتبين مايكل بيجنت وريتشارد لي، اتهما فيه الفاتيكان صراحة بالتدخل في عملية ترجمة ونشر مخطوطات قمران، ومحاولة إخفاء معلومات وردت بها مخالفة للتعاليم الكاثوليكية، واعتمد المؤلفان في أدلتهما على التأخير الذي زاد على أربعين عاما في نشر مخطوطات كهف قمران رقم ٤، فمن بين خمسمائة نص عثر عليها في هذا الكهف لم ينشر إلا حوالي المائة، كما وأن أعضاء لجنة المخطوطات لم يسمحوا لأحد بالاطلاع على ما تحت أيديهم منها، وقال المؤلفان بأن: الإيكول بيليك المسيطرة على أعمال اللجنة تخضع في عملها لبابا الفاتيكان مباشرة، وأن هذا الولاء يهدد بضياع أي نص يتعارض صراحة مع مصلحة الفاتيكان، ثم بدأت حملة إعلامية كبرى في أواخر ١٩٩٠ وأوائل ١٩٩١ خاصة في الصحف الأمريكية منها: النيويورك تايمز والواشنطن بوست، تهاجم مجموعة الباحثين المسئولة عن ترجمة ونشر المخطوطات وتتهمهم بالاشتراك في مؤامرة يحيكها الفاتيكان لمنع نشر بعض ما ورد بنصوص قمران.

ثانيا: أناجيل نجع حمادي.

بعد بضعة أشهر على انتهاء الحرب العالمية الثانية - وبالتحديد في ديسمبر سنة ١٩٤٦ - عثر أحد الصعايدة، ويدعى محمد علي السمان وأخوه خليفة عند جبل الطارف على زلعة تضم ٥٢ نصا في ١١٥٢ صفحة مجموعة في ثلاثة عشر مجلدا من المجلدات القديمة، عرفت فيما بعد بمكتبة نجع حمادي، ولا اختلاف بين الباحثين على أن وقت إخفاء هذه المخطوطات هو النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي، بعد أن فرضت الكنيسة العقيدة المسيحية فرضا وحرمت كل من يخالفها.

وقد بيع أحد هذه المجلدات إلى معهد يونج في مايو ١٩٥٢ وانتهى الحال بباقي

Upload by : altawhedmag.com

المجلدات إلى المتحف القبطي ثم دعت منظمة اليونسكو إلى تكوين لجنة عالمية تحت رعاية عالم اللاهوت الأمريكي جيمس روبنسون، والتي قامت بترجمة النصوص إلى الإنجليزية عام ١٩٧٥، ثم ترجمت بعد ذلك إلى الفرنسية والألمانية.

وتضم مكتبة نجع حمادي عددا من الأناجيل التي كانت متداولة منذ القرن الميلادي الأول وحتى القرن الرابع، ومن أهمها إنجيل توماس، أو توما، أو تحتمس في اللغة المصرية القديمة، الذي يعود في أصله إلى عشرين عاما قبل تدوين أول إنجيل معتمد سنة سبعين بعد الميلاد، وبذلك يعد أقدم إنجيل معروف حتى الآن، ويحتوي إنجيل توما على أقوال للسيد المسيح، بعضها موجود في الأناجيل الأربعة المعتمدة حاليا، وبعضها غير موجود بها.

ومن ضمن المكتبة أيضا إنجيل مريم المجدلية، وإنجيل المصريين وإنجيل فيليب وبعض الكتابات المنسوبة للحواريين مثل كتاب جيمس - يحمس في المصرية، ورؤيا بولس، وخطاب بطرس إلى فيليب، وغيرها من الأناجيل.

ثالثا: مفاجآت من نجع حمادي.

لا تعرف أناجيل نجع حمادي موت المسيح على الصليب، بل إنها تذكر جزءا من القصة صراحة وتسخر من قائليها، فقد ورد في إنجيل بطرس على لسانه: "رأيته يبدو وكأنهم يمسكون به، وقلت: ما هذا الذي أراه يا سيد؟ هل هو أنت حقا من يأخذون؟ أم أنهم يدقون قدمي ويدي شخص آخر"؟ قال لي المخلص: من يدخلون المسامير في يديه وقدميه هو البديل، فهم يضعون الذي بقي في شبهه في العار، انظر إليه وانظر إلي".

كما ورد في كتاب سيت الأكبر على لسان المسيح قوله: "كان شخص آخر هو الذي شرب المرارة والخل، لم أكن أنا، كان آخر الذي حمل الصليب فوق كتفيه، كان آخر هو الذي وضعوا تاج الشوك على رأسه، وكنت أنا مبتهجا في العلا أضحك لجهلهم" وجاء في كتاب أعمال يوحنا الذي عثر عليه بنجع حمادي أيضا على لسان المسيح قوله: "لم يحدث لي أي شيء مما يقولون عني".

وقد أثار كتاب تطور الأناجيل الذي صدر مؤخرا للسياسي البريطاني إينوك باول ضجة كبيرة في العام الماضي، عندما أعلن الباحث أن قصة صلب الرومان للمسيح لم تكن موجودة في النص الأصلي للأناجيل. إذ قام باول بإعادة ترجمة إنجيل متّى من اللغة اليونانية،

Upload by : altawhedmag.com

فتبين له أن هناك أجزاء وردت مكرره في هذا الإنجيل مما يوحي بأنه أعيدت كتابتها في مرحلة تالية. ويكفي أن نوضح أهمية مكتبة نجع حمادي أن نورد رأي الأستاذ هيلموت مويستر أستاذ التاريخ المسيحي بدفينيتي كوليدج بجامعة هارفارد الأمريكية حيث يقول: "إن مكتبة نجع حمادي فرضت علينا إعادة كتابة تاريخ ظهور المسيحية، وأكد أنه بدأ في إعادة كتابة أعماله السابقة على ضوئها".

يبقى أمامنا أن نفند عقيدة الثالوث والأقانيم وفهم اليونانيين عن كلمة الله، والتي ينبغي أن نتناولها بعد أن نوضح معنى كلمة الله في الإسلام، ونتأمل الرؤية القرآنية لقصة ميلاد عيسى عليه السلام كلمة الله وروح منه، وهذا ما سنتناوله بتوفيق الله في الباب التالي.

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الرابع

كلمة الله في الإسلام

تعرضنا فيما سبق إلى مفهوم كلمة الله في الفكر اليوناني واليهودي ثم المسيحي، ونعتقد أن الاختلاف واضحا حول مفهوم هذا الاصطلاح، وأن هذا التعدد في الفهم هو السبب المباشر في انحراف عقيدة الباطنية، وقد آن الأوان لتوضيح الحق في دلالة كلمة الله، وهذا ما يقدمه الإسلام من الفهم الوسط للأمور بعيدا عن الغلو أو التفريط، وسنبدأ بالتعرف على الدلالة اللغوية للكلمة ثم نشرح المراد من الاستخدام القرآني لها فنقول وبالله تعالى التوفيق:-

أولا: الكلمة في اللغة.

الكلمة: اللفظة، والجمع: كَلِم، ويقول ابن سيده: الكلام: القول، وقيل الكلام ما كان مكتفيا بنفسه، وهو الجملة، والقول: ما لم يكن مكتفيا بنفسه، وهو الجزء من الجملة، والكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير، والكلم لا يكون أقل من ثلاث كلمات لأنه جمع كلمة. والقرآن كلام الله، وكَلِم الله وكلماته وكلمته، وكلام الله لا يُحَدُّ ولا يُعَدُّ، وهو غير مخلوق، وفي الحديث الشريف: ﴿أعوذ بكلمات الله التامات﴾، قيل: هي القرآن، وإنما وُصف كلامه بالتمام لأنه لا يجوز أن يكون في شيء من كلامه نقص أو عيب، كما يكون في كلام الناس". والمسيح كلمة الله قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران-٤٥].

سمى الله ابتداء أمره كلمة، لأنه ألقى إليها الكلمة، فجاءت البشرى بميلاد المسيح عليه السلام، وهو كلمة الله، لأنه لما انتفع به في الدين وبكلامه سمي به، أو لأنه كان بكلمة [كن] من غير أب، أو لاهتداء الناس به، كأن يقال: خالد سيف الله، وحمزة أسد الله[1].

---

١ لسان العرب لابن منظور ٥: ٣٩٢١، بصائر ذوي التمييز للفيروزابادي ٤: ٣٧٧

Upload by : altawhedmag.com

ثانيا: "كلمة الله" في القرآن.

ورد تعبير "كلمة الله" ومرادفاتها في ما يزيد على خمسين موضعا في القرآن الكريم، لا يستطيع أي باطني أن يجد فيها أي تأويل باطني، فهي واضحة الدلالة على أن "كلمة الله" تعني: "أمر الله"، وكلمات الله لا نهاية لعددها، وكلامه سبحانه صفة من صفاته، يقول الله تعالى:﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾ [الكهف : ١٠٩]

وقال عز من قائل: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ الله ﴾ [لقمان : ٣١]

ولبيان الدلالة القرآنية للكلمة نختار الآيات التالية:

١. الكلمة بمعنى الوحي قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً ﴾ [النساء : ١٦٤] كلمه سبحانه وأوحي إليه التوراة. أو صور الوحي المختلفة قال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ [الشورى : ٥١] تحصر هذه الآية صور كلام الله تعالى لأنبيائه.﴿ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ [فصلت : ٤٥] والكلمة مشيئة الله وما سبق من حكمه سبحانه ولا مبدل لكلماته.﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ الله ﴾ [التوبة : ٦] أي القرآن وذلك قوله: ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ [البقرة : ٧٥] يبدلون المعاني المقصودة ويغيرونها على هواهم. ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً ﴾ [الأنعام : ١١٥] إشارة إلى تمام الشريعة الإسلامية.

٢. ﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ [الشورى-٢٤]، أي بحججه التي جعلها لكم عليهم سلطانا مبينا، أما فيما يخص المسيح عليه السلام، فيقرر القرآن بجلاء تام أنه

Upload by : altawhedmag.com

كلمة الله ألقاها إلى مريم ، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء-١٧١]، أي أن الكلمة الملقاة أمر بالوجود ، وكيفية هذا الأمر وردت واضحة في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[آل عمران-٤٧] أجابها الوحي بأن قضاء الله وأمره ينفذ بين الكاف والنون فما العجب في ذلك!

ثالثا: تأملات حول ميلاد عيسى ويحيى عليهما السلام.

تأثرت عقيدة المسيحيين كثيرا بالأسلوب الذي ولد به عيسى عليه السلام من غير أب، وهكذا شاءت إرادة الله ﷻ أن يمتحن إيمان وتصديق بني إسرائيل، فهم يعلمون أن الله تبارك وتعالى خلق الكون كله وأوجده من عدم، وخلق آدم من تراب من غير أب ولا أم، ثم خلق حواء من آدم ومن غير أم، كما خلق الكون كله وأوجده من عدم، أليس ذلك بقادر على أن يخلق المسيح عيسى من غير أب وقد أقام الله الحجة الظاهرة الناطقة على اليهود الذين عاصروا ميلاد المسيح عليه السلام: ها هو النبي الكريم زكريا عليه السلام، وقد وهن العظم منه واشتعل الرأس شيبا، وامرأته بلغت سن اليأس من الولد وانقطع حيضها، كما أنها أصلا عاقر لا تلد، وشاءت إرادة الله أن يستجيب لدعائه، وها هي الملائكة تأتيه بالبشرى، قال تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ۞ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۞ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۞ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۞ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم١١:٧]، ينبهنا القرآن الكريم إلى إقامة الحجة كاملة على اليهود، حيث يلفت نظرهم إلى هذه المعجزة وذلك بتوقف زكريا عن الكلام ثلاثة أيام، وقومه يخاطبونه فلا يجيبهم إلا رمزا.

لعل الحكمة من انقطاع زكريا عليه السلام عن الحديث ثلاثة أيام - والله تعالى أعلم - هي إتاحة الفرصة للناس كي يعرفوا ويتناقلوا الخبر فيما بينهم ويسارعوا إلى لقاء زكريا عليه السلام، والتأكد بأنفسهم من صمت النبي، حتى إذا انتهت الفترة المعلومة حدثهم وأعلمهم

Upload by : altawhedmag.com

بالمعجزة، والآية التي يتأكدون من صحتها فور ميلاد الوليد الذي لم يعرف له سمي من قبل: يحيى عليه السلام.

شاءت إرادة الله ﷻ أن يسبق يحيى عيسى في مولده ببضعة شهور، كما أنهما من أسرة واحدة، ويعيشان معا حتى لا تغيب حقيقة معجزة ميلاد يحيى عن الأذهان، فمولده مع انقطاع أسباب الإنجاب عند أبيه الشيخ الهرم وأمه العاقر، أعظم من خلق عيسى عليه السلام الذي ولد من أم شابة تنجب من في عمرها مع انقطاع سبب الأب فقط.

ثم تلحق الآية الثانية من جنس الأولى وتعقبها ببضعة شهور، فمريم التي عكفت على طاعة الله في المحراب، تخاطبها الملائكة قائلة: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ۞ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران٤٢-٤٣]، وكذا قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۞ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران٤٥-٤٦]، ولما حان وقت المخاض وضعت مريم البتول وليدها بعيدا عن الناس، ثم عادت به إلى قومها صامتة، ومن اللافت للنظر أن تصمت البتول نفس المدة التي توقفها النبي الكريم زكريا عليهما السلام عن الكلام.

أليس وراء هذا الأمر حكمة وتماثل يستحق الانتباه قبل الخوض في الظنون، ثم هاهو المسيح يخاطب اليهود في المهد، قال تعالى: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ۞ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ۞ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۞ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۞ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۞ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم١٩:٢٦-٣١]

ومن يسلم لقدرة الله ﷻ على إيجاد يحيى عليه السلام مع إنكاره خلق عيسى من غير أب، يقع في تباين كبير، وإذا تأمل هذه الدلالات، لنجا من الحيرة وخرج من التناقض:

١. آدم خلق من تراب، بدون أب ولا أم.

٢. حواء لم تنزل من رحم امرأة أي بدون أم.

Upload by : altawhedmag.com

٣. زكريا شيخ فانٍ وزوجه عاقر فاتها الحيض، تضع بقدرة الله.

٤. يلفت زكريا انتباه قومه إلى المعجزة في ميلاد يحيى بالصمت ثلاثة أيام.

٥. مريم البتول المشهود لها بالصلاح والمعتكفة في المسجد ليل نهار، والتي لم يجرب عليها صغائر الذنوب، كيف تتهم بالفاحشة؟!، وتستخدم نفس أسلوب زكريا عليه السلام بالصمت.

٦. المسيح "كلمة الله" يخاطب قومه في المهد ليرد عن أمه ويحدد عبوديته لله ﷻ ويعلن رسالته، وتكليف الله له بالصلاة والزكاة ما دام حيا.

٧. ومن اللافت للنظر أن الأناجيل أغفلت معجزة خطاب المسيح إلى قومه وهو في المهد، مع أنها تحسم كل الظنون، وتنسف كل الافتراءات على أمه العذراء البتول.

ومع هذا فإن الناس انقسموا إلى ثلاث فرق في تفسير "كلمة الله" عيسى عليه السلام:-

١. قوم رأوا أن المرأة لا تلد بدون رجل يعاشرها إما زوجها أو غيره، فقالوا: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم-٢٨]، فهؤلاء أنكروا قدرة الله ولم يتدبروا المقدمات التي وردت في ميلاد يحيى وعيسى عليهما السلام، كما كذبوا خطاب الوليد في المهد ورسالته إلى قومه حين قال لهم: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۞ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم٣٠-٣١]، وزاد من جرمهم أن قذفوا المحصنات بالسوء، فهؤلاء هم اليهود الذين غضب الله عليهم لتفريطهم وجحودهم، قال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء-١٥٦].

٢. قوم صدّقوا وآمنوا أن مريم ولدت من غير بشر، إلا أنهم سمحوا للباطنيين والفلاسفة أن يفسروا هذه المعجزة بحسب أهوائهم، فلما قال الأحبار للنصارى: ما ولدت مريم إلا إلها ابن إله هو في حقيقته مظهر متجسد لله، أراده الآب ليخلص البشر من خطاياهم، سمعوا لهم وأطاعوهم، فهؤلاء وصفهم القرآن الكريم بقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ

Upload by : altawhedmag.com

ابْنُ الله وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ الله ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۞ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ الله وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ الله بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۞ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة٣٠:٣٣]، هم النصارى الذين أفرطوا وغالوا فضلوا عن سواء السبيل.

٣. قوم هداهم الله ﷻوأرسل لهم رسوله بالهدى ودين الحق، وخاطبهم بقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ الله كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران-٥٩]، ودلهم القرآن الكريم إلى الحقائق التاريخية والإيمانية التالية:

- زعم اليهود أن عزيرا ابن الله، وزعم النصارى أن المسيح ابن الله، ليس قولا جديدا وإنما هم يضاهئون [أي يقلدون ويتبعون] الفلاسفة والباطنيين الذين كفروا من قبلهم.
- أن الأحبار والرهبان هم سبب ضلالهم وأصل فتنتهم.
- أن شريعة الله تأمر بالتوحيد المنزه عن الشرك وجهل الفلاسفة
- أن محمدا ﷺ جاء بالهدى والفهم الصحيح، وأن الله ناصره ومظهر أمره رغم محاولات اليهود والنصارى وسائر الكفار والمشركين.
- اشتمال قول الله ﷻ على معجزة تاريخية كبرى حين تقرر أن اليهود والنصارى استقوا ضلالهم من أفكار الكافرين الذين جاءوا من قبلهم وذلك قوله تعالى: ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ [التوبة-٣٠]، فهؤلاء هم المسلمون الذين وجدوا الجواب الشافي فيما أنزل الله، وآمنوا بالرسول الكريم عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله صلوات ربى وسلامه عليه "كلمة الله" وروح منه التي ألقاها إلى مريم رضوان الله عليها، الذي اصطفاه ربه بالكتاب وجعله نبيا.

Upload by : altawhedmag.com

ملخص الباب الخامس

- "كلمة الله" في الإسلام لها معنى واضح لا لبس فيه ولا غموض، فالله تبارك وتعالى يقول للشيء كن فيكون، وكلمات الله تعالى تُوجد الأشياء من العدم وفق مراد الله تعالى.
- إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم، بل إن خلق آدم في عرف الناس أصعب وأشق من خلق عيسى، فآدم أوجده الله تعالى من التراب بلا أب أو أم، بينما عيسى خلقه الله تعالى من مريم وهي إحدى النساء اللائي خلقن ويقبلن الولد كغيرها من بنات جنسها.
- إن لطف الله تعالى في خلق عيسى قد أظهر الحجة على البشر عامة، وعلى بني إسرائيل خاصة، فقد صاحب مولده مولد ابن خالته يحيى، وفي ظروف أصعب من ميلاد عيسى، فأم يحيى عجوز عاقر، انقطعت أسباب الولد عندها، وتجاوزت سن اليأس، وأبوه شيخ كبير، اشتعل الرأس منه شيبا، ووهن عظمه، فأسباب مولد يحيى منقطعة من جهة أبيه وأمه، فأنّى يأتيها الولد، بينما ولد المسيح عليه السلام، ولم ينقطع من أسباب ولادته إلا انعدام سبب الأب بينما أمه صالحة للولادة.
- تزامن ميلاد عيسى ويحيى عليهما السلام وفي عائلة واحدة، لا يخفى حسبها وعلو شأنها وشرف أفرادها، فزكريا عليه السلام نبي كريم، عاش في قومه معززا مكرما، ومريم العذراء البتول وهبتها أمها للعبادة قبل ولادتها، ووفت نذرها، وصدقت مريم مع ربها، وذاع في الناس صيتها وصلاح أمرها، حتى رأى الناس رزقها يأتيها من عند ربها.
- مخاطبة عيسى لقومه وإجابته عليهم يوم مولده كان بيانا شافيا، فقد حدد للناس أنه عبد الله ورسوله، ولو كان ابن إله، لقرر هذا المفهوم من اليوم الأول.
- أن القرآن بموقفه من قضية خلق عيسى عليه السلام قد دافع بأقوى وأصدق حجة عن ابني الخالة ومريم التي اصطفاها الله تعالى ابتداء، ثم طهرها لتلقي كلمة الله، ثم اصطفاها بمولد عيسى عليه السلام.

Upload by : altawhedmag.com

الباب السادس

تاريخ الباطنية

١. الفتنة الكبرى.

٢. أطوار التشيع.

٣. الحركات الباطنية.

٤. نشأة دولة الباطن.

٥. تأثير حركة الترجمة.

Upload by : altawhedmag.com

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الأول

الفتنة الكبرى

قبل أن نشرع في الحديث عن الفتنة الكبرى، لابد لنا أن نوضح للقارئ الكريم بعضا من الإجابات على ما قد يكون تبادر إلى ذهنه من قراءة ما سبق من أبواب، فرب سائل يسأل: كتابكم عنوانه جذور الشيعة وجيش المهدي، فما الذي سلك بنا دروب اليهودية والنصرانية؟ أليس هذا خروجا عن موضوع الكتاب؟ وإذا كان لابد من استعراض الفكر المسيحي، فلم كل هذا القدر من التفصيلات؟

وللقارئ الحق في هذا الطرح، والحقيقة أننا ما زلنا في ساحة الموضوع ولم نخرج عنه، وقد توجب علينا بيان كل هذا القدر من التفصيل لأننا سنراه ماثلا أمامنا مرة أخرى، وبصورة لا تحتمل اللبس أو التأويل، وحين يحذرنا النبي صلى الله عليه وسلم من اتباع اليهود والنصارى، فإنه أوضح بتكرار وتفصيل حقيقة اتباعهم والسير خلفهم، قذة بقذة، وشبرا بشبر، وذراعا بذراع، بل من العجيب أن يقول: حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ورائهم، أو كما قال صلى الله عليه وسلم، ولهذا لابد من إظهار عقيدة القوم بكافة تفصيلاتها، حتى نصف الجحور التي دخل فيها بعض المسلمين فعلا، ولهذا فإني أنصح القارئ الكريم أن يجعل ما قلناه في عقيدة النصارى ماثلا أمامه وهو يقرأ عقيدة الشيعة، وعليه أيضا أن يتتبع الأصابع الخفية لليهود تلك التي عبثت بالمسيحية على يد شاءول، ليرى عبد الله بن سبأ صورة أخرى للمكر اليهودي العابث بفرقة كبيرة من فرق المسلمين، ونسأل المولى الكريم أن يهدينا جميعا إلى سواء السبيل، فلنبدأ على بركة الله في بيان نشأة تسرب الفكر الباطني إلى الإسلام.

لقد بلغ الإسلام على يد أصحاب النبي رضوان الله عليهم مشارق الأرض ومغاربها، ولم يكن هذا ليسعد أعداء الإسلام الذين لم يستطيعوا أن يواجهوه في وضح النهار، فاندسوا كسابق عهدهم مع جميع الرسالات السماوية في صفوف المسلمين، يظهرون لهم الإسلام حتى يأمن الناس جانبهم، ثم يدسوا على الإسلام وعقيدة أتباعه ما لم يكن من هدي نبيهم ﷺ، ولما وجدوا في الفاروق عمر ﷺ الدرع الواقي للعقيدة، والراعي الصالح لشئون الإسلام والمسلمين، والقائد اليقظ الذي يقتل كل فتنة في مهدها، لم يجدوا مفرا من قتله، فتآمروا عليه،

Upload by : altawhedmag.com

ونفذ المؤامرة أبو لؤلؤة المجوسي وراح ينهال على أمير المؤمنين بالخنجر المسموم وهو يصلي بالناس في مسجد رسول الله ﷺ، وقد يذهب بعض الكُتَّاب والمؤرخين إلى أن هذه الجريمة فردية قام بها أبو لؤلؤة من نفسه، ولكنا نرى أن وراء هذه الجريمة أيدي أعداء الإسلام ودعاة هدمه من داخله، فوجدوا أن لا سبيل إلى هدفهم إلا بالخلاص أولا من الفاروق ﷺ، وتراهم يحتفلون إلى اليوم بذكرى مقتل الفاروق ويسمونه بالعيد الأكبر، ويكنون ذلك العبد المجوسي بأبي شجاع الدين، فها هو شيخ الشيعة ووافدهم أحمد بن إسحاق القس يقول: "إن يوم قتل عمر هو العيد الأكبر، ويوم الزكاة العظمى، ويوم البركة، ويوم التسلية".

ولا شك أن هذا القول وأمثاله مما سنورد عند حديثنا عن الفرق الباطنية ليدل دلالة قاطعة على مدى الحنق والكراهية اللذين امتلأ بهما قلوب هؤلاء المجوس على من أطاح بعروشهم، وأفلَت على يديه دولتهم.

إن الفاروق ﷺ صاحب الفراسة الثاقبة لم يكن ليغفل عما يدبره أعداء الإسلام من مؤامرات، ولكن فهمه الحقيقي للإسلام جعله يقول يوما ما: "إن أناسا كانوا يأخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه، وليس إلينا من سريرته شيء، والله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنة"، وهكذا كان عمر ﷺ قدوة للأمة ومثلا يحتذى به، ويمثل قتله ولقاؤه ربه شهيدا كسر الباب الذي كان يحول بين الأمة والفتنة، فبدأت الفتن تتوالى عليها كقطع الليل المظلم، فتنا تجعل الحليم حيران، وسنلقي الضوء بإذن الله وتوفيقه على الأحداث التي توضح لنا كيف تسرب الفكر الباطني إلى الإسلام، وما وراء ذلك من أيد حاقدة لها بصمة واحدة.

أولا: التخطيط.

بعد أن قتلت يد الغدر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، بويع الخليفة الثالث عثمان بن عفان، وسار على درب صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهم، وأرسل طلائع الهداية والنور إلى مشارق الأرض ومغاربها، فاتسعت الأمصار ودانت رقاب الشرك تحت راية التوحيد، ولم يجد أعداء الإسلام طريقا يسلكونه إلا إحداث الفرقة بين المسلمين.

Upload by : altawhedmag.com

وكما دخل بولس النصرانية ليصرفها عن عقيدة المسيح عليه السلام، راح اليهود يكررون خطتهم ويعتمدون هذه المرة على عبد الله بن سبأ، وهو رجل يهودي: "من أهل صنعاء، أمه سوداء، أسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول إضلالهم، فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر، فاستقر عندهم، فقال لهم فيما يقول: لَعَجَبٌ ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمدا يرجع، وقد قال الله عز وجل: ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ [القصص : ٨٥] فمحمد أحق بالرجوع من عيسى، قال: فقُبِلَ ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها، ثم قال لهم بعد ذلك: أنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي، وكان عليٌّ وصي محمد، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء، ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ ووثب على وصي رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمة، ثم قال بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله ﷺ فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدؤوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس،فبث دعاته، وكاتب من استفسد في الأمصار وكاتبوه، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم، حتى تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون، ويسرون غير ما يبدون، فيقول أهل كل مصر: إنا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا: إنا لفي عافية مما فيه الناس".

إذن فها هي أصابع اليهود تظهر ثانية، ويرتدى ابن سبأ - أو ابن السوداء - ثوب المسلمين ويندس وسط جموعهم، ويجد في أهل مصر من يستمع إليه، وهم حديثو عهد بالإسلام، وكانوا من قبل يؤمنون برجعة عيسى، فما يمنع من رجعة رسول الله ﷺ برغم أن بعض المؤرخين ينفي وجود هذه الشخصية أصلا، إلا أن الأحداث التي وقعت تشير إلى وجود أصابع خفية - لا يمكن إنكارها - تُدَبِّر في الخفاء ثورة على ذي النورين وتؤلب الناس في عدة بلدان، ولما وصلت هذه الأخبار إلى الخليفة الثالث بعث رجالا إلى الأمصار لكي يتأكدوا من صحة ما وصل إليه من أخبار، كما كتب رسالة إلى أهل الأمصار قال فيها: "أما

Upload by : altawhedmag.com

بعد فإني آخذ العمال بموافاتي في كل موسم، وقد سلطت الأمة منذ وليت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يرفع علي شيء ولا على أحد من عمالي إلا أعطيته، وليس لي ولعيالي حق قبل الرعية إلا متروك لهم، وقد رفع إلي أهل المدينة أن أقواما يشتمون وآخرين يضربون، فيا ضرب سرا وشتم سرا: من ادعى شيئا من ذلك فليواف الموسم فليأخذ بحقه حيث كان مني أو من عمالي، أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين". فلما قرئ في الأمصار بكى الناس ودعوا لعثمان وقالوا أن الأمة لتمخض بشر".

كما دعا إلى اجتماع في موسم الحج حضره عمال الأمصار منهم معاوية بن أبي سفيان، وعبدالله بن أبي سرح وسعيد وعمرو بن العاص وعبدالله بن عامر، وطلب مشورتهم فكان مما قاله سعيد بن العاص: "هذا أمر مصنوع يُصنع في السر، فَيُلْقى به غير ذي المعرفة فيخبر به فيُتَحَدَّث به في مجالسهم".

فلما عاد عثمان إلى المدينة رد الأمراء إلى بلادهم، وكان معاوية قد قال لعثمان غداة ودعه وخرج: "يا أمير المؤمنين انطلق معي إلى الشام قبل أن يهجم عليك من لا قِبَل لك به، فإن أهل الشام على الأمر لم يزالوا، فقال عثمان: أنا لا أبيع جوار رسول الله ﷺ بشيء وإن كان فيه قطع خيط عنقي، قال: فأبعث إليك جندا منهم يقيم بين ظهراني أهل المدينة لنائبة إن نابت المدينة أو إياك؟ قال: أنا أُقتر على جيران رسول الله ﷺ الأرزاق بجند مُساكِنِهم، وأُضَيِّق على أهل دار الهجرة والنصرة، قال معاوية رضي الله عنه: والله يا أمير المؤمنين لتُغْتَالن أو لتغزين، قال عثمان رضي الله عنه: حسبي الله ونعم الوكيل.

فلما ودَّع معاوية عثمان خرج من عنده وعليه ثياب السفر، متقلدا سيفه متنكبا قوسه، فإذا هو بنفر من المهاجرين فيهم: طلحة، والزبير، وعلي رضي الله عنهم، فقام عليهم فتوكأ على قوسه بعد ما سلَّم عليهم ثم قال: "إنكم قد علمتم أن هذا الأمر كان إذا الناس يتغالبون إلى رجال فلم يكن منكم أحد إلا وفي فصيلته من يرؤسه ويستبد عليه، ويقطع الأمر دونه ولا يُشْهِده ولا يؤامره، حتى بعث الله ﷻ نبيه ﷺ، وأكرم به من اتبعه، فكانوا يُرَئِّسون من جاء من بعده وأمرهم شورى بينهم، يتفاضلون بالسابقة والقدمة والاجتهاد، فإن أخذوا بذلك، وقاموا عليه كان الأمر أمرهم، والناس تَبَعٌ لهم، وإن أصغوا إلى الدنيا وطلبوها بالتغالُب سلبوا ذلك، ورده الله إلى من كان يَرْأسهم، وإلا فليحذروا الغِيَر فإن الله على البَدْل

Upload by : altawhedmag.com

قادرٌ وله المشيئة في ملكه وأمره، إني قد خلَّفت فيكم شيخا، فاستوصوا به خيرا، وكانِفوه، تكونوا أسعد منه بذلك، ثم ودعهم ومضى، فقال علي: "ما كنت أرى أن في هذا خيرا"، فقال الزبير: "لا والله ما كان قط أعظم في صدرك وصدورنا منه الغداة".

ثانيا: التنفيذ.

قدم السبئية المدينة أول مرة، فلما سمع عثمان أن وفد أهل مصر قد أقبلوا عليه، خرج لهم واستقبلهم خارج المدينة، فأتوه وقالوا له: "ادع بالمصحف، فدعا بالمصحف فقالوا: افتح السابعة [أي سورة يونس]، فقرأها حتى أتى على هذه الآية: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلالا قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس-٥٩]، فقالوا له: "قف، أرأيت ما حميت من الحمى؟ [أي: منعت أن يرعى الرعاة حيث ترعى إبلك] آلله أذن لك به أم على الله تفتري؟، فشرح لهم قائلا: "فأما الحمى: فإن عمر حمى الحمى قبلي لإبل الصدقة، فلما وليت زادت في إبل الصدقة فزدت في الحمى لما زاد لإبل الصدقة"... ثم أخذوه بأشياء لم يكن منها مخرج فعرفها فقال: "أستغفر الله وأتوب إليه"، وقال لهم: "ما تريدون؟"، قالوا: "نأخذ ميثاقك"، وكتبوا عليه شرطا، وأخذ عليهم ألا يشقوا عصا، ولا يفارقوا جماعة ما قام لهم بشرطهم أو كما أخذوا عليه، وقال لهم: "ما تريدون؟"، قالوا: "نريد ألا يأخذ أهل المدينة عطاء"، قال: "لا، إنما هذا المال لمن قاتل عليه ولهؤلاء الشيوخ من أصحاب رسول الله ﷺ، فرضوا بذلك وأقبلوا معه إلى المدينة راضين، فقام فخطب، فقال: "إني والله ما رأيت وفدا في الأرض هم خير لحوباتي [لحالي] من هذا الوفد من أهل مصر، ألا من له زرع فليلحق بزرعه، ومن كان له ضرع فليحتلبه. ألا إنه لا مال لكم عندنا، إنما هذا المال لمن قاتل عليه ولهؤلاء الشيوخ من أصحاب رسول الله ﷺ، فغضب الناس، وقالوا: "هذا مكر بني أمية".

ثم عادوا مرة أخرى في شوال سنة ٣٥ من الهجرة، وخرج معهم ثلاثة جيوش من مصر ومعهم ابن السوداء، وكذا من الكوفة والبصرة كأنها تريد الحج، فلما وصلوا قريبا من المدينة أرسلوا اثنين منهم، فلقيا أزواج النبي ﷺ، وعليا، وطلحة، والزبير، وقالا: "إنما جئنا نستعفي عثمان من بعض عمالنا"، واستأذنا لرفاقهما بدخول المدينة، فأبى الصحابة، فرجعا خائبين، فاجتمع من أهل مصر نفر فأتوا عليا، فقال لهم: "لا آمركم بالإقدام على عثمان فإن أبيتم فبيض سيفرخ"، واجتمع من أهل البصرة نفر فأتوا طلحة، ومن أهل الكوفة نفر فأتوا الزبير،

Upload by : altawhedmag.com

فلقي الجميع نفس الرد والطرد. فاستجاب الثائرون واتفقوا مع الصحابة على الرجوع من حيث جاءوا، فلما وجد زعماء الفتنة أن نارها بدأت تخبو تخلف في المدينة كل من حكيم بن جبلة - أمير إحدى فرق جيش البصرة -، والأشتر وهو أمير إحدى فرق جيش الكوفة وذلك للتخطيط وإشعال نار الفتنة، وغادر الثوار أماكنهم في ذي خشب، وعادوا إلى عساكرهم، فعلوا ذلك؛ كي يتفرق أهل المدينة الذين كانوا يمانعونهم من دخول جيوشهم إليها، فلما تفرق أهل المدينة، رجع الثوار، فلم يشعر أهل المدينة إلا والتكبير في نواحيها، فقال علي للثوار: "ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم؟"، ففسروا ذلك بأنه أثناء رجوع جيش العراق سائرا في طريقه نحو الشمال الشرقي، والمصريون في طريقهم نحو الغرب إلى ساحل البحر الأحمر ثم إلى الشمال إذ تعرض للمصريين راكب يحمل رسالة مزورة على لسان عثمان إلى عامل مصر يأمره بقطع أيديهم وأرجلهم إذا قدموا مصر، كما تعرض لجيش العراق راكب آخر إلى جيش العراق، والعجيب أن تعود الجيوش الثلاثة في وقت واحد إلى بيت الخليفة ﷺ، ثم أتوا عليا ﷺ، فأجابهم قائلا: "كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر، وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا؟ هذا والله أمر أبرم في المدينة [١]، وفي رواية أخرى: "إنما هذا أمر اتفقتم عليه" [٢].

عندئذ اتضح للجميع معالم المؤامرة، ويرد الثوار بوقاحة وجرأة على علي بن أبي طالب ﷺ بقولهم: "ضعوه كيف شئتم، لا حاجة لنا في هذا الرجل، ليعتزلنا ونحن نعتزله"، يعنون أنه إن نزل عن الخلافة تركوه آمنا.

ولقد دخل - أثناء الحصار - الصحابي الجليل عبد الله بن عمر على عثمان رضي الله عنهما، فقال له عثمان: "انظر ما يقول هؤلاء، يقولون: اخلع نفسك أو نقتلك، قال له ابن عمر: أفخلد أنت في الدنيا؟، قال: لا، قال: هل يزيدون على أن يقتلوك؟، قال: لا، قال: فلا تخلع قميص الله عنك، فتكون سنة، وكلما كره قوم خليفتهم خلعوه أو قتلوه".

١ تاريخ الطبري ٥: ١٠٥

٢ البداية والنهاية لابن كثير ٧: ١٨٢

Upload by : altawhedmag.com

أما عثمان فإنه مطمئن بالله ﷻ لا يفارقه حديث رسول الله ﷺ له الذي يقول فيه: ﴿يا عثمان إن ولاك الله هذا الأمر يوما، فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذي قمَّصك الله فلا تخلعه، فلا تخلعه، فلا تخلعه﴾[١].

لذلك نرى عثمان ﷺ يأمر الذين عنده من المهاجرين والأنصار قائلا: "أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده، وأن ينطلق إلى منزله"، وقال لمواليه: "من غمد سيفه فهو حر"، وعثمان ﷺ متبع في هذا لهدي المصطفى ﷺ، حيث يقول في الفتنة حديث: ﴿اكسروا قسيكم، واقطعوا أوتاركم، والزموا أجواف بيوتكم، وكونوا فيها كالخَيِّر من ابني آدم﴾[٢]، وقد اتخذ الصحابي الجليل أهبان سيفا من خشب وحفظه في بيته، اتباعا لقول النبي ﷺ الذي يقول فيه: ﴿إذا كانت الفتنة بين المسلمين فاتخذ سيفا من خشب﴾[٣].

وعثمان ﷺ يخشى أن يكون أول من أعمل السيف في الإسلام، ويعلم أن السيف لن يرفع إلى قيام الساعة، وبهذا أخبر المعصوم: ﴿إذا وضع السيف في أمتي لم يرتفع عنها إلى يوم القيامة﴾[٤]، ولا شك أن من يتصرف بهذه الطريقة لا ينسى -بطبيعة الحال - يوم وقف مع رسول الله ﷺ، وأبي بكر، وعمر على جبل أحد واهتز الجبل، فقال له الرسول ﷺ: ﴿اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان﴾، وضع عثمان ﷺ كل هذه المعاني نصب عينيه طوال مدة الحصار، حتى أصبح يوما فأعتق عشرين مملوكا، ودعا بسراويل فشدها عليه، ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام، وقال: "إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة في المنام، ورأيت أبا بكر وعمر، وأنهم قالوا لي: اصبر، فإنك تفطر عندنا القابلة، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه، فقتل وهو بين يديه"، فلقي ربه صابرا طاهرا صائما تاليا كتابه، لم يسكته إلا خنجر

---

١ حديث عائشة أخرجه الترمذي في سننه وقال: حسن غريب، ورواه أحمد في مسنده ولفظه:(إن الله لعله يقمصك قميصا فإن أرادك أحد على خلعه فلا تخلعه) ثلاثا.

٢ حديث أبو موسى الأشعري رواه الترمذي ٣: ٢٢٢، وقال حديث حسن غريب، والبيهقي في شعب الإيمان ٢:١١٣، وابن عساكر ١٧:٤٩١:١ وصححه الألباني في الصحيحة رقم ١٥٢٤، وقال: إسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات رجال البخاري،

٣ حديث أهبان أخرجه الترمذي ٢٢٠٤، وقال حديث حسن غريب، وابن ماجه ٣٩٦٠، وأحمد ٥:٦٩، والطبراني في الكبير ١:٤٤، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٣٨٠

٤ حديث ثوبان رواه الترمذي وأبو داود والمستدرك، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٨٢٨

Upload by : altawhedmag.com

الخائنين لله ورسوله، فوقع دمه على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: - ١٣٧] ، وكما أنبأ النبي ﷺ عثمان بما سيلقى من قومه، فقد أنبأ عليا أيضا كما أخبر بذلك حديث أبا سعيد الخدري حيث يقول: ﴿كنا جلوسا ننتظر رسول الله ﷺ فخرج علينا من بعض بيوت نسائه قال : فقمنا كعه فانقطعت نعله فتخلف علي عليها يخصفها، فمضى رسول الله ﷺ ومضينا معه، ثم قام ينتظره وقمنا معه فقال:(إن منكم من يُقاتل على تأويل القرآن كما قاتلتم على تنزيله، فاستشرفنا وفينا أبو بكر وعمر، فقال: لا ولكنه خاصف النعل يعني عليا رضي الله عنه﴾.[١]

ثالثا: مواقف الصحابة.

وإذا أردنا أن نعرف موقف علي ﷺ من هذه الأحداث، فلنقرأ إجابته على سعيد الخزاعي إذ يقول: "لقيت عليا بعد الجمل فقلت له: أخبرني أي منزلة وسعتك إذ قتل عثمان ولم تنصره؟ قال: إن عثمان كان إماما، وإنه نهى عن القتال، وقال: من سل سيفه فليس مني فلو قاتلنا دونه عصيناه، قال: فأي منزلة وسعت عثمان إذ استسلم؟ قال: المنزلة التي وسعت ابن آدم إذ قال لأخيه: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة-٢٨]، العقد الفريد لابن عبد ربه، نقلا عن العواصم من القواصم للقاضي ابن العربي كما تمسك كثير من الصحابة بنصيحة النبي ﷺ لهم أن ينصروا عثمان بن عفان ﷺ، وكانوا يدركون أنه على الحق ومن معه، ولولا موقف عثمان من رفض القتال لنصرته ما تأخر عن نصرته من الصحابة أحد، فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن مرَّة البهزي، قال: ﴿بينما نحن مع نبي الله ﷺ في طريق من طرق المدينة، فقال: كيف في فتنة تثور في أقطار الأرض كأنها صياصي بقر؟ قالوا: نصنع ماذا يا نبي الله؟ قال: عليكم هذا وأصحابه، [أو اتبعوا هذا وأصحابه]، قال: فأسرعت حتى عطفت على الرجل، فقلت: هذا يا نبي الله؟ قال: هذا، فإذا هو عثمان بن عفان﴾[٢].

---

١ حديث أبو سعيد الخدري أخرجه النسائي في خصائص علي ٢٩، وابن حبان في صحيحه ٢٢٠٧، والحاكم في المستدرك ٣:١٢٢، وأحمد في مسنده ٣: ٣٣، ٨٢، وأبو يعلى ١: ٣٠٣، وأبو نعيم في الحلية ١: ٦٧، وصححه الألباني في الأحاديث الصحيحة

٢ أخرجه أحمد في مسنده، الحديث ١٩٤٦٢

Upload by : altawhedmag.com

ولم تهدأ الفتنة بقتل الخليفة بل استعرت نارها، وذلك أن المدينة بقيت خمسة أيام أميرها الغافقي بن حرب، وكان اتفاق الثوار على قتل عثمان ﷺ، إلا أنهم لم يتفقوا على من يخلفه، فالمصريون يريدون عليا، والبصريون هواهم مع طلحة بن عبيد الله، والكوفيون يرغبون في الزبير بن العوام، وكلما طلب الناس من يريدونه للإمامة أبى واختبأ منهم، حتى قال بعضهم: "إن رجع الناس إلى أمصارهم بقتل عثمان، ولم يقم بعده قائم بهذا الأمر، لا نأمن اختلاف المسلمين وفساد الأمة، فبعثوا إلى سعد بن أبي وقاص وقالوا: إنك من أهل الشورى فاقدم نبايعك، فبعث إليهم: إني وابن عمر خرجنا منها، فلا حاجة لي فيها على حال، فأتوا عبد الله بن عمر، فقالوا: انت ابن عمر فقم بهذا الأمر، فقال: إن لهذا الأمر انتقاما، والله لا أتعرض له فالتمسوا غيري، فبقوا حيارى.فعادوا إلى علي فأخذ الأشتر بيده وكان أول من بايعه، وقد رأى عليا أن يعزل عمال عثمان على الأنصار، ويولي عليها عمالا من عنده، فأشار عليه المغيرة بن شعبة أن يدعهم على حالهم، ولكن عليا لم يقبل رأيه، فأتاه في اليوم التالي، وأشار عليه بعزلهم، فقال عبد الله بن عباس: أما بالأمس فقد نصحك، وأما اليوم فقد غشك".

ثم تداعت الأحداث والمواقف وانقسم الناس إلى مذاهب شتى:

١. قَبِلَ علي ﷺ الخلافة؛ لجمع شمل الأمة ورأى أن يبدأ بإعادة الأمن للمدينة، وهذا لا يكون إلا بعودة الثوار إلى بلادهم، ثم باختيار ولاته على الأمصار، ثم بعد استقرار الدولة ينظر في إقامة الحد على قتلة عثمان بعد محاكمتهم والتحقيق معهم، وهو لا يستطيع أن يبدأ بالقصاص وهو غير قادر عليه والمدينة بين أيدي الثوار.

٢. يرى معاوية ﷺ أن جزءا من المسئولية يقع على علي وطلحة والزبير، حيث لم يقوموا بحماية الخليفة ودرء السبئية[1]، وأن وجود قتلة عثمان في معسكر علي أمر خطير، وأنه ينبغي القصاص منهم، ولو استعان علي بمعاوية في ذلك الأمر، ما تأخر، ولتمكن بجيشه من تأديب الخارجين على الدولة الإسلامية

١ السبئية: هم أتباع عبد الله بن سبأ عنه،

Upload by : altawhedmag.com

واستعادة هيبتها، لذلك لما بعث علي رسله إلى معاوية رضي الله عنهما يدعوه إلى البيعة جمع رءوس أهل الشام، ومعهم عمرو بن العاص "فاستشارهم، فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان"، ثم اجتمع معاوية ورسل علي الذين دعوه إلى الجماعة والطاعة، قال: "أما بعد فإنكم دعوتموني إلى الجماعة والطاعة، فأما الجماعة فمعنا هي، وأما الطاعة فكيف أطيع رجلا أعان على قتل عثمان وهو يزعم أنه لم يقتله؟ ونحن لا نرد ذلك عليه، ولا نتهمه به، ولكنه آوى قتلة عثمان، فليدفعهم إلينا حتى نقتلهم به، ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة"، وقال لرسولين آخرين: "قولا لعلي فليقدنا من قتلة عثمان، ثم أنا أول من يبايع من أهل الشام".

٣. ومن المعلوم أن معاوية لم يحرك جيشا إلا عندما علم بتحرك جيش علي من الكوفة إلى الشام، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "لم يكن معاوية ممن يختار الحرب ابتداء، بل كان من أشد الناس حرصا على أن لا يكون قتال". (١)

٤. جمهور الصحابة اعتزلوا الفتنة وهم يومئذ يزيدون على مائة ألف، عملا بأحاديث رسول الله ﷺ التي يحذر فيها أصحابه من الفتنة، ودعاهم إلى اعتزالها بقوله ﷺ: «ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن يشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو مَعَاذا فليعذ به»(٢).

٥. ولما استطار الشر بعد مقتل عثمان بن عفان ﷺ، طالب طلحة والزبير بالقصاص من قتلة عثمان، كما سعيا في نفس الوقت للقيام بدور في الإصلاح بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، فحثا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن تخرج، فقد يراعي الناس حرمة أمهم زوج النبي ﷺ، فيكفوا أيديهم عن الاختلاف، فكان

---

١ منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٢: ٢١٩

٢ متفق عليه: أخرجه البخاري في المناقب من حديث أبي هريرة رقم ٣٣٣٤، ومسلم في كتاب الفتن حديث ٢٨٨٦، وأخرجه أحمد في مسنده حديث ٢: ٢٨٢، ٥: ٤٢٩

Upload by : altawhedmag.com

ما عرف بعد ذلك بواقعة الجمل، وقد ورد ما يؤيد هذا في الحديث الشريف: ﴿أن عائشة لما بلغت مياه بني عامر ليلا نبحت الكلاب، قالت: أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب، قالت: ما أظنني إلا راجعة، فقال بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون، فيصلح الله ﷻ ذات بينهم، قالت: إن رسول الله ﷺ، قال لها ذات يوم: كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب﴾[١].

رابعا: انقسام حزب علي.

نجح الثوار في إقناع علي بالخروج إلى العراق؛ ليكون على مقربة من الشام، وهم يضمرون إخراج علي إلى ديارهم؛ ليكونوا في مأمن من القبض عليهم ومحاكمتهم، وبرغم نصيحة كثير من الصحابة لعلي بعدم الخروج، ومنهم ابنه الحسن سبط رسول الله ﷺ إلا أنه حاول أن يدعو بعض الصحابة للخروج معه منهم أهبان بن صيفي الغفاري ﷺ، فقال له: "إن خليلي وابن عمك عهد إلي إذا اختلف الناس أن أتخذ سيفا من خشب، فقد اتخذته، فإن شئت خرجت به معك"[٢]، ولا يفوتنا ونحن نتتبع نشأة الشيعة ومراحل تطورها، أن ننوه على أن قتلة عثمان بن عفان ﷺ كانوا في صفوف علي ﷺ، وهم يعلمون أن إطفاء نار هذه الفتنة، سيوفر متنفسا من الوقت لمحاكمتهم والقصاص منهم على جريمتهم التي أيقظت الفتنة في الأمة الإسلامية إلى يوم القيامة؛ بل إنهم هددوا عليا أن يقتلوه كما قتلوا عثمان من قبل عندما حذرهم من خدعة التحكيم وقالوا له: "يا علي أجب إلى كتاب الله إذا دعيت إليه، وإلا ندفعك برمتك إلى القوم، أو نفعل ما فعلنا بابن عفان، إنه أبى علينا أن نعمل بما في كتاب الله فقتلناه، والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك". [٣] لذا فعندما أوشكت وساطة الصحابي الجليل القعقاع بن عمرو التيمي بين أصحاب الجمل وعلي أن تؤتي ثمارها ويحل السلام بين الفريقين، تدخلت أيدي السبئية لإفساد كل شيء، يقول ابن كثير: "فاطمأنت النفوس وسكنت، واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيشين... وباتوا بخير ليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها قط، وقد أشرفوا على الهلكة، وجعلوا

١ أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم ٢٣٧٣٣

٢ أخرجه الترمذي حديث ٢٢٠٣

٣ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي ٥:١٢١

Upload by : altawhedmag.com

يتشاورون ليلتهم كلها، حتى اجتمعوا على نشاب الحرب في السر، واستسروا بذلك خشية أن يفطن بما حاولوا من الشر، فغدوا مع الغَلَس- الغلس: ظلام آخر الليل، وهو أول الصبح حتى ينتشر في الآفاق، والغدو: الخروج أول النهار- وما يشعر بهم جيرانهم، انسلوا انسلالا" [1]، وألقوا سهامهم على أصحاب الجمل، وهكذا أنشبوا الحرب بين علي وأخويه طلحة والزبير، فظن أصحاب الجمل أن عليا غدر بهم، وظن أصحاب علي أن إخوانه غدروا به. وقد استخدم الخونة أعداء الإسلام نفس الأسلوب عندما أوشك علي ومعاوية على الوصول إلى طريقة تعصم المسلمين من استمرار إراقة الدماء، وعندما قبل الطرفان مبدأ التحكيم، خرج الخوارج على علي بن أبي طالب ﷺ، والخوارج وهم: الذين وافقوا أولا على التحكيم ثم رفضوه، وحنقوا على أميرهم بعد أن قبل التحكيم، وراحوا يرفعون شعار "إن الحكم إلا لله"، ولما سمعهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال قولته المشهورة: "كلمة حق أريد بها باطل"، وهم قوم أنبأ رسول الله ﷺ عنهم، وبلغنا بأوصافهم في الأحاديث المتواترة، منها:

ما يرويه أبو سعيد الخدري ﷺ، قال: «بينا النبي ﷺ يقسم جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي، فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل، قال عمر بن الخطاب ﷺ: دعني أضرب عنقه، قال: دعه، فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وصيامه إلى صيامهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية،... آيتهم رجل إحدى يديه [أو قال ثدييه] مثل ثدي المرأة، أو قال: مثل البضعة تدردر [تدردر: أي تضطرب، وتهتز، وتتحرك]، يخرجون على حين فرقة من الناس، قال أبو سعيد: أشهد سمعت النبي ﷺ، وأشهد أن عليا قتلهم، وأنا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي ﷺ» [2].

---

١ تاريخ الطبري ٢٠٢:٥، ٢٠٣، البداية والنهاية لابن كثير، منهاج السنة لابن تيمية ٢: ١٨٥، ٣: ٢٢٥، ٢٤١، والعواصم من القواصم لابن العربي، تحقيق محب الدين الخطيب ١٥٩

٢ أحاديث ذم الخوارج متواترة عن الصحابة رضي الله عنهم، ومنهم: عبد الله بن عمر، وابن عباس، وأبو سعيد الخدري، وسهل بن حنيف، وجابر بن عبد الله، وأبو ذر، وأنس بن مالك، وأخرج هذه الأحاديث البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وأحمد، وابن حبان وابن أبي شيبة والطبراني في الأوسط والصغير.

Upload by : altawhedmag.com

وفي حديث سهل بن حنيف ﷺ: قلت لسهل بن حنيف هل سمعت النبي ﷺ يقول في الخوارج شيئا؟ قال: سمعته يقول وأهوى بيده قِبَلَ العراق: ﴿يخرج منه قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية﴾[١]

ويتمسك الخوارج بنصوص لا يدرون معناها ولا المراد منها، وظهر على أيديهم مبدأ تكفير من لا يوافقهم في الرأي؛ ولذلك تراهم وهم يخرجون في أول الأمر لنصرة علي، ينقلبون عليه بعد قبوله التحكيم، بل ويعلنون تكفيره وحزبه، وكذا معاوية وحزبه، وأيضا من اعتزل الفتنة من الصحابة، فصار الجميع في نظرهم كفارا مارقين من الدين، وفي النهاية تآمروا على الأمة بأسرها وأرسلوا من يقتل عليا ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهم أجمعين، وقد انقسم الخوارج إلى أحزاب عديدة أهمها: "الأزارقة، والنجدات، والبيهسية، والعجاردة، والثعالبة، والصفرية".

ويبقى في معسكر علي بن أبي طالب ﷺ جماعة غالت في شأنه، ومِن نسل هؤلاء ظهرت فرق الشيعة: وهي أول الفرق الباطنية وأكبرها خطرا على الإسلام، وقد انقسمت إلى العديد من الفرق، أشهرها:

- الشيعة الإمامية الاثنا عشرية والتي تسمى أيضا الشيعة الجعفرية.
- الباطنية أو غلاة الشيعة، وتلك فرق ظهرت فيما بعد انشقت عن الشيعة وغالت عنها، وهم: الإسماعيلية، والدروز، والنصيرية [أو العلويون].

وسنحرص في الفصل التالي على تتبع نشأة هذه الفرق من الناحية التاريخية، ثم نفرد بتوفيق الله تعالى بابا مستقلا لبيان عقائد كل منها، وكيف تسربت أفكار اليهود والنصارى وأصبحت دينا مختلفا تمام الاختلاف عن الإسلام الحنيف، وسيظهر هذا البحث جوانب من إعجاز حديث رسول الله ﷺ الذي يرويه أبو سعيد الخدري ﷺ: ﴿أن النبي ﷺ قال: لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا [وفي رواية: سلكوا] جحر ضب تبعتموهم [لسلكتموه]، قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن!!﴾[٢].

---

١ حديث سهل بن حنيف متفق عليه أخرجه البخاري ٦٤٢٢، ومسلم ١٧٧٧، وأحمد ١٥٠٤٩

٢ حديث أبي سعيد الخدري متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ٣١٩٧، والاعتصام بالكتاب والسنة ٦٧٧٥، ومسلم في كتاب العلم ٤٨٢٢، وأحمد في مسنده١١٣٧٢، ١١٤١٥

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الثاني

أطوار التشيع

أولا: بداية الشيعة والإمام الأول.

بدأت الشيعة بأفراد يرون عليا ﷺ أولى بالخلافة من عثمان، وأنه أحق الناس بالخلافة بعده، وربما كانوا يطمعون في خلافة علي للنبي ﷺ إلا أن مكانة الشيخين وحكمتهما في إدارة شئون الدين والدنيا، أخرست صوت هؤلاء، وبالتالي لم يجرؤ أحد في هذه الآونة أن يفضل عليا على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولم يكن ابن سبأ ليقدر وحده على إشعال الفتنة وتحريك جيوشها إلا إذا وضع لهم هدفا دينيا يسعون لتنفيذه، فكان أن غالى في شأن النبي ﷺ حين نادى بالرجعة، ثم جعل عليا وصيا على الدين، كما كان يؤمن اليهود في وصاية يوشع بن نون بعد وفاة موسى عليه السلام، وقد تنبه علي ﷺ إلى خطورة ابن السوداء وأراد قتله، ويشهد على ذلك علماء الشيعة أنفسهم، ومنهم النوبختي وهو أول من كتب في فرق الشيعة في القرن الثالث الهجري، كتب يقول: "السبئية: أصحاب عبد الله بن سبأ، وكان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم، وقال: إن عليا عليه السلام أمره بذلك، فأخذه علي فسأله عن قوله هذا، فأقر به، فأمر بقتله، فصاح الناس إليه: يا أمير المؤمنين، أتقتل رجلا يدعو إلى حبكم آل البيت، وإلى ولايتك، والبراءة من أعدائك؟ فصيره - أي نفاه- إلى المدائن"[1].

ولا شك أن هذا النفي بعيدا عن أعين أمير المؤمنين، قد أتاح لهذا اليهودي الحاقد فرصة أوسع للخوض في الفتنة، وتوسيع شقة الخلاف، لذلك نراه ينتقل إلى مرحلة ثانية من مراحل غلوه بعد مقتل علي ﷺ، فنراه حينما بلغه نعي علي بالمدائن، يقول للذي نعاه: "كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة، وأقمت على قتله سبعين عدلا لعلمنا أنه لم يقتل، ولا يموت

---

١ فرق الشيعة للحسن بن موسى النوبختي ٤١-٤٢، وهو من أعيان شيعة القرن الثالث، والكتاب مطبوع في المطبعة الحيدرية النجف ط ١٩٥٩ م

Upload by : altawhedmag.com

حتى يملك الأرض[١]، وبذلك يضيف إلى أفكاره وأفكار الباطنية من بعده: غيبة الإمام، ثم رجوعه آخر الزمان.

ويستطرد النوبختي قائلا: "إنَّ الشائع عندنا - معاشر الشيعة - أنَّ عبد الله بن سبأ شخصية وهمية لا حقيقة لها، اخترعها أهل السنة من أجل الطعن بالشيعة ومعتقداتهم، فنسبوا إليه تأسيس التشيع ليصدوا الناس عنهم، وعن مذهب أهل البيت".

يقول السيد/ حسين الموسوي في كتابه لله ثم للتاريخ وهو أحد علماء الشيعة الكبار الذين يسر الله لهم الهداية ومعرفة الحق، فبادر إلى نبذ التشيع، وعاد إلى رياض السنة المطهرة: "وسألت السيد محمد الحسين آل كاشف الغطاء عن ابن سبأ، فقال: إن ابن سبأ خُرافة وضعها الأمويون والعباسيون حقدًا منهم على آل البيت الأطهار، فينبغي للعاقل أن لا يشغل نفسه بهذه الشخصية، ولكني وجدت في كتابه المعروف "أصل الشيعة وأُصولها"[٢] ما يدل على وجود هذه الشخصية وثبوتها، حيث قال: "أما عبد الله بن سبأ الذي يلصقونه بالشيعة، أو يلصقون الشيعة به، فهذه كتب الشيعة بأجمعها تعلن بلعنه والبراءة منه...."، ولا شك أن هذا تصريح بوجود هذه الشخصية، فلما راجعته في ذلك، قال: إنما قلنا هذا تقية، فالكتاب المذكور مقصود به أهل السنة، ولهذا أتْبَعْتُ قولي المذكور بقولي بعده: "على أنه ليس من البعيد رأي القائل أن عبد الله بن سبأ [وأمثاله] كلها أحاديث خرافة وضعها القَصَّاصُون وأرباب السَّمَر المجوف".

وقد ألَّف السيد مرتضى العسكري كتابه "عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى" أنكر فيه وجود شخصية ابن سبأ، كما أنكرها أيضًا السيد محمد جواد مغنية في تقديمه لكتاب السيد العسكري المذكور. وعبد الله بن سبأ هو أحد الأسباب التي ينقم من أجلها أغلب الشيعة على أهل السنة. ولا شك أن الذين تحدثوا عن ابن سبأ من أهل السنَّة لا يُحْصَوْنَ كثرة، ولكن لا يُعَوِّلُ الشيعة عليهم لأجل الخِلاف معهم. بيد أننا إذا قرأنا كتبنا المتداولة نجد أن ابن سبأ شخصية حقيقية، وإن أنكرها علماؤنا أو بعضهم- وما زال الحديث للسيد/ الموسوي - وإليك البيان:

---

١ فرق الشيعة للحسن بن موسى النوبختي ٤١-٤٢

٢ ص ٤١-٤٥

Upload by : altawhedmag.com

١. عن أبي جعفر عليه السلام: "أن عبد الله بن سبأ كان يَدَّعي النبوة، ويزعم أن أمير المؤمنين هو الله - تعالى عن ذلك - فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام، فدعاه، وسأله، فأقَرَّ بذلك، وقال: نعم، أنت هو، وقد كان قد ألقي في روعي أنت الله، وأني نبي، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك قد سخر منك الشيطان، فارجع عن هذا ثكلتْكَ أمك وتُب، فأبى، فحبسه واستتابه ثلاثة أيام فلم يتب، فأحرقه بالنار، وَقال: "إن الشيطان استهواه، فكان يأتيه، ويُلقِي في روعه ذلك".

٢. وعن أبي عبد الله، أنه قال: "لعن الله عبد الله بن سبأ، إنه ادَّعى الربوبية في أمير المؤمنين عليه السلام: وكان والله أمير المؤمنين عليه السلام عبدًا لله طائعًا، الويل لمن كذب علينا، وإن قومًا يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، نبرأ إلى الله منهم، نبرأ إلى الله منهم"[1]، وهناك روايات أخرى.

٣. وقال المامقاني: "عبد الله بن سبأ الذي رجع إلى الكفر وأظهر الغُلُوَّ"، وقال: "غالٍ ملعون، حرقه أمير المؤمنين بالنار، وكان يزعم أن عليًّا إله، وأنه نبيٌّ"[2].

٤. وقال النوبختي: "السبئية قالوا بإمامة علي، وأنها فرض من الله عز وجل، وهم أصحاب عبد الله بن سبأ، وكان ممن أظهر الطعن على أبي بكر، وعمر، وعثمان، والصحابة، وتبرأ منهم، وقال، "أن عليًّا عليه السلام أمره بذلك"، فأخذه عليٌّ، فسأله عن قوله هذا، فأقر به، فأمر بقتله، فصاح الناس إليه: يا أمير المؤمنين أتقتل رجلًا يدعو إلى حبكم أهل البيت، وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك؟ فَصَيَّرَه إلى المدائن.

٥. وحكى جماعة من أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهوديًا فأسلم، ووالى عليًّا، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة، فقال في إسلامه في علي بن أبي طالب بمثل ذلك، وهو أول من شهر القول بفرض إمامة عليّ عليه السلام،

---

١ "معرفة أخبار الرجال" للكشي ص ٧١ - ٧٥

٢ تنقيح المقال في علم الرجال) ٢١٨٣، ١٨٤

Upload by : altawhedmag.com

وأظهر البراءة من أعدائه... فمن هنا قال مَن خالف الشيعة: "إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية"[١].

٦. وقال سعد بن عبد الله الأشعري القُمِّي في عرض كلامه عن السبئية: "السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ، وهو عبد الله بن وهب الراسبي الهمداني، وساعده على ذلك عبد الله بن خرسي، وابن أسود، وهما من أجل أصحابه، وكان أول من أظهر الطعن على أبي بكر، وعمر، وعثمان، والصحابة، وتبرأ منهم"[٢].

٧. وذكر ابن أبي الحديد أن عبد الله بن سبأ قام إلى علي وهو يخطب، فقال له: "أنت أنت"، وجعل يكررها، فقال له - علي -: "ويلك، مَن أنا؟"، فقال: "أنت الله". فأمر بأخذه، وأَخْذِ قومٍ كانوا معه على رأيه"[٣].

٨. وقال السيد نعمة الله الجزائري: "قال عبد الله بن سبأ لعلي عليه السلام: أنت الإله حقًّا، فنفاه عليّ عليه السلام إلى المدائن، وقيل: إنه كان يهوديًا فأسلم، وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون، وفي موسى مثل ما قال في علي"[٤].

فهذه نصوص من مصادر متداولة ومتنوعة بعضها في الرجال، وبعضها في الفقه والفِرَق، وتركنا النقل عن مصادر كثيرة لئلا نطيل كلها تثبت وجود شخصية اسمها عبد الله بن سبأ، فلا يمكننا بَعْدُ نَفْي وجودها خصوصًا، وأن أمير المؤمنين عليه السلام قد أنزل بابن سبأ عقابًا على قولهَ فيه بأنه إله، وهذا يعني أن أمير المؤمنين عليه السلام قد التقى عبد الله بن سبأ، وكفى بأمير المؤمنين حجة، فلا يمكن بعد ذلك إنكار وجوده، ونستفيد من النصوص المتقدمة ما يأتي:

١. إثبات وجود شخصية ابن سبأ، ووجود فرقة تناصره، وتنادي بقوله، وهذه الفرقة تُعرف بالسبئية.

٢. أن ابن سبأ هذا كان يهوديا فأظهر الإسلام، وهو وإن أظهر الإسلام إلا أن الحقيقة أنه بقي على يهوديته، وأخذ يبث سمومه من خلال ذلك.

---

١ "فِرَق الشيعة" ص ٣٢ - ٤٤

٢ "المقالات والفرق" ص ٢٥

٣ شرح نهج البلاغة ٥/ ٥

٤ "الأنوار النعمانية" ٢: ٢٣٤

Upload by : altawhedmag.com

٣. أنه هو الذي أظهر الطعن في أبي بكر، وعمر، وعثمان، والصحابة، وكان أول من قال بذلك، وهو أول من قال بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام، وهو الذي قال بأنه عليه السلام وَصيُّ النبي محمد صلى الله عليه وآله، وأنه نقل هذا القول عن اليهودية، وأنه ما قال هذا إلا محبة لأهل البيت، ودعوة لولايتهم، والتبرؤ من أعدائهم - وهم الصحابة ومن والاهُم بزعمه.

٤. إذن شخصية عبد الله بن سبأ حقيقة لا يمكن تجاهلها أو إنكارها، ولهذا ورد التنصيص عليها وعلى وجودها في كتبنا ومصادرنا المعتبرة، وللاستزادة في معرفة هذه الشخصية، انظر المصادر الآتية: الغارات للثقفي، رجال الطوسي، الرجال للحلي، قاموس الرجال للتستري، دائرة المعارف المسماة بمقتبس الأثر للأعلمي الحائري، الكنى والألقاب لعباس القمي، حل الإشكال لأحمد بن طاوس المتوفي سنة [٦٧٣]، الرجال لابن داود، التحرير للطاوسي، مجمع الرجال للقهبائي، نقد الرجال للتفرشي، جامع الرواة للمقدسي الأردبيلي، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب، مرآة الأنوار لمحمد بن طاهر العاملي، فهذه على سبيل المثال لا الحصر أكثر من عشرين مصدرًا من مصادرنا تنص كلها على وجود ابن سبأ، فالعجب كل العجب من فقهائنا أمثال المرتضى العسكري، والسيد محمد جواد مغنية، وغيرهما في نفي وجود هذه الشخصية، ولا شك أن قولهم ليس فيه شيء من الصحة. انتهى النقل عن السيد/ الموسوي.

وتتفق مصادر السنة والشيعة على أن عليا رضي الله عنه شاهد غلو شيعته بنفسه، فقد ورد في كتاب "دعائم الإسلام" [١] حديثا رواه جعفر الصادق: أن قوما أتوا جده علي بن أبي طالب فقالوا: "أنت إلهنا وخالقنا ورازقنا، ومنك مبدؤنا وإليك معادنا.. فتغير وجهه عليه السلام، وارفض عرقا، وارتعد كالسعفة تعظيما لجلال الله، وخوفا منه، وثار مغضبا، ونادى بمن حوله، وأمرهم بحفير فحفر، وقال: لأشبعنكم اليوم لحما وشحما، فلما علموا أنه قاتلهم.. قالوا: لئن قتلتنا فأنت تحيينا، فاستتابهم فأصروا على ما هم فيه، فضرب أعناقهم، وأضرم نارا في ذلك الحفير، وأحرقهم فيه وقال:

١ دعائم الإسلام للقاضي النعمان بن حيون نقلا عن تاريخ الإسماعيلية - الدعوة والعقيدة لعارف تامر

Upload by : altawhedmag.com

لما رأيت الأمر أمر منكرا أضرمت ناري ودعوت قنبرا [١]

وفي رواية أخرى: "أن مر علي بن أبي طالب بقوم وهم يأكلون في رمضان نهارا، فقال: أسفر أم مرضى؟ قالوا: لا ولا واحدة منهما، قال: فمن أهل الكتاب أنتم، فتعصمكم الذِّمة والجزية؟، قالوا: لا. قال: فما بال الأكل في نهار رمضان؟، فقاموا إليه فقالوا: "أنت أنت"، يومئون إلى ربوبيته كما يعتقدون أي أنت يا علي الله، فنزل عن فرسه، وألصق خده بالأرض، وقال: ويلكم إنما أنا عبد من عبيد الله، فاتقوا الله، وارجعوا إلى الإسلام، فأبوا، فدعاهم مرارا، فأقاموا على كفرهم، فحفر لهم حفرا دخّن عليهم طمعا في رجوعهم، فأبوا فحرقهم" [٢]. وقد أشار البخاري في صحيحه إلى هذه الواقعة في باب النهي عن التعذيب أو القتل بالنار، وذلك في الحديث الشريف عن عكرمة: "أن عليا حرق قوما فبلغ ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم؛ لأن النبي ﷺ، قال: ﴿لا تعذبوا بعذاب الله﴾، ولتقتلنهم كما قال النبي ﷺ: ﴿من بدل دينه فاقتلوه﴾، [٣] ولا ندافع هنا عن هذا الفعل، وإنما نقول لعل عليا أدرك أنهم أبناء المجوس عبدة النار فأحرقهم بما كانوا يعبدون.

ومن المعلوم أن غلو الباطنية في شأن علي بن أبي طالب قد تكرر مع أبنائه، "فقد زعم المغيرة بن سعيد العجلي أن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الملقب بالنفس الزكية أنه إله، ولما قتل النفس الزكية قال أتباعه: إنه في الستر والغيبة وسوف يعود"، ومما يذكر "أن خالدا القسري قتل المغيرة هذا وأحرقه بالنار أيضا، كما زعم محمد بن زينب الأسدي الأجدع المعروف بابن الخطاب والذي كان من أجل دعاة جعفر الصادق أنه إله، بل إنه ادعى النبوة وكلما ثقل على أصحابه أداء فريضة أتوه فقالوا: يا أبا الخطاب خفف

١ تاريخ الإسماعيلية لعارف تامر - الدعوة والعقيدة ص ٧٨ وعلق بقوله وهذا من مشهور الأخبار عنه

٢ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٣٠٩

٣ حديث ابن عباس أخرجه البخاري في الجهاد والسير ٢٧٩٤، وأحمد في مسنده ١: ٢١٧، ٢٨٢، ٣٢٢، وأبو داود في الحدود ٤٣٥١، والترمذي في الحدود ٢٧٩٣، والنسائي في تحريم الدم ٤٠٦٠، ٤٠٦١، وابن ماجة في الحدود ٢٥٣٥، ورواه أبو هريرة في البخاري ٢٧٩٣، والترمذي وقال: قال رسول الله ﷺ (وإن النار لا يعذب بها إلا الله)، وقال: حديث حسن صحيح، وأبو داود في الجهاد ٢٦٧٤، وأحمد ٢: ٣٠٧، ٣٣٨، ٤٥٣، والدارمي في السير ٢٤٦١

Upload by : altawhedmag.com

عنا، فيأمرهم بتركها حتى تركوا جميع الفرائض"[١].

ثانيا: الشيعة وأبناء علي.

قبل أن نتناول دور الشيعة في استقطاب بعضا من آل البيت نعرض رأي علي بن أبي طالب بعد أن ذاق الأمرين على يدي شيعته، ونقلا عن السيد/ الموسوي عن مراجعهم المعتمدة لديهم، فنراه يقول: "لو مَيَّزْتُ شيعتي لما وجدتهم إلا واصفة، ولو امتحنتُهم لما وجدتهم إلا مرتدين، ولو تَمَحَّصْتهُم لما خلص من الألف واحد" [الكافي/ الروضة ٨/ ٣٣٨]. ويقول لهم أيضا: "يا أشباه الرجال ولا رجال، حُلوم الأطفال، وعقول رَبَّات الحِجال، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة حزت والله ندماً، وأعتبت صدماً، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجَرَّعْتُموني نغب التهام أنفاسنا، وأفسدتم عَلَيّ رأيي بالعصيان والخذلان، حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب، ولكن لا رأي لمن لا يُطاع" نهج البلاغة ٧٥، ٧١، كما قال لهم مُوَبِّخا: مُنِيتُ بكم بثلاث، واثنتين: صُم ذَوو أسماعٍ، وبُكْمٌ ذَوو كلام، وعُمْي ذوو أبصار، لا أحرارَ وصِدْقَ عند اللقاء، ولا إخوانَ ثقةٍ عند البلاء... قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفِراجَ المرأة عن قُبُلِها".

[نهج البلاغة ص ١٤٢].

الإمام الثاني: الحسن بن علي.

ولد الحسن بن علي سنة اثنين أو ثلاث من الهجرة، وسماه أبوه "حربا" إلا أن رسول الله ﷺ بدل اسمه وسماه [الحسن]، وتكرر نفس الأمر مع الحسين، حيث سماه أبوه [حربا]، وبدل الرسول اسمه إلى [الحسين]، وكنا نظن أن يرى الباطنيون من لطائف صنع النبي ﷺ، أنه كره أن يُسمى أي من سبطيه حربا، لأنه لا يوافق على أن يتجها للحرب، بل سيأتي نبوءة النبي ﷺ عن تصرف الحسن حقنا لدماء المسلمين.

وقد حدث أنه بعد مقتل أمير المؤمنين - الإمام الأول عندهم - علي بن أبي طالب ﷺ راحت الشيعة تحث ابنه الحسن رضي الله عنهما؛ ليمد يده فيبايعه الناس خليفة للمسلمين، وكان أول من بايعه قيس بن سعد، وبقي الحسن في الخلافة ستة أشهر، رأي خلالها انقسام

١ تاريخ الإسماعيلية لعارف تامر - الدعوة والعقيدة ص ٧٨

Upload by : altawhedmag.com

الأمة ووقوفها على حافة الاختلاف، وقد تشتعل الفتنة ثانية في أي لحظة، فآثر وحدة الأمة على قلب رجل واحد، على أن ينال الخلافة، لذا دعا معاوية إلى الصلح فوافق ﷺ، وبعد وفاة رسول الله ﷺ بثلاثين عاما وبالتحديد في ٢٥ من ربيع الأول عام ٤١ هـ بالتمام والكمال، تنازل الحسن عن الخلافة إلى معاوية وصالحه على ذلك، حقنا لدماء المسلمين، وتحققت بذلك نبوءة رسول الله ﷺ، حيث قال: ﴿ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين﴾، [١] فاجتمع بذلك شمل الأمة لأول مرة بعد مقتل عثمان ﷺ، حتى أطلق الناس على هذا العام عام الجماعة، ولم تستطع الشيعة إخفاء غضبها على الحسن حين تنازل عن الخلافة، وأطلقوا عليه لقب مسود وجوه المؤمنين. "وقد اعتبرت الشيعة الاثنا عشرية والزيدية الحسن بن علي إماما شرعيا، أما الإسماعيلية فاعتبرته إماما مستودعا أي إماما وكيلا قائما بالنيابة عن أخيه الإمام المستقر الحسين، ولهذا فهم لا يدخلونه في شجرة الإمامة ولا في عداد الأئمة المستقرين أصحاب النص"[٢].

ومع هذا ينقلون في كنبهم رأيا خطيرا للحسن عليه السلام حيث يقول: " أرى والله معاوية خيراً لي من هؤلاء، يزعمون أنهم لي شيعة، ابتغوا قتلي، وأخذوا مالي، والله لأَنْ آخذ من معاوية ما أحقن به من دمي، وآمن به في أهلي خير من أن يقتلوني، فيضيع أهل بيتي، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوا بي إليه سلماً، والله لأَن أسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير".[الاحتجاج ٢/ ١٥].

الإمام الثالث: الحسين بن علي.

فلما توفي الحسن ﷺ سنة ٥٠ من الهجرة، اتجهت الشيعة إلى الحسين ﷺ، وما زالوا إلى اليوم يفضلون الحسين[٣] على الحسن رضي الله عنهما، ويظهرون هذا التفضيل بقولهم: "كان الحسن والحسين كفرسي رهان، مع ما خُص به الحسين عوض الشهادة، وبأن جُعِل الشفاء في تربته [أي عند قبره]، والدعاء مستجاب تحت قبته، والأئمة من ذريته، ولا تعد أيام زائره

---

١ حديث أبي بكرة: أخرجه البخاري في كتاب الصلح والمناقب ٣٣٥٧، والنسائي في سننه كتاب الجمعة حديث ١٤١٠، ورواه عبد الرزاق في مصنفه ١١: ٤٥٢، ولفظه (ابني هذا سيد إن يعش يصلح بين طائفتين من المسلمين).

٢ تاريخ الإسماعيلية لعارف تامر - الدعوة والعقيدة صفحة ١٠٨ - ١٠٩

٣ ولد الحسين في شعبان سنة ٤ هـ، ولقبه أبو عبد الله واستشهد في كربلاء سنة ٦١ هـ

Upload by : altawhedmag.com

جائيا وراجعا من عمره"[١].

أرأيت ما يتميز به الحسين على أخيه الحسن رضي الله عنهما عند الشيعة؟!:

١. الحسن لم ينل الشهادة، مع أن أحاديث رسول الله ﷺ لم تفاضل بينهما بل تقول: "ابناي هذان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما"[٢].

٢. إن تربة قبر الحسين فيها الشفاء، والدعاء مستجاب عند قبته، وإن أيام زيارة قبره لا تعد من عمر الزائر، بمعنى أنه يزاد في عمره بمقدار الزيارة.

٣. حصر أئمتهم في ذرية الحسين فقط، ومن العجيب أن تكون أئمتهم الاثنا عشر ليس فيهم واحد من نسل الحسن ﷺ، فكأنهم رفضوه ونسله من بعده حين صالح معاوية وحقن دماء المسلمين.

ومن المعلوم أن الحسن مات مسموما رضي الله عنه، والشيعة تلصق التهمة بمعاوية، مع أن معاوية ليست له أي مصلحة في قتله، بعد أن صالحه، أما المستفيد الوحيد من سمه هم الشيعة عندما فقدوا الأمل من استخدامه للخروج على معاوية، فكان لابد لهم من التخلص منه، حتى يحاولوا مع أخيه الحسين، وهذا ما حدث بالفعل فقد بادرت الشيعة ببيعة الحسين رضي الله عنهما، وألحوا عليه في الخروج ثم خذلوه كما خذلوا والده رضي الله عنهما، حتى قتل، وهذا لا يخفى على الشيعة بل هو مسطور في كتبهم، يقول السيد محسن الأمين: "بايَعَ الحسين من أهل العراق عشرون ألفاً، غدروا به، وخرجوا عليه، وبيعته في أعناقهم، وقتلوه" أعيان الشيعة/ القسم الأول ص ٣٤.

كما تشيعت فرقة تقول بإمامة محمد بن علي بن أبي طالب، المشهور بمحمد ابن الحنفية نسبة إلى أمه التي كانت من بني حنيفة، وسميت هذه الفرقة بالكيسانية.

---

١ الأنوار النعمانية للشيعي نعمة الله الجزائري هلك سنة ١١١٢ هـ

٢ رواه ابن عساكر عن علي وابن عمر وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته رقم ٤٧ - ١٨، ورواه الطبراني بعدة طرق وبعض رجالها ثقات، وأورده ابن حجر الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٩: ١٨٢، ١٨٣، وورد في بعض طرقه زيادة إلا ابني الخالة يحيى وعيسى.

Upload by : altawhedmag.com

الإمام الرابع: علي زين العابدين.

ولد علي زين العابدين بن الحسين بن علي يوم الجمعة ٢٦ من جمادى الآخرة عام ٣٨ هـ، وتوفي في ٩٤ هـ، ودفن بالبقيع[١]، وليس للحسين عقب إلا من ولده هذا، وهو الوحيد الذي سلم من الذكور يوم كربلاء، حيث كان يومئذ مريضا طريح الفراش، وأفكار الشيعة خلال حياته - ما عدا السبئية - وحتى وفاته تدور حول موالاة آل البيت، ثم بايعت الشيعة حسب زعمهم عليا زين العابدين ﷺ - وهو الإمام الرابع عندهم - وقد تحقق لهم في شخصه عصبية أخرى، بالإضافة إلى تشيعهم لآل البيت، وهي أن أمه هي الأميرة شهربانو ابنة يزدجرد إمبراطور فارس التي وقعت أسيرة لجيوش الفتح الإسلامي، وتزوجها الحسين ﷺ، وبالتالي أصبح الفرس أخوال علي زين العابدين، ثم انحصرت في نسله، ومن أهم لأهل الكوفة: "هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخَدَعْتُموه وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق، ثم قاتلتموه وخَذَلْتموه ؟ بأي عين تنظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول لكم: قاتلتُم عِتْرَتي، وانتهكتُم حُرْمَتي، فلستم من أمتي" [الاحتجاج]، وقال أيضاً عنهم: "إن هؤلاء يبكون علينا، فَمَنْ قَتَلَنا غيرُهم ؟ [الاحتجاج ٢/ ٢٩].

كما يروي أقدم كتاب شيعي في الرجال رأيا لعلي زين العابدين في ابن سبأ يقول فيه: "لعن الله من كذب علينا، إني ذكرت عبد الله بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدي، لقد ادعى أمرا عظيما ما له، لعنه الله، كان علي والله عبد الله صالحا أخا رسول الله، وما نال الكرامة من الله إلا بطاعته لله ولرسوله"[٢].

الإمام الخامس: محمد الباقر.

ولد محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين سنة ٥٧ هـ، وتوفي في ١١٤ هـ، لقب بالباقر نظرا لعلمه وتبحره في كافة علوم عصره، يعد الإمام الخامس عند الشيعة والزيدية،

---

١ اصطنع الفاطميون لعلي زين العابدين قبرا في القاهرة ويزوره كثير من الصوفية، وهذا وهم وباطل فمن الثابت أنه لم يدخل مصر، وأنه رضي الله عنه مدفون في البقيع إلى جوار جده بالمدينة المنورة.

٢ رواه أبو عمرو بن عبد العزيز الكشي بإسناده إلى علي بن الحسين.

Upload by : altawhedmag.com

والرابع عند الإسماعيلية، وأخوه زيد بن علي زين العابدين توفي سنة ١٢٢ هـ [١]، وقد افترقت الشيعة إلى غلاة تشيعوا لمحمد الباقر، وزيدية تشيعوا لزيد، وسبب ذلك: "أن زيدا سئل ذات يوم عن أبي بكر وعمر؟ فترحم عليهما، فأنكروا عليه فقال لهم زيد: رفضتموني، فسموا الرافضة؛ لرفضهم إياه، وسمي من لم ينكر عليه من الشيعة زيديا، فلما خرج زيد على هشام بن عبد الملك وقاتله حتى قتل، فر ابنه يحيى. [٢] ويأتي دور الباقر في كشف موقفه من الشيعة حيث يقول: "لو كان الناس كلهم لنا شيعة لكان ثلاثة أرباعهم لنا شكاكاً، والربع الآخر أحمق" [٣]

الإمام السادس: جعفر الصادق.

ولد جعفر بن محمد بن علي بن الحسين سنة ٨٠ هـ، وتوفي سنة ١٤٨ هـ عن عمر يناهز ٦٨ سنة، واشتهر بلقبه الصادق، وينسب أكثر دعاة الباطنية ظهور فرقهم إليه، فيقول أحد دعاتهم المعاصرين: "وما أن وصلت إمامة الشيعة بموجب النص الشرعي إلى جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حتى التف حوله عدد كبير من الشيعة، واعتبروه المؤسس الحقيقي للمدرسة الشيعية الدينية الفكرية، وواضع أصول المعتقدات الشيعية، ومفجر الثقافات الفكرية الإسلامية، وعميد المدارس الفلسفية الباطنية في الإسلام،... وقد تخرج من تلك المدارس فرق عديدة، أهمها: المعتزلة، والصوفية، والجعفرية الاثنا عشرية، والحركات الباطنية". [٤]

يعد جعفر الصادق مرحلة هامة ومستقلة في الفكر الشيعي، ولذلك فقد امتلأت كتب

---

١ زيد بن علي بن الحسين ولد عام ٧٦ هـ، وأقام بالكوفة، ثم ذهب إلى الشام، فضيق عليه هشام بن عبد الملك، وسجنه خمسة أشهر، ثم عاد إلى العراق ومنها إلى المدينة، فلحق به بعض الكوفيين، يحرضونه على الثورة حتى رجع معهم إلى الكوفة عام ١٢٠ هـ، فبايعه أهلها، وقاتله والي العراق يوسف بن عمر الثقفي، ودارت بينهما المعارك حتى انتهت بقتل زيد عام ١٢٢ هـ، بعد أن خذله أهل الكوفة.

٢ رجال الكشي ص ٧٩.

٣ يحيى بن زيد بن علي زين العابدين ولد سنة ٩٨ ه، وكان من الأبطال الأشداء، انتقل إلى بلخ بعد مصرع أبيه، فطلبه يوسف الثقفي أمير العراق، وقبض عليه والي خراسان نصر بن سيار، ثم أطلق سراحه بأمر من الوليد وسيره إلى الشام، فاعتصم في بعض الطريق، وقاتل أنصار الأمويين حتى قُتل من الكوفة إلى بلخ سنة ١٢٥ هـ، ودعا الناس أن يبايعوه سرا حتى قتل.

٤ الحركات الباطنية في الإسلام مصطفي غالب صفحة ٥٠

Upload by : altawhedmag.com

الباطنية بكم هائل من الروايات المنسوبة زورا وبهتانا إلى جعفر الصادق، بينما تشهد كتب السنة ببراءته: فيروي زهير بن معاوية أن أباه قال لجعفر الصادق: "إن لي جارا يزعم أنك تبرأ من أبي بكر وعمر، فقال جعفر: برئ الله من جارك، والله إني لأرجو أن ينفعني الله بقرابتي من أبي بكر"، وكثيرا ما كان جعفر الصادق يقول: "ولدني أبو بكر مرتين"[١]، ولما سئل عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أجاب قائلا: "إنك تسألني عن رجلين قد أكلا من ثمار الجنة"[٢].

كما أوردت كتب الشيعة عن جعفر الصادق قوله: "إنا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا، ويسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس"، ويقول أيضا: "لقد أمسينا وما أحد أعدى لنا ممن ينتحل مودتنا"[٣]،وقال الصادق عليه السلام: " أما والله لو أجدُ منكم ثلاثة مؤمنين يكتُمون حديثي ما استحللتُ أن أكتمهم حديثاً" .[أصول الكافي ١/ ٤٩٦]. وتختلف أشهر فرق الشيعة والباطنية في أئمتهم بعد جعفر الصادق، وتتفق على من قبله، ويرجع بدء اختلافهم إلى مذهبهم الذي وضعوه لأنفسهم: بأن الابن الأكبر للإمام يخلف أباه في إمامة الشيعة، إلى أن ولد إسماعيل سنة ١١٠ هـ، وهو أكبر أبناء جعفر الصادق وأحبهم إليه، وتوقعت الشيعة أن يتولى إسماعيل الإمامة بعد أبيه، بل إن الإسماعيلية يرون أنه صاحب النص الشرعي بالإمامة، إلا أنه توفي سنة ١٣٨ هـ عن عمر يناهز ٢٨ سنة، وفي حياة أبيه تاركا طفلا صغيرا اسمه محمد، ويروي الشهرستاني: "ولشدة حرص جعفر الصادق من غلو شيعته، فقد كتب محضرا بوفاة ابنه إسماعيل وأشهد عليه شهودا عديدين منهم والي المدينة آنذاك"[٤]. ولم يُغْنِ حذر جعفر الصادق عن افتراق أتباعه من بعده، فقد انقسمت الشيعة رغم ذلك إلى فرقتين رئيستين هما:

---

١ وبيان ذلك أن جدة جعفر الصادق لأمه هي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وأن أمه هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، راجع سير أعلام النبلاء للذهبي ٦:.٢٥٨

٢ سير أعلام النبلاء للذهبي ٦:.٢٥٨

٣ رجال الكشي ٢٥٩ نقلا عن الشيعة والتشيع لإحسان إلهي ظهير ٢١٦، والشيعة والتشيع فرق وتاريخ ٥٥

٤ الفصل في الملل والأهواء والنحل للشهرستاني ٢: ٥

Upload by : altawhedmag.com

١. الاثنا عشرية: قالوا طالما توفي إسماعيل في حياة أبيه، فقد انتقلت الإمامة إلى أخيه الذي يليه وهو موسى الكاظم، فانحازوا إلى موسى الكاظم واعتُبر الإمام السابع بعد جعفر الصادق، وقرروا إمامته ثم ذريته من بعده: فكان الإمام الثامن هو علي بن موسى الملقب [الرضا]، ثم محمد بن علي [الجواد]، ثم علي بن محمد [الهادي]، ثم الحسن بن علي [العسكري] الذي مات وله من العمر ٢٨ سنة ومن المعروف أنه مات ولم يعقب، إلا أن الشيعة يزعمون أنهم بعد وفاة الحسن العسكري وجدوا جارية له، حامل فولدت محمد، وهو المهدي المنتظر، والذي دخل السرداب خشية أن يقتله العباسيون.

٢. الإسماعيلية: وهم القائلون بإمامة إسماعيل، وهم يوافقون على قصة المحضر الرسمي الذي طلبه أبوه، وأن أباه دبر هذا التدبير؛ حماية لولده من القتل، ويعتقدون أنه لم يمت بل غاب عن الأنظار[١] عشرين سنة إلى أن توفي في الستر سنة ١٥٨ هـ، وينتظرون رجعته، ويقرون أن المعلومات عن تحركاته ونشاطاته وثقافته وأعماله قليلة وغير متوفرة، حيث كان كثير التنقل إلى بلاد الشام والبصرة والكوفة وبلاد فارس"[٢]، وأن الإمام من بعده ولده محمد، والإسماعيلية يعتقدون أن الأئمة بعد إسماعيل بن جعفر هو ولده محمد الذي يعد الإمام السابع، ثم ولده عبد الله بن محمد الملقب [وفي أحمد]، ثم ولده أحمد [تقي محمد]، ثم الحسين بن أحمد [رضي الدين عبد الله]، ثم محمد المهدي.

---

١ انظر منطق الباطنية، فهم يقولون إن إسماعيل لم يمت، بل غاب عن الأنظار عشرين سنة، يتحرك في طول البلاد وعرضها، ولم يتعرف عليه أحد، إلى أن مات سرا كما عاش أغلب حياته مختفيا

٢ تاريخ الإسماعيلية تامر عارف ١: ١١٧

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الثالث

الحركات الباطنية

الباطنية فرقة من فرق الشيعة، وهم والشيعة أبناء عمومة، ويطلق على الباطنية عدة ألقاب بلغت خمسة عشر لقبا: أشهرها الباطنية، والقرامطة، والقرمطية، والإسماعيلية...، وسبب تسميتهم بالباطنية أنهم يقولون: "إن لكل ظاهر باطنا، والظاهر بمنزلة القشور، والباطن بمنزلة اللب المطلوب، وغاية مذهبهم في ذلك الانسلاخ عن الدين؛ لأنه إذا وجب أن لكل ظاهر باطنا ويكون بمنزلة اللب على الحقيقة، كان المرء بعد وقوفه عليه مستغنيا عن الظاهر، وغير معول عليه، كما لا يعول على القشور بعد الوقوف على اللب".

أولا: سِرِّيَّة الحركة.

عندما فشلت جميع محاولات الثورة المسلحة والخروج على الحكام كوسيلة للوصول إلى الحكم، اتخذ الشيعة من السرية أسلوبا، ومن التقية والنفاق تعمية، وبدءوا في التعاون مع بني العباس على إسقاط الأمويين، ولما قامت الدولة العباسية عام ١٣٢ هـ، لم يستأثر بها بنو العباس فقط، بل راحوا يكيلون إلى حلفائهم من الشيعة، ألوانا من البطش أكثر مما ذاقوا على أيدي الأمويين، "وإزاء هذه المطاردة المستمرة لم ير الشيعة بدا من أن يلجئوا إلى التقية، فكُونت منهم جماعات سرية، ونُظمت دعايات خفية، واستعانوا بالدرس والبحث، واتصلوا بالثقافات المختلفة، فأخذوا عنها ما أخذوا، وأدخلوا على الدين ما أدخلوا،[1] واستطاعوا خلال هذه الفترة بلورة أفكارهم ومعتقداتهم، ثم أوجدوا لها أسانيد من اختراعهم، ودون علم آل البيت أنفسهم، كما سبقت الإشارة إلى أقوال جعفر الصادق عن وجود كذابين من أشياعهم، يفترون عليهم وأن كذبهم يضيع صدق آل البيت، ولا يبقى عند الناس إلا مفتريات الباطنية. ومما زاد من غموض تاريخ الباطنية وتتبع حركتها في مرحلة الستر، أن أعضاء الخلايا السرية كانوا يطلقون على زعمائهم عددا من الأسماء والألقاب والكنى حتى أن اسم الشخص الواحد يزيد أحيانا عن خمسة أسماء وذلك إمعانا في التعمية عليهم، ولذا

---

١ في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق د. إبراهيم مدكور ٢:٦١

Upload by : altawhedmag.com

استحال حتى على أنصار الباطنية أنفسهم كشف هذا الغموض.

كما نلاحظ أن أكثر المفاهيم التي يبثونها في كتبهم تأتي بأثر رجعي - حسب الاصطلاح المعاصر - ولنضرب لذلك مثالا يدور حول تحديد الشيعة لموضع قبر أمير المؤمنين علي ﷺ: فمن الثابت تاريخيا أن عليا دُفِن في مكان مجهول لا يعلمه أحد، وقد دفنه جماعة من آل البيت، بعد أن حفروا أكثر من عشرة قبور في أماكن متفرقة، ثم دفنوه في إحداها؛ حتى لا يصل إلى قبره أحد فينبشه ويمثل بجسده، وظل الأمر كذلك حتى عام ١٤٤ هـ [أي بعد أكثر من قرن من الزمان]، حتى بُنِيَت قرية النجف، فزعمت الشيعة أن هذه القرية التي لم يكن لها وجود، تضم قبر علي ﷺ، بل زاد الكذب حتى قالوا: "إنه من الثابت بإجماع المصادر الشيعية أن أمير المؤمنين، هو الذي بنى مشهده الشريف بيده الطاهرة مع الخلص من شيعته كميثم التمار وغيرهم، وكان ذلك المشهد المقدس عبارة عن سرداب تحت الأرض، اتخذ قسما منه مسجدا للصلاة، وتدريس الخواص من تلاميذه العلوم التي لا يتحملها عامة الناس في مسجد الكوفة"[١].

لا نعرف كيف يصدق الناس هذا الهراء، فأي مسجد يبنيه علي ﷺ تحت الأرض، ومتى بناه؟، وكيف عرف أنه سيموت ويدفن في هذا المكان؟، إذن فهو يعرف من غيب الله قوله تعالى "وما تدري نفس ماذا تكسب غدا، وما تدري نفس بأي أرض تموت"، ثم لاحظ الإشارة إلى وجود مجلس درس سري للخواص، يتعلمون فيه ما لا يتحمله عامة الناس في درسهم العام في مسجد الكوفة.

ثانيا: ميمون القداح.

تجمع غالبية كتب التاريخ والسير أن لفظة "الباطنية" لم تُعرف إلا بعد ظهور ميمون بن ديصان الأهوازي الفارسي المسمى بالقداح[٢]، وهو يهودي متعصب كاره للإسلام، سار على درب بولس في تخريب المسيحية، وابن السوداء في فتنة عثمان، وقد بدأ هذا اللعين بالتقرب إلى جعفر الصادق، وأعلن إسلامه على يديه، وأظهر نشاطا في العبادات، وإخلاصا في خدمة

١ كتاب لمحة تاريخية عن مشهد الإمام علي في النجف بقلم كاظم الخلفي ص ٢١

٢ سمي ميمون هذا بالقداح لأنه كان كحالا يقدح العيون، وقيل لأنه كان يقدح العلم عن خاطره

Upload by : altawhedmag.com

البيت العلوي، مما جعل جعفر الصادق يختاره وصيا على حفيده محمد بن إسماعيل[١]، فلما مات الصادق سنة ١٤٨ هـ، اكتسب ميمون مكانة مرموقة، فهو الوصي والمتحدث أمام الناس باسم محمد بن إسماعيل[٢]، وكان لميمون ولد سماه عبد الله، فجمع بينه وبين محمد حفيد الصادق وجعلهما متلازمين لا يفترقان، إلى أن جاءته الفرصة لتنفيذ خطته.

تقول الروايات: "إن جعفرا أرسل حفيده في صحبة ميمون إلى طبرستان"،[٣] وفي رواية أخرى: "اضطر محمد بن إسماعيل إلى ترك مسقط رأسه في المدينة المنورة، وهاجر إلى خوزستان، ثم تركها إلى بلاد الديلم، ولم يسمع عنه شيء بعد ذلك"،[٤] ولا شك أن اختفاء حفيد الصادق بهذه الطريقة عن مسرح الأحداث يمثل الخطوة الأولى من مؤامرة كبرى، كما تفتح المجال أمام التأويلات المتباينة.

وتؤكد مصادر الباطنية أن محمد بن إسماعيل، كان له ولد اسمه عبد الله، وأن ميمون القداح سمى ولده عبد الله أيضا، ولم يكن ذلك مصادفة، بل إن هذا التشابه كان مقصودا، كما يقرر الأستاذ محمود شاكر أن ميمون القداح قصد هذا التعقيد وأراده: "وذلك حين سمى ابنه عبد الله على اسم عبد الله بن محمد بن إسماعيل، وأوصاه أن يسمي أحفاده بأسماء أحفاد محمد بن إسماعيل كي يختلط الأمر، وقد كان، فولد لعبد الله: أحمد، ثم لأحمد: الحسين، ثم للحسين: عبيد الله، وهو نفسه المهدي الذي ظهر في المغرب، وهي نفس أسماء أحفاد محمد بن إسماعيل، وبنفس الترتيب"[٥].

ينقسم رأي الإسماعيلية حول دور ميمون القداح إلى فريقين هما:

١. تعترف الأولى بوجوده وبروز دوره في الحركة، وتنسب في نفس الوقت الخلفاء

---

١ هكذا ورد في كتب التاريخ، إلا أننا نشك في صحة هذا الخبر، فليس من المعقول أن لا يجد جعفر الصادق إلا هذا الغريب حتى يجعله وصيا على حفيده، والباحث عن سيرة محمد بن إسماعيل لا يجد إلا قدرا يسيرا من المعلومات لا تكشف الظلال الكثيفة التي تكتنف هذه الشخصية

٢ من ألقاب محمد بن إسماعيل: الشاكر، والمكتوم، والسابع، والقداح، وميمون.

٣ رشيد الدين المؤرخ الفارسي نقلا عن أصول الإسماعيلية لبرنارد لويس ٨٦، ٨٩

٤ طائفة الإسماعيلية د. محمد كامل حسين ١٤، وتقع طبرستان جنوب بحر قزوين

٥ تاريخ الإسلام محمود شاكر، الدولة العباسية ٣: ٧٧

Upload by : altawhedmag.com

الفاطميين إلى آل البيت ممثلة في محمد بن إسماعيل، "ولأسرة القداح الفضل في قيادة الحركة الإسماعيلية في دورها الأول، وهو دور الستر، فقد قدمت لها خدمات لا يزال التاريخ الإسماعيلي يذكرها بالفخر والإعجاب، فميمون القداح - عند هم- كان باب الأبواب، ومن الطبيعي أن يبقى مرافقا للإمام في حله وترحاله"[١].

٢. وتنفي الثانية أي وجود حقيقي للقداح وتقرر: "أن محمد بن إسماعيل اتخذ اسما مستعارا، هو ميمون القداح لتضليل العباسيين، وكان يدعو إلى إمام مستور اسمه محمد بن إسماعيل، أي نفسه، وقد خفي هذا الأمر على أقرب المقربين إليه، حتى دعاته المخلصين فلم يكونوا يعلمون شيئا عن هذه القصة"[٢].

ويقولون أيضا: "نزل الإمام محمد بن إسماعيل في مدينة تدمر في بلاد الشام، فاتخذ لنفسه اسما هو القداح، وميمون الفارسي، وبالفعل مارس طبابة العيون، وأخفى اسمه الحقيقي عن كل الناس، وادعى أنه من أتباع الإمام محمد بن إسماعيل المستور، وعلى هذا الأساس وجه اهتمامه ودعاته إلى سواد الكوفة وبلاد الشام والبحرين وإلى أوساط القبائل العربية التي تنزل بوادي تدمر"[٣].

ويقول أحد دعاة الإسماعيلية المعاصرين: "إذا عدنا إلى قبل نصف قرن من ظهور القرامطة في البحرين نرى أن الإمام الإسماعيلي المستور محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، هو صاحب اللبنة الأولى في بناء صرح الحركة الإسماعيلية السرية عامة، والحركة القرمطية بصورة خاصة"،[٤] ونعقب على هذا الرأي أن بدء القرامطة في البحرين كان سنة ٢٧٦ هـ، فيكون تاريخ بداية بناء الحركة حوالي سنة ٢٢٠ هـ، على يد محمد بن إسماعيل، وإذا علمنا أن المصادر الإسماعيلية تقرر أن محمدا توفي سنة ١٩٣ هـ، فكيف تقوم حركة القرامطة على يديه بعد موته بثلاثين سنة؟!! ثم ما الداعي لاختفائه إذا كان أبناء عمومته أئمة الشيعة الجعفرية

---

١ الحركات الباطنية في العالم الإسلامي د. الخطيب، عن تاريخ الدعوة الإسماعيلية د. مصطفى غالب.

٢ الحركات الإسلاميه نقلا عن القرامطة لعارف تامر ٤٧ - ٤٨

٣ تاريخ الإسماعيلية تامر عارف ١: ١١٩

٤ الحركات الباطنية في الإسلام د. مصطفى غالب، والبحرين اسم يطلق قديما على منطقة شمال شرق السعودية التي تضم حاليا الإحساء، والقطيف، والهفوف، وقطر، والكويت، وجزء من دولة الإمارات.

Upload by : altawhedmag.com

من نسل موسى الكاظم، لم يختفوا مثله؟!! لذا فقد أطلقت الشيعة على محمد بن إسماعيل هذا اسم محمد المكتوم.

أما مصادر أهل السنة فهي قاطعة الدلالة في هذه القضية، يقول الحافظ ابن عساكر: "إن المهدي لما ادّعى أنه من ولد محمد بن إسماعيل، قَبِل الأغبياء منه ذلك، مع علم أصحاب الأنساب بأن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق مات ولم يعقب"،[١] وهذا الدليل يوضح براءة آل البيت الأطهار من انتساب القرامطة والفاطميين إليهم، ويلفت النظر إلى خيوط مؤامرة القداح التي بدأها بهجرة محمد واختفائه عن العيون، ثم ادعائه أن محمدا رزق بولد سماه عبد الله، وقد سمى ولده بنفس هذا الاسم، ألا تدعونا هذه التصرفات إلى التأمل الدقيق في هذه الأحداث التي سنحاول من خلالها كشف الغموض عن مؤامرة خفية مضى عليها أكثر من أحد عشر قرنا من الزمان، والتي ما زال بعض المسلمين يكتوون بنارها إلى اليوم.

وأثناء إعدادي للطبعة الثانية من هذا الكتاب عثرت على هذا النص الذي يؤكد الشك الذي أشرت إليه في السطور السابقة من الطبعة الأولى، وهذا النص يقول: "لما هرب محمد بن إسماعيل إلى مصر مع عبد الله بن ميمون القداح، كانت لكل منهما جارية، قد حملتا منهما، فلما مات محمد بن إسماعيل قتل ابن القداح جارية محمد بن إسماعيل أيضا، فلما ولدت جاريته قال للناس: إن الإمامة صارت من محمد إلى ابنه هذا"[٢].

ثالثا: البنوة الروحية.

ابتدع ميمون القداح [الذي هو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق كما يزعم الإسماعيليون] مبدأ البنوة الروحية[٣] أو النكاح الروحي، الذي أصبح فيما بعد مبدأ أصيلا

---

١ تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤: ٢٩٥

٢ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين الرازي: ٧٧ نقلا عن عقيدة الدروز عرض ونقد د. محمد أحمد الخطيب ص ٢١

٣ انتقلت فكرة البنوة الروحية إلى الصوفية بل إنها توسعت إلى تلقي الطريق بين المريد وشيخه في عالم الروح دون أن يلتقيان في عالم الأجساد، وتراها على سبيل المثال في سلسلة مشايخ الطريقة السبعينية التي سترد في كتابنا الثالث (عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة)، كما ورد في كتاب الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية لمحمد الرخاوي (راجع صفحة ٧)، حيث تلقى الشيخ أبو الحسن الخرقاني الطريق عن روحانية أبي اليزيد البسطامي.

Upload by : altawhedmag.com

لكل الفرق الباطنية، ويشرحه بقوله: "إن الأبوة الجسمانية تكون بولادة الطفل المادية ليس غير، بينما تكون الأبوة الروحانية من ملازمة شخص آخر معين، فنقول إن فلانا هو ابن فلان لأنه تخرج عليه، أفلا يكون الذي يتلقى العلم والمعرفة اللذين هما جوهر الحياة الروحية من رجل آخر هو ابنه الحقيقي، فأنا مثلا أنجبني جعفر الصادق روحيا، ثم أصبحت بما كشف لي من أسرار العلم أهلا لأن أنتسب إليه، وأن أعتبر نفسي ابنه"[١].

لا تخفى دوافع الرجل من نظريته التي تحقق له بنوة إمام الشيعة، وتعطي نسبا روحيا لولده، وبذلك يُسَمَّى ابنه باعتبار الصلب عبد الله بن ميمون بن ديصان، وباعتبار نسبه الروحي عبد الله[٢] بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، ولما لاقت الفكرة رواجا، لم يبق أمام القداح إلا أن يزيح من طريقه محمد بن إسماعيل، وقد كان، فكما ورد في مصادر السنة أن محمدا مات ولم يعقب، ولا نستبعد أن يكون موته بيد القداح أو بإيعاز منه، ولما كانوا في أرض هجرة في طبرستان، فمن السهل أن ينتحل أحفاد القداح أسماء مزعومة لأبناء محمد المكتوم، الذي مات دون أن ينجب.

رابعا: أسماء برزت في الحركة الإسماعيلية.

تروي مصادر الإسماعيلية أن انتقال الحركة من طور الستر إلى العلانية كان على يدي عدد من الأسماء التي تلقت الدعوة على يدي الحسين الأهوازي، وسنتحدث عن هذه الأدوار تفصيليا في الفصل التالي إلا أننا نؤكد هذا المعنى من خلال النص التالي:

"وقد التقى الحسين الأهوازي هذا في الكوفة بقاسم بن فرح بن حوشب الملقب بمنصور اليمن، وعلي بن الفضل، وكانا يدعوان للحسن العسكري إمام الشيعة الاثني عشرية فتمكن من التأثير عليهما، وأحضرهما إلى سليمة، ثم جهزهما بعد أن درسا عليه النظام الفكري الإسماعيلي وإرسالهما إلى اليمن سنة ٢٦٨ هـ، كما تم في عهده إرسال أبي عبد الله الشيعي إلى المغرب، كما لقي أثناء وجوده في سواد الكوفة: حمدان بن الأشعث المعروف

---

١ أصول الإسماعيلية برنارد لويس ٨٦، نقلا عن الحركات الباطنية في العالم الإسلامي للخطيب ٦٣

٢ يعتقد الإسماعيليون أن عبد الله بن ميمون القداح هو نفسه عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ومن ألقابه: الرضي، والمستور، والناصر، والعطار، وعبد الله الأكبر، وأنه توفي سنة ٢١٢ هـ في سليمة.

Upload by : altawhedmag.com

بقرمط، بعد أن توثقت بينهما أواصر الصداقة، تمكن من التأثير عليه، وإدخاله في دعوته، كما التقى بمهرويه بن زكرويه السليماني، فأصبح من قادة القرامطة الذين لعبوا دورا مهما في الحركة القرمطية"[١].

يصف لنا المقريزي عبد الله بن ميمون بقوله: "كان عبد الله عالما بجميع الشرائع والسنن والمذاهب، وأنه رتب سبع دعوات يتدرج الإنسان فيها، حتى ينحلّ عن الأديان كلها، ويصير معطلا إباحيا، لا يرجو ثوابا، ولا يخاف عقابا، ويرى أنه وأهل نحلته على هدى، وجميع من خالفهم أهل ضلالة، وأنه قصد بذلك أن يجعل له أتباعا، وكان يدعو إلى الإمام من آل البيت: محمد بن إسماعيل، وأنه كان من الأهواز واشتهر بالعلم والتشيع، وصار له دعاة، وقُصِد بالمكروه، ففر إلى البصرة فاشتهر أمره، وسار منها إلى سليمة من أرض الشام، فولد له ابن بها اسمه أحمد"[٢].

ويلقي الأستاذ/ محمود شاكر الضوء على دور القداح بقوله: "وكان عبد الله بن ميمون رأس الدعوة الإسماعيلية الظل، وكان يريد أن يعمي عن نفسه، فوزع دعاته في الأمصار، وخاصة أبناءه حتى لا تتجه الأنظار إلى مكان إقامته، فأرسل ابنه أحمد ليقيم في الطالقان من بلاد خراسان، وطلب من دعاته أن يراسلوه هناك، كما أعلن أحمد عن موت ابنه الحسين، ولم يمض وقت طويل حتى خرج من الأهواز حسين هذا، وعرف بحسين الأهوازي"[٣]، "ومن ألقابه رضي الدين عبد الله"[٤].

"وقد اتخذ عبد الله بن محمد المعروف بوفي أحمد من سليمة مقرا لقيادة الدعوة الإسماعيلية، وينسب الإسماعيلية له تأليف كتاب رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا[٥]، والذي أكمله ولده أحمد والمعروف بتقي محمد"[١].

---

١ تاريخ الإسماعيلية تامر عارف ١: ١٣٣

٢ الخطط للمقريزي ١: ٣٤٨ انتهى

٣ تاريخ الدولة العباسية محمود شاكر ٦: ٧٩

٤ تاريخ الإسماعيلية تامر عارف ١: ١٣٢

٥ يعتبر الإسماعيلية كتاب رسائل إخوان الصفا أثمن تحفة فكرية وموسوعة علمية تمثل الرقي العقلي والتطور الفكري تعبر عن الثقافة الواسعة، وتعالج المعضلات الفلسفية، وأغنى موسوعة بالعلوم والآداب، وهي تتكون من عدد من الأجزاء كل منها تضم

Upload by : altawhedmag.com

وبهذا التفسير نقول: "إن آراء الإسماعيلية خاطئة خطأ فاحشا، فمن يحاول إثبات وجود القداح ونسل محمد المكتوم معا، كمن يحرث في البحر، فالمكتوم مات ولم يعقب، ومن ينفي وجود القداح، ينسب أفعال وعقائد الباطنية إلى آل البيت، وسيأتي تفصيل الحق في ذلك، بينما الحقيقة أن أئمة الباطنية جميعا من نسل القداح اليهودي الحاقد على الإسلام، والذي مهد تماما للقضاء على عقيدة التوحيد.

مجموعة من الرسائل: الجزء الأول تضم ١٤ رسالة في الرياضيات والفنون العملية ثم المنطق عند فيثاغورث وأفلاطون وأرسطو، والجزء الثاني أرسطوي الصبغة، والجزء الثالث مؤلف من عشرة رسائل فيما وراء الطبيعة تمثل آراء فلاسفة الإغريق واليونان، والجزء الرابع يتناول الإلهيات وما يتصل بالديانات والشرائع والتصوف وهو مزاج التأمت فيه كل العناصر المؤثرة في الفلسفة الإسلامية،... نقلا عن تاريخ الإسماعيلية تامر عارف ١: ١٤٢

١ تاريخ الإسماعيلية تامر عارف ١: ١٣١ - ١٣٢

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الرابع

نشأة دولة الباطن

رغم محاولات الشيعة للوصول إلى الحكم، وخروجهم المستمر على الحكام، إلا أنهم لم ينجحوا في إقامة دولة لشيعتهم، بينما نجحت الباطنية بعد مرحلة الستر التي استمرت جيلا بعد جيل في استقطاع دويلات من أطراف الدولة العباسية، بعد سلسلة من الاضطرابات والقلاقل، أراقوا فيها دماء المسلمين بلا هوادة ولا شفقة، وقد هيأ المأمون بتوجهاته نحو الفلسفات، وحث الناس عليها - كما سنوضح فيما بعد - المناخ المناسب؛ لتخرج دعوة الباطنية من العمل السري ومرحلة الستر إلى الظهور، ثم الانتشار في زمان المعتصم، ومن الملاحظ أن ظهور جميع دعاة الباطنية يكون فجأة سواء في اليمن أم المغرب أم العراق أم في أي مكان يظهرون فيه، ولا يعرف أحد من هم ولا نسبهم، والباحث عنهم لا يجد أي توثيق في كتب التاريخ عن نسبهم، وإنما هم يزعمون أنهم يحبون آل البيت رضوان الله عليهم، ويرجون بركتهم، وفي نفس الوقت يدعون إلى اتباع إمام أو شيخ أو ولي من آل البيت، وسبيلهم إظهار الطاعات ومسوح الصوفية، والميل إلى التقشف والزهد؛ حتى يميل الناس إليهم، ويستمعوا إلى أفكارهم الباطنية.

أولا: قرامطة اليمن.

قامت أول حركة إسماعيلية ناجحة في اليمن، بتخطيط من الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون المعروف باسم حسين الأهوازي، الذي كان يتحين الفرصة لنشر دعوته، وكان يرى أن اليمن والمغرب هما خير البلاد التي يمكن أن يستجيب أهلها وتنتشر فيها دعوته، وأيضا لبعدهما عن أنظار الخلفاء العباسيين، فأرسل سنة ٢٦٧ هـ رجلين من كبار شيعته يدعى أحدهما الحسين بن فرج بن الحوشب، والآخر علي بن الفضل، وزودهما ببعض التوصيات، منها التبشير بالمهدي، ولزوم الصلاة والصوم والتقشف، وشرح لهما أسلوب الدعوة الباطنية بقوله: "إيهام الناس بأن لكل ظاهر باطنا، وأن للباطن أناسا يعلمونه، إلا أن الوقت لم يحن بعد لإعلانه، ومما قاله أيضا: إن لقيت من هو ألحن بالحجة منك، فانغمس له

Upload by : altawhedmag.com

في الباطن، قال: وكيف ذلك؟ قال: تقطع الكلام، وتريه أن تحت ما تريد الجواب به باطنا لا يمكنك ذكره"[١].

وقد لاقت دعوة الحسن بن فرج قبولا بين القبائل، كما نجح علي بن الفضل أيضا في استقطاب عدد من الرعاع من أهل يافع، وافتتاح عدد من الحصون، والتوسع في المدن المجاورة، ولما قويت شوكة الدعوة، وصلب عودها، أظهر أفكاره الباطنية وكشف عن مكنون اعتقاده وأعلن الكفر، وأحل المحرمات، وخرب المساجد، وأخيرا ادعى النبوة.

ثانيا: الموحدون في المغرب.

أرسل ابن حوشب الداعيين المشهورين: "الحلواني وأبا سفيان" إلى المغرب بعد أن تعلما في مدرسته أصول الدعوة والتفسير الباطني للقرآن، ثم ودعهما قائلا: "قولا لكل شيء ظاهر وباطن، واذهبا، فالمغرب أرض بور فاحرثاها، واكرياها[٢] حتى يأتي صاحب البذر، وصاحب البذر هو أبو عبد الله الشيعي الداعي الأكبر، ولما توجه أبو عبد الله إلى المغرب وجد الطريق ممهدة، لسير دعوته"، [٣] ولم تتوقف طموحاتهم الشيطانية عند المغرب بل كان هدفهم دائما الوصول إلى مصر.

ثالثا: قرامطة الكوفة.

تلقى الدعوة حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط عن الحسين الأهوازي، وكان ظهوره سنة ٢٧٨ هـ، حيث استطاع أن يخلف معلمه في صدارة الدعوة، فتجمع حوله عدد من المريدين، زعم لهم أن الصلاة المفروضة على الناس خمسون صلاة في اليوم والليلة، واتخذ منهم اثني عشر نقبيا، وقال لهم: أنتم كحواري عيسى ابن مريم، وأمر أتباعه بشراء السلاح، وأنشأ أول دار للهجرة في سواد الكوفة سنة ٢٧٧ هـ، وسبق لينين وماركس في اختراع الشيوعية، فهو أول من أمر بتأميم أموال أتباعه والاستيلاء عليها، ويتغنى أحد دعاة

---

١ افتتاح الدعوة للقاضي النعمان ص ١٢، تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن لأحمد شرف الدين، نقلا عن الحركات الباطنية للخطيب ٦٥

٢ الكراء هنا بمعنى الرعاية وليس الإيجار كما تحمل اللفظة من معان

٣ نشأة الفكر الفلسفي د. النشار ٢: ٤٠٤ - ٤٠٦، ومشكاة الأنوار للإمام يحيى بن حمزة العلوي ٣٩

Upload by : altawhedmag.com

الإسماعيلية المعاصرين بمآثر قرمط هذا بقوله: "وأن حمدان سن نظاما ماليا متقنا، ونادى بالاشتراكية، وأخذ بالألفة وأمر أن تجمع الأموال في موضع واحد، وأن يكون الجميع في أسرة واحدة، واختار من كل قرية رجلا يجمع عنده أموال قريته"[١].

كان من أتباع حمدان وأكبر مساعديه صهر له يدعى عبدان، وقد تلقى الدعوة عن عبدان هذا رجل دارت حوله أحداث الحركة لعقدين من الزمان، ويدعى هذا الرجل: زكرويه بن مهرويه، ومن أسمائه كرويه بن مهرويه، وأيضا الفرج بن عثمان القاشاني، وكان هذا الرجل ظاهر الخطورة، وكان أول من ذاق كأس خطورته أستاذه ومعلمه، حيث قتله وداعيه حمدان، فخلت له الساحة، فادعى أنه المهدي المنتظر وأنه عبد الله بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ويرى عبد القاهر البغدادي: "أن زكرويه بن مهرويه ليس إلا عبد الله بن ميمون بن ديصان نفسه"[٢].

رابعا: قرامطة البحرين.

اتخذ زكرويه -إمعانا في السرية - مقرا لا يعلمه إلا أولاده، وراح يحرك منه القلاقل والفتن في المجتمع الإسلامي، وهو عبارة عن جب تحت الأرض وجعل له بابا من حديد.

كان لزكرويه ولدان هما يحيى والحسين استغلهما في الدعوة له، وأرسلهما في رحلات تبشيرية، وقد رأى أن بلاد الشام يعمها الفوضى بسبب ضعف الدولة الطولونية؛ لذلك تحرك في اتجاهين، فدفع بالحسين إلى دمشق، وأرسل يحيى إلى القطيف بالبحرين.

لاقت دعوة يحيى نجاحا في البحرين، وانضم إليها جماعة من بني الأصبغ وسموا الفاطميين، وبرز من الأتباع: الحسن بن بهرام الجنابي، الذي تولى القيادة سنة ٢٨٦ هـ، ثم بنوه من بعده، سعيد سنة ٣٠٥ هـ، ثم سليمان الفاجر اللعين، الذي فعل ما لم يفعله أبرهة في

---

١ الحركات الباطنية في الإسلام د. مصطفى غالب ١٣٥، الذي يقول في ص ٢٦٨ من كتابه: "ولا أخفي القارئ الكريم مدى إيماني وتأثري بالعقائد الباطنية وأصولها وأحكامها"، ولما كان د. مصطفى يخاطب الناس أيام الاشتراكية وقبل انهيار الشيوعية نراه يقول في ص ٥٤: "ولما كانت المدارس الباطنية، وبخاصة الإسماعيلية والقرامطة منها تدعو إلى مبادئ اشتراكية متطرفة، ترمي إلى إحداث ثورات شعبية وعمالية وصناعية ضد الحكام والمُلاك والإقطاعيين والأثرياء، فقد أصبحت ملجأ لكل ناقم وحاقد على الأوضاع، ومكانا أمينا يأوي إليه العلماء وطلاب المعرفة".

٢ ولا يخفى مقدار تضارب المؤرخين والباحثين في أخبار الباطنية؛ وذلك لشدة السرية المضروبة حولها

Upload by : altawhedmag.com

الجاهلية، حيث استحل حرمة بيت الله الحرام، ودخل مكة غازيا يوم التروية، وقتل من الحجاج الكثير.

ويصف لنا ابن كثير وغيره من المؤرخين[1] ما فعله هذا المارق بقوله: "فانتهب أموال المسلمين، واستباح قتالهم، فقتل في رحاب مكة وشعابها، وفي المسجد الحرام، وفي جوف الكعبة من الحجاج خلقا كثيرا، وجلس لعنه الله على باب الكعبة، والرجال تصرع من حوله، والسيوف تعمل في الناس في المسجد الحرام في الشهر الحرام، في يوم التروية الذي هو من أشرف الأيام، وهو يقول: أنا الله وبالله، أنا أخلق، والخلق أفنيهم أنا، فكان الناس يفرون منهم ويتعلقون بأستار الكعبة، فلا يجدي ذلك عنهم شيئا، بل يقتلون وهم كذلك، ويطوفون فيقتلون في الطواف، ثم دفن القتلى في بئر زمزم، وهدم عليهم قبة زمزم، وأمر بقلع باب الكعبة، ونزع كسوتها، وشققها بين أصحابه، وأمر رجلا أن يصعد إلى ميزاب الكعبة فيقتلعه، فسقط على أم رأسه فهلك وبئس مصير الظالمين، ثم أمر بأن يقلع الحجر الأسود، فجاءه رجل فضربه بمثقل يده، وقال: أين الطير الأبابيل؛ أين الحجارة من سجيل؟، ثم قلع الحجر الأسود وأخذوه إلى بلادهم، فمكث عندهم اثنتين وعشرين سنة حتى ردوه".

خامسا: الباطنية في الشام.

بعد أن عاث يحيى بن زكرويه في القطيف فسادا، أسند الدعوة للجنابي، وخرج هو في جيش من أتباعه قاصدا دمشق، فأرسلت مصر مددا لأهل دمشق يقاتلون معهم أعداء الإسلام، حتى هزموهم ومني القرامطة بشر هزيمة، وأعاد أخوه الحسين بن زكرويه - المعروف بصاحب الشامة - الكر علي دمشق، فامتنعت عنه، فانصرف إلى حمص فدخلها ثم حماة ومعرة النعمان، إلى أن أرسل الخليفة المكتفي جيشا نصره الله على الباطنيين، وقضوا على الحسين ومن معهم سنة ٢٩١ هـ، ولم يجد زكرويه بدا من الخروج من مقره السري، وبدءوا بالهجوم على قوافل الحجاج، يعملون فيها السلب والنهب، إلى أن قضى الله هلاكهم على يد جيش الخليفة، فأراح الله الناس من شرهم في سنة ٢٩٤ هـ. إلا أن جميع الفرق الباطنية

١ البداية والنهاية لابن كثير ١١: ١٠٨، والطبري في تاريخه، والكامل لابن الأثير.

Upload by : altawhedmag.com

عادت إلى الظهور في الشام والعراق منها: الإسماعيلية، والنصيرية، والدروز، والبهائية... وغيرها.

سادسا: الفاطميون في مصر.

نجح الباطنيون - بعد عدة محاولات فاشلة - في تحقيق أملهم بالاستيلاء على مصر، وتأسيس دعوة العبيديين أو دولة الموحدين - بزعمهم كما يحلو لهم أن يسموا أنفسهم - وقد كان لهم ذلك على يد جوهر الصقلي قائد جيش المعز لدين الله الفاطمي، واسمه معد بن إسماعيل بن نزار بن عبيد الله المهدي، يوم الثلاثاء ١٧ من شعبان سنة ٣٥٨ هـ.

وبدأ الفاطميون في تنفيذ خططهم؛ لتحويل عقيدة المصريين من السنة إلى الشيعة الإسماعيلية، لذلك بادروا بإقامة عدد من معاهد الدعاة إلى الإسماعيلية، على أنها مذهب فقهي كالمذاهب الأربعة، ومن أبرز هذه المعاهد: الجامع الأزهر الذي أنشئ أساسا لتعليم الإسماعيلية ونشرها، وحتى يضمنوا إقبال الناس عليهم، كان الأزهر يدرس أربعة مذاهب فقهية هي: المالكي، والشافعي، والشيعة الإمامية، والشيعة الإسماعيلية، ولا يخفى أن مؤذن الباطنية ظل يلعن الشيخين: أبا بكر وعمر رضي الله عنهما من فوق مآذن الجامع الأزهر في جميع الصلوات ما يزيد على قرنين من الزمان.

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الخامس

تأثير حركة الترجمة

أولا: أول ترجمة في الإسلام.

كانت الكوفة الموطن الأول للشيعة وأفكارهم، والمحور الأساسي الذي تدور حوله أحداث التشيع، ومنها ظهرت الأحاديث المكذوبة على رسول الله ﷺ في مناقب آل البيت وذم الأمويين، ويجدر الإشارة إلى رافد آخر كان له أكبر الأثر في تغذية الأفكار الباطنية في هذا الوقت وهو بداية عصر الترجمة وكان ذلك على يد خالد بن يزيد بن معاوية[١]، يقول الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله "وكان خالد بن يزيد أول من فكر في الترجمة إلى العربية، وكان يسمى حكيم آل مروان، وكان فاضلا في نفسه، وله همة ومحبة للعلوم، خطر بباله الصنعة"[٢]، فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونان، ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصح العربية، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة.

يقول ابن العماد عن خالد بن يزيد أنه: "كان له معرفة بالطب والكيمياء وفنون من العلم، وله رسائل حسنة أخذ الصنعة عن راهب رومي"، ويقول عنه ابن أبي حاتم: "كان من الطبقة الثانية من تابعي أهل الشام، وقيل عنه قد عَلِمَ عِلْمَ العرب والعجم، وكان يقول كنت معنيا بالكتب، وما أنا من العلماء ولا من الجهال، وكان إذا لم يجد أحدا يحدثه حدث جواريه، ثم يقول إني لأعلم أنكن لستن له بأهل، يريد بذلك الحفظ"[٣].

يبدو أن خالد بن يزيد كان حسن النية فيما فعل، ولا شك أن الانفتاح على الثقافات الأخرى شيء غير مذموم لذاته، بل ينبغي على المسلمين فهم ما دار وما يدور حولهم، على أن

---

١ توفي خالد بن يزيد بن معاوية سنة أربع أو خمس وثمانين وقيل تسعين من الهجرة، سير أعلام النبلاء، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٥:١٢٠

٢ كلمة الصنعة تعني الكيمياء القديمة التي كانت تقوم على تحويل المعادن الخسيسة إلى نفيسة. من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي، وهذا أول نقل في الإسلام". التفكير الفلسفي في الإسلام د. عبد الحليم محمود ٢٠١، وابن النديم في الفهرست ٣٣٨، والتصوف الإسلامي د. مصطفى حلمي ٤١

٣ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ١:٩٦

Upload by : altawhedmag.com

يتصدى علماؤهم؛ لبيان ضحالة هذه الأفكار وتلك الفلسفات عند قياسها بمنظور وحي الله، أما أن يتحول الأمر إلى حد الانبهار ونقلها للناس بدون بيان أوجه القصور فيها، فهذا خطر غير مأمون العواقب.

ثانيا: عصر الترجمة الذهبي.

لم تجتمع آثار الترجمة عن الفلسفات الأجنبية مع الاعتزال والتشيع إلا في بداية القرن الثالث الهجري، وبالتحديد في خلافة المأمون، حيث أجمعت مصادر التاريخ المتعددة على خطورة الدور الذي قام به المأمون، وهذا يفسره لنا الأقوال الآتية:

١. "نشطت حركة الترجمة في القرن الثاني للهجرة على يد العباسيين، وبخاصة كبار خلفائهم المنصور [١٥٨ هـ]، وهارون الرشيد [١٩٣ هـ]، والمأمون [٢١٨ هـ]، عمرت ثلاثة قرون"[١].

٢. ومن العجيب أن يزكي د. عبد الحليم محمود دور المأمون بقوله إنه: "أقبل على طلب العلم من مواضعه، واستخرجه من معادنه، بفضل همته الشريفة، وقوة نفسه الفاضلة، فداخل ملوك الروم، وأتحفهم بالهدايا الخطيرة، وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة، فبعثوا إليه بما حضرهم: من كتب أفلاطون، وارسطاليس، وأبقراط، وجالينوس، وأقليدس، وبطليموس، وغيرهم من الفلاسفة، فاستجاد لها مهرة الترجمة، وكلفهم بإحكام ترجمتها، فترجمت له غاية ما أمكن، ثم حض الناس على قراءتها، ورغبهم في تعلمها، فقامت دولة الحكمة في عصره، وتنافس أولو النباهة في العلوم طلبا للحظوة عنده"[٢].

٣. لا شك أن اطلاع المسلمين على معارف الحضارات السابقة والمعاصرة شيء محمود، طالما تمسك المسلمون بدينهم، وحقائق الكتاب والسنة، بل إن على علمائهم أن يبصروا الناس بما تحتويه هذه المعارف وتلك المفاهيم من مفاسد

---

١ الفلسفة الإسلامية د. إبراهيم مدكور ٢ :٧٧

٢ التفكير الفلسفي في الإسلام د. عبد الحليم محمود ٢٠٢، ولا نعرف كيف تقوم دولة الحكمة على علوم الفلاسفة، والله تبارك وتعالى يدلنا على الحكمة وأنها في سنة رسوله ﷺ، وذلك قوله: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب-٣٤]

Upload by : altawhedmag.com

وفلسفات تخالف علوم الدين المنقول عن وحي الله لأنبيائه، أما أن يسارع حكام المسلمين إلى تبني هذه الحضارات الزائفة، والنهل من تلك العلوم بلا روية ويحثُّوا الناس على قراءتها، ويشغلوا العامة والخاصة بتعلمها، فذلك شر مستطير يؤدي إلى خلع المسلمين عن أصول دينهم، وإصابتهم بالشك في كل شيء حتى الوحي، لذلك يعتبر علماء الأمة أن ما فعله المأمون بلوى كبرى، وفتنة عظمى، يقول الإمام الذهبي: "فلا حول ولا قوة إلا بالله من البلاء، أن تعرف ما كنت تنكر، وتنكر ما كنت تعرف، ويُقَدِّم عقول الفلاسفة، ويعزل منقول أتباع الرسل، ويماري في القرآن ويتبرم بالسنن والآثار"[١].

٤. يبين المقريزي خطورة ما أحدثته حركة التعريب بقوله: "فانجر على الإسلام وأهله من علوم الفلاسفة ما لا يوصف من البلاء والمحن في الدين"[٢].

٥. رب سائل يقول هذه أفعال المأمون فما علاقتها بالشيعة؟ يجيب على ذلك علماء الأمة الذين يؤكدون وثوق العلاقة بين المأمون والشيعة بقولهم:

١. يصف ابن الأثير المأمون بقوله: "إنه كان شديد الميل إلى العلويين والإحسان إليهم"[٣].

٢. يشرح البغدادي هذا الميل بقوله: "لما بويع المأمون بالخلافة سنة ١٩٨ هـ، بادر باختيار علي بن موسى بن جعفر الصادق وليا لعهده، وسماه عليا الرضا، وطلب من جنده خلع شعار الدولة العباسية وهو لبس السواد، ولبس الخضرة شعار آل البيت، مما أغضب آل العباس عليه، حتى إذا مات الرضا فجأة، حاول المأمون أن يستعيد محبة أهل بغداد بعد نقمتهم عليه ولا سيما بعد زوال السبب بوفاة علي الرضا، إلا أن قرب علي الرضا وشيعته إلى جوار المأمون، كان له أكبر الأثر على كثير من معتقداته، حتى أنه أظهر القول بخلق القرآن، وتفضيل

١ تذكرة الحفاظ للذهبي ١:٣٠١

٢ الخطط للمقريزي ٢: ٣٥٦

٣ الكامل لابن الأثير ٦: ١٧٩

Upload by : altawhedmag.com

علي بن أبي طالب ﷺ على سائر الصحابة، وبهذا أوجد المأمون المناخ المناسب لحدوث قلاقل وحركات، لم تشهد الدولة العباسية مثلها قط"[١].

٣. ويقول ابن كثير: "إن المأمون لما ابتدع التشيع والاعتزال فرح بذلك شيخه بشر المريسي، وكان من شيوخ الاعتزال"[٢].

٤. ويقول أيضا: "وقد كان يحب العلم ولم يكن له بصيرة نافذة، فدخل عليه بسبب ذلك الدخل، وراج عنده الباطل، ودعا إليه وحمل الناس عليه قهرا" ثم يستطرد قائلا: "وقد أضاف المأمون إلى بدعته هذه التي ازدرى فيها المهاجرين والأنصار، البدعة الأخرى والطامة الكبرى وهي القول بخلق القرآن مع ما كان فيه من الانهماك في تعاطي المسكر وغير ذلك من الموبقات"، انتهى بتصرف،[٣] ثم يقول: "وقد بلغ من اعتقاد المأمون بهذا الباطل أن كتب وصيته وهو على فراش الموت، وفي حضور جمع من القضاة والأمراء والوزراء وفيها القول بخلق القرآن، ولم يتب من ذلك بل مات عليه، وانقطع عمله، وهو على ذلك لم يرجع عنه ولم يتب منه.

٥. ويضيف د. إبراهيم مدكور: "واتجهت حركة الترجمة الإسلامية نحو الحكمة والفلسفة، وبالتالي اتصلت بالثقافات الهندية والفارسية، ونقلت عن البرهمانية، والسمنية، وعن الزرادشتية والمزدكية والمانوية، وعنيت خاصة بالفلسفة اليونانية"[٤].

لقد كانت المرة الأولى التي اتصل فيها الشيعة برأس الحكم أيام المأمون، مما أدى إلى توالي الفتن، وها هي فتنة خلق القرآن تحل بعقيدة المسلمين، وقد تولى المأمون كِبَرَ هذه الفتنة، وقتل العلماء وعذبهم؛ ليوافقوه على القول بأن القرآن مخلوق، شأنه شأن جميع المخلوقات، ولولا تثبيت الله تبارك وتعالى لعلماء الدين، وأبرزهم أحمد بن حنبل رحمه الله، لعصفت الفتنة

١ الفرق بين الفرق لعبد الله البغدادي الإسفرائيني ٢٨١، وشذرات الذهب ٢:٢

٢ البداية والنهاية لابن كثير ١٠: ٢٧٩

٣ البداية والنهاية لابن كثير ١٠: ٢٧٩

٤ الفلسفة الإسلامية د. إبراهيم مدكور ٢: ٧٧

Upload by : altawhedmag.com

بالناس جميعا، ولا شك أن ضعف الدولة العباسية قد مكن الباطنيين من الانتقال من العمل السري إلى الاستيلاء على المغرب والبحرين والكوفة وأجزاء من الشام والمغرب، ثم أعلنوا قيام دولة الفاطميين في مصر، وما أدراك ما أحدثته هذه الدولة الباطنية في دين الله، وسنفرد لها الفصل التالي بتوفيق الله ﷻ.

Upload by : altawhedmag.com

ملخص الباب السادس

- يتتبع هذا الباب تسرب الفكر الباطني إلى الإسلام من الناحية التاريخية، وكيف كانت البداية، ودور اليهود في ذلك سواء عبد الله بن سبأ في الفتنة الكبرى ونشأة الفكر الشيعي، أم ميمون القداح في تأسيس دولة الباطنية والدعوة للأئمة، مع تتبع لهجمات الباطنية على أجزاء من الأمة، وإحداثها قدرا هائلا من القلاقل والفتن في الأمة الإسلامية، ساهمت بشكل فعال في إضعاف الأمة وإدخالها في نوبات متتالية من نزيف للدم والثروات، وإشغالها عن هدفها السامي في نشر دعوة الإسلام.
- عجز أعداء الإسلام عن التصدي له في ساحات القتال، أو ميدان الفكر، ورقي القيم والمبادئ التي يقدمها الإسلام للفرد وللأسرة وللمجتمع الإنساني كله، فراح الباطنيون يشعلون نار الفتنة في المجتمع الإسلامي، ونجحوا في تفريق الأمة إلى شيعٍ وأحزاب.
- استخدام الباطنية لأسماء وألقاب متعددة للشخص الواحد، لزيادة السرية؛ ولتضليل الباحثين الذين يحاولون تتبع تحركات هؤلاء الأشخاص، ولإخفاء آثار جريمة خلط نسب اليهودي ميمون بن ديصان بأبناء وأحفاد جعفر الصادق الذين توفوا دون أن يكون لهم عقب، وبالتالي يبتكرون نسلا لأشخاص غير موجودين في الحقيقة، وفي النهاية يلبسون عقيدة الفلاسفة ثوبا القداسة واعتقاد آل البيت، وهم من ذلك براء.
- لن يتكرر في التاريخ موقف عثمان بن عفان ﷺ، وهو الحاكم الذي كان قادرا على أن يسير الدنيا أنهارا من الدماء للإبقاء على كرسيه، والمحافظة على مملكته، ولكنه آثر الآجلة على العاجلة، وحقن أشرف الدماء، دماء أصحاب رسول الله ﷺ أن تراق في سبيل ملك زائل، وعرض عارض.
- ظهور فكرة الوصاية على الدين، وأن الأمة تحتاج إلى إمام من آل البيت له السمع والطاعة، وأن الصحابة غصبوا الإمارة ممن عينهم رسول الله ﷺ لتولي هذه المهمة.
- إن دخول الفتنة على الأمة مر بمراحل: فهناك الخوارج والشيعة، ثم تطورت الشيعة من خلال عدة مراحل، وتحاول كل فرقة من فرق الشيعة أن تجد لها أعوانا، وتحدد

Upload by : altawhedmag.com

لنفسها منهجا تسير عليه في تعيين الإمام، ثم يستمر تطبيق هذا المنهج حقبة من الزمان حتى يظهر للناس ما يخالف المبدأ الذي وضعوه لأنفسهم، فيحدث انقسام لنفس الجماعة إلى فريقين، يتبع كل فريق منهم أحد الأئمة، ويسمون أنفسهم باسم متبوعهم، ومن ذلك كثرت المسميات، وتعددت الفرق والأفكار.

- مما زاد الأمر سوءا وصول هذه الفرق إلى مقاليد الحكم في أجزاء مهمة من الأمة الإسلامية، ومحاولة هؤلاء القادة فرض معتقداتهم بالقوة، بل قاموا بتهيئة الأجواء لنشر أفكارهم، ثم قاموا بترجمة الفلسفات الأجنبية إلى العربية، وبدل أن يوضحوا فسادها وعوارها وضحالة مضمونها، راحوا يروجون لها، ويحثون العامة والخاصة على قراءتها حتى عم الفساد، واتسعت رقعته.

Upload by : altawhedmag.com

الباب السابع

عقيدة الإمامية الاثنا عشرية

١. تهيئة لما بين دفتي الباب.

٢. الغلو في شأن الأئمة.

٣. قِدَمُ نور الإمام.

٤. الشيعة والقرآن.

٥. الشيعة والصحابة.

٦. قيام دولة الشيعة يبدأ من السرداب.

٧. من مهدي الشيعة المنتظر؟

٨. مقارنات ومناظرات.

٩. الدور الغائب لآل البيت في الأمة الإسلامية.

١٠. الزنا واللواط قربانا وطاعة!

Upload by : altawhedmag.com

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الأول

تهيئة لما بين دفتي الباب

قبل أن نستعرض عقائد الشيعة الإمامية، لا بد لنا من تهيئة بين يدي الموضوع، فربما يكون هذا الباب هو أهم أبواب الكتاب، وربما في سلسلة الظاهر والباطن كلها، وتأتي تلك الأهمية من ارتباط تلك العقائد بما يجري ويدور على الساحة الإسلامية حاليا، وسيجد القارئ الكريم نفسه مدفوعا إلى ربط ما سيقرأه في هذا الباب بما يدور في فلسطين مرورا بأفغانستان، والشيشان، والبوسنة والهرسك، ثم في العراق، وإيران، وسوريا، والسودان، ودور المخابرات المركزية الأمريكية، والموساد الإسرائيلي، ومن ورائهما حكومة كل منهما في نقل الخطط الموضوعة سلفا من الأرشيف إلى أرض الواقع، وسيجد القارئ في نهاية الباب مفتاح اللغز الذي يفك له شفرة الأحداث الجارية على الساحة.

إن من يضع الخطط لتغيير شكل العالم الإسلامي، لا بد له أن يحافظ على السرية، حتى لا تنتبه ضحيته المساقة إلى سيف الجلاد وما يراد بها، فما بالك إذا أصبحت أجزاء من تلك الخطط واقعا ملموسا، ورغم أنف العالم أجمع! فإذا وصلت الخطة إلى نقطة اللاعودة، فإن المحافظة على السرية يصبح عبثا وإضاعة للوقت، وهذا يفسر لنا رفع الأقنعة عن الوجوه، وظهور العداوة والبغضاء، ثم التقلبات الحادة في المواقف والمصالح، فحليف اليوم يصبح عدو الغد، وصديق أمريكا القديم وحتى الصباح سيُغدر به في المساء، وماذا يفعل الثور الأبيض بعدما ذبح أمام عينيه صديقه الثور الأسود، وصلب قبله الثور الأحمر؟

إن الأمة الإسلامية لم تحرك ساكنا يوم وعد بلفور، وازداد صمتها يوم قامت دولة إسرائيل، وانشغل العرب بزعاماتهم واختلافاتهم، بل وحروبهم بعضهم البعض، ولم تنجح صدمة الهزيمة يوم النكسة الكبرى في جمع شملهم، وتكامل طاقاتهم، إلا بقدر بسيط أعاد للعرب كرامتهم يوم العبور، وما لبثوا أن عادوا إلى التشرذم والانغلاق، وانفك عقد التكامل والتعاون، واعتكف كل منهم على ما لديه من خيرات، ومشكلات، وبدلا من أن تتكامل خيراتهم في حل مشاكلهم، نهبت مشاكلهم ما تبقى من خيراتهم، فسُلبت البوسنة والهرسك، ومن ورائها الشيشان، ثم تسليم أفغانستان، ...وتستمر الجولات، وضاقت الحلقة حول

Upload by : altawhedmag.com

العرب ليس بفعل أعداء العرب، وإنما بأيدي العرب أنفسهم، وذلك حين انتهى بهم المطاف إلى تقديم العون للثور الأسود على قتل الثور الأحمر، فكان سقوط بغداد، في نفس الوقت الذي ينخر فيه سوس الفتنة في السودان، الذي انتهى بتقسيم السلطة بين الشرعية الحاكمة في الشمال، وبين المتمردين المسيحيين في الجنوب، ولما انتزع جزء من ثروات الجنوب في السودان، فتحوا جبهة الفتنة في غرب السودان في محافظة دارفور، لا ولن تهدأ الولايات المتحدة من سياستها ومخططاتها، فتصدير المشاكل والأزمات إلى دول العالم عامة، وديار الإسلام خاصة، هو غايتها والضمان لتربعها على سيادة العالم، فلابد أن تعمل مصانع الأسلحة، وتدخل الخزانة الأمريكية بلايين الدولارات، وإذا جنح الجالس في البيت الأبيض عن هذه السياسة، فالرصاص في رأسه وقلبه، وما كنيدي عن القوم ببعيد.

أخي القارئ كان لا بد من هذه التهيئة قبل الدخول في هذا الباب، فنحن مقبلين على مرحلة أحلك، بعد قيام الدولة الشيعية في إيران، ثم إفساح الساحة لشيعة العراق، المتحالفة استراتيجيا مع أمريكا وإسرائيل، وبعد عدة سنوات قليلة سيَنْقَضُّ الأكلة من جنود الأمريكان واليهود مع جيش المهدي لالتهام ما تبقى من قصعة الإسلام، إلا أن مكرهم سيحيق بهم بإذن الله تعالى، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب سينقلبون.

على القارئ الكريم أثناء قراءته لهذا الباب ألا ينشغل عما يحاك به شخصيا من مؤامرات تستهدفه بصفته عضوا من أعضاء أهل السنة، حتى وإن كان بعيدا عن دينه، ولا يعرف عنه شيئا، فرصاص الغدر في فلسطين والعراق لا يطلق على العلماء أو المؤمنين فقط، بل يحصد الأطفال، والنساء، والشيوخ، والفتيان.

أخي القارئ نعود مرة أخرى إلى بيان عقيدة الشيعة[1]، ولتعذرنا أيها القارئ الكريم لما سنسببه لك من دهشة مصحوبة بالأسى أثناء اطلاعك على المعلومات الواردة في هذا الباب،

---

١ لا يفوتني أن أنوه إلى الأستاذ/ جمال الشرقاوي ذلك الباحث الدءوب، الذي كان من أوائل من تكشفت أمامه حقيقة الشيعة، وخطورتها في الثمانينات، وكان يحدثنا عن أفكارهم وعقائدهم، بينما كنت مشغولا آنذاك بقضية التصوف، وكانت لقاءاتنا تربط بين ما اطلع عليه عند الشيعة، وبين ما عايشته في التصوف، وبعد أن فرغت من دراستي لتقييم عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة، بدأت في التركيز على عقائد المسيحية والفرق الباطنية، من الشيعة وغلاة الباطنية، مما أثمر عنه كتابنا هذا، فجزاه الله عنا خيرا، ووفقنا لما يحب ويرضى.

Upload by : altawhedmag.com

ونحن على يقين أن قراءة هذا الباب بتدبر وتأمل، سيمنحان المسلم من أهل السنة حصانة ضد هجمات الشيعة الطائشة، وعليه أن يصبر على ما يقرأه من جرأة الشيعة وهدمهم كل قواعد الإسلام، وأسسه المتينة، وسيتأكد بنفسه أن دعواهم بنطق الشهادات الثلاث المعدلة للشهادتين، بعد إضافة "وأشهد أن عليا ولي الله"، إنما هي أقوالهم بألسنتهم، وما تخفي صدورهم من كراهية الإسلام أمر وأدهى.

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الثاني

الغلو في شأن الأئمة

قلنا في الفصل الثاني [أطوار التشيع] من الباب السابق، أن الشيعة انقسمت إلى فرقتين رئيستين، بعد الإمام السادس جعفر الصادق، وسبب الانقسام وفاة الابن البكر إسماعيل بن جعفر الصادق في حياة أبيه، وهذا ما لم يتوقعه من ابتدع الإمامة والوصاية على الدين، والقوم تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى، واختلاف الأهواء والتفسيرات الشخصية لا تصلح لبناء أسرة واحدة، فما بالك ببناء الأمم!

الفرقة الأولى: الإسماعيلية.

والتي تمسكت بالشرط الذي يحصر انتقال الإمامة من الإمام إلى ابنه البكر، وقد أوجدت هذه الفرقة مخرجا تغلبت به على مشكلة وفاة إسماعيل في حياة أبيه، بقولها إن جعفر الصادق خاف على حياة ولده إسماعيل فأشاع وفاته، ودون محضرا بوفاة مزعومة لإسماعيل حماية له من أعدائه المتربصين به، وأن إسماعيل اختفى عن الأنظار، وأصبح بذلك عندهم هو الإمام السابع.

الفرقة الثانية: التي عرفت فيما بعد بالإمامية الاثنا عشرية.

والتي تمسكت بوفاة إسماعيل في حياة أبيه، وقد أوجدت لنفسها مخرجا آخر حين تنازلت عن شرط بقاء الإمامة في الابن البكر، وقالت بانتقال الإمامة إلى الابن الثاني بعد الابن البكر، وبالتالي اعتبرت موسى الكاظم الشقيق الأصغر لإسماعيل هو الإمام السابع، فقرروا إمامته، ثم ذريته من بعده. وسارت الأمور بلا مشاكل إلى حين، نتتبعه فيما يلي:

- الإمام الثامن عند الإمامية الاثنا عشرية: هو الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم.
- ولد موسى الكاظم بالأبواء بين مكة والمدينة سنة ١٢٨ هـ، وأنجب الإمام الثامن علي الرضا بالمدينة سنة ١٤٨ هـ، وهي السنة التي توفي فيها جده جعفر الصادق، وتوفي في سجن الرشيد ببغداد سنة ١٨٣ هـ، بينما عاش ولده البكر علي الرضا ٦٥ عاما، وتوفي بخراسان سنة ٢٠٣ هـ.

Upload by : altawhedmag.com

- الإمام التاسع عند الإمامية الاثنا عشرية: هو الإمام محمد الجواد بن علي الرضا، ولد بالمدينة سنة ١٩٥ هـ، ثم أنجب ولده علي الهادي بالمدينة سنة ٢١٢ هـ، وعاش خمسا وعشرين عاما إلى أن توفي ببغداد سنة ٢٢٠ هـ.
- الإمام العاشر: علي الهادي بن محمد الجوْاد ولد بالمدينة سنة ٢١٢ هـ، كما سبق بيانه، وتوفي بسامراء سنة ٢٥٤ هـ، عن عمر يناهز اثنين وثلاثين عاما.
- الإمام الحادي عشر: الحسن العسكري بن علي الهادي، ولد بالمدينة سنة ٢٣٢ هـ، وعاش ثمانية وعشرين عاما، وتوفي سنة ٢٦٠ هـ، ومات دون أن يعقب.
- الإمام الثاني عشر: محمد المهدي بن الحسن العسكري، وهو شخصية ابتكرتها الشيعة الإمامية الاثنا عشرية للخروج من مأزق وفاة الحسن العسكري دون أن ينجب؛ لذلك تأتي أحداث مولده بأثر رجعي، ورغم أن معظم فرق الشيعة لا تؤمن بوجوده أصلا، إلا أن مبتكري هذه الشخصية قالوا أنه ولد من جارية تدعى نرجس، وهبتها أخت الحسن العسكري له قبل موته مباشرة، وقيل بل بعامين، وقيل بخمسة أعوام، المهم أن حملها لم يظهر عليها -حسب زعمهم- اقتداء بأم موسى عليه السلام، وأنه ظهر فقط يوم وضعت مولودها، الذي نطق في بطنها قبل خروجه للدنيا، ثم اختفت عن الأنظار حتى وضعته، ثم سجد لله بعد مولده، وتشهد لله وأثنى عليه، وصلى على جده، ثم عد من سبقه من الأئمة، ثم دعا لنفسه قائلا: اللهم أنجز لي وعدك، وأتمم لي أمري، وثبت وطأتي، واملأ بي الأرض عدلا وقسطا، ثم جاءت أسراب الطيور ترفرف على رأسه، برئاسة روح القدس، فحملوه وطاروا به بعيدا عن أعين أعدائه، ورجعوا به بعد أربعين يوما، صبيا يمشي كأنه ابن سنتين...

ونكتفي بهذا القدر خشية الإطالة، ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتب القوم، ومنها: المجلد الرابع من "دائرة معارف الشيعة"، والمجلد الأول من "عقائد الإمامية"، و"يوم الخلاص"، و"إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب"، و"سيرة الأئمة"... وأهم ما في القصة أن أحدا من عامة الناس لم يره، وأن أهله كانوا يرونه كل أربعين يوم، حسب ما تأتي به الطيور، ثم ما لبث أن اختفى في السرداب، وعمره سنتين أو خمس سنوات، ولم يصل إليه سوى رجل واحد ادعى السفارة عنه، وقبل أن يموت السفير الأول، أوصى ابنه باستكمال

Upload by : altawhedmag.com

رسالته، وعينه السفير الثاني من بعده، ولم يصل إلى المهدي سوى ابنه الذي تولى السفارة أربعين سنة، ثم جاء ثالث، ومن بعده رابع، ثم عندما طال الانتظار، ومرت السنون والأعوام، جاءهم أمر من المهدي بتوقف السفارة.

ومن الطبيعي أن رسائل المهدي التي أرسلها لشيعته -كما يدعون- لم يرها أحد، ولم تخضع للدراسة والتمحيص لمعرفة من يعبث بعقول الناس بهذا الأسلوب الساذج؛ ولهذا سنخصص فصلا لبيان: من المهدي الغائب في السرداب؟ والذي تدعو له الشيعة بأن يعجل الله فرجه.

أولا: وصاية الإمام على الدين.

قبل أن نتعرض بالتفصيل لعقيدة القوم، نود أن نشير إلى مبدأ هام وضروري اتبعته الشيعة عبر التاريخ لإخفائها، وللمحافظة عليها، ولإيهام الآخرين أنهم لا يخالفونهم، وربما نجحوا في إظهار أنهم من القوم، هذا المبدأ هو التقية، والتقية هي الاصطلاح الدبلوماسي الشيعي للنفاق، ويراد بها عندهم أن يظهر الشيعي للآخرين ما يوافق عقائدهم، برغم أنه يوقن في سريرته بخلاف ما يظهره للناس. ولهذا لن تنجح أبدا في الحصول على هذا القدر من المعلومات على لسان شيعي مباشرة، بل سيظهر لك أن تلك الأفكار مرفوضة ولا يدينون بها وما إلى ذلك، وإذا عرضت كتبهم عليهم، جاءوك بأقوال أخرى كتبها ناس من باب التقية، وهكذا، وتشير مراجعهم إلى وجوب كتمان أسرارهم بقول منسوب لجعفر الصادق يقول فيه: "التقية ديني، ودين آبائي، فمن لا تقية له لا دين له"؛ ومن ثم أصبحت التقية وهي النفاق الواضح الصريح ركنا من أركان العقيدة الشيعية. ومن الغريب أن نجد النص التالي في كتب الشيعة ننقله عن السيد/ الموسوي الذي يقول: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "ما أنزل الله سبحانه آية في المنافقين إلا وهي فيمن يَنْتَحِلُ التَّشَيُّع". [رجال الكشي ص ٢٥٤ أبي الخطاب].

وإليك غيض من فيض معتقداتهم، التي منها اعتقادهم أن الله ﷻ يُرسل رسله صلوات الله عليهم لإبلاغ الناس رسالاته، ثم يُعَيِّن الأئمة أوصياء على الأمم لحفظ دينه، وأن نبينا محمدا ﷺ أبلغ جميع الصحابة، وأخذ عليهم العهد والميثاق على وصاية علي بن أبي طالب ﷺ، وأنه الوصي والإمام من بعده، وتقوم عقيدة الشيعة على أصول خمسة، هي:-

- توحيد الله.

Upload by : altawhedmag.com

- نبوة خاتم الأنبياء.
- المعاد في يوم الجزاء.
- عدل الله.
- إمامة الأئمة من أهل البيت.

ثم يشرح علماء الشيعة منزلة الإمامة في عقيدتهم شرحا مبسطا ووافيا بقولهم: "إن علي بن أبي طالب هو الإيمان كله"، ويدللون على ذلك بقول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة- ٥]، وهو يُقَيّد بقرينة قول ينسبونه للنبي ﷺ: إن من يكفر بولاية علي وإمامته فقد أسقط الإيمان من حسابه، وأحبط بذلك عمله"[١].

وهم يُعَرِّفون الإمامة بقولهم: "هي الزعامة في أمور الدين والدنيا، وهي نيابة عن الرسول ﷺ في حفظ شريعته من الزيادة والنقيصة، وإقامة الحدود، ودرء الفساد، وهي واجبة بعد النبي ﷺ؛ لئلا يضيع أمر الدين"، ويحدد علماء الشيعة مفهوم الإمامة بقولهم: "الإمامة منصب إلهي كالنبوة، فكما أن الله يختار من يشاء من عباده للنبوة، فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه"[٢].

ويستدلون على ذلك بما رواه الكليني في كتابه الكافي[٣]، بتفسير جعفر الصادق لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء-٩]، قال: يهدي إلى الإمام[٤]، وتفسر الشيعة قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد-٧]: أن المنذر هو

---

١ "الشيعة في عقائدهم وأحكامهم" للسيد أمير محمد الكاظمي القزويني ٢٣ -٢٤

٢ "الشيعة في عقائدهم وأحكامهم" للسيد أمير محمد الكاظمي القزويني ٤٢

٣ يعد كتاب "الأصول من الكافي" أشهر وأوثق مصادر الشيعة، ويصفه علماؤهم بما يلي:

- يقول أغا بزرك الطهراني مصنف الذريعة في تصانيف الشيعة: "هو أجل الكتب الأربعة الأصول المعتمدة عليها، لم يُكتب مثله في النقول من آل الرسول، لثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني".

- يقول العباس القمي مصنف الكنى والألقاب أنه: "أجل الكتب الإسلامية، وأعظم المصنفات الإمامية، والذي لم يعمل للإمامية مثله".

- يقول المولى محمد أمين الإسترابادي في محكى فوائده: "سمعنا من مشايخنا وعلمائنا أنه لم يصنف في الإسلام كتاب يوازيه أو يجانبه، ويعتقد بعض الشيعة أن هذا الكتاب قُرِئ على الإمام الغائب فاستحسنه، وقال: كافٍ لشيعتنا، فسمي الكافي".

٤ الكافي للكليني ١: ٢١٦

Upload by : altawhedmag.com

محمد ﷺ والهادي هو علي بن أبي طالب ﷺ، كما ينسبون إلى أئمتهم من آل البيت أقوالا تؤكد هذه المفاهيم، فيروون عن أبي جعفر أنه فسر قوله ﷻ: ﴿أَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن-١٦]، فقال: "يعنى لو استقاموا على ولاية علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، والأوصياء من ولده"[١].

ويتوعد الشيعة من يخالفهم في عقيدة الإمامة بأقصى العقوبات: يقول المجلسي: "اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد الأئمة، وجحد ما أوجبه الله تعالى من فرض الطاعة، فهو كافر مستحق للخلود في النار".

ويكفي عند الشيعة أن يذكر الكليني في الكافي: "أن معصية عليٍّ كفر، وأن اعتقاد أولوية غيره بالإمامة شرك"[٢]، ولا مانع عندهم أن يتهموا الصحابة بتحريف القرآن لإخفاء شرعية الإمامة - كما سنبين ذلك في نفس هذا الباب - فيقول صاحب تفسير نور الثقلين: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [في علي] ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة-٦٧]، وأنه لما نزلت هذه الآية، قال رسول الله ﷺ لعلي ﷺ: "لو لم أبلغ ما أمرت به من ولايتك لحبط عملي"[٣].

ثانيا: حديث غدير خم.

يعتقد الشيعة ومن تبعهم من الباطنية أن الإمامة هي المحور الرئيس الذي تدور حوله جميع أركان الدين، وأن رسول الله ﷺ بعد حجة الوداع نزل بغدير يبعد ثلاثة أميال من الجحفة، وحوله شجر كثير - وهي الغيطة التي تسمى خما - ثم آخى بين أصحابه، ولم يبقَ إلا علي بن أبي طالب، الذي انتابه حزن وانكسار، فضمه النبي ﷺ إليه، وقال: ﴿أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي﴾[٤]، ثم التفت إلى أصحابه، وقال:

---

١ الكافي للكليني ١: ٢٢٠

٢ الكافي للكليني ١: ٥٢، ٥٤، وبحار الأنوار ٢٣: ٣٩٠

٣ تفسير نور الثقلين ١: ٦٥٤

٤ أما قول النبي ﷺ: ﴿أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي﴾، فقد قاله حين خلف عليا رضي الله عنه على المدينة، لما خرج إلى تبوك، ومناسبة الحديث أن موسى استخلف هارون عليهما السلام على قومه حين دعي لميقات ربه،

Upload by : altawhedmag.com

﴿من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه﴾[١]، وبعد أن قررت الشيعة فكرة الإمامة راحوا يصفون الأئمة بخصائص تتميز بالغلو الشديد بدأت بالعصمة، وانتهت بالألوهية، كما سنبين للقارئ الكريم في الفصول التالية.

ثالثا: الإمام أفضل من النبي عند الشيعة.

اختلفت الشيعة فيما بينها على مقام الأئمة، وهل هم أفضل من أولي العزم من الرسل، أو من الأنبياء فقط، أم يساوونهم في المقام، يزعم أحد دعاة الشيعة في كتابه الأنوار النعمانية أنه: "ذهب جماعة [أي من علماء الشيعة]إلى أنهم أفضل من الأنبياء ما خلا أولي العزم، وذهب بعضهم إلى المساواة، وأكثر المتأخرين إلى أفضلية الأئمة على أولي العزم وغيرهم... وهو الصواب"!![٢]، ويستدلون على باطلهم بتأويل آيات القرآن الكريم على هواهم: "وأما تفضيل الشيعة لأئمتهم على الأنبياء عليهم السلام، إلا رسول الله ﷺ، فدليله ما جاء التنصيص عليه في كتاب الله، وذلك عندما سأل خليل الله إبراهيم عليه السلام من الله الإمامة لذريته، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة-١٢٤]، فإن إبراهيم ﷺ لم ينل مرتبة الإمامة العامة فوق مرتبة النبوة، ثم يستطرد قائلا: والإمامة لها مراتب وأتمها ما ثبت لرسول الله ﷺ؛ ولذا كان أفضل الأنبياء وخاتمهم، فإمامة النبي ﷺ هي الأصل، وإمامة أهل البيت هي الفرع في مرتبة إمامة الأصل، وإلا لم يصح أن يتحملوا أتم مراتب الإمامة، لذلك وجب أن يكونوا [أي الأئمة من آل البيت] أفضل منهم [أي الأنبياء]"[٣].

ويروي الكليني في الأصول من الكافي: "إن الله ﷻ جمع لمحمد ﷺ سنن النبيين من آدم وهلم جرا إلى محمد ﷺ قيل له: وما تلك السنن؟ قال: علم النبيين بأسره، وإن رسول الله ﷺ

ورسول الله خلف عليا على أهله، ولم يكن هذا شأنا خاصا بعلي، فقد خلف النبي ﷺ عبد الله بن أم مكتوم، وغيره في غزوات أخرى، ولم يستدل أحد من ذلك على أن ابن أم مكتوم أولى بالخلافة من أبي بكر وعمر.

١ ذكر المحققون من العلماء أنه على فرض ثبوت صحة عبارة: ﴿من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه﴾ إلا أنها لا تقتضي وصاية علي على الدين، أو أنه أولى بالخلافة من أبي بكر وعمر وعثمان، وليس فيها ما يدل على إمامة ذرية علي من بعده.

٢ الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري هلك سنة ١١١٢ هـ

٣ الشيعة في عقائدهم وأحكامهم.٣٦٧

Upload by : altawhedmag.com

صير ذلك كله عند أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له: يا بن رسول الله فأمير المؤمنين أعلم أم بعض النبيين؟، فقال أبو جعفر: اسمعوا ما يقول؟، إن الله يفتح مسامع من يشاء، إني حدثته أن الله جمع لمحمد ﷺ علم النبيين، وأنه جمع ذلك كله لأمير المؤمنين عليه السلام، وهو يسألني أهو أعلم من بعض النبيين؟!(١).

وفي رواية شيعية أخرى يروونها عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال: "إن سليمان ورث داود، وإن محمدا ورث سليمان، وإنا [أي الأئمة من آل البيت] ورثنا محمدا، وإن عندنا علم التوراة، والإنجيل، والزبور، وتبيان ما في الألواح [أي ألواح موسى]، قال: قلت: إن هذا لهو العلم، قال: ليس هذا هو العلم، إن العلم الذي يحدث يوما بعد يوم، وساعة بعد ساعة"(٢)، وفي رواية: "إنما العلم ما يحدث بالليل والنهار، يوما بيوم وساعة بساعة"، ويفرد الداعية الشيعي فصلا سماه: "علي ملتقى الفضائل المتفرقة في أولي العزم من الرسل"، يروي فيه حديثا مفترى على رسول الله ﷺ جاء فيه: "من أراد أن يرى آدم في علمه، ونوحا في طاعته، وإبراهيم في خلته، وموسى في هيبته، وعيسى في صفوته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب"(٣).

ويعقد الشيعة مقارنة بين خصائص علي رضي الله عنه، وما فضل به الأنبياء عليهم السلام، يقول الجزائري: "قال تعالى في حق آدم: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه-١٢١]، وقال في حق علي: ﴿كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء-١٩]، وأما تفضيله على نوح ولوط عليهما السلام - فيزعمون - قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم-١٠]، وعلي بن أبي طالب كان ملكه تحت سدرة المنتهى، زوجته بنت محمد ﷺ، وأما تفضيله على أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، فقوله تعالى: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة-٢٦٠]، وأمير المؤمنين قال قولا لم يختلف فيه أحد من المسلمين: "لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا"، وهذه كلمة لم يقلها قبله ولا بعده أحد". ومن أراد المزيد من هذه الروايات

١ الكافي للكليني ٢٢٣

٢ الكافي للكليني ٢٢٥

٣ الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري ٧٤

Upload by : altawhedmag.com

فليرجع إلى مصادر الشيعة الأساسية، فسيجد روايات لا نهاية لها، عن امتلاك الأئمة لعصا موسى، وألواح التوراة، وخاتم سليمان، وقميص آدم الذي خرج به من الجنة[١].

إن القارئ ليتعجب من شطط القوم وغلوهم في شأن علي ﷺ، وجرأتهم المتناهية على مقام الأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين، وليعلم القارئ أن ما أنقله عن القوم إن هو إلا قطرة من بحر، ولكنها كافية بتوفيق الله تعالى لبيان عقيدة الشيعة.

رابعا: علم الأئمة عند الشيعة مطابق لعلم الله.

تقوم عقيدة الشيعة على فكرة وصاية أهل البيت على الدين الإسلامي، وقد تسترو بمحبة آل البيت، وراحوا يغالون في شأنهم ويضفون عليهم الكثير من الصفات والخصائص التي تخرجهم من حيز البشرية، وتدخلهم دائرة الربوبية وتكسوهم صفات الألوهية، فانحرفت أفكارهم وحادت عن الوسطية التي قامت عليها عقيدة الإسلام، وإذا تصفحنا فهرس كتاب "الأصول من الكافي" للكليني، والذي تعده الشيعة [كصحيح البخاري عندنا] أصح كتبهم لوجدنا في عناوين أبواب هذا الكتاب ما يكفينا مشقة سرد أحاديثهم الباطلة، وسنذكر أسماء بعض الأبواب التي تتعلق بموضوعنا وتبين أنواعا من علوم الباطن يعلمها أئمتهم، ونذكر القارئ الكريم بما أوردناه سلفا من أسماء الأبواب التي يعتقدها النصارى في عيسى عليه السلام، وهذه الأبواب هي:

- باب الأئمة ولاة أمر الله وخزنة علمه.
- باب الأئمة معدن العلم، وشجرة الأنبياء، ومختلف الملائكة.
- باب الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة، والأنبياء، والرسل.
- باب الأئمة إذا شاءوا أن يعلموا علموا.
- باب الأئمة يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم.
- باب الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنه لا يخفى عليهم شيء.
- باب جهات علوم الأئمة...
- باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة.

---

١ الكافي للكليني أبواب: الأئمة ورثوا علوم الأنبياء، والأئمة عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله ﷻ، والأئمة يعرفون اختلاف الألسنة، وعندهم اسم الله الأعظم، وعندهم آيات الأنبياء.

Upload by : altawhedmag.com

لا شك أن من يحظى بكل هذه العلوم فقد خرج من حيز البشر، وارتقى إلى مستوى الآلهة، وكيف لا وقد أصبح موصوفا بأنه: خزنة علم الله، ومعدن العلم، ومختلف الملائكة، كما أن مشيئة العلم عنده وإذا أراد أن يعلم، فإن مشيئته هذه كافية لتحصيل العلم، ثم هو يعلم ما كان وما سيكون، ولا يخفى عليه شيء.

خامسا: الأئمة أصل علم الباطن.

أشاعت الشيعة بين أتباعها مجموعة من المفاهيم التي تؤكد أن أئمتهم هم أصل العلم الباطن، ويفسرون لهم أهمية خصوصية علوم الأئمة، وأن عامة الناس لا تحتملها بأقوال كثيرة، منها: "وكتاب الجفر يحتوي على علوم لا طاقة لغير نبي أو وصي على تحملها، فمن المعروف في تلقين المعارف أنه لا بد من ملاحظة الملقن وقدرته على تحمل ما يلقن من المعرفة، فيعطى على قدر ما يتحمله عقله...."، ولأجل هذا كان الأئمة يأمرون أصحابهم بالرفق بالناس في تلقين المعارف كقول الإمام الكاظم ليونس بن عبد الرحمن: "يا يونس ارفق بهم، فإن كلامك يدق عليهم"، وكقول الإمام الرضا لصاحبه الذي شكا له ما يلقى من أصحابه من الوقيعة، فقال: "دارهم فإن عقولهم لا يبلغ"... ويستطرد قائلا: "ولعله من هذا الباب قال الإمام علي [ع] عندما ذكرت التقية: لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، فإذا كان الحال هكذا مع أبي ذر وسلمان اللذين آخى رسول الله بينهما، فما ظنك بسائر الخلق؟!"[١].

ويكفي لبيان مدى خطورة هذه العلوم على العامة أن نروي هذه الحكاية عن محمد بن الحنفية عندما جاء لأخويه الحسن والحسين بعد استشهاد أبيهم طالبا حقه من ميراث أبيه [العلمي لا المالي]، فقد ورد أن الحسن والحسين أعطياه صحيفة أقل من شبر أو أكبر من أربع أصابع[٢]، ويعلق الإمام الصادق على هذه الحكاية بقوله: "لو أطلعاه على أكثر منها لهلك"[٣] وفي نفس المصدر رواية أخرى تلقي الضوء علي مضمون الصحيفة، تقول الرواية: "فدفعا إليه صحيفة لو أطلعاه على أكثر منها لهلك، فيها ذكر دولة بني العباس".

---

١ نفس الرحمن في فضائل سليمان ص ٥٤ نقلا عن رجال الكشي، ينقله المؤلف عن كتاب حقيقة الجفر عند الشيعة لأكرم بركات العاملي ص ٧٧

٢ بصائر الدرجات ص ١٦٠، حديث ٢٩

٣ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧: ١٤٧

Upload by : altawhedmag.com

كما يعتقد الشيعة أن القرآن الكريم له ظاهر وباطن، ويروون حديثا شيعيا عن النبي ﷺ، أنه وصف القرآن بقوله: "وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل وله ظهر وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق" [١]، وبالتالي فهم لا يرون أحدا لفهم باطن القرآن سوى أئمتهم؛ لذلك يقررون أن القرآن الكريم يشير إلى اختصاصهم بهذه العلوم، وأنهم هم الراسخون في العلم، ومن هذه المفاهيم ما يروونه:

- عن أبي عبد الله، قال: "نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله" [٢].
- وعن أبي عبد الله [ع]، قال: "الراسخون في العلم أمير المؤمنين، والأئمة من بعده" [٣].
- وعن بريد بن معاوية في قوله ﷻ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران-٧]، "فرسول الله أفضل الراسخين في العلم، قد علمه الله ﷻ جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله، والذين لا يعلمون تأويله إذا قال العالم فيهم بعلم، فأجابهم الله بقوله: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران-٧]. فالقرآن خاص وعام، ومحكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، فالراسخون في العلم يعلمونه" [٤]. ولهذا يفتح الشيعة أبواب العلم ولا يَحْصرونه في الكتاب والسنة، وإنما يَمْزِجونها بالخيال، والكشف، والوهم، والإلهام، ويزعمون أنها علوم الخاصة منهم، وهم بذلك يسيرون وراء من سبقنا من الأمم في دعواهم بتقسيم العلم إلى: ظاهر وباطن، وإلى: شريعة وحقيقة، ومن مروياتهم أن كميل بن النخعي سأل علي بن أبي طالب عن الحقيقة، فأجابه قائلا: "ما لك والحقيقة؟!، قال: أو لست صاحب سرك؟ قال: بلى، ولكن

١ الأصول من الكافي للكليني ٢: ٥٩٩

٢ الأصول من الكافي للكليني ١: ٢١٣

٣ الأصول من الكافي للكليني ١: ٢١٣

٤ الأصول من الكافي للكليني ١: ٢١٣

Upload by : altawhedmag.com

يرشح عليك ما يطفح مني"[١]. ولعل هذا التصريح هو بداية ظهور كلمة: الحقيقة، ومدلولها عند القائلين بها أنها علم باطني لا يُنال إلا بالرشح؛ أي التلقي الباطني من طول الصحبة.

وتزيد هذه الرواية الأمر تعقيدا، فعن جعفر الصادق، أنه قال: "إن أمرنا سر مستور، في سر مقنع بالميثاق، من هتكه أذله الله، وقال: إن أمرنا سر مستور في سر، وسر مستسر، وسر لا يفيده إلا سر، وسر مقنع بسر، وقال: هو الحق، وحق الحق، وهو الظاهر، وباطن الظاهر، وباطن الباطن، وهو السر وسر المستسر، وسر مقنع بالسر".

وتسير الشيعة على درب من سبقهم من الباطنية، وتضع أسس الاختلاف بين علمي الشريعة والحقيقة برواياتهم عن علي ﷺ، يقول فيها: "اندمجت عليَّ مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية[٢] في الطوي البعيد".

وقال: تعلمت من رسول الله ﷺ ألف باب من العلم، ففتح لي من كل باب ألف باب"[٣].

وقد نجحت الشيعة في دس هذا المفهوم في كتب السنة؛ لذا نجد كثير من الخطباء، والوعاظ، والصوفية يرددون هذا الحديث الموضوع، أن رسول الله ﷺ، قال: "أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأتِ الباب"[٤]؛ لذلك ينصح العلماء بعدم قبول كثير من أخبار

---

١ الحقائق في محاسن الأخلاق للكاشاني ١١

٢ الأرشية: أي الريشة والجمع أرياش ورياش، والطوي أي المكان أو الوادي البعيد

٣ الحقائق في محاسن الأخلاق للكاشاني ١١

٤ قال البخاري: إنه كذب لا أصل له، وكذا قال أبو حاتم، ويحيى بن سعيد، ورواه الترمذي ٤: ٣٢٩، وعلق عليه بقوله: "إنه حديث منكر"، ورواه ابن الجوزي في الموضوعات الكبرى، وقال: "إن له عشرة طرق"، وتعقبها كلها وأثبت وضعها ١: ٣٥٠ - ٣٥٥، وذكر حديث: "أنا دار الحكمة وعلي بابها"، وقال: "إن له خمسة طرق تتبعها جميعا، وأثبت أنه لا يصح منها شيء" ١: ٣٤٩ - ٣٥٠، ورواه ابن عراق الكناني في تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة ١: ٣٧٧، حديث ١٠٣، وأورده الشيباني في كتابه تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، وقال: "كذب وباطل ولا أصل له" [راجع حديث ٢٣٥ ص ٤١]، وأورده العلامة الملا علي القاري في الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، والإمام الذهبي في الميزان ٢: ٢٥١، وأورده السخاوي في المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة حديث رقم ١٨٩، وقال ابن دقيق العيد: "هذا حديث لم يثبتوه" راجع حديث ٢٥١ ص ٧١ - ٧٢، وأورده السيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، باب مناقب الخلفاء

Upload by : altawhedmag.com

المناقب إلا بعد التأكد من صحة نسبتها للنبي ﷺ؛ فمن المعلوم أن كل فرقة من الفرق قد وضعت أحاديثا تؤيد اعتقادها، ونسبتها للنبي ﷺ، منها: ما جاء في مناقب العباسيين، والأمويين ومثالبهم، أو مناقب أئمة المذاهب الأربعة وفقهائهم، أو ما ورد في مناقب أئمة الشيعة؛ لذا نجد [ابن القيم] رحمه الله يقول: "قال الحافظ أبو يعلى الخليلي في كتاب الإرشاد: "وضعت الروافض في فضائل علي ﷺ، وأهل البيت نحو ثلاثمائة ألف حديث".

ويعلق "ابن القيم" بقوله: ولا تستبعد هذا، فإنك لو تتبعت ما عندهم من ذلك لوجدت الأمر كما قال"[1]. ولا شك أن قول [ابن القيم] هذا يعد تقديرا دقيقا لما دسه الباطنيون من أحاديث على سنة رسول الله ﷺ، ويكفيك للاقتناع بدقة هذا الرقم من الأحاديث الاطلاع على كتاب الشيعة الأكبر الذي يسمونه: "بحار الأنوار" الذي يتكون من [١١٠] مجلدا، كلها بإسناد الشيعة إلى الأئمة، وأكثرها روايات ما أنزل الله بها من سلطان، يطفح معظمها بالكذب والافتراء على الله ﷻ وعلى رسوله ﷺ.

وتزيد الهوة بين علم الظاهر الذي يخصصونه لأهل السنة، وعلم الباطن الذي يناله الشيعة وأتباعهم، وهم يشيرون في كتاباتهم إلى أشياعهم بالعلماء، ومن هذا ما يزعمون أن عليًّا زين العابدين، قال: "والله لو عَلِم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخى رسول الله ﷺ بينهما، فما ظنكم بسائر الخلق، وإنَّ عِلْم العلماء صعب مستصعب، لا يحتمله إلا ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، قال: وإنما صار سلمان من العلماء؛ لأنه امرؤ منا آل البيت؛ فلذلك نسبته إلى العلماء". وينسبون إلى علي زين العابدين قوله شعرا:

إني لأكتم من علمي جواهره ... كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا

وقد تقدم في هذا أبو حسن ... إلى الحسين ووصى قبله الحسنا

يا رب جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا

الأربعة ١: ٣٢٩ - ٣٣٠، وبهذا قال الخطيب: "إنه كذب لا أصل له"، وقال ابن عساكر: "منكر إسنادا ومتنا"، وكشف الخفاء ٦١٨، والفوائد للكرمي ٧١، وأحاديث القصاص ٧٨، وأسنى المطالب ٣٩٠، وتذكرة الموضوعات ٩٥، والأسرار ١١٨، والفتاوى الحديثية ١٢٦، وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة حديث ٣٤٨ ص ٥١ - ٥٢ وأفرد له تعليقا وافيا، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ٢: ١٣، حديث ١٤١٦، وقال: "حديث موضوع".

١ المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم ١٧١، والتعليق على حديث ٢٤٧ فصل ٣٠

Upload by : altawhedmag.com

ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا[1]

ويستدل الباطنية والشيعة والصوفية بهذه على صحة فهمهم، ولنضرب مثالين من علم الباطن عند الشيعة، وهما علما الجفر والسريانية، وسنتتبع منبع هذه العلوم، وكيف تسربت بعد ذلك للصوفية.

١. علم الجفر وعلاقته باليهود:

إن المرء ليزداد حيرة حين يبحث عن التوافق الغريب بين الشيعة واليهود، فأكثر انحرافهم عن ملة الإسلام تجده إلى ناحية اليهود وبني إسرائيل، أما إذا نظرت إلى غلوهم في أئمتهم فغلو النصارى يتوارى بعيدا عنهم، وتعامل الفكر الشيعي مع اللغة السريانية يرجع إلى أحد أئمتهم الذي يحاكي فيه نبيا من أنبياء بني إسرائيل، وهذا أيضا علم الجفر وقد أصبح الشيعة باتباع قواعده التي وضعها اليهود شر خلف لشر سلف، وهذا ما يؤكده الحديث الذي يرويه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: "مر أبو ياسر بن أخطب برسول الله ﷺ، وهو يتلو سورة البقرة ﴿الم ۞ ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾، ثم أتى أخوه حُيَي بن أخطب، وكعب بن الأشراف، فسألوه عن: ﴿الم﴾، وقالوا: ننشدك الله الذي لا إله إلا هو أحق أنها أتتك من السماء؟ فقال النبي ﷺ: نعم، كذلك نزلت، فقال حيي: إن كنت صادقا إني لأعلم أجل هذه الأمة من السنين، ثم قال: كيف ندخل في دين رجل دلت هذه الحروف بحساب الجمل على أن منتهى أجل أمته إحدى وسبعون سنة، فضحك النبي ﷺ، فقال حيي: فهل غير هذا؟ فقال: نعم، ﴿المص﴾، فقال حيي: هذا أكثر من الأول هذا مائة وإحدى وستون سنة، فقال: فهل غير هذا؟ فقال: نعم، ﴿الر﴾، فقال حيي: هذا أكثر من الأولى والثانية، فنحن نشهد إن كنت صادقا ما ملكت أمتك إلا مائتين وإحدى وثلاثين سنة، فقال: فهل غير هذا؟ فقال: نعم، ﴿المر﴾، فقال حيي: فنحن نشهد أنا من الذين لا يؤمنون، ولا ندري بأي أقوالك نأخذ؟، فقال أبو ياسر: أما أنا فأشهد على أن أنبياءنا قد أخبرونا عن ملك هذه الأمة، ولم يبينوا أنها كم تكون؟، فإن كان محمد صادقا فيما يقول فإني لأراه يستجمع له هذا كله، فقام

١ الحقائق في محاسن الأخلاق للكاشاني ١١، وقد استدل بهذه الأبيات شيخ الصوفية الأكبر ابن عربي في الفتوحات المكية ١: ٣٢

Upload by : altawhedmag.com

اليهود، وقالوا: اشتبه علينا أمرك كله، فلا ندري أبالقليل نأخذ أم بالكثير؟[١]. تثبت لنا هذه الرواية عناية اليهود بهذا العلم، وكيف حجزهم عن الدخول في الإسلام، وكيف راحوا يطبقوا قواعد هذا العلم على فواتح السور، ولما رأوا الأمر أعظم مما يظنون تركوا الدين واتبعوا أهواءهم.

٢. الشيعة على آثار اليهود:

إن من أشهر علوم الباطنية أيضا علم الجفر، وهو علم يرجع في الأصل إلى سحرة بني إسرائيل وكهنتهم، وقد استخدمه اليهود المعاصرون لظهور الإسلام، وذلك ليحسبوا مدة مُلك الإسلام ومتى سيزول، ويقوم هذا العلم على أن لكل حرف عربي يقابله رقما حسابيا، بطريقة أبجد هوز حطي كلمن.. فالألف يعادلها واحد، والباء اثنين، والجيم ثلاثة... وهكذا، وبالتالي يمكن تحديد رقم حسابي لكل كلمة من الكلمات، ويزعم الباطنية أن هذا الرقم له دلالات يعرفها من يستطيع تطبيق قواعد هذا العلم، ويظن الباطنية أن هذا الرقم يرمز إلى تواريخ الأحداث المستقبلية والسنة التي ستقع فيها هذه الغيبيات التي يتحدث عنها النص مثلا، أو غير ذلك من الأمور الغيبية.

ويزعم الكليني أن علم الجفر من علوم الأئمة، ويؤكد الصلة والتداخل بين علوم الشيعة وعلوم بني إسرائيل، فيروى عن أحد الأئمة الاثنا عشر قوله: "وإن عندنا الجفر، وما يدريهم ما الجفر؟، قال: قلت: وما الجفر؟، قال: من آدم، فيه علوم النبيين والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل"[٢].

ويشرح أحد علماء الشيعة المحدثين، كيف انتقل علم الجفر من آدم إلى الأئمة، فيقول ما نوجزه فيما يلي: "أنزل الله على آدم عشر صحائف، وهو أول من تكلم في علم الحروف، وله كتاب "سفر الخفايا"، وهو أول كتاب في علم الحروف، وذكر فيه أسرارا غريبة، وأمورا عجيبة، وله كتاب "الملكوت"، وهو ثاني كتاب كان في الدنيا، وقد أخذ صاحب الهيكل الأحمر عن شيث كتاب "الملكوت"، وكتاب "السفر المستقيم"، وهو ثالث كتاب، ثم ورث هذه الكتب أنوش، ثم ابنه قينا، ثم ابنه مهائيل، ثم ابنه يارد، ثم ابنه هرمس، وهو نبي الله

١ التفسير الكبير للفخر الرازي ٢: ٧

٢ الأصول من الكافي للكليني ١: ٢٢٨

Upload by : altawhedmag.com

إدريس، وإليه انتهت الرئاسة في العلوم الحرفية، والأسرار الحكمية، واللطائف العددية، والإشارات الفلكية، فوضع كنز الأسرار، وذخائر الأبرار، كما علمه جبريل علم الرمل، وبه أظهر الله نبوته، ولما وصل الأمر إلى نوح، وضع سفر جليل القدر في علم الحروف، ويذكر كيف ورثه أبناؤه واحدا تلو الآخر، إلى أن وصل إلى إبراهيم عليه السلام، وهو أول من تكلم في علم الوفق[1]، وقيل إنه وقف القاف في أساس الكعبة المشرفة، ثم كان موسى من بعده أعلم الناس في عصره بأسرار الأوفاق، وبالوفق المسدس استخرج تابوت يوسف من النيل، كما كان عالما بالكيمياء، ثم أخذه عنه وصيه يوشع بن نون، ثم إلياس، ثم أخذه جاماسب الحكيم، وهو أكبر أصحابه، ثم داود وابنه سليمان، ثم آصف بن برخيا، ثم أشعيا، ثم أرميا، ثم عيسى ورث علم الحروف، ثم محمد ﷺ ورث علم الحروف، ثم قال الإمام الحسين بن علي [ع]: العلم الذي دعي إليه المصطفى علم الحروف، وعلم الحروف في لام الألف، وعلم لام الألف في الألف، وعلم الألف في النقطة، وعلم النقطة في المعرفة الأصلية، ثم ورث الإمام عليٌّ أسرار الحروف، وهو أول من وضع وفق مائة في مائة في الإسلام [أي ١٠٠ * ١٠٠]، ثم الأئمة من بعده حتى جعفر الصادق، وهو الذي حل معاقد رموزه، وفك طلاسم كنوزه، حتى أنه [أي جعفر الصادق] قال: علمنا غابر ومزبور وكتاب مسطور في رق منشور، ونكت في القلوب، ومفاتيح أسرار الغيوب، ونقر في الأسماع، ولا تنفر منه الطباع، وعندنا الجفر الأبيض، والجفر الأحمر، والجفر الأكبر، والجفر الأصغر، والجامعة، والصحيفة"[2].

أرادت الشيعة الغلو في شأن أئمتهم، فأساءوا إلى مقام الأنبياء، وجعلوا من ضرب الرمل نبوة ونسبوها لإدريس عليه السلام، وعمل الأوفاق سنة الأنبياء وأنهم استخدموها كآية من الآيات، وأن إبراهيم الخليل عليه السلام قد بنى الكعبة ووضع قواعدها على وفق من الأوفاق!!، وأن محمدا ﷺ ورث علم الحروف من الأنبياء قبله، سبحانك هذا بهتان عظيم.

---

١ علم الوفق هو أحد العلوم السبعة التي يتفرع عنها علم السيمياء كما عرف قديما، وباقي العلوم السبعة هي: الحروف، والطبائع، والتنجيم، والأبراج، والمنازل، والأعداد، والأسماء، والرقى.

٢ إلزام الناصب لشيخ فقهاء ومحدثي الشيعة علي اليزيدي الحائري هلك سنة ١٣٣٣، نقلا عن الينابيع ص ٢٣٢ - ٢٣٤، نقلناه مختصرا خشية الإطالة.

Upload by : altawhedmag.com

٣. السريانية ابتكار شيعي:

إذا سألت أي صوفي عن الأسماء السريانية المنتشرة في ورده الذي تلقاه عن شيخه، قال لك: "هي لغة الملائكة"، وهو لا يعرف كغيره من الباطنية أن اللغة السريانية هي إحدى أهم اللهجات الآرامية التي تعد فرعا من اللغات السامية، وهي لغة الآراميين الذين سموا أنفسهم بالسريان بعد اعتناقهم الدين المسيحي، وتنقسم السريانية تبعا لانقسام الكنيسة المسيحية، إلى سريانية شرقية، وهي سريانية المسيحيين التابعيين لتعاليم "نسطوريس"، ويسمون بالنسطوريين، والفرع الآخر هو الخاص بالسريانية الغربية، وهي سريانية المسيحيين التابعيين لتعاليم "يعقوب البردعي"، ويسمون باليعاقبة"[١]. وما زالت بعض البقاع في الشام يتحدث أهلها إلى اليوم باللغة السريانية.

واللغة السريانية كانت معروفة في جزيرة العرب في عهد النبوة، بل لقد تلقى رسول الله ﷺ بعض الرسائل باللغة السريانية، حتى أنه حث زيد بن ثابت على تعلمها واتقانها، كما ورد في الحديث الذي يرويه أحمد في مسنده، حيث يقول: "قال زيد بن ثابت ﷺ: قال لي رسول الله ﷺ تُحْسِنُ السريانية؟، إنها تأتيني كتبا، قال: قلت: لا، قال: فتعلمها، يقول زيد: فتعلمتها في سبعة عشر يوما" [٢].

ولا نعرف كيف اعتقد الباطنيون أن لغة القرآن ليس فيها ما ينشدون من الأسرار حتى يبحثوا عنها في لغة النصارى، ومن ثم أضافوا إليها خصائص باطنية، ولم يكتفوا بإدخال المفردات العربية في قوالب لغوية آرامية التركيب في أورادهم، مثل: "ناسوت، رحموت، رهبوت، لاهوت، جبروت، روحاني، نفساني، جسماني، شعشعاني، وحدانية، فردانية"[٣]، بل جعلوا ذكر الله باللغة السريانية من علوم الباطن.

وينسب الشيعة اختصاص أئمتهم بهذه الفتوحات، بينما ينسبها الصوفية إلى المشايخ الكبار والأقطاب الكُمل، والأسماء السريانية في زعمهم أسماء لله ﷻ، وتشتمل في اعتقادهم على أسرار عجيبة وخصائص باطنية، وهذه الأسماء لم يُسم الله بها نفسه، ولم يُنزلها في كتابه،

---

١ "فصول من فقه العربية" للدكتور رمضان عبد التواب٣٣

٢ حديث زيد بن ثابت، أخرجه أحمد في مسنده.

٣ تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني للدكتور عبد الرحمن بدوي.

Upload by : altawhedmag.com

ولم يُعْلمنا بها أحد من أنبياء الله ورسله، وبالتالي لم ينقلها أحد عن الله نقلا صحيحا متواترا، وليس في سنة رسول الله ﷺ، أنه ذكر الله بأسماء غير عربية، فمن أين أَتوا بها، ومن الذي دلهم عليها، وهذا ما يوضحه أثر يرويه الكليني - ثقة الشيعة الأكبر - عن مفضل بن عمر الذي يقول: "أتيت باب أبي عبد الله [ع]، ونحن نريد الإذن عليه، فسمعناه يتكلم بكلام ليس بالعربية، فتوهمنا أنه بالسريانية، ثم بكى فبكينا لبكائه، ثم خرج إلينا الغلام، فأذن لنا فدخلنا عليه، فقلت: أصلحك الله أتيناك نريد الإذن عليك، فسمعناك تتكلم بكلام ليس بالعربية، فتوهمنا أنه بالسريانية، ثم بكيت، فبكينا لبكائك، فقال: نعم، ذكرت إلياس النبي[1]، وكان من عباد وأنبياء بني إسرائيل، فقلت كما كان يقول في سجوده، ثم اندفع فيه بالسريانية، فلا والله ما رأينا قسا ولا جاثليقا [أي كبير القساوسة] أفصح لهجة منه به، ثم فسره لنا بالعربية"[2].

فكيف تلقت الشيعة هذه الأسماء[3]، أمِنْ كتب بني إسرائيل؟! أم من مشاهدات واجتماعات روحية بين أئمتهم ونبي الله إلياس؟! ثم كيف قبل الناس أن يعبدوا الله بما لم يثبت عن المبعوث رحمة للعالمين؟! ثم ما سر تعلق الشيعة بأنبياء بني إسرائيل؟

سادسا: جهات علوم الأئمة.

لا تنتهي الروايات التي ترويها كتب الشيعة حول علم الأئمة واختصاصهم بكل شيء، ومنها رواية عن أبي عبد الله [ع]، أنه قال لأبي بصير: "يا أبا محمد إن الله ﷻ لم يعط الأنبياء شيئا إلا وقد أعطاه محمدا ﷺ"[4]، وفي نفس المصدر يروى أن أبا حمزة الثمالي سأل الإمام علي بن الحسين زين العابدين [ع]، قائلا: كل ما كان عند رسول الله ﷺ فقد أعطيه أمير المؤمنين، ثم الحسن بعد أمير المؤمنين، ثم الحسين بعده، ثم كل إمام إلى أن تقوم الساعة مع الزيادة التي تحدث في كل سنة،وفي كل شهر؟فأجابه الإمام زين العابدين [ع]: أي والله وفي كل

١ بيان فساد القول بحياة الخضر وإلياس في الكتاب الأول من هذه السلسلة.

٢ الأصول من الكافي ١: ٢٢٧، فالذكر بالسريانية ميراث تزعمه الشيعة عن إلياس النبي.

٣ للاستزادة راجع كتاب عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة،الباب الثالث عشر "حقيقة الأسماء السريانية.

٤ الأصول من الكافي للكليني ١: ٢٢٥، حديث ٥، بصائر الدرجات ص ١٣٦ حديث ٥، بحار الأنوار ٢٦: ١٨٤ حديث ١٤، نقلا عن كتاب حقيقة الجفر عند الشيعة ص ١٠٧

Upload by : altawhedmag.com

ساعة"[١].

وجاء في بحار الأنوار: "... وأودعكم علم المنايا، والبلايا، ومكنون الخفايا، ومعالم التنزيل، ومفاصل التأويل، ومواريث الأنبياء: كتابوت الحكمة، وشعار الخليل، ومنسأة الكليم، وسابغة داود، وخاتم الملك" [٢]، وليس هذا فقط، بل إن كتب القوم تشير أيضا إلى طبيعة هذه العلوم التي نضرب منها مثالا من باب جهات علوم الأئمة يرويه الكليني عن جعفر الصادق يقول فيه: "يقسم فيه علومهم إلى أربعة أنواع هي: إن علمنا غابر، ومزبور، ونكت في القلوب، ونقر في الأسماع، أما الغابر فما تقدم من علمنا، وأما المزبور فما يأتينا، وأما النكت في القلوب فإلهام، وأما النقر في الأسماع فأمر الملك"[٣].

ويؤكد الشيعة أن العلم لا يرفع بل يتوارث بين العلماء، وبالتالي كل عالم جديد قد يجتمع عنده علوم الأولين؛ ولذلك ترى أتباع كل شيخ يرون في متبوعهم أنه يغنيهم عمن قبله، ومن ذلك ما قاله الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء عن زعيم الطائفة الشيعية المعروف الإمام السيد أبي الحسن الموسوي: "أنسى من قبله، وأتعب من بعده"[٤].

وإن كان هذا ما يقال في شيخ معاصر، فما بالك بما يقوله أسلافهم في الإمام الأول عندهم، وهو علي بن أبي طالب، فتراهم يروون، عن أبي عبد الله عليه السلام، حيث يقول: "إن في علي عليه السلام سُنَّةً ألف نبي من الأنبياء، وإن العلم الذي نزل مع آدم عليه السلام لم يُرفع، وما مات عالم فذهب علمه، والعلم يتوارث"، ويقول أبو جعفر عليه السلام: "إن العلم الذي نزل مع آدم عليه السلام لم يرفع، وما مات عالم فذهب علمه"[٥].

ويروى عن أبي جعفر، قال: "إن الله عز وجل جمع لمحمد صلى الله عليه وآله سنن النبيين من آدم، وهلم جرا إلى محمد صلى الله عليه وآله، قيل له: وما تلك السنن؟ قال: علم النبيين بأسره، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله صير ذلك كله إلى أمير المؤمنين، قال له رجل: يا ابن رسول الله: فأمير المؤمنين أعلم أم بعض النبيين؟

---

١ بصائر الدرجات ص ١٣٦ حديث ٣٩٥،الاختصاص ص ٣١٤، نقلا عن حقيقة الجفر ١٠٧

٢ بحار الأنوار ١٠٠: ٢٠٧ حديث ٨

٣ الأصول من الكافي للكليني ١: ٢٦٤

٤ تقديم كتاب "الشيعة والتصحيح" للدكتور موسى الموسوي.

٥ الأصول من الكافي للكليني ١: ٢٢٢

Upload by : altawhedmag.com

فقال أبو جعفر ﷺ: اسمعوا ما يقول! إن الله فتح مسامع من يشاء، إني أحدثه أن الله جمع لمحمد ﷺ علم النبيين، وأنه جمع ذلك كله عند أمير المؤمنين، وهو يسألني أهو أعلم أم النبيون؟"[١].

سابعا: الأئمة والاسم الأعظم.

يؤكد الشيعة أن الاسم الأعظم أحد معارف الأئمة التي لا تنتهي، وهذا ما يرويه الكليني في كافيه، حيث يقول: عن أبي جعفر الصادق، أنه قال: "إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفا، وإنما كان عند آصف منها حرف، فتكلم به فخُسف بالأرض، ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفا، وحرف واحد عند الله تعالى، استأثر به في علم الغيب عنده."[٢]، وعن أبي الحسن صاحب العسكر ﷺ، قال: "سمعته يقول: اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفا، كان عند آصف حرف فتكلم به، فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ، فتناول عرش بلقيس حتى صيره إلى سليمان، ثم انبسطت الأرض في أقل من طرفة عين، وعندنا اثنان وسبعون حرفا، وحرف عند الله استأثر به في علم الغيب"[٣].

ويروي هارون بن الجهم عن رجل من أصحاب أبي عبد الله لم أحفظ اسمه، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: "إن عيسى بن مريم عليه السلام أعطي حرفين كان يعمل بهما، وأعطي موسى أربعة أحرف، وأعطي إبراهيم ثمانية أحرف، وأعطي نوح خمسة عشر حرفا، وأعطي آدم خمسة وعشرين حرفا، وإن الله تعالى جمع ذلك كله لمحمد ﷺ، وإن اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفا، أعطى محمدا ﷺ اثنين وسبعين حرفا، وحجب عنه حرفا واحدا"[٤].

لا يجب النظر لهذه المزاعم على أن الأئمة لديهم اسم الله الأعظم فقط، بل الغرض الحقيقي من ترويج مثل هذه الحكايات هو التأكيد على أن علوم الأئمة الباطنية تشمل علوم

---

١ الأصول من الكافي للكليني ١: ٢٢٢ - ٢٢٣

٢ الأصول من الكافي للكليني ١: ٢٣٠

٣ الأصول من الكافي للكليني ١: ٢٣٠

٤ الأصول من الكافي للكليني ١: ٢٣٠

Upload by : altawhedmag.com

جميع الأنبياء والأولياء، بل هي تزيد عن علومهم جميعا، فآصف بن برخيا ينقل عرش بلقيس بحرف واحد يعرفه من حروف اسم الله الأعظم، فما ظنك بمن يعلم ثلاثة وسبعين حرفا!.

ويعتقد الشيعة أن الأئمة يتوارثون معرفة الاسم الأعظم ويتناقلونه بينهم، ويؤكد هذا ما أوردوه في كتبهم، "أن الحسن [ع] لما اعتل دخل عليه أخوه أبو عبد الله [ع]، ثم ذكر كلاما جرى بينهما.... ثم أوصى إليه وسلم إليه الاسم الأعظم ومواريث الأنبياء... "[1]

١ إثبات الهداية ٢: ٥٧٠-٥٧١-حديث ١٢، إثبات الوصية ص ١٤٠ نقلا عن كتاب حقيقة الجفر عند الشيعة لأكرم العاملي ص ١٠٩

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الثالث

قِدَمُ نور الإمام

أولا: الوجود الباطني للأئمة.

يا ليت الأمر توقف فقط عند القول بعلوم ظاهرة وأخرى باطنة، بل إنهم جعلوا لوجود علي بن أبي طالب ﷺ وجودا ظاهريا، ووجودا آخر باطنيا، ويروي ذلك الغلو الجزائري عن صاحب القدسيات، والذي يصفه بأنه من أعظم محققي الشيعة، أن النبي ﷺ، قال لعلي: "يا علي إن الله قال لي: يا محمد بعثت عليّا مع الأنبياء باطنا، ومعك ظاهرا، ثم يعقب على هذا العجب، بقوله: "إن هذا القول يشير إلى سر إلهي في الغاية القصوى من التحقيق"، ثم يعلن هذا السر، ويزيح الستار عن حقيقة الحقائق على لسان علي ﷺ، حيث يزعمون أنه قال: "والله لقد كنت مع إبراهيم في النار، وأنا الذي جعلتها بردا وسلاما، وكنت مع نوح في السفينة، فأنجيته من الغرق، وكنت مع موسى فعلمته التوراة، وأنطقت عيسى في المهد وعلمته الإنجيل، وكنت مع يوسف في الجب فأنجيته من كيد إخوته، وكنت مع سليمان على البساط، وسخرت له الريح"[1].

تزعم مثل هذه المفتريات أن للأئمة وجودا قديما، وأنهم يحملون سرا إلهيا، يمثل حقيقة الحقائق، ولا تحدد هذه الرواية كيف كان علي مع الأنبياء، وهل كان معهم بوصفه إلها، أم روحا، أم أنه هو نفسه كان نوحا، ثم إبراهيم، إلى أن أصبح الإمام، ولعل الأمر يتضح إذا تتبعنا غلو القوم، وعقائدهم المنحرفة.

ثانيا: النبي والأئمة من نور الله.

إذا رجعنا إلى ما سبق بيانه عن الفكر الباطني منذ الفلسفات القديمة وحتى المسيحية، نجد أن القاسم المشترك بين هذه النحل هو القول بقدم نور واسطة بين الله والخلق، هذه

---

١ الأنوار النعمانية للجزائري ٣٠-٣١ نقلا عن كتاب صاحب القدسيات، ومن العجيب أن هذا القول المنسوب زورا وبهتانا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ينسبه الصوفية في كتبهم لأكثر من قطب من أقطابهم، والفرق هو أن الصوفية نظمته شعرا، راجع كتاب الفيوضات الربانية في المآثر القادرية ٥٩، وفتوح الغيب ٢١٤، والطبقات الكبرى للشعراني ١: ١٥٨

Upload by : altawhedmag.com

الواسطة واحدة، وإن تعددت أسماؤها: فهي عند الفلاسفة: الإصدار الأول، أو العقل، أو الإنسان الأول، وعند اليهود: آدم قدمون، أو آدم السماوي، وعند النصارى: المسيح، أو الابن، وتنضم الشيعة إلى هذه القافلة الممتدة عبر الزمان، وسنرى في هذا الفصل المهم أن أقوال الشيعة في أئمتهم، مطابق تماما لقول النصارى في عيسى عليه السلام شبرا بشبر، وذراعا بذراع، والفارق أن الشيعة لا تستطيع أن تغالي في الأئمة دون أن تصف رسول الله ﷺ بنفس الصفات، وهذا القول غالبا ما يكون تكتيكيا كما يقولون في الاصطلاح العسكري، والهدف عندهم في النهاية الغلو في الأئمة؛ لذلك يضيفون لعلي وللأئمة فوق ما يثبتونه للنبي ﷺ، يقول الدكتور إبراهيم مدكور: "فمنذ عهد مبكر قال الشيعة بالنور المحمدي الصادر عن الله رأسا، وقد استمدت منه جميع الموجودات"[1]، فإذا أردت أن تتتبع هذه المقولة في كتب الشيعة وجدت عشرات النصوص التي تفيض بما يضاهئون به قول الذين كفروا من قبلهم، ولنبدأ بأوثق كتبهم وهو الكافي، فنجد فيه أبوابا منها:

- باب الأئمة نور الله عز وجل.
- باب الأئمة شهداء الله عز وجل على خلقه.
- باب الأئمة ولاة أمر الله عز وجل وخزنة علمه.
- باب الأئمة خلفاء الله عز وجل في أرضه وأبوابه التي منها يؤتى.
- باب الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء.
- باب الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم.
- الأئمة يعلمون ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، ولا يخفى عليهم شيء.
- باب الأئمة يعرفون جميع الكتب على اختلاف ألسنتها.
- ونختار حديثا واحدا من باب الأئمة نور الله عز وجل، حيث يقول أبو عبد الله [ع] في قوله تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾، "فاطمة عليها السلام"، ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ "الحسن"، ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾، "الحسين"،

١ الفلسفة الإسلامية د. إبراهيم مدكور.

Upload by : altawhedmag.com

﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾، "فاطمة كوكب دري بين نساء أهل الدنيا"، ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾، "إبراهيم عليه السلام"، ﴿زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ﴾، "لا يهودية ولا نصرانية"، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾، يكاد العلم ينفجر بها، ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ [النور-٣٥] إمام منها بعد إمام".

كما أخرج الحموينى حديثا شيعيا جاء فيه، أن النبي ﷺ، قال لعلي: أنا وأنت من نور الله عز وجل، وعن جعفر الصادق، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، قال: حدثنا عمي الحسن، قال: سمعت جدي ﷺ، يقول: "خلقت من نور الله عز وجل وخلق أهل بيتي من نوري، وخلق محبوهم من نورهم، وسائر الناس في النار"[1]. ويقول الجزائري: "أما الأخبار الواردة بأولية النور، ونوري، وروحي، فهي عبارة عن نوره عليه السلام [أي علي]، وهو أول مخلوق على الأولية الحقيقية، ليس فيها للإضافة مدخل بوجه من الوجوه؛ لأنه قد استفاض في الأخبار أن نوره عليه الصلاة والسلام، أفرزه الله سبحانه من نوره، وأفرز من ذلك النور أنوار الأئمة الطاهرين، وأفرز من ذلك النور الثاني: أنوار المؤمنين [أي الشيعة]، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن"[2].

وينسبون لابن عباس، أنه قال: "كنا عند رسول الله ﷺ، فأقبل علي بن أبي طالب، فقال له النبي ﷺ: مرحبا بمن خلقه الله قبل أبيه آدم بأربعين ألف سنة، قال: فقلنا: يا رسول الله أكان الابن قبل الأب؟ قال: نعم، إن الله خلقني وعليّا من نور واحد قبل خلق آدم بهذه المدة، ثم قسمه نصفين، ثم خلق الأشياء من نوري ونور علي، ثم جعلنا على يمين العرش، فسبحنا، فسبحت الملائكة، وهللنا فهللت، وكبرنا فكبرت، فكل من سبح لله وكبر، فإن ذلك من تعليمي وتعليم علي"[3].

ويروي صاحب بستان الكرامة أن النبي ﷺ كان جالسا وعنده جبريل عليه السلام، فدخل علي، فقام له جبريل عليه السلام، فقال النبي ﷺ: أتقوم لهذا الفتى؟ فقال له: نعم، إن له عليَّ حق

---

١ ينابيع المودة للقندوزي ١٠، ويردده شيخ الطريقة البرهانية في كتابه تبرئة الذمة في نصح الأمة ص ٩، ويروي حديثا موضوعا يزعم فيه أن النبي ﷺ، قال: "أنا من نور الله، والمؤمنون من رشحات نوري".

٢ الأنوار النعمانية للجزائري الشيعي ص ١٤

٣ الحافظ الشيعي رجب البرسي في كتابه مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين ص ٤٠

Upload by : altawhedmag.com

التعليم [أي أن جبريل تتلمذ على يد علي!!]، فقال النبي ﷺ: كيف ذلك التعليم يا جبريل؟ فقال: لما خلقني الله ﷻ سألني من أنت؟ وما اسمك؟ ومن أنا؟ وما اسمي؟ فتحيرت في الجواب وبقيت ساكنا، ثم حضر هذا الشاب في عالم الأنوار وعلمني الجواب، فقال: قل أنت ربي الجليل، واسمك الجليل، وأنا العبد الذليل، واسمي جبريل، ولهذا قمت له وعظمته، فقال النبي ﷺ: كم عمرك يا جبريل؟ فقال: يا رسول الله يطلع نجم من العرش في كل ثلاثين ألف سنة مرة، وقد شاهدته طالعا ثلاثين ألف مرة"، ثم يعلق الشيعي الكبير على هذه الرواية بقوله: "وإلى هذا الحديث نظر محيي الدين بن عربي، حيث قال في أول خطبة فتوحاته المكية: الحمد لله الذي جعل الإنسان الكامل معلم المَلَك، وأدار بانقساره [أي بقهره] طبقات الفلك"[1].

ولبيان حقيقة النور الذي يظهر من العرش كل ثلاثين ألف سنة يقول الجزائري: "ورد في الخبر أن جبريل عليه السلام، قد أتى يوما إلى منزل فاطمة عليها السلام فتكلمت معه، وكان فيما خاطبته أن قالت له: يا عم! فلما دخل النبي ﷺ، قال له جبريل: إن فاطمة قالت لي: يا عم فكيف هذا؟ ونحن معاشر الملائكة قد خلقنا من النور، وأنتم معاشر البشر قد خلقتم من الطين، فقال له النبي ﷺ: صدقت فاطمة، ثم قال: يا جبرائيل نحن أيضا مخلوقون من النور، أتعرف النور إذا رأيته؟ [أي الذي كان يطلع من العرش]، قال: نعم، فقال عليه الصلاة والسلام: ادعوا لي عليا، فلما دخل قال: يا علي ادنُ مني فدنا منه، فوضع جبهته على جبهته وحكها فيها، فظهر نور لا تكاد الأبصار تطيق النظر إليه، فقال النبي ﷺ تعرف هذا النور؟ فقال: نعم، هذا النور الذي كنا نراه في قوائم العرش، فقال: يا جبرائيل مِن هذا قالت لك فاطمة يا عم"، ثم يعلق راوي الخبر بقوله وفي هذا الحديث أسرار إلهية، وحكم ربانية لا تبلغ العقول أكثرها[2].

ومن الغريب أن تجد ابن عربي الذي يسميه الصوفية الشيخ الأكبر، يردد مفاهيم الفلاسفة عن العقل الأول، ويمزج ذلك بعقيدة الباطنية، فيقول في الفتوحات المكية وغيرها من كتبه: "إن أول موجود هو حقيقة محمد ﷺ المسماة بالعقل، فكان سيد العالم بأسره، وأول

١ نقلا عن الأنوار النعمانية للجزائري ص ١٥

٢ الأنوار النعمانية للجزائري ص ١٦

Upload by : altawhedmag.com

ظاهر في الوجود، فكان وجوده من ذلك النور الإلهي، ومن الهباء ومن الحقيقة الكلية، وفي الهباء وجد عينه وعين العالم من تجليه، وأقرب الناس إليه علي بن أبي طالب وأسرار الأنبياء أجمعين"[١].

ويردد الشيعة نفس الأفكار القديمة عن الإنسان الأول، حين يشرعون في تفصيل فكرة خلق الكون كله من نور النبي والأئمة، فيقول أحد دعاتهم فيما يفتريه عن النبي ﷺ، أنه قال: "أول ما خلق الله نوري، ابتدعه من نوره واشتقه من جلال عظمته، فأقبل يطوف بالقدرة حتى وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة، ثم سجد لله تعظيما، فتفتق منه نور علي، فكان نوري محيطا بالعظمة، ونور علي محيطا بالقدرة، ثم خلق العرش، واللوح، والشمس، والقمر، والنجوم، وضوء النهار، وضوء الأبصار، والعقل، والمعرفة، وأبصار العباد، وأسماعهم، وقلوبهم من نوري، ونوري مشتق من نوره، فنحن الأولون ونحن الآخرون، ونحن السابقون، ونحن الشافعون، ونحن كلمة الله، ونحن خاصة الله، ونحن أحباء الله، ونحن وجه الله، ونحن أمناء الله، ونحن خزنة وحي الله، وسدنة غيب الله، ونحن معدن التنزيل، وعندنا معنى التأويل، وفي آياتنا هبط جبريل"[٢]، ويقول في موضع آخر من كتابه[٣]: "محمد وعلي نور واحد قديم، وإنما انقسما تسمية؛ ليمتاز النبي عن الولي، كما امتاز الواحد عن الأحد، فكل واحد أحد، ولا ينعكس؛ وكذا كل نبي ولي ولا ينعكس؛ فلهذا لا توزن الأعمال يوم القيامة إلا بحب علي؛ لأن الولاية هي الميزان كما تقدم".

وتضيف رواية أخرى لثقة الشيعة الأكبر الكليني، بيانا عن الطينة التي خلق منها الأئمة، فيقول عن أبي عبد الله [ع]: "إن الله خلقنا من نور عظمته، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور منه، فكنا نحن خلقا وبشرا نورانيين، لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيبا"[٤].

---

١ الفتوحات المكية لابن عربي ١: ١١٩

٢ الحافظ الشيعي رجب البرسي في كتابه مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين ص ٣٩- ٤٠

٣ صفحة ٦٦

٤ الكافي للكليني ١: ٣٨٩

Upload by : altawhedmag.com

لا نجد ما نعلق به على هذه المفاهيم التي تخالف مبادئ الإسلام وعقيدته السمحة، إلا أن القوم فارقوا الدين، وتاهوا في متاهات لا يحدها عقل ولا نقل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصدق رسول الله ﷺ، حيث يقول: ﴿أنا فرطكم على الحوض، فمن ورده شرب منه ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبدا، ليرد عليّ أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم﴾، وفي رواية أخرى: يقول رسول الله ﷺ: ﴿إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما بدلوا بعدك، فأقول سحقا سحقا لمن بدل بعدي﴾[1].

ثالثا: عليٌ عندهم أفضل من النبي ﷺ.

تؤمن الشيعة بثالوث المعرفة بين الله ومحمد وعلي، بقولهم: إن رسول الله ﷺ، قال لعلي: "ما عرفك إلا الله وأنا، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرف الله إلا أنا وأنت"، ثم يعقب المؤلف بقوله: "كيف لا والله أوجدهم من نور عظمته؟!"[2] ما زالت النصوص الشيعية السابقة تقرر مساواة عليٍّ للنبي ﷺ من حيث أن نور كل منهما من نور الله، ولكن النصوص التالية جنحت نحو تفضيل علي على النبي ﷺ، وهذا ما تشير إليه رواية عن عبد الله بن مسعود، يقول فيها: "دخلت على رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله أرني الحق لأصل إليه، قال: يا عبد الله ألج المخدع، فولجت المخدع، وعلي بن أبي طالب يصلي، ويقول في ركوعه وسجوده: اللهم بحق محمد عبدك اغفر للخطائين من شيعتي، فخرجت حتى أخبر رسول الله ﷺ، فسمعته يقول: اللهم بحق علي بن أبي طالب عبدك إلا ما غفرت للخطائين من أمتي[3]، قال: فأخذني من ذلك الهلع العظيم، فأوجز النبي في صلاته وقال: يابن مسعود أكفر بعد الإيمان؟ فقلت حاشا وكلا يا رسول الله، ولكن رأيت عليا يسأل الله بك ورأيتك تسأل الله به، ولا أعلم أيكما أفضل عند الله تعالى؟ فقال: اجلس يابن مسعود، فجلست بين يديه، فقال: اعلم أن الله خلقني وعليا من نور عظمته قبل أن يخلق الخلق بألفي عام، إذ لا تسبيح، ولا تقديس، ولا تهليل، ففتق نوري فخلق منه السموات والأرض، وأنا والله أجلُّ من

---

١ حديث سهل بن سعد متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الفتن رقم ٦٥٢٨، ٦٠٩٧، ومسلم في الفضائل ٢٢٩٠، ٢٢٩١، وأحمد في مسنده ٥: ٣٣٣، ٣٣٩

٢ رجب البرسي في كتابه مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين ص ١١٢ - ١١٣

٣ غريب أن يزعم هؤلاء أن عليا يدعو لشيعته والنبي يدعو على الخطائين من أمته، وللغلو أحكام !

Upload by : altawhedmag.com

السموات والأرض، وفتق نور علي بن أبي طالب فخلق منه العرش والكرسي، وعليٌّ والله أجلُّ من العرش والكرسي، وفتق نور الحسن فخلق منه اللوح والقلم، والحسن والله أجلُّ من اللوح والقلم، وفتق نور الحسين فخلق منه الجنان والحور العين، والحسين والله أجلُّ من الجنان والحور العين، ثم أظلمت المشارق والمغارب، فشكت الملائكة إلى الله تعالى أن يكشف عنهم تلك الظلمة، فتكلم الله جل جلاله بكلمة فخلق منها روحا، ثم تكلم بكلمة فخلق من تلك الكلمة الأخرى نورا، فأضاف النور إلى تلك الروح، وأقامها أمام العرش، فأزهرت المشارق والمغارب فهي فاطمة الزهراء؛ فلذلك سميت الزهراء، يابن مسعود إذا كان يوم القيامة يقول الله جل جلاله لي ولعلي: أدخلا الجنة من شئتما، وأدخلا النار من شئتما، وذلك قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [سورة ق-٢٤]، فالكافر من جحد نبوتي، والعنيد من جحد ولاية عليّ"[1]. ولا يخفى ما في هذه الرواية من الإشارة إلى تفضيل عليٍّ على النبي ﷺ، فلا شك- حسب زعمهم - أن من نور علي خلق العرش والكرسي، وهما أعظم وأشرف من السموات والأرض، المخلوقين من نور النبي ﷺ.

ولا تكتفي المصادر الشيعية بمجرد الإشارة إلى الغلو في تفضيل عليٍّ حتى ولو كان ذلك على حساب مقام سيد ولد آدم، بل ورد التصريح في مصادر شتى ونصوص متعددة نختار منها: أن النبي ﷺ، قال: "أعطيت ثلاثا، وعليٌّ مشاركي فيها، وأعطي علي ثلاثة ولم أشاركه فيها، فقيل يا رسول الله: وما الثلاث التي شاركك فيها علي؟ قال: لواء الحمد وعلي حامله، والكوثر لي وعلي ساقيه، والجنة والنار لي وعلي قسيمها، وأما الثلاث التي أعطي علي ولم أشاركه فيها: فإنه أعطي شجاعة ولم أعط مثله، وأعطي فاطمة الزهراء زوجة ولم أعط مثلها، وأعطي ولديه الحسن والحسين ولم أعط مثلهما"[2].

رابعا: النبي ﷺ - عندهم - يقاتل تحت راية علي.

تروي كتب الشيعة عن محمد الباقر أنه قال: "إن عليا ﷺ خطب خطبة ذات يوم فحمد الله فيها، ثم قال: وقد أخذ الله الميثاق مني ومن نبيه لينصرن كل منا صاحبه، فأما أنا فقد نصرت النبي ﷺ بالجهاد معه وقتلت أعداءه، وأما نصرته لي وكذا نصرة الأنبياء عليهم

١ الأنوار النعمانية للجزائري ١: ١٨

٢ الأنوار النعمانية للجزائري ١: ١٧

Upload by : altawhedmag.com

السلام، فلم تحصل بعد؛ لأنهم ماتوا قبل إمامتي، وبعد هذا سينصرونني في زمان رجعتي، ويكون لي ملك ما بين المشرق والمغرب، ويُخرج الله لنصرتي الأنبياء من آدم إلى محمد يجاهدون معي، ويقتلون بسيوفهم الكفار الأحياء والكفار الأموات"[١].

خامسا: رجعة الأئمة.

يزعم الشيعة أن الأئمة سيرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة؛ لينتقموا من أعدائهم، فهم يقولون: "إن القول برجعة علي بعد موته إلى الدنيا، وبرجعة رسول الله ﷺ أيضا، وأن عليا لم يقتل وأنه حي، وأن فيه الجزء الإلهي، وأنه هو الذي يجيء في السحاب، وأن الرعد صوته، والبرق سوطه، وأنه لا بد أن ينزل إلى الأرض، فيملؤها عدلا، كما ملئت جورا".

ويقول أحد دعاة الشيعة: "إن إيمان الشيعة بالرجعة لا يتعدى إيمانهم بقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ [النمل-٨٣]"، ثم يشرح الآية حسب هواه فيقول: "ومفهوم الآية واضح، وهو يريد الحشر من كل أمة فوجا ولا يريد حشر القيامة، وإلا كان اختصاص الحشر بفوج من كل أمة لغوا باطلا، وهو محال على الله تعالى أن يريده، فلا يجوز حمل كلامه عليه؛ لذا تراه لما أراد حشر القيامة عبر بما يفيده، فقال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف-٤٧]، فعلمنا من ذي وتلك أن الآية الأولى تريد الرجعة، وتختص بها، والثانية تريد حشر القيامة"[٢].

سادسا: علي يحاسب الناس يوم القيامة.

سارت الشيعة على درب النصارى، فكما زعمت النصارى أن يوم الدينونة يكون أمام الابن الذي يحاسب الناس على ما قدمت أيديهم، زعمت الشيعة أن عليا سيكون المتصرف الأول يوم القيامة، يقول أحد دعاتهم: "فالإله هو الله، والملك المرفوع في القيامة محمد، والحاكم المتصرف عن أمر الملك والمالك هو علي؛ لأنه والٍ هناك عن أمر الله وأمر محمد، فملك يوم الدين، وحكم يوم الدين، والتصرف في ذلك اليوم مسلم إلى خير الوصيين، وأمير المؤمنين"[٣].

---

١ الأنوار النعمانية للجزائري ٢: ٩٩

٢ "الشيعة في عقائدهم وأحكامهم" لأمير محمد الكاظمي القزويني ٣٤٤ - ٣٤٥

٣ "مشارق أنوار اليقين" لرجب البرلسي ٥٢

Upload by : altawhedmag.com

ورب قائل يقول: "هذا قول الغلاة من الشيعة، أما الإمامية فلم تصل إلى هذا الحد، لذا نسرد هذه المرويات من كتبهم، منها ما ينسبونه للنبي ﷺ إذا كان يوم القيامة، أقام الله ﷻ جبريل ومحمدا عليهما السلام على الصراط، لا يجوز أحد إلا من كان معه براءة من علي بن أبي طالب، وإلا هلك، وأنزله الله الدرك الأسفل"، وكذا روي "أنه لا يدخل الجنة أحد إلا من كان معه براءة من علي بن أبي طالب"[١].

ويروى عن علي الرضا، أنه قال: "إنما سُمِّي النبي ﷺ أبا القاسم؛ لأنه ربى عليا في حجره، لما أخذه من أبي طالب عام القحط، وعلي قاسم الجنة والنار، والنبي أبوه فهو أبو القاسم"[٢]. ولذلك لا غرابة أن تقول الشيعة: "إن الله يبعث رضوان بمفاتيح الجنة، ومالكا بمفاتيح النار، فيدفعهما إلى علي بن أبي طالب"[٣]. ويزعمون أن ابن عباس روى عن النبي ﷺ، أنه قال: "إن الله نصَّب عليا بينه وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمنا، ومن أنكره كان كافرا، ومن جهله كان ضالا، ومن ساواه بغيره كان مشركا"[٤]. ومن جملة ما يزعمونه رواية يكذبون فيها على الله ﷻ وعلى رسوله ﷺ، وذلك قولهم: "لأدخلن الجنة من أطاع عليا وإن عصاني، ولأدخلن النار من عصاه وإن أطاعني"[٥]. وجاء في مقدمة تفسير البرهان أن الله تعالى قال: "علي بن أبي طالب حُجتي على خلقي، لا أُدخل النار من عرفه وإن عصاني، ولا أُدخل الجنة من أنكره وإن أطاعني"[٦].

وجاء في تفسير منهج الصادق: "أن حب علي حسنة لا تضر معها سيئة"، قال: "وإن حبنا آل البيت ليحط الذنوب عن العباد كما يحط الريح الورق عن الشجرة"[٧].

---

١ الأنوار النعمانية للجزائري ١: ٢١

٢ الأنوار النعمانية للجزائري ١: ٢١

٣ الأنوار النعمانية للجزائري ١: ٢٢

٤ مشارق أنوار اليقين لرجب البرسي ص ٥٢

٥ مشارق أنوار اليقين لرجب البرسي ص ٦٦

٦ مقدمة تفسير البرهان ص ٢٣

٧ تفسير منهج الصادق للشيخ فتح الله الكاشاني ٨: ١١٠، وكتاب مع الخطيب للشيخ الشيعي عبد الله الأنصاري ٨١، نقلا عن حوار هادئ بين السنة والشيعة لعبد الله بن سعيد الجنيد ٣٣

Upload by : altawhedmag.com

أعتقد أن هذا المفهوم الذي تعرضه هذه الروايات غير مسبوق بين فرق المسلمين، ولم تزعمه ملة من ملل الكفر من قبل، ولكنه مفهوم مقتبس من المسيحية، فمن أطاع الإمام وإن عصى الله دخل الجنة، يقابله الإيمان بالمسيح يدخل الجنة، وإن عاش المسيحي عاصيا للآب، ومن يطع الآب ويرفض الإيمان بالمسيح دخل النار.

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الرابع

الشيعة والقرآن

استحفظ الله تبارك وتعالى اليهود على التوراة، حيث قال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة-٤٤]، ثم استحفظ النصارى على الإنجيل، وكانت النتيجة تحريف الرسالتين، وضياع النورين. ولما كانت رسالة سيدنا رسول الله ﷺ هي الخاتمة لكل الرسالات، فقد تعهد الحق تبارك وتعالى بحفظ كتابه، قال جل شأنه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر-٩]، ورغم أن دلالة الآية واضحة ومعناها محكم لا يحتمل أي تأويل إلا أن الشيعة لها رأي غريب نطالعه معا في السطور التالية:

أولا: مصحف علي.

تدور عقيدة الشيعة كلها حول فلك الإمامة، والسبب الرئيس وراء انحرافهم عن السنة، ينحصر في زعمهم بأن الله ﷻ ألزم الأمة بوصاية علي بن أبي طالب، وأن رسول الله ﷺ قد أخذ العهد على الصحابة بإمامته، وإمامة ذريته من بعده، ويتبادر إلى الذهن سؤال يطرح نفسه ألا وهو: إذا كانت الإمامة على هذا المستوى من الأهمية، فكيف لا ترد صراحة في القرآن الكريم؟ أو بمعنى آخر إن القرآن ليس فيه التصريح المطلوب، فأين الدليل؟ ولم تجد الشيعة بدا من القول بأن القرآن المتداول حاليا بين يدي المسلمين قد ناله التحريف، وكان لا بد من قصة تجيب على أسئلة الناس: من حرف القرآن؟ ولمصلحة من؟ وتجيب النصوص الشيعية التالية، وما سنعرضه في الفصل التالي على هذه الأسئلة:

من المعلوم أن عدد آي القرآن الكريم ٦٢٣٦ آية، وللشيعة رأي يقول: "إن القرآن الذي نزل به جبريل عليه السلام سبعة عشر ألف آية"[1]، وتروي كتب الشيعة عن محمد الباقر وولده جعفر الصادق أنهم قالوا: "نزل القرآن على أربعة أرباع: ربع فينا، وربع في عدونا، وربع

١ الكافي للكليني ١: ٢٣٩ - ٢٤٠

Upload by : altawhedmag.com

سنن، وربع فرائض وأحكام"[١]، ويعلل الشيعة اختفاء ثلثي القرآن الكريم بقولهم: "لما انتقل سيد البشر محمد بن عبد الله ﷺ من دار الفناء إلى دار البقاء، وفعل صنما قريش [يقصدون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما] ما فعلاه من غصب الخلافة الظاهرية، وجمع أمير المؤمنين [علي] القرآن كله ووضعه في إزاره، وأتى به إليهم وهم في المسجد، فقال لهم: هذا كتاب الله سبحانه، أمرني رسول الله أن أعرضه إليكم، لقيام الحجة عليكم يوم العرض بين يدي الله تعالى، فقال فرعون هذه الأمة ونمرودها [يشيرون إلى عمر رضي الله عنه]: لسنا محتاجين إلى قرآنك، فقال: لقد أخبرني حبيبي محمد بقولك هذا، وإنما أردت بذلك إلقاء الحجة عليكم، فرجع أمير المؤمنين به إلى منزله، وهو يقول لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، لا رادَّ لما سبق في علمك، ولا مانع لما اقتضته حكمتك، فكن أنت الشاهد لي عليهم يوم العرض عليك، فنادى ابن أبي قحافة أبا عبيدة بن الجراح، وعثمان وسعد بن أبي وقاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، وأبا سعيد الخدري، وحسان بن ثابت، وجماعات المسلمين، وجمعوا هذا القرآن، وأسقطوا ما كان فيه من المثالب التي صدرت بعد وفاة سيد المرسلين". ويروى عن أبي جعفر أنه قال: "إن القرآن طرح منه آي كثير، ولم يزد فيه إلا حروف أخطأت به الكتبة، وتوهمتها الرجال"[٢].

ثانيا: مصحف فاطمة.

ويروي الكافي بسند شيعي إلى أبي جعفر، يقول: "ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما أنزل إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده". ويبدو أن لهذا المصحف عدة أسماء: فتارة يسمونه [مصحف علي]، وتارة أخرى [مصحف فاطمة]، ويروي الكافي حديثا عن الأئمة يقول فيه: "وإن عندنا لمصحف فاطمة، وما يدريهم ما مصحف فاطمة؟ قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد"[٣]، وتزعم الشيعة بهذا النص أن القرآن الكريم الذي نتلوه الآن ليس فيه حرف واحد مما أنزل الله على رسوله ﷺ، فالأمر

١ نقلا عن الشيعة والقرآن لإحسان إلهي ظهير ١٥٨

٢ نقلا عن الشيعة والقرآن لإحسان إلهي ظهير ١٤٣

٣ الكافي للكليني ١: ٢٣٩

Upload by : altawhedmag.com

إذن ليس حذفا متعمدا لثلثي القرآن وإنما هو مصحف آخر، ويروي الكليني حديثا على لسان أحد الأئمة يشرح فيه كيفية نزول مصحف فاطمة، فيقول: "إن الله تعالى لما قبض نبيه عليه الصلاة والسلام دخل على فاطمة من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله ﷻ، فأرسل إليها ملكا يسلي غمها ويحدثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين، فقال: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي، فأعلمته بذلك، فجعل أمير المؤمنين يكتب كلما سمع، حتى أثبت من ذلك مصحفا"، نحن إذا أمام:

وحي جديد، ونبوة جديدة، ومصحف جديد، وأمر خفي...

وليس هذا استنتاجا من عندنا، وإنما هو نقل لنصوص من أجلّ كتبهم، فيروى عن أبي جعفر قوله: "يقوم القائم بأمر جديد، وكتاب جديد، على العرب شديد، ليس شأنه إلا السيف، ولا تأخذه في الله لومة لائم[1].

ومن الثابت أن السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها ماتت بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر، وتقول روايات الشيعة: إن عليا عكف خلال نفس الفترة يجمع سبعة عشر ألف آية نزلت على النبي ﷺ، فكيف فرغ أيضا من كتابة وحي الملك على فاطمة رضي الله عنها، ولا نعرف هل نَسَخَ ما جاء في مصحف فاطمة، ما جمعه عليّ في مصحفه، وكيف صار لأهل السنة مصحف عثمان، وللشيعة مصحف فاطمة ومصحف الإمام؟

ثم أين هي مصاحف الشيعة؟ وجوابهم: أن الإمام الغائب قد أخذها معه إلى السرداب، وسيظهرها آخر الزمان، أما ما حكم قراءة الشيعة لمصحف عثمان، وهم يعتقدون التحريف فيه؟ فتأتي الإجابة في رواية الكافي على لسان علي بن موسى الرضا المتوفى سنة [٢٠٦ هـ]، حين سأله سائل، فقال: "جعلت فداك، إنا نسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها، ولا تحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم، فهل نأثم؟ فقال: لا اقرءوا كما تعلمتم، فسيجيئكم من يعلمكم"[2].

١ نقلا عن الشيعة والقرآن لإحسان إلهي ظهير ١٥٧

٢ الكافي للكليني ١: ٢٨٩

Upload by : altawhedmag.com

ثالثا: الشيعة وتحريف القرآن.

من الثابت عند جمهور الشيعة اعتقادهم أن القرآن الكريم قد ناله التحريف، ولم ينف التحريف من قدمائهم إلا أربعة فقط من باب التقية[١]، وأن هذا التحريف قد تم على يد الصحابة، إلا أن أحد علمائهم الذي لا يختلف الشيعة المعاصرون حوله مكانته - ومنهم الخميني - ويدعى ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ، قام بما لم يقم به شيعي قبله، لذا كافئوه بعد موته بالدفن في أقدس البقاع عندهم، في بناء المشهد المرتضوي بالنجف!، فقد قام الرجل في سنة[١٢٩٢ هـ] بوضع كتاب أسماه: "فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب"، جمع فيه ما يزيد عن ألف رواية بإسناد الشيعة، تحكي التحريف والتبديل والزيادة والنقصان الذي تتوهمه الشيعة في القرآن الكريم، وهذا الطبرسي هو أول من أعلن وصرح وألف وجمع مروياتهم المتناثرة في كتبهم، وأخرجها لشيعته، وقد أحدث هذا الكتاب ضجة هائلة في إيران عند صدوره.

يعلل هذه الضجة العلامة محب الدين الخطيب بقوله: " لأنهم كانوا يريدون أن يبقى التشكيك في صحة القرآن محصورا بين خاصتهم، ومتفرقا في مئات الكتب المعتبرة عندهم، وأن لا يجمع ذلك كله في كتاب واحد، يطلع عليه خصومهم، فيكون حجة عليهم، ماثلة أمام أنظار الجميع، ولما أبدى عقلاؤهم هذه الملاحظات، خالفهم الطبرسي، وألف كتابا آخر

---

١ القائلون بالتحريف من أعيان الشيعة: إمام محدثي الشيعة وعمدتهم في الحديث "الكليني" في الكافي، وأستاذه القمي شيخ مشايخ الشيعة في التفسير، وعين عيون الشيعة وصاحب أقدم تفسير شيعي محمد بن مسعود العياشي، ومحمد بن الحسن الصفار صاحب الحسن العسكري الإمام المعصوم عندهم، وفرات بن إبراهيم الكوفي المفسر الشيعي القديم، أستاذ والد القمي وشيخ شيخه، ومحمد بن النعمان الملقب بالشيخ المفيد أستاذ شيخ الطائفة الطوسي، ومحمد بن إبراهيم النعماني تلميذ الكليني وصاحب كتاب الغيبة، والمفسر بن العباس الماهيار، وشيخ المتكلمين أبو سهل إسماعيل بن علي، والفيلسوف أبو محمد حسن بن موسى، والشيخ الجليل إسحاق بن إبراهيم، وإسحاق الكاتب، ورأس الشيعة الذي ربما قيل بعصمته أبو القاسم حسين بن روح السفير الثالث بين الشيعة والإمام الغائب، وشيخ الأقدمين فضل بن خالد البرقي، وعلي بن الحسن الفضالي، ومحمد بن الحسن الصيرفي، وأحمد بن محمد السيار من المتقدمين، ومن المتأخرين الكثيرون ممن لا يعد ولا يحصى من مفسري الشيعة ومحدثيهم وفقهائهم ومتكلميهم.

ومن قال بعدم التحريف أربعة لا خامس لهم وهم: ابن بابويه القمي الملقب بالصدوق، والسيد المرتضى الملقب بعلم الهدى، وأبو جعفر الطوسي، وأبو علي الطوسي نقلا عن الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير ٧١، والشيعة وأهل السنة ص ٧٧-٧٨

Upload by : altawhedmag.com

أسماه: "رد بعض الشبهات عن فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب"، وقد كتب كتابه هذا في أواخر حياته قبل موته بنحو سنتين، وقد كافئوه على هذا المجهود بأن دفنوه في بناء المشهد العلوي في النجف"[١].

رابعا: الشيعة المعاصرون والقرآن.

سُئل الخميني مرة: لماذا لم يذكر القرآن الكريم صراحة اسم الإمام؟ فقال في كتابه كشف الأسرار تحت عنوان مخالفات أبي بكر لنص القرآن، ثم مخالفات عمر لكتاب الله، وبعد أن ضرب أمثلة لذلك عقب بقوله: "يفهم من الأمثلة التي قدمناها عن مخالفة الشيخين [أبي بكر وعمر] أنهما خالفا الأحكام القرآنية الصريحة علانية في وجود المسلمين، وهذه المخالفة لم تكن بالنسبة لهما أمرا مهما، أو غير عادي، وفي ذلك الوقت كان أمام المسلمين خياران: إما أن ينضموا إلى حزبيهما، ويشتركوا معهما في تحقيق هدفهما من أجل الحصول على الحكم والسلطة، ويتعاونوا معهما لتحقيق ذلك، وإما أن يخرجوا عن حزبيهما ولا يكونوا معهما. إلا أنهم لم يجرءوا على الحديث ضد هذين المنافقين المتسلطين الظالمين اللذين ظلما فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ[٢]. ويستكمل الخميني افتراءاته بقوله: "إذا ذكر الله تعالى اسم الإمام صراحة في القرآن الكريم قام أولئك الناس الذين ارتبطوا بالإسلام والقرآن من أجل الدنيا والحكومة فقط، واتخذوا من القرآن وسيلة لتحقيق أغراضهم الفاسدة، بإخراج تلك الآيات القرآنية [أي التي فيها ذكر الإمام]، وهكذا يظل هذا العمل باعثا على الخزي والعار للمسلمين ولقرآنهم حتى يوم القيامة، والاعتراض الذي يعترضه المسلمون على كتب اليهود والنصارى المحرفة نفس الاعتراض سيوجه لهم ولقرآنهم"[٣]؛ لذلك يحذر علماء الشيعة أتباعهم أن يأخذوا شيئا من الدين مهما كان شأنه، وينسب الشيعة إلى الإمام الرضا أنه قال: "لا تأخذ دينك من غير شيعتنا، فإنك إن تعديتهم أخذت دينك عن الخائنين الذين خانوا الله

---

١ الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب ١٠-١١

٢ كشف الأسرار للخميني ص ٥٥، نقلا عن الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام للشيخ محمد منظور نعماني كبير علماء الهند ترجمة د. سمير عبد الحميد إبراهيم

٣ كشف الأسرار للخميني ص ١١١، نقلا عن الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام للشيخ محمد منظور نعماني كبير علماء الهند ترجمة د. سمير عبد الحميد إبراهيم

Upload by : altawhedmag.com

ورسوله، وخانوا أماناتهم، وإنهم ائتمنوا على كتاب الله، فحرفوه وبدلوه فعليهم لعنة الله ولعنة الملائكة ولعنة آبائي البررة الكرام، ولعنتي ولعنة شيعتي إلى يوم القيامة"[١].

خامسا: أمثلة من التحريف المزعوم.

ذكر الطوسي في كتابه المشئوم: "فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب"[٢] خبرا من أخبار الشيعة، يزعمون في أغلبها حذف مناقب الأئمة، أو آل البيت من مواضع متعددة من القرآن نعرض بعض الأمثلة - على سبيل المثال لا الحصر - لما افتروه على القرآن، وسنضع افتراءاتهم خارج العلامات التي اخترناها للآيات القرآنية:

- ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ في ولاية علي والأئمة بعده ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.
- ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ﴾ بولاية علي ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾.
- ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ آل محمد ﴿أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.
- ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ في ولاية علي.
- ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ آل محمد حقهم ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾.
- ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ أن يكفروا بما أنزل الله في علي بغيا.
- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ في علي ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾.
- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بولاية علي بن أبي طالب ﴿أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾.
- ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ﴾ وآل محمد ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.
- ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، ويعترض الشيعة على وجود هذه الآية في القرآن الكريم، وسبب اعتراضهم يرويه القمي، عن أبي عبد الله، أنه قال: "يقتلون الحسن والحسين ويكونون خير أمة أخرجت للناس؟! فقيل له: فكيف نزلت قال نزلت "أنتم خير أئمة أخرجت للناس". أي الشيعة.
- ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ﴾ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون لآل محمد".

وهكذا وعلى نفس الوتيرة تتوارد أخبارهم إلى آخر القرآن، ففي سورة الكوثر يقولون: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾، إن عمرو بن العاص ﴿هُوَ

---

١ دائرة معارف الشيعة ٣: ٩٠

٢ ١٠٦٢

Upload by : altawhedmag.com

الْأَبْتَرُ﴾.

كما يزعمون أن سيدنا عثمان بن عفان ﷺ أتلف السور التي كانت في فضل علي وأهل بيته منها سورة الإمامة، ومن جملة ما وضعوا من الأحاديث قولهم عن أبي جعفر بسند شيعتهم إلى رسول الله ﷺ يقول فيه: "إني تارك فيكم كتاب الله وعترتي، قال أبو جعفر: أما الكتاب فحرفوا، وأما العترة فقتلوا"[1].

ويحتار المرء في أمر الشيعة، فقد أشركوا مع الله أئمتهم، وضاع إيمانهم في قرآن ربهم، وحصروا أنفسهم في مسألة وصاية الإمام، ونراهم فيما يلي يصبون - خيبهم الله - غضبهم على أصحاب النبي ﷺ.

١ بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصغار ٨: ١٧

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الخامس
الشيعة والصحابة

أولا: ارتداد جمهور الصحابة.

جعل رسول الله ﷺ آية الإيمان حب الأنصار، ولا يخفى ما للمهاجرين من الفضل، والسبق، والتضحية بكل شيء في سبيل إعلاء دين الله ﷻ، وقد حذر رسول الله ﷺ من التطاول على أصحابه، حيث قال: ﴿لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه﴾[1]، ورغم هذا فالشيعة عندما حصرت نفسها في دائرة الإمامة، واضطرت إلى الزعم بتحريف القرآن الكريم، فإنهم راحوا يصبون حقدهم على الصحابة رضوان الله عليهم، بل تراهم يسبونهم بأشنع الصفات، حيث لم يساندوا عليا ﷺ، وترى كتبهم تفيض بكراهية الصحابة ﷺ، وأيضا حقدهم الشديد على أزواج النبي ﷺ، وخاصة عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها، يقول الكليني بسنده الشيعي: "عن أبي جعفر محمد الباقر، أنه قال: كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة: المقداد بن الأسود، وسلمان الفارسي، وأبا ذر الغفاري". وفي موضع آخر من نفس المصدر يروي حديثا يزعم فيه أن "رسول الله ﷺ أصبح يوما كئيبا حزينا، فقال له علي: ما لي أراك يا رسول الله كئيبا حزينا؟ قال: وكيف لا أكون كذلك، وقد رأيت في ليلتي هذه أن بني تميم [قوم أبي بكر ﷺ]، وبني عدي [قوم عمر بن الخطاب ﷺ]، وبني أمية [عشيرة عثمان بن عفان ﷺ] يصعدون منبري هذا، يردون الناس عن الإسلام القهقرى، فقلت [أي الرسول]: يا رب في حياتي أو بعد موتي؟ فقال: بعد موتك"[2].

ويعترف أحد علماء الشيعة أن أول من سب الصحابة هو عبد الله بن سبأ اليهودي المعروف بابن السوداء، يقول النوبختي: "عبد الله بن سبأ كان ممن أظهر الطعن على أبي بكر، وعمر، وعثمان، والصحابة وتبرأ منهم، قائلا: إن عليا أمره بذلك، فأخذه علي، فسأله عن قوله هذا فأقر به، فأمر بقتله، فصاح الناس إليه: يا أمير المؤمنين أتقتل رجلا يدعو إلى حبكم،

---

١ حديث أبي سعيد الخدري متفق عليه أخرجه البخاري ٣٣٩٧، ومسلم ٤٦١١، والترمذي ٣٧٩٦، وأبي داود ٤٠٣٩، وابن ماجه ١٥٧، وأحمد في مسنده ١٠٦٥٧، ١١٠٩٢، ١١١٨٠

٢ الكافي للكليني كتاب الروضة ٨: ٢٤٨

Upload by : altawhedmag.com

وأضاف النوبختي: وكان ابن سبأ يقول عندما كان يهوديا بوصاية يوشع بن نون بعد موسى، فلما أسلم قال بوصاية علي بعد النبي ﷺ، وهو أول من أشهر القول بفرض إمامة علي... فمن هناك قال من خالف الشيعة إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية"[١].

ثانيا: دعاء صنمي قريش.

يقولون في الأمثال: "الجواب يبان من عنوانه"، ويؤكد ذلك ما أورده الكاشاني في المقالة الثامنة، حيث جعل عناوين فصول كتابه يحكي مضمون عقيدته، ومنها ما يلي:

- "نفاق طائفة من الصحابة في زمان النبي ﷺ وارتدادهم بعده".
- "ارتداد أكثر هذه الأمة بعد نبينا ﷺ والسبب في ذلك".
- "علة ضلال جمهور الأمة عن أنوار الأئمة".
- "إن أرذل المخلوقات صنما قريش عليهما لعائن الله".

ويخصص المجلسي في كتابه " بحار الأنوار" بابا بعنوان: "باب كفر الثلاثة ونفاقهم وفضائح أعمالهم"[٢]. وللشيعة دعاء يسمونه دعاء صنمي قريش منتشر عندهم ومطبوع في كتاب مفتاح الجنان، وهذا الكتاب يشبه دلائل الخيرات عند الصوفية، يقولون فيه: "اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، والعن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وابنتيهما...."[٣] وجاء في كتاب الكافي: "أن أبا بكر وعمر فارقا الدنيا، ولم يتوبا، ولم يتذكرا ما فعلاه بعلي، فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين"[٤].

وقالوا عن أبي بكر: "إنه قرين الشيطان، وإنه وصاحبه عمر منافقان وظالمان وكاذبان، وإن من اعتقد إمامتهما مات ميتة جاهلية وضلالة"[٥].

وقالوا عن عمر ﷺ أنه: "ابن زانية اسمها صهاك، زنا بها عبد المطلب فولدت منه

---

١ فرق الشيعة للنوبختي ٤٤ - ٤٥

٢ بحار الأنوار للمجلسي ٨: ٢٠٨ - ٢٥٢ طبعة المطبعة الحجرية.

٣ مفتاح الجنان ١١٤، نقلا عن الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة ٢٠

٤ الكافي للكليني ٨: ٢٤٦

٥ الطرائف في معرفة المجالس لابن طاوس ٤٠١

Upload by : altawhedmag.com

عمر"[١]، وقالوا عن عثمان: "إنه كان على الباطل ملعونا"[٢]، وقال المجلسي في كتابه حق اليقين: "إن من يعتقد بأن عثمان مات مظلوما يكون ذنبه أشد من الذين عبدوا العجل"[٣].

ثالثا: أسماء رمزية للصحابة.

يطلق أعداء الإسلام من الباطنية الأشرار أسماء رمزية للصحابة يتداولونها فيما بينهم، من باب التورية والتقية منها، فمن جبنهم تراهم يستخدمون هذه الأسماء في حضور أهل السنة منها: "الجبت والطاغوت" أو "صنمي قريش"، وهم يطلقونها على أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما. وهذا أحد حمقى الشيعة أطلق على نفسه الشيخ الفقيه، ويدعى علي بن عبد العال يؤلف كتابا يسميه: "نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت"، وحجته في جواز لعن الصحابة أنهم اغتصبوا الخلافة من علي، فيقول: "إن كلا من أبي بكر وعمر وعثمان ظلموا عليا عليه السلام وكل ظالم ملعون".

كما يقولون "ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا": وهم يقصدون بالترتيب طلحة، والزبير، وعثمان بن عفان، ومعاوية، وعمرو بن العاص [رضي الله عنهم أجمعين، ولو كره أعداء الدين]، وحين يتلون "الحمار يحمل أسفارا" لعنهم الله أنى يؤفكون يومئون إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

ونحن ندعو قائلين اللهم العن من لعن الصديق الحبيب أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ في الغار، وقبح اللهم من لعن أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضوان الله عليها زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة ولو كره الكافرون، واطمس اللهم على قلب من لعن الفاروق عمر بن الخطاب الخليفة الراشد العادل الذي أعز الله به الدين، ومن بشره الرسول ﷺ أنه الحاجز بين الأمة وبين الفتنة، وأن الله سيغلق به باب الفتنة طوال حياته، وما نطق هؤلاء الحاقدون إلا بعد مقتل الفاروق عمر فكُسِر الباب، وأطلت الفتنة على الأمة إلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

١ الأنوار النعمانية للجزائري ١: ٦١

٢ حديقة الشيعة للمقدسي الأردبيلي ٢٧٥

٣ حق اليقين للمجلسي ٢٧٠

Upload by : altawhedmag.com

كما ندعوه سبحانه أن يذل من لعن أم المؤمنين بنت الفاروق: حفصة رضي الله عنها، والله نسأل أن يحشرنا في زمرة أصحاب نبيه وآل بيته، والمهاجرين، والأنصار، وأن يجعلنا من أحبابهم وشيعتهم، حتى يدخلنا مدخلهم، مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقا[1].

١ من أراد أن يتعرف على فساد الشيعة وخطورتها على أهل السنة فليقرأ مجموعة مؤلفات المرحوم الأستاذ/ إحسان إلهي ظهير الذي اغتالته يد الباطنية الحاقدة، ومنها: الشيعة والتشيع، الشيعة وأهل البيت، الشيعة والقرآن، بين أهل السنة والشيعة".

Upload by : altawhedmag.com

الفصل السادس

قيام دولة الشيعة يبدأ من السرداب

يعتقد الناظر للوهلة الأولى أن مراد القوم بقيام دولة الشيعة، هو انتصار الشيعة، وأن يصبح لها دولة وأرض وحكم ذاتي، وقد أصبح أخيرا إيران دولتهم تأسست في بداية القرن العشرين في إيران، إلا أننا سنتبين حقيقة المراد من قيام دولتهم في نهاية هذا الباب.

تؤمن الشيعة الإمامية أن المهدي هو الإمام الثاني عشر في سلسلة الأئمة، وهو الإمام الغائب في السرداب: محمد المهدي بن الحسن العسكري، وتنتظر الشيعة خروجه من السرداب الذي دخله سنة ٢٥٦ هـ، ويسمونه صاحب الزمان، وقائم الوقت، وبرغم أن الحقائق التاريخية تقرر أن الحسن العسكري مات ولم يعقب وليس له ذرية، تلك الحقائق التي وضعت الشيعة الإمامية في مأزق حقيقي، وضربت فكر الإمامة في مقتل، فالإمام الحادي عشر مات دون أن ينجب لا ذكور ولا إناث، فما العمل؟ وكيف التصرف؟

فكان لا بد من استمرار الإمامة، فكان لا بد من اللجوء إلى قصة أغرب من الأساطير، هذه القصة نسجتها كتب الشيعة، ولا يجب أن يندهش القارئ وهو يطالع هذه القصة، فقد دخلنا عالم الأساطير، ونعرض القصة باختصار خشية الإطالة، فهم يزعمون أن جارية تدعى نرجس وهبت نفسها للحسن العسكري، فعاشرها عدة أيام قبل وفاته، وبعد موته زعمت أنها ستلد الليلة، ولم يكن عليها أي آثار لحمل أو خلافه، فكان حملها وولادتها يوما أو بعض يوم، فلما ولدته حضر الروح القدس على هيئة طير من السماء، فحمله وغاب عنهم شهرا، ثم أعاده وعمره سنة، إلى أن كان يوم خاف الوليد على نفسه، فدخل السرداب وسيخرج آخر الزمان، وطبعا طالما غاب الإمام فلا تجوز الصلاة في جماعة حتى يخرج، وتراهم يكثرون من الدعاء له بالفرج والخروج من السرداب.

أولا: المهدي والسرداب والسفراء.

وقد سئل الإمام موسى بن جعفر عن قول الله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾، فقال: "النعمة الظاهرة الإمام الظاهر، والباطنة الإمام الغائب... حتى يظهره الله

Upload by : altawhedmag.com

ﷺ، فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما"[١]، ترى هل يؤثر تعاقب أيام ما يقارب اثنا عشر قرنا من الزمان على الإمام الثاني عشر عند الشيعة الإمامية وهو المهدي المنتظر، الذي طال اختفائه في سرداب سري في جبل لا يعلمه إلا الله، يقول الشاهرودي في كتابه عن ظهور المهدي: "مع زيادة عمره الشريف، وطول حياته في الدنيا من ابتداء ولادته إلى زمان ظهوره، وطول غيبته لا تؤثر فيه تلك الأزمنة والسنون التي عاشها، ولا يصيبه شيء من الضعف والوهن في مزاجه الشريف، وجوارحه وأعضائه المباركة، وعندها يظهر في منظر شاب له أربعين سنة، حيث يكون في نهاية القوة والكمال الظاهري والباطني، ويظهر على هيئة رسول الله ﷺ وصورته، فيكون درعه ﷺ مناسبا وموافقا لقوامه عليه السلام".

١ - لِمَ سمي المهدي؟

كثير من الناس لا يعرفون لم يسمي الشيعة إمامهم المنتظر بالمهدي؟ وإجابة هذا السؤال ننقلها من كتاب الإمام المهدي وظهوره حيث يقول مؤلفه: "عن كعب الأحبار، قال: إنما سمي المهدي؛ لأنه يهدي إلى أسفار من أسفار التوراة، فيستخرجها من جبال الشام، يدعو إليها اليهود، فيسلم على تلك الكتب جماعة كبيرة، ثم ذكر نحوا من ثلاثين ألفا" [٢] ويروي نفس المصدر أيضا عن ابن شوذب أنه قال: " إنما سمي المهدي؛ لأنه يهدي إلى جبل من جبال الشام يستخرج منه أسفار التوراة يحاج بها اليهود، فيسلم على يديه جماعة من اليهود".

إن الشيعة لا يجدون أي حرج في التصريح بأن المهدي لن يقيم شريعة الإسلام، ولن يسير على هدي النبي ﷺ، وإنما له مشرب آخر، فالرجل سيقيم التوراة، ويحكم بحكم سليمان وداود عليهما السلام، يروي عبد الله بن عجلان، عن أبي عبد الله، قال: "إذا قام قائم آل محمد حكم بين الناس بحكم داود"، ويفسر أبو جعفر الباقر هذا الأمر بقوله لما سئل: "بأي سيرة يسير في الناس؟ فقال: يهدم ما قبله، كما صنع رسول الله، ويستأنف الإسلام الجديد"[٣].

---

١ الإمام المهدي وظهوره للسيد جواد السيد حسين الحسيني آل علي الشاهرودي ص ٢٧٢

٢ الإمام المهدي وظهوره للسيد جواد السيد حسين الحسيني آل علي الشاهرودي ص ٢٥٠ ينقلها عن كتاب عقد الدرر الباب الثالث ص ٤٠

٣ الإمام المهدي وظهوره للسيد جواد السيد حسين الحسيني آل علي الشاهرودي ص ٢٧٣

Upload by : altawhedmag.com

لا شك أن هذه النصوص المنقولة من مصادر الشيعة المعتمدة عندهم تصدم القارئ الكريم، خاصة إذا كان لا يعرف الكثير عن الفكر الشيعي، ولا بد أن تساؤلا هاما يدور في ذهنه، ترى ما علاقة مهدي الشيعة المنتظر واليهود! وأي تحالف باطني يحكم تعاونهما معا؟ هذا ما سنوضحه في هذا الباب بتوفيق الله تعالى.

٢- الخضر والإمام الغائب.

والشيعة تروج لفكرة حياة الخضر وإلياس عليهما السلام في أوساط السنة، حتى إذا صدق أهل السنة ذلك تمكنوا من ترويج حياة الإمام الغائب، بل إنهم ربطوا بين القصتين وجعلوا لحياة الخضر مهمة أخرى ألا وهي تسلية المهدي في وحدته.

وهذا ما تقرره الحكاية الآتية: "قال الحسن العسكري لأحمد بن إسحاق، وقد أتاه ليسأله عن الخلف بعده، فلما رآه قال مبتدئا: مثله مثل الخضر، ومثله مثل ذي القرنين، إن الخضر شرب من ماء الحياة[1]، فهو حي لا يموت حتى ينفخ في الصور، وإنه ليحضر الموسم في كل سنة، ويقف بعرفة، فيؤمن على دعاء المؤمن، وسيؤنس الله به وحشة قائمنا في غيبته، ويصل به وحدته، فله البقاء في الدنيا مع الغيبة، وهو [أي الخضر] من الأنصار".

٣- سفراء المهدي إلى شيعته.

تزعم الشيعة أن محمدا المهدي ولد في ١٨ شعبان سنة ٢٥٦ هـ، وأنه دخل السرداب في عام ٢٦١ هـ، وعمره خمس سنوات، وادعى السفارة - أي الدخول إلى المهدي في السرداب للقائه، والخروج برسائل موقعة منه إلى شيعته - أربعة من رجال الشيعة، هم:

- السفير الأول: أبو عمرو عثمان بن سعيد العمروي المعروف بالسمان؛ لأنه كان يتاجر في السمن، وهو أول من زعم السفارة بين المهدي في السرداب وبين الشيعة، وامتدت سفارته قرابة خمس سنوات، حتى سنة ٢٦٥ هـ، وبلغ عمر المهدي حينئذ عشر سنوات، ولا نعرف ما نوعية الرسائل التي يمكن أن يبعثها طفل بين الخامسة إلى العاشرة من مخبئه في السرداب إلى أن مات السفير الأول، فمن يا ترى يستطيع أن ينال شرف السفارة؟

---

١ للاستزادة راجع كتاب موسى والخضر الفصل الثاني من الباب الاول "أسطورة عين الحياة".

Upload by : altawhedmag.com

- السفير الثاني: أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمروي، وهو ابن السفير الأول، والذي ظل سفيرا قرابة أربعين سنة، وحتى هلك سنة ٣٠٥ هـ، وأصبح عمر المهدي المنتظر من عشرة سنوات إلى خمسين سنة، ولا ينقل عنه رسائل إلى شيعته إلا السفير الثاني.
- السفير الثالث: أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي، وظل سفيرا مدة واحد وعشرين سنة، إلى أن توفي في شعبان سنة ٣٢٦ هـ، وفي هذا التوقيت يكون المهدي المنتظر قد بلغ عمره واحد وسبعين سنة.
- السفير الرابع: أبو الحسن محمد بن علي السمري، وظلت سفارته لمدة ثلاث سنوات، حتى عام ٣٢٩ هـ، وقبل وفاته بستة أيام أعلن رسالة من المهدي بألا يوصي لأحد بالسفارة من بعده، وأن المهدي الذي بلغ عمره ٧٤ سنة قد دخل في الغيبة الكبرى، وتوقفت رسائل المهدي إلى شيعته إلى يومنا هذا.
- يبلغ عمر المهدي اليوم ١١٧٠ سنة! وقد دخل السرداب وعمره ست سنوات، وهو من يوم مولده لم يشاهده عامة الناس، ومن الطريف أن نذكر أن الشيعة لم تكن تتوقع أن يظل قائمهم في السرداب كل هذه المدة، وكانوا يؤمنون أنه سيختفي في السرداب حتى يشتد عوده ثم يخرج لأتباعه؛ ولذلك يقول قائلهم: "إن خرج القائم وقد طعن في الأربعين، فليس بصاحبكم"، إن هذا القول يفترض خروج المهدي في وقت لا يتجاوز بحال من الأحوال سنة ٢٩٦ هـ، عندها يكون عمره أربعين سنة، فإذا خرج بعد هذا التوقيت فليس بالقائم المنتظر.

٤- علامات ظهور المهدي.

تعتقد الشيعة أن هناك علامات عامة، وأخرى خاصة منها ما هو حتمي، ومنها علامات تختص به وحده وليس لأحد غيره نصيب فيها، وسننقل هنا العلامات الخاصة به وحده وهي عندهم أربع علامات هي:

- إذا حان وقت خروجه انتشر ذلك العلم بنفسه، ويخاطبه بالخروج بأمره تعالى، فينطق الله تعالى هذا العلم، فيخاطب المهدي قائلا: اخرج يا ولي الله، فاقتل أعداء الله.

Upload by : altawhedmag.com

- أن للمهدي سيف مغمد إذا حان وقت خروجه اقتلع ذلك السيف من غمده، فينطقه الله ﷻ، فيناديه السيف: اخرج يا ولي الله فلا يحل لك القعود عن أعداء الله، فيخرج ويقتل أعداء الله حيث ثقفهم.
- رؤيته جبريل عليه السلام، وأمره بالخروج بأمره تعالى، وتروي الشيعة حديثا عن علي بن الحسين، أنه قال: فيجلس [أي المهدي] تحت شجرة، فيجيئه جبريل في صورة رجل من بني كلب، فيقول: يا عبد الله ما يجلسك ههنا؟ فيقول: يا عبد الله إني أنتظر أن يأتيني العشاء، فأخرج في دبره إلى مكة، وأكره أن أخرج في هذا الحر، قال: فيضحك [أي جبريل]، فإذا ضحك عرفه أنه جبريل، قال: فيأخذ بيده، ويصافحه ويسلم عليه، ويقول له: قم ويجيئه بفرس يقال له البراق، فيركبه، ثم يأتي إلى جبل رضوى، فيأتي محمد [ص] وعلي [ع] فيكتبان له عهدا منشورا يقرأه على الناس"[1].
- أنه ينكت في قلبه كما جاء في الخبر: "فإذا أراد الله إظهار أمره نكت في قلبه نكتة، فظهر، فقام بأمر الله". ويفسر الشيعة هذه النكتة أنها الوحي، والأمر بالظهور للانتقام من أهل السنة.

بعد وقوع هذه العلامات، ونطق العلم والسيف، وتلقي المهدي للوحي، واستلامه منشورا كتبه محمد وعلي، ثم ركوبه البراق، يبدأ المهدي في أداء مهمته التي يتمناها الشيعة، وربما يتوقع القارئ الكريم أن يقرأ في الصفحات التالية عن انتقام المهدي من أعداء الإسلام، وأن يثأر من مغتصبي المسجد الأقصى، أو يغضب لما فعله الظَّلَمة والطغاة في البوسنة والهرسك، أو الشيوعيين القدامى في الشيشان، أو غير ذلك مما يحدث من جور واعتداء، إلا أن مهمة المهدي كما ترويها كتب الشيعة هي الانتقام من أهل السنة، حيث يذيقهم المهدي الويل والثبور وعظائم الأمور، ولسنا نتجنى عليهم، إنما هي كتبهم وما عبرت به عن اعتقادهم، وسنعرض أفعال المهدي بمجرد خروجه من السرداب، حيث يتوجه إلى مكة، ثم يبدأ سلسلة أفعال نوردها حسب ترتيب حدوثها كما تزعم مروياتهم، التي

١ الإمام المهدي وظهوره ص١٨٢

Upload by : altawhedmag.com

فيها: "ومن آياته الكبرى أنه يركب السحاب ويتجول في جميع أنحاء الأرض مثل ذي القرنين"[١].

ويقول أحد دعاتهم إن أول ظهور للمهدي: "أن يقف بين الركن والمقام، ويصرخ صرخة: يا معشر نقبائي وأهل خاصتي ومن خلقهم الله لظهوري على وجه الأرض ايتوني طائعين، فترد صيحته عليهم وهم على تجارتهم، وعلى فرشهم في شرق الأرض وغربها، فيسمعونه في صيحة واحدة في أذن كل رجل، فيجيئون نحوه، ولا يمضي لهم إلا كلمح بصر حتى يكونوا كلهم بين يديه بين الركن والمقام، حتى إذا اجتمعوا إليه، منهم من يأتي راكبا السحاب، ومنهم من يسير على الماء، فإذا التقوا عنده خطب فيهم قائلا: يا معشر الخلائق:

- ألا من أراد منكم أن ينظر إلى آدم وشيث، فها أنا ذا آدم وشيث.
- ألا من أراد منكم أن ينظر إلى إبراهيم وولده إسماعيل، فها أنا ذا إبراهيم وإسماعيل.
- ألا من أراد منكم أن ينظر إلى عيسى وشمعون، فها أنا ذا عيسى وشمعون.
- ألا من أراد منكم أن ينظر إلى محمد وأمير المؤمنين، فها أنا ذا محمد وأمير المؤمنين.
- ألا من أراد منكم أن ينظر إلى الحسن والحسين، فها أنا ذا الحسن والحسين.
- ألا من أراد منكم أن ينظر إلى الأئمة من ولد الحسين، فها أنا ذا الأئمة، أجيبوا مسألتي فإني أنبئكم بما نبئتم به أو لم تنبئوا به، ثم يقرأ جميع الكتب والصحف والرسالات السماوية ويصدقه جميع الأمم، حتى يقول: "ثم يتلو القرآن [ولم تحدد هذه المفتريات أي مصحف يقرأ: مصحف فاطمة أم مصحف علي]، فيقول المسلمون: هذا والله القرآن وما حُرِّف وما بُدِّل"[٢].

٥ - المهدي يقتل إبليس.

ومن عجيب ما ترويه كتب الشيعة أن المهدي سيقتل إبليس، فاقرأ معي إن شئت قولهم: "عن إسحاق بن عمار، قال: سألت أبا جعفر [ع] عن إنظار الله تعالى إبليس وقتا معلوما ذكره الله ﷻ في كتابه: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۞ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾

١ الإمام المهدي وظهوره باب المهدي، وطريقته، وسلوكه، وعجائب آياته ص ٢٧٤

٢ الأنوار النعمانية للجزائري ٢: ٨٢ - ٨٤

Upload by : altawhedmag.com

[سورة ص ٨٠-٨١]، قال: الوقت المعلوم يوم قيام القائم، فإذا بعثه الله كان في مسجد الكوفة وجاء إبليس حتى يجثو على ركبتيه، فيقول: يا ويلاه من هذا اليوم، فيأخذ بناصيته فيضرب عنقه، فذلك يوم الوقت المعلوم منتهى أجله"[١]. أما كان الأولى به أن يقتل إبليس قبل غيبته في السرداب، إذن لأراح العباد من وسوسة الشياطين.

والشيعة يؤمنون أن المهدي عنده تابوت آدم، وقميص يوسف، وعصا موسى، وخاتم سليمان، ليس هذا فقط بل إنه يملك بين يديه صحف إبراهيم، وألواح موسى، وزبور داود، وإنجيل عيسى، ليس هذا فقط بل إنه يملك أيضا جفر محمد، وسلاحه، وخاتمه، ورايته، وأخيرا كتاب علي، ومصحف فاطمة. كل هذه المزاعم تبث بين الناس ليعرفوا قدر المهدي قبل خروجه من السرداب بعد زيارته له ومكوثه فيه لمدة قاربت الآن اثني عشر قرنا من الزمان.

فيا ترى كيف سيملأ المهدي الأرض عدلا؟ وماذا سيفعل في عالمنا هذا؟ وكيف سينتصر للإسلام ويعز أهله ويحارب أعداءه؟ فهل سيبدأ بالصرب أم بالكفر في روسيا؟ أم باليهود أم بإيقاف حملات التبشير بالنصرانية في مجاهل أفريقيا؟ هذا ما سنغرفه من كتب الشيعة، وإليكم قدرا مثيرا من المفاجآت!

٦- المهدي يعمل السيف في رقاب العرب.

تنتظر الأمة الإسلامية المهدي المنتظر الذي سيملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا، ولكن المهدي الذي تترقبه الشيعة سيبدأ أول أفعاله بقتل قريش والعرب وهذا ما ترويه أخبار الشيعة، حيث تقول: "أول ما يظهر يقطع أيدي بني شيبة الذين معهم مفاتيح الكعبة، ويعلقها على الكعبة وينادي عليهم: هؤلاء بنو شيبة سراق الكعبة"[٢]

عن أبي عبد الله [ع] قال: "ويجرد السيف على عاتقه ثمانية أشهر يقتل هرجا، فأول ما يبدأ ببني شيبة، فيقطع أيديهم ويعلقها في الكعبة، وينادي مناديه هؤلاء سراق الله، ثم يتناول

---

١ بحار الأنوار جزء ٥٢ ص ٣٧٦ حديث ١٧٨

٢ الإمام المهدي وظهوره باب المهدي وانتقامه من أعداء الله ص ٢٨٥، وعلل الشرائع الباب ١٤٧ الحديث ٥، غيبة النعماني الباب ١٣ حديث ٢٥

Upload by : altawhedmag.com

قريشا فلا يأخذ منها إلا السيف ولا يعطيها إلا السيف" [١]

وتوضح كتب الشيعة معدلات سفك دماء أهل السنة علي يدي الإمام الغائب، فتقول: "عن أبي عبد الله [ع] قال: إذا قام القائم من آل محمد صلوات الله عليهم أقام خمسمائة من قريش، فضرب أعناقهم، ثم خمسمائة أخرى حتى يفعل ذلك ست مرات، قلت: ويبلغ عدد هؤلاء هذا؟ قال: نعم، منهم ومن مواليهم" [٢].

"ثم يبدأ أول أفعاله بقتل قريش وصلبهم الأحياء منهم والأموات، ويضع السيف في رقاب العرب"، وينسب إلى جعفر الصادق، أنه قال: "لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم ألا يروه مما يقتل من الناس أما إنه لا يبدأ إلا بقريش، فلا يأخذ منها إلا السيف، ولا يعطيها إلا السيف، حتى يقول كثير من الناس هذا ليس من آل محمد، ولو كان من آل محمد لرحم، فهو سيف قاطع بين العرب، وعلى العرب شديد، ليس شأنه إلا السيف ولا يستتيب أحدا" [٣].

ويعلق السيد جواد الشاهرودي في كتابه عن المهدي وظهوره عن أهل السنة، فيقول: "وهذه الطائفة أشد نكالا عليه [أي المهدي]، ثم جبابرة الزمان ورؤساء الضلال وأعوانهم، حيث يقوم عليه السلام باستئصال دولتهم، وقطع دابرهم، واجتثاث أصولهم، فإنهم لا يتقاعدون عن محاربيه ولا يفترون عن منازعته بل يقوم كل ذي صيصية بصيصيته، مضافا إلى ذلك مخالفة المستأكلين بالدين بالباطل الذين يتظاهرون به ولا يكونون من أهله، فإنهم يذهبون في إطفاء نوره كل مذهب ويعاندون بكل وجه ممكن، وخطر هؤلاء أعظم عليه من الطائفتين الأوليين" [٤]. انظر كراهية الفرس واليهود للعرب الذين نشروا الإسلام في ربوع الدنيا.

وسأل أحد أتباعهم أبا جعفر الإمام الخامس عن المهدي فقال: "أيسير بسيرة محمد ﷺ، قال: هيهات يا زرارة ما يسير بسيرته، وقلت [أي السائل]: جعلت فداك، لِمْ؟ قال: إن رسول الله ﷺ سار في أمته بالمنّ كان يتألف الناس، والقائم يسير بالقتل، بذاك أمر في الكتاب الذي

١ الإمام المهدي وظهوره باب المهدي وطريقته ص ٢٨٨، وبحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٦١ عن غيبة النعماني حديث ١٢٩

٢ الإمام المهدي وظهوره باب المهدي وطريقته ص ٢٩٤، الإرشاد فصل سيرته (ع)

٣ الأنوار النعمانية للجزائري ٢٣٣

٤ الإمام المهدي وظهوره ص ٢٧٠

Upload by : altawhedmag.com

معه، أن يسير بالقتل، ولا يستتيب أحدا"[١]. وسئل أبو عبد الله عن سيرة المهدي، فقال: "يصنع كما صنع رسول الله ﷺ يهدم ما كان قبله، كما هدم رسول الله ﷺ أمر الجاهلية، ويستأنف الإسلام الجديد"[٢].

وقبل أن نكشف عن الكتاب الجديد، والدين الجديد الذي سيدعو إليه المهدي، ويهدم من أجله الإسلام كما هدم رسول الله ﷺ الجاهلية تعالوا نر أفعال المهدي في المدينة أيضا لنرى كيف يملأ الأرض عدلا.

٧- المهدي يهدم الحرمين الشريفين.

تذكر كتبهم: "عن أبي بصير عن أبي عبد الله، قال: القائم يهدم مسجد الحرم حتى يرده إلى أساسه، ومسجد الرسول إلى أساسه، ويرد البيت إلى موضعه، وأقامه على أساسه، وحول المقام إلى الموضع الذي كان فيه، وقطع أيدي بني شيبة وعلقها بالكعبة، وكتب عليها هؤلاء سراق الكعبة"[٣]

بعد أن يقتل القائم العرب ويعمل سيفه في رقابهم يشرع في خطته لإحياء شريعة داود وسليمان، فيبدأ بهدم ليس الكعبة فقط، وإنما المسجد الحرام كله ويرجع به إلى أساسه الأول، ويبرر فعله ذلك بإعادة البناء إلى سابق عهده قبل بناء إبراهيم الخليل؛ لذا يقولون: "إن القائم ينقض البيت [الكعبة]، فلا يدع منها إلا القواعد، والله ليعفين آثار الظالمين بمكة والمدينة والعراق وسائر الأقاليم"[٤].

٨- المهدي يحول القبلة إلى الكوفة

لقد صدمتني حقيقة أن المهدي سيهدم الكعبة والبيت الحرام، ولم أنتبه إلى قولهم في النص السابق أن رد البيت إلى أساسه الأول ليس كالمعنى المتبادر للذهن، حتى رأيت السيد/ الموسوي يضيف أن المهدي سينقل الحجر الأسود إلى الكوفة! وبالتالي سيحول القبلة إلى الكوفة، فيقول: "لقد كان ظَنُّنَا أن القائم سيُعيد المسجد الحرام بعد هدمه إلى ما كان عليه زمن

---

١ كتاب الغيبة للنعماني ٢٣١

٢ بحار الأنوار للمجلسي ١٣: ١٩٤

٣ الإمام المهدي وظهوره باب المهدي، وطريقته، وسلوكه، وعجائب آياته ص ٢٨٨

٤ يوم الخلاص ٤٦٥ يرويه عن جعفر الصادق

Upload by : altawhedmag.com

النبي صلى الله عليه وآله، وقبل التوسعة، ولكن تبين لي فيما بعد أن المراد من قوله (يُرْجعُه إلى أساسه) أي يهدمه، ويُسَوِّيه بالأرض، لأن قبلَة الصلاة ستتحول إلىَ الكوفة، فقد روى الفيض الكاشاني: (يا أهل الكوفة لقد حباكم الله عز وجل بما لم يَحْبُ أحداً من فضل، مُصَلاكم بيتُ آدم وبيت نوح، وبيت إدريس ومصلى إبراهيم... ولا تذهب الأيام حتى يُنْصَبَ الحجر الأسود فيه " [الوافي ١/ ٢١٥]. ويستشهد السيد / الموسوي بأستاذه السابق السيد محمد الحسين آل كاشف الغطاء الذي كان دائما يتمثل بهذا البيت:

ومن حديث كربلا والكعبه لكربلا بانَ عُلُوُّ الرُّتَبَه

وقال آخر:

هي الطفوفُ فَطُفْ سبعًا بمغناها فما لمكة معنًى مثل معناهـــا
أرضٌ ولكنها السبعُ الشدادُ لـها دانتْ وطأطأَ أعلاها لأَدْناها

والحديث هنا عن فضائل الكوفة التي خرج منها أنصار الأئمة، ومنبع الحركة الشيعية، آل يعلم هؤلاء مكانة الكوفة وأهلها في نفوس آل البيت، وما سببته الفتن المتلاحقة من هذه البلدة، أما استمعوا إلى:-

١. على قول فاطمة الصغرى عليها السلام في خطبة لها في أهل الكوفة: "يا أهل الكوفة، يا أهل الغدر والمكر والخيلاء، إنّا أهلَ البيت ابتلانا الله بكم، وابتلاكم بنا، فجعل بلاءَنا حسنا... فكفرتمونا، وكذبتمونا، ورأيتم قتالنا حلالاً، وأموالنا نهباً... كما قتلتم جدنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت. تباً لكم، فانتظروا اللعنة والعذاب، فَكأَنْ قد حَلَّ بكم.... ويذيق بعضكم بأس بعض ثم تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا، ألا لعنة الله على الظالمن. تَبّاً لكم يا أهلَ الكوفة، كم قرأت لرسول الله صلى الله عليه وآله قبلكم، ثم غدرتم بأخيه علي بن أبي طالب، وجدي، وبنيه وعِتْرَتِهِ الطيبين. فرد عليها أحد أهل الكوفة مُنْتَخِرًا، فقال: نحن قتلنا علياً، وبني علي بسيوف هندية ورِماح. وسبينا نساءَهم سبي ترك، ونطحناهم فأي نطاح" [الاحتجاج ٢٨/ ٢].

٢. وعلى قول السيدة زينب بنت أمير المؤمنين لأهل الكوفة تقريعاً لهم: " أما بعد، يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر والخذل... إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها

Upload by : altawhedmag.com

من بعد قوة أنكاثاً، هل فيكم إلا الصلف والعُجب والشنف والكذب... أتبكون أخي ؟! أجل والله فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً، فقد ابليتم بعارها... وأنىَّ تُرْخِصون قَتْلَ سليلِ خاتمِ النبوة" [الاحتجاج ٢/ ٢٩ – ٣٥].

٩- المهدي يصلب أبا بكر وعمر.

ينسب الشيعة إلى أئمتهم روايات تصف دخول المهدي إلى المدينة بأنه:

- "وأجيء إلى يثرب وأهدم الحجرة [التي تضم قبر النبي ﷺ، وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما]، وأخرج من بها، وهما [أي جسدا أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما] طريان، فآمر بهما تجاه البقيع، وآمر بالخشبتين يصلبان عليهما"[1].
- "إن المهدي إذا ظهر ودخل المدينة وقف عند قبر النبي ﷺ، قائلا: يا معشر الخلائق هذا قبر جدي، فيقولون: نعم، يا مهدي آل محمد، فيقول: ومن معه في القبر؟ فيقولون: ضجيعاه أبو بكر وعمر، فيقول: وهو أعلم الخلق: مَنْ أبو بكر وعمر؟ وكيف دفنا من بين الخلق مع جدي رسول الله ﷺ، وعسى أن يكون المدفون غيرهما؟ فيقول الناس: يا مهدي آل محمد ما ههنا غيرهما، وإنهما دفنا معه؛ لأنهما خليفتاه، وآباء زوجتيه، فيقول: هل يعرفهما أحد؟ فيقولون: نعم، نحن نعرفهما بالوصف، ثم يقول: هل يشك أحد في دفنهما هنا؟ فيقولون: لا، فيأمر بعد ثلاثة أيام، فيحفر قبرهما ويخرجهما، فيخرجان طريين، كصورتهما في الدنيا، فيكشف عنهما أكفانهما، ويأمر برفعهما على دوحة يابسة نخرة فيصلبهما عليها"[2].

١٠- انتقام الشيعة من عائشة أم المؤمنين.

لا يقف حقد الشيعة وكراهيتهم عند حد، حتى أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق يتهمونها بالفاحشة، قبحهم الله في الدنيا والآخرة، ثم راحوا يتوعدونها على يد مهديهم المنتظر، وتقول رواياتهم المتناثرة هنا وهناك ما نصه: "لو قام قائمنا رد الحميراء [يومئون إلى

١ البرهان في تفسير القرآن ٢: ٤٠٧

٢ الأنوار النعمانية ٢: ٨٦ – ٨٧

Upload by : altawhedmag.com

أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضوان الله عليهما] حتى يجلدها الحد، وينتقم لجده محمد ﷺ"[١].

١١ - المهدي يشيد هيكل سليمان.

تزعم الشيعة أن معجزات الأنبياء ستتجمع عند المهدي وقت ظهوره، ومنها:

- يستخرج المهدي كتبا من غار أنطاكية، ويستخرج الزبور من بحيرة طبرية، وفيها مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة، وفيها الألواح وعصا موسى"[٢].
- أول ما يبدأ القائم بأنطاكية فيستخرج منها التوراة من غار فيه عصا موسى، وخاتم سليمان، وأسعد الناس به أهل الكوفة، ويسمى المهدي لأنه يهدي لأمر خفي"[٣].
- أن المهدي يخرج إرم ذات العماد، والقصر الذي بناه سليمان بن داود، ويخرج التابوت الذي أمر به أرميا أن يرميه في بحيرة طبرية، فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون، ورضاضة اللوح، وعصا موسى، وقباء هارون، وعشر أصواع من المن، والسلوى، والشرائح التي ادخرها بنو إسرائيل بعدهم، فيفتح بالتابوت المدن كما استفتح به من كان قبله"[٤].
- "إن المهدي يسير إلى أورشليم لتعميرها وإقامة دعائمها"[٥].
- لا شك أن معالم الأمر الخفي بدأت تتضح أمام القارئ الكريم، فالمهدي بعد أن يهدم الكعبة ويقتل العرب، يذهب إلى المدينة فيصلب الشيخين، ثم يذهب إلى أورشليم لتعميرها وإقامة دعائمها؛ لذا يستخرج أولا التوراة، ثم القصر الذي بناه سليمان، وهو بالطبع هيكل سليمان ولكن للتقية أحكام، ولا يخفى

١ تفسير الصافي ٣٥٩

٢ إلزام الناصب ١: ٢٥٣، ويوم الخلاص.

٣ دائرة معارف الشيعة ١٤: ٣١٦

٤ يوم الخلاص

٥ إلزام الناصب ١: ١٣١، ٢: ١٦٧

Upload by : altawhedmag.com

أنه لكي يستخرج القصر الذي بناه سليمان لا بد أن يهدم المسجد الأقصى، حيث يزعمون أن قصر سليمان، أو هيكله يقع تحت المسجد.

١٢ - المهدي يعيد حكم داود وسليمان عليهما السلام.

نحتاج إلى تأمل النصوص التالية حيث تتضح بعدها الصورة تماما، ولا تدع مجالا لأدنى شك، بل إنها ستفسر لنا ارتباط الشيعة وعلومها باليهود وعلماء بني إسرائيل، وتكشف في النهاية المخطط اليهودي منذ مقتل عثمان ﷺ حتى اليوم، تأمل قولهم: "إذا قام قائم آل محمد ﷺ حكم بحكم داود وسليمان! لا يُسْأَلُ بينة"، وفي رواية: "لا يحتاج إلى بينة، يلهمه الله فيحكم بعلمه، يخبر كل قوم بما استبطنوه، ويعرف وليه من عدوه بالتوسم، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ۞ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴾ [سورة الحجر ٧٥-٧٦]"[١].

ونروي نصا بالغ الأهمية يقول: "سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام، فقلت: إذا قام القائم بأي سيرة يسير في الناس؟ فقال: يهدم ما قبله كما صنع رسول الله ﷺ، ويستأنف الاسلام الجديد"[٢].

فالأمر الخفي أصبح واضحا جليا: إن الشيعة ينفذون بروتوكولات آل صهيون ومخططات اليهود، وهم منذ اللحظة الأولى لظهور عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء، ثم بالدور المشبوه الذي لعبه ميمون بن ديصان القداح، وهم يخطون خطوات مرسومة لإخراج المسلمين عن دينهم، وإحداث الفرقة بينهم، ثم استخدام أتباعهم في تنفيذ مخططاتهم الجهنمية، فاليهود مهما اشتد عودهم وعلا صوتهم، لا يستطيعون هدم المسجد الأقصى، فهم في النهاية يخشون إيقاظ المسلمين من سباتهم العميق، ولكن ماذا لو تطوعت الشيعة للقيام بهذا الدور نيابة عنهم؟!

---

١ إرشاد المفيد ص ٣٦٥ فصل سيرته عليه السلام، والمهدي وظهوره ص ٢٧٣، ويعلق مؤلف كتاب المهدي بقوله: "ولكن المهدي في دولته يحكم بمثل حكم داود وسليمان لا يطالب بالبينة، بل يحكم على ما هو واقع، ونفس الأمر حيث لا تعتريه شبهة أو مكر أو حيلة، وهو عالم بما هو الواقع وكل أمر يكون عنده واضحا جليا، والأمور المخفية معلومة عنده بالعيان، ولا يستطيع المنافقون أن يتقربوا منه تحت لباس الورع وستار التقديس".

٢ غيبة النعماني باب ١٣ حديث ١٧، المهدي وظهوره ص ٢٧٣

Upload by : altawhedmag.com

وهم أمام العالم مسلمون مختلفون في دينهم ويصفُّون حسابات قديمة، منذ عهد الفتنة الكبرى. وعامة الشيعة البسطاء يتحركون من خلال عقيدة سطرتها أيدي اليهود والباطنيين، وتنفذ الآن بتعاون وثيق بين إسرائيل وإيران ليس لتصدير الثورة كما يزعمون، وليس لتطبيق الإسلام وتنفيذ تعاليمه، وإنما لتطبيق شريعة داود وسليمان، ونشر الفكر الشيعي وتهيئة المسلمين للقيام بالمشهد الأخير من عمر هذه الحياة الدنيا.

وهذه نصوصهم فمن شاء فليحذر، ومن شاء فليستمر في نومته التي نخشى عليه أن لا يقوم منها أبدا، ومن هذه النصوص: "إذا خرج المهدي فليس له عدو مبين إلا الفقهاء [أهل السنة]، ويبايعه العارفون بالله من أهل الحقائق [الشيعة] عن شهود وكشف وتعريف إلهي"[١].

وفي رواية واضحة لا تقية فيها: "حين يظهر المهدي يبدأ حسابه وعمله أولا من السُنيين، وخاصة علماء السنة، وذلك قبل الكافرين، فيقتلهم جميعا، ويبيدهم عن آخرهم"[٢].

ومما يثبت ارتباط الشيعة بالصوفية وامتزاج معتقداتهم أن تجد شيخ الصوفية الأكبر [ابن عربي] يكرر نفس أقوال الشيعة، حيث يقول: "وإذا خرج هذا الإمام المهدي، فليس له عدو مبين إلا الفقهاء خاصة، فإنهم لا تبقى لهم رياسة ولا تمييز عن العامة، ولا يبقى لهم علم بحكم إلا القليل، ويرتفع الخلاف من العالم في الأحكام بوجود هذا الإمام، ولولا أن السيف بيد المهدي لأفتى الفقهاء بقتله، ولكن الله يظهره بالسيف والكرم، فيطمعون ويخافون، فيقبلون حكمه من غير إيمان، بل يضمرون خلافه"[٣].

---

١ يوم الخلاص ٢٢٣ و ٣٤٣

٢ حق اليقين نقلا عن الثورة الإيرانية لمحمد منظور نعماني ١٤٨

٣ الفتوحات المكية لابن عربي ٣: ٣٣٦

Upload by : altawhedmag.com

الفصل السابع

من هدى الشيعة المنتظر

أولا: اختلاف الشيعة في أئمتهم.

يقول محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في كتابه الملل والنحل عن الإمامية الاثنا عشرية: إن الذين قطعوا بموت موسى الكاظم بن جعفر وسموا القطعية، ساقوا الإمامة بعده في أولاده، فقالوا الإمام بعد موسى هو علي الرضا، ومشهده بطوس، ثم بعده محمد التقي وهو في مقابر قريش، ثم بعده علي بن محمد التقي، ومشهده بقم، وبعده الحسن العسكري الزكي، وبعده ابنه القائم المنتظر الذي هو بـ"سر من رأى"، وهو الثاني عشر، هذا هو طريق الاثنا عشرية في زماننا، إلا أن الاختلافات التي وقعت في حال كل واحد من هؤلاء الاثنا عشر، والمنازعات التي جرت بينهم وبين إخوتهم، وبني أعمامهم وجب ذكرها لئلا يشذ عنها مذهب لم نذكره، ومقالة لم نوردها، فاعلم أن من الشيعة من قال:-

- إمامة أحمد بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق دون أخيه علي الرضا.
- ومن قال بإمامة علي شك أولا في محمد بن علي الرضا، إذ مات أبوه وهو صغير غير مستحق للإمامة، ولا علم عنده بمناهجها، فثبت قوم على إمامته، واختلفوا بعد موته.
- قال قوم بإمامة موسى بن محمد، وقال قوم بإمامة علي بن محمد ويقولون هو العسكري، واختلفوا بعد موته أيضا.
- قال قوم بإمامة جعفر بن علي، وكان لهم رئيس يقال له: علي بن فلان الطاحن، وكان من أهل الكلام، قوى أسباب جعفر بن علي، وأمال الناس إليه، وأعانه فارس بن حاتم بن ماهويه، وذلك أن محمدا قد مات وخلف الحسن العسكري، قالوا: امتحنا الحسن فلم نجد عنده علما، ولقبوا من قال بإمامة الحسن الحمارية، وقووا أمر جعفر بعد موت الحسن، واحتجوا بأن الحسن مات بلا خلف فبطلت إمامته؛ لأنه لم يعقب، والإمام لا يكون إلا ويكون له خلف، وعقب، وحاز جعفر ميراث الحسن بعد دعوى ادعاها عليه أنه فعل ذلك من حبل في

Upload by : altawhedmag.com

جواريه وغيره، وانكشف أمرهم عند السلطان والرعية وخواص الناس وعوامهم، وتشتت كلمة من قال بإمامة الحسن، وتفرقوا أصنافا كثيرة، فثبتت هذه الفرقة على إمامة جعفر، ورجع إليهم كثير ممن قال بإمامة الحسن، منهم الحسن بن علي بن فضال، وهو من أجل أصحابهم وفقهائهم كثير الفقه والحديث.

- ثم قالوا بعد جعفر بعلي بن جعفر، وفاطمة بنت علي أخت جعفر.
- وقال قوم بإمامة علي بن جعفر دون فاطمة السيدة.
- ثم اختلفوا بعد موت علي وفاطمة اختلافا كثيرا، وغلا بعضهم في الإمامة غلو أبي الخطاب الأسدي.
- أما الذين قالوا بإمامة الحسن فافترقوا بعد موته إحدى عشر فرقة، وليست لهم ألقاب مشهورة، ولكنا سنذكر أقاويلهم:

١. الفرقة الأولى: قالت: إن الحسن لم يمت، وهو القائم، ولا يجوز أن يموت ولا ولد له ظاهر لأن الأرض لا تخلوا من إمام، وقد ثبت عندنا أن القائم له غيبتان، وهذه إحدى الغيبتين، وسيظهر ويعرف ثم يغيب غيبة أخرى.

٢. الفرقة الثانية: قالت: إن الحسن مات، لكنه يجيء وهو القائم، لأنا رأينا أن معنى القائم هو القيام بعد الموت، فنقطع بموت الحسن لا نشك فيه، ولا ولد له فيجب أن يجيء بعد الموت.

٣. الفرقة الثالثة: قالت: إن الحسن قد مات، وأوصى إلى جعفر أخيه، ورجحت إمامة جعفر.

٤. الفرقة الرابعة: قالت: إن الحسن قد مات، والإمام جعفر، وإنا كنا مخطئين في الائتمام به إذ لم يكن إماما، فلما مات ولا عقب له، تبينا أن جعفرا كان محقا في دعواه، والحسن مبطلا.

٥. الفرقة الخامسة: قالت: إن الحسن قد مات، وكنا مخطئين في القول به، وإن الإمام كان محمد بن علي أخو الحسن وجعفر، ولما ظهر لنا فسق جعفر وإعلانه به، وعلمنا

Upload by : altawhedmag.com

أن الحسن كان على مثل حاله إلا أنه كان يتستر عرفنا أنهما لم يكونا إمامين، فرجعنا إلى محمد ووجدنا له عقبا وعرفنا أنه كان هو الإمام دون أخويه.

٦. الفرقة السادسة: قالت: إن للحسن ابنا وليس الأمر على ما ذكروا أنه مات ولم يعقب، ولد قبل وفاة أبيه بسنتين، فاستتر خوفا من جعفر وغيره من الأعداء، واسمه محمد وهو الإمام القائم المنتظر.

٧. الفرقة السابعة: قالت: إن له ابنا ولكنه ولد بعد موته بثمانية أشهر، وقول من ادعى أنه مات وله ابن باطل؛ لأن ذلك لم يخف ولا يجوز مكابرة العيان.

٨. الفرقة الثامنة: قالت: صحة وفاة الحسن، وصح أنه لا ولد له، وبطل ما ادعى من الحبل في سرية له، وثبت أنه لا إمام بعد الحسن، وهو جائز في المعقول أن يرفع الله الحجة عن أهل الأرض لمعاصيهم وهي فترة وزمان لا إمام فيه، والأرض اليوم بلا حجة كما كانت الفترة قبل مبعث النبي ﷺ.

٩. الفرقة التاسعة: قالت: إن الحسن قد مات وصح موته، وقد اختلف الناس هذا الاختلاف، ولا ندري كيف هو؟ ولا نشك أنه قد ولد له ابن، ولا ندري قبل موته، أم بعد موته، إلا أنا نعلم يقينا أن الأرض لا تخلوا عن حجة، وهو الخلف الغائب، فنحن نتولاه ونتمسك باسمه حتى يظهر بصورته.

١٠. الفرقة العاشرة: قالت: نعلم أن الحسن قد مات، ولا بد للناس من إمام، ولا تخلوا الأرض من حجة، ولا ندري من ولده أو من غيره.

١١. الفرقة الحادية عشر والثانية عشر: فرقة توقفت في هذه المخابط، وقالت: لا ندري على القطع حقيقة الحال، ولكنا نقطع في الرضا، ونقو بإمامته، وفي كل موضع اختلفت الشيعة فيه، فنحن من الواقفية، إلى أن يظهر الله الحجة، ويظهر بصورته فلا يشك في إمامته من أبصره، ولا يحتاج إلى معجزة، أو كرامة، أو بينة، بل معجزته اتباع الناس بأسرهم إياه من غير منازعة، أو مدافعة.

ثانيا: موقف أهل السنة من قائم الشيعة المنتظر.

إن التطبيق العملي لفكرة الوصاية على الدين، وإمامة آل البيت على الأمة، يظهر كم الاختلاف والفرقة التي سببتها بين المسلمين، فشروط ميراث الإمام من أبيه الإمام تستلزم

Upload by : altawhedmag.com

أن يكون بكر أبيه، وفي نفس الوقت أن ينجب ابنا يبلغ مبلغ الرجال في حياة أبيه حتى يقيمه الحجة القائم على الأمة، ولا بد لهذا الإمام أن يكون عابدا طائعا إذ لا يعقل أن يكون الإمام فاسقا، أو فاجرا، أو مرتكبا للكبائر والموبقات.

إن تنصيب الإمام لا يتم بالتعيين الإلهي كما كانت الشيعة تقول في بداية فكرة الإمامة، فعلي بن أبي طالب بصفته الإمام والوصي الأول على الأمة، فقد جاء تعيينه بالوحي - حسب مزاعم الشيعة - فثلثي القرآن بزعمهم كان لبيان هذا التعيين، ومما يثبت جهلهم بالأسلوب القرآني أنهم يعتقدون أن أحد عشر ألف آية تحدد هذا التعيين، أما كان يكفي آية، أو بضع آيات تأمر الناس بإتباع علي بن أبي طالب، بل وتحدد الأئمة من بعده إلى يوم الدين، أما أن يترك تحديد الإمام للناس يقولون ما يرونه، فهذا والله هو البلية الكبرى، حتى القواعد والشروط التي وضعوها من عند أنفسهم تسببت في الفرقة والتشرذم، فتارة يموت البكر في حياة أبيه، ينشأ من ذلك ورطة كبرى، هل يعترفون بعجز شروطهم؟ أم يهدموا بنيانهم من القواعد؟ والنتيجة أن ينقسم الناس، ففكرة الغيبة تزيد الطين بلة! فمن مات من الأئمة، يقولون عنه: غاب الغيبة الصغرى، فإذا طال عليهم الأمد، قالوا: دخل في الغيبة الكبرى، ولا يسلم لهم الآخرون بهذا الزعم، فيقولون علينا بإمامة الأخ، فإذا كان الأخ لا يصلح، قالوا بإمامة ابن الأخ، وهكذا تلاطمتهم الفتن والأهواء حتى اصطدموا بحالة الحسن العسكري، مات ولم ينجب، وأخوه لا يصلح للإمامة، فمنهم من قال: انتهت الإمامة والأرض أصبحت بلا حجة، سبحان الله العظيم، ألم يناقض هذا مبدأكم الأصيل...

إن موقف أهل السنة واضح جلي: فلا توجد إمامة تنحصر في آل البيت، واختلاف الشيعة في أئمتهم ناتج عن تشيعهم الأول لعلي بن أبي طالب، وتكفير الصحابة واتهام القرآن بالتحريف، وأنه لا يوجد إمام غائب في السرداب كما يزعمون، ولن يخرج من السرداب أحد مهما طال الزمن.

ورب سائل يسأل: هل يعتقد أهل السنة في وجود مهدي آخر الزمان؟ ومن يكون؟ وما البيان الشافي لحقيقة مهدي الشيعة، وحقيقة مهدي السنة؟ وقبل أن نكشف الغطاء علينا أن نتأمل أفعال القائم المنتظر.

Upload by : altawhedmag.com

ثالثا: طبيعة أفعال القائم من السرداب.

تنتظر الشيعة ظهور المهدي ليهدم الكعبة، ويقتل أهل السنة والفقهاء عامة، والعرب خاصة، ثم يدخل المدينة، فيصلب الشيخين رضي الله عنهما، ثم يدخل أورشليم فيهدم المسجد الأقصى، ويعيد بناء هيكل سليمان، ثم يظهر الدين الجديد ويحكم بشريعة سليمان وداود.

إن المتأمل في هذه الأفعال يجد أنها فساد مطلق، فإن من يريد أن يملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت ظلما وجورا، لا يستفتح عهده بإراقة الدماء وارتكاب الظلم في أبشع صوره. إن الرسول ﷺ خاطب كفار مكة حين فتحها، قائلا: "ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء"، أي رحمة تلك التي ملئت قلب سيد ولد آدم، وماذا كانت النتيجة؟ أن دخل أهل مكة في دين الله أفواجا، فأي قدوة يتخذها القائم الغائب، حتى يقتل أناس بعد عشرات القرون بجريرة من قتلوا الحسين ﷺ، ثم ما باله يشرع في هدم أشرف بقاع الأرض، المسجد الحرام والمسجد النبوي، ثم يسارع إلى هدم المسجد الأقصى وبناء هيكل سليمان، وغاية مراده، وقمة أهدافه أن يهدم شرائع الإسلام ويقيم شرائع سليمان وداود!.

رابعا: المهدي كما ينتظره أهل السنة.

تربط مصادر السنة الصحيحة بين ثلاثة أشخاص يتقاسمون أحداث الفتنة الكبرى قبل قيام الساعة، وهم:

- المسيح عيسى ابن مريم.
- والمهدي.
- والمسيح الدجال.

وتصف أحاديث مصادر السنة الصحيحة المهدي بأنه: "يخرج المهدي في أمتي خمسا أو سبعا أو تسعا، [فسئل]: أي شيء؟ قال: سنين، ثم قال: يُرْسل [الله] السماء عليهم مدرارا، ولا تدخر الأرض من نباتها شيئا، ويكون المال كدوسا، قال: يجيء الرجل إليه، فيقول: يا

Upload by : altawhedmag.com

مهدي، أعطني أعطني. قال: فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمل"[١].

عن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثا طويلا عن الدجال، فكان فيما حدثنا به أن قال: يأتي الدجال - وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة - بعض السباخ التي بالمدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس، [أو من خير الناس]، فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا عنك رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجال: أرأيت إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر؟ فيقولون: لا فيقتله ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ما كنت قط أشد بصيرة مني اليوم، فيقول الدجال: أقتله فلا أُسلط عليه"[٢].

عن أبي إسحاق، قال: "قال علي ﷺ، ونظر إلى ابنه الحسن، فقال: إن ابني هذا سيد كما سماه النبي ﷺ، وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخُلُق ولا يشبهه في الخَلْق، ثم ذكر قصة: يملأ الأرض عدلا"[٣].

فأفعال مهدي الشيعة هي أفعال المفسدين في الأرض، أما المهدي الذي تنتظره أهل السنة فهو شخص آخر غير مهدي الشيعة، فأفعال مهدي السنة هي أفعال المصلحين.

والنتيجة الحتمية الواضحة للعيان أن المهدي الذي تنتظره الشيعة ليس هو نفس الشخص الذي ينتظره أهل السنة، فالاتفاق في الاسم فقط.

خامسا: مَنْ القائم المنتظر؟

والجواب الشافي لهذا السؤال، مسطور في مصادر الحديث الشريف، وكتب السنة والتي يحذرنا فيها رسول الله ﷺ من فتنة الدجال في عدة أحاديث متواترة رواتها جماعة من الصحابة ﷺ، منهم: أبو بكر الصديق، وحذيفة، وأنس، وابن عمر، وابن عباس، وأبو سعيد الخدري، وأبو بكرة، والمغيرة بن شعبة، وسعد بن أبي وقاص، ومعاذ بن جبل، وأبو عبيدة بن الجراح، ومجمع بن جارية، والنواس بن سمعان، وجابر بن عبد الله، وعمران بن حصين، وأبو أمامة، وهشام بن عامر، وعائشة، وأسماء بنت أبي بكر، وفاطمة بنت قيس، ويلقي كل حديث من

---

١ حديث أبي سعيد الخدري رواه أحمد في مسنده، والحثو: العطية بملء الكفين.

٢ متفق عليه.

٣ رواه أبو داود.

Upload by : altawhedmag.com

هذه الأحاديث ضوءا على فتنة الدجال: سواء مبدأ أمره، وأين يظهر؟ ومن أعوانه؟ ووصفه وعلامته، وأفعاله، وتحركه، والاستعاذة من فتنته، حتى هلاكه، ولا يتسع المجال لدراسة هذه الأحاديث، وإنما ما يخص بحثنا الآن هو بيان الجهة التي يظهر منها؟ ومن يعاونه؟.

يروي أبو هريرة أن رسول الله ﷺ، قال: ﴿الإيمان يمان، والكفر من قبل المشرق﴾[1]، فأين المشرق بالنسبة للمدينة المنورة التي قيل فيها هذه الأحاديث؟، ويزيدنا إيضاحا حديث أبي بكر الصديق ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إن الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المَجَانّ﴾[2]، وتخبرنا الروايات الصحيحة عن رسول الله ﷺ، أن قوما بالمشرق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، هم أصحاب الدجال، قال رسول الله ﷺ: ﴿يخرج قوم من قبل المشرق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما قُطِع قرن نشأ قرن، حتى يخرج في بقيتهم الدجال﴾، لا ريب أن الشيعة تقرأ القرآن قرنا بعد قرن، ولا يجاوز تراقيهم، والله إنها لنبوءة حق بين طيات هذا الحديث الشريف، فتعبير لا يجاوز تراقيهم، معجزة عليها دليل لا اختلاف حوله، كيف يصل القرآن إلى قلوب أقوام وتخبت أفئدتهم، وهم يؤمنون بتحريفه؟ إن من يؤمن بمؤامرة جمع القرآن بمعرفة الشيخين: أبي بكر، وعمر، وهم صنما قريش عندهم، بالله عليك أنى يخشع قلبه لذكر الله ولما نزل من الحق، لا شك أنهم يؤجلون الخشوع وإخبات القلوب حتى يظهر قرآن فاطمة، أو قرآن علي مع المهدي حين يخرج من السرداب... حتى هذا الأمل سيتحول إلى سراب وستدوم خيبتهم عندما يخرج المهدي الذي ينتظروه، فيدعو إلى أسفار من التوراة يحكم بها فيحكم بحكم سليمان وداود عليهما السلام، وصدق الله العلي العظيم، حيث يقول في كتابه الكريم: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾، أيكون الدين الخاتم محروما من كتاب الله تعالى طوال بقائه منذ بعثة النبي ﷺ، وحتى قيام الساعة؟!، ففي البداية حسب زعمهم يُحرف ويختصر منه ثلثي آياته، ثم تنزع من آياته عبارات تصرفها عن المراد منها، ويظل الحال خمسة عشر قرنا هكذا، وبفرض خروج المهدي في القرن الحالي، فإنه إذا خرج لا يقوم بالقرآن قبل

---

١ أخرجه الترمذي باب ما جاء أن الدجال لا يدخل المدينة ٢٣٤٤ التحفة، وقال: "حديث حسن صحيح".

٢ حديث أبي بكر الصديق رواه أحمد رقم ١٣، والترمذي في أبواب القدر ٢٣٣٨ تحفة الأحوذي، وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه ٤٠٧٢، وصححه الألباني، والمجان: هي الدروع المستديرة.

Upload by : altawhedmag.com

تحريفه، بل سيرتد إلى شريعة داود وأسفار اليهود، فأين العقلاء من الناس؛ ليفسروا لنا ما الداعي لتنزل القرآن طوال ثلاثة وعشرين عاما، إذا كانت النتيجة تعطيل آياته من اليوم الأول وحتى قيام الساعة؟! أليست هذه هي الرسالة الخاتمة التي تعهد الله تعالى بحفظها؟!أنصدقهم هم أم نصدق الله العلي العظيم منزل الكتاب الذي قال في كتابه المحفوظ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

إن هذه النقطة وحدها تنسف الفكر الشيعي من أساسه، وترسخ مصادر أهل السنة، فنحن نؤمن بأن القرآن الكريم لم يمس، ولم يمحى منه حرف واحد، وأن السنة النبوية محفوظة ومدونة وثابته، وبها وحدها انكشفت خطط الدجال وأعوانه ففي الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ يظهر لنا أعوان الدجال أصحاب مهدي الشيعة المزعوم، يقول النبي ﷺ فيه: ﴿يخرج الدجال من يهودية أصبهان معه سبعون ألفا من اليهود، عليهم التيجان﴾، في رواية: ﴿معه سبعون ألفا من اليهود﴾[1].

إن أفعال مهدي الشيعة المنتظر هي أفعال الدجال، الذي سيخرج من جهة الشرق وبالتحديد من خراسان، ويساعده يهود أصبهان [وإيران اليوم تضم أجزاء من خراسان وأصبهان]، فهل المسيخ الدجال الذي يخرج من المشرق ويعاونه يهود أصبهان هو مهدي الشيعة الذي سيعمل على قتل العرب وهدم الكعبة وعمارة هيكل سليمان؟

إن ظهور الإمام القائم سيتحقق بمؤامرة يهودية أمريكية شيعية، وسيحيط بالرجل سبعين ألف يهودي، وسيكون جيش المهدي وبقية المليشيات الشيعية معه، أما سبب دخولهم في هذه المؤامرة فواضح جلي، فاليهود والأمريكان لا يستطيعون أن يهدموا المسجد الأقصى وحدهم، فهم يخشون رد فعل المسلمين، فالمخرج إذن أن يقوم مسلمون بهدمه نيابة عنهم، وهذه طريقتهم دائما، فهم لا يقاتلون بأنفسهم، وإنما يشترون بأموالهم من يحارب بدلا عنهم، وعقيدة أهل السنة تؤكد أن هذا الجيش سيخسف به بين مكة والمدينة، وأن القائم الخارج من

---

١ حديث أنس بن مالك رواه أحمد ٢٤: ١٩٧ الفتح الرباني بترتيب المسند.

وعلى المسلم أن يربط بين ما يسمعه من أخبار وبين ما تبين له من حقائق، ترى كيف انقلبت شيعة اليمن على حاكم البلاد؟ وكيف أن أول من أعلن تأييدهم لإمام الشيعة في اليمن هم اليهود؟، نسأل الله أن يخذلهم أينما توجهوا، وأن يجعل مكرهم وتدبيرهم في أعناقهم، وعلى بني جنسهم، ومن ورائهم.

Upload by : altawhedmag.com

السرداب، هو الدجال بعينه الواحدة، وأن سبب انقياد الشيعة لهذا الأعور هو ما يدينون به من طبيعة الأئمة وعصمتهم وسلطانهم... أما أهل السنة فيعرفونه بالأوصاف التي أشار إليها النبي ﷺ؛ ولذلك تجد المؤمن لا تهن عزيمته بما يفعله الدجال به، فبعد أن يشقه، ثم يعود إلى الحياة يقول للدجال: "والله ما كنت قط أشد بصيرة مني اليوم".

إن هذه النتيجة التي توصل المؤلف إليها دونها واضحة في الطبعة الأولى من كتاب تسرب الفكر الباطني إلى الشرائع السماوية المطبوع في سنة ١٩٩٠ هـ، وقد اطلعت من خلال الإنترنت في الشهر الماضي على كتاب السيد/ حسين الموسوي والذي أسماه الله ثم للتاريخ، والذي دون فيه تجربته الشيعية التي وصل من خلالها إلى أعلى مراتب علمائها، حتى أنه رافق الخوميني لسنوات طويلة، وقد وجدت في كتابه إخلاصا عجيبا، وتجربة صادقة، واستدلالا قويا مما أتيح له من تجربته الغنية جدا، وقد كنت أدرك مشاعره التي مررت بها خلال معاناتي مع التصوف، وقد دون خلاصة كتابه في قوله:

إن جيش المهدي الشيعي ستخسف الأرض به بين مكة والمدينة بإذن الله تعالى، ونسأل الله الكريم أن يرد كيد أعداء الإسلام أجمعين في نحورهم، وأن يخرجنا من بينهم سالمين غانمين، وأن يعافينا من فتنة المحيا والممات، وفتنة المسيخ الدجال الخارج من سرداب الشيعة آخر المطاف، إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الثامن

مقارنات ومناظرات

أولا: مقارنة مهمة.

يجرى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، مقارنة هامة بين معتقدات اليهود والنصارى من ناحية، وبين الشيعة من الناحية الأخرى نوجزها فيما يلي:

١. قالت اليهود: لا يصلح الملك إلا في آل داود عليه السلام.

٢. وقالت الشيعة: لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي عليه السلام.

٣. واليهود حرفوا التوراة، والنصارى حرفوا الإنجيل، والشيعة زعموا تحريف القرآن.

٤. اليهود يُنْقِصُون من قدر جبريل عليه السلام، بل ويقولون هو عدونا من الملائكة، والشيعة تزعم أنه أخطأ وأبلغ الرسالة لمحمد ﷺ بينما المقصود علي رضي الله عنه.

٥. قالت النصارى لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج الدجال، وينزل الابن من السماء، وقالت الشيعة: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي، وينادي منادٍ من السماء اتبعوه.

٦. النصارى يزعمون أن الحواريين الذين اتبعوا المسيح أفضل من إبراهيم، وموسى، وغيرهما من الأنبياء والمرسلين، فهم بزعمهم تلقوا مشافهة من المسيح الذي هو الله عندهم، بينما الأنبياء لم يتلقوا من الله مشافهة. والشيعة تجعل الأئمة الاثنا عشر أفضل من الأنبياء؛ لأنهم يعتقدون فيهم الألوهية.

٧. يقول اليهود والنصارى: إن الدين مُسَلَّمٌ للأحبار والرهبان، فالحلال ما حللوه، والحرام ما حرموه، والدين ما شرعوه. ودين الشيعة مُسَلَّمٌ للأئمة، فالحلال ما أحلوه، والحرام ما حرموه، والدين ما شرعوه.

ونستطيع من دراستنا هذه أن نضيف إلى ملاحظات شيخ الإسلام ما يلي:

١. تنادي النصارى بقِدَم نور عيسى، وأنه نور انبثق من نور، والشيعة تقول بقِدَم نور النبي ﷺ، وعلي رضي الله عنه والأئمة، وأنهم نور من نور.

Upload by : altawhedmag.com

٢. تقول النصارى: إن يوم الدينونة سيكون أمام المسيح، فمن آمن به دخل الجنة، ومن كفر به استحق النار، والشيعة تقول: إن عليا سيحاسب الناس، ولن يدخل الجنة إلا شيعته، ومن لم يؤمن بالإمامة دخل النار.

٣. تقول النصارى: إن روح القدس حل بالحواريين فأصبحوا رسلا تلقوا الوحي بعد رفع المسيح، وكتبوا بتأييده الإنجيل، والشيعة تقول: إن عليا كتب من الوحي المنزل على فاطمة مصحفا.

ونختم هذه المقارنة بقول ابن تيمية: "فُضِّلت اليهود والنصارى على الشيعة بخصلتين:

- الأولى: سئلت اليهود من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى.
- وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب عيسى.
- وسئلت الشيعة من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد.
- الثانية: أن اليهود والنصارى يترحمون على سلفهم، والشيعة أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم"[1].

ثانيا: مناظرة بين سني وشيعي.

"يقول الشيعي: إن لله في عباده أسرارا وأحكاما والعقل لا يستقيم بدركها، فلا يعرف ذلك إلا من قبل إمام معصوم.

يسأل السني: أمات الإمام المبلغ عن الله بعد التبليغ أم هو مخلد؟

يجيب الشيعي: مات وليس هذا حقيقة مذهبه ولكنه أخذ بالتقية.

يقول السني: هل خلفه أحد؟

يقول الشيعي: خلفه وصية على بن أبى طالب.

السني يسأل: هل قضى بالحق وأنفذه؟

الشيعي يجيب: لم يتمكن لغلبة المعاندين له.

يقول السني: فهل أنفذه حين قدر؟

قال الشيعي: منعته التقية ولم تفارقه إلى الموت، إلا أن قدرته كانت تقوى تارة وتضعف أخرى، فلم يكن إلا المدارة لئلا تنفتح عليه أبواب الاختلال.

---

١ منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية ١: ١٣٢ بتصرف.

Upload by : altawhedmag.com

يقول السني: وهذه المدارة حق أم لا؟

قال الشيعي: باطل أباحته الضرورة.

السني يقول: فأين العصمة؟

قال الشيعي: إنما نعنى العصمة مع القدرة.

يقول له السني: هل وجد الأئمة الواحد تلو الآخر القدرة أم لا؟

يقرر الشيعي: لا.

يقول السني: فالدين مهمل، والحق مجهول مخمل.

يتدارك الشيعي قائلا: سيظهر.

ويتساءل السني: بمن؟

يقول الشيعي: بالإمام المنتظر.

ويحسم السني المناظرة بقوله: لعله الدجال!

وكيف يوصي من لا قدرة له؟ وأين عصمة الإمام حين يوصي من بعده من لا قدرة له، وبالتالي يضيع. وكيف يعين الله ﷻ إماما عاجزا عن أن يقول ما يعلم، فكأنه ما علمه وما بعثه وهذا عجز وفجور"[1].

ثالثا: مناظرة مشهورة.

التقى الشيخ أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي - وهو من علماء السنة – هو ورئيس الشيعة الإمامية فاشتكى إليه الشيعي فساد الخلق، وأن هذا الأمر لا يصلح إلا بخروج الإمام المنتظر.

فقال أبو الفتح: هل لخروجه ميقات أم لا؟

قال الشيعي: نعم.

قال أبو الفتح: معلوم هو أم مجهول؟

قال الشيعي: معلوم.

قال أبو الفتح: ومتى يكون؟

١ الاعتصام للشاطبي ١٥٢

Upload by : altawhedmag.com

قال الشيعي: إذا فسد الخلق.

قال أبو الفتح: فهل تحبسونه عن الخروج إلى الخلق، وقد فسدوا جميعهم إلا أنتم؟ فلو فسدتم لخرج، فأسرِعوا به وأطلِقوه من سجنه وعجِّلوا بالرجوع إلى مذهبنا. فبُهت الشيعي.

رابعا: شهادة حق لعالم من علماء الشيعة.

يشهد السيد/ حسين الموسوي [وهو أحد علماء النجف] شهادة سطرها في كتابه الرائع: "لله، ثم للتاريخ، كشف الأسرار وتَبْرِئَةُ الأئمةِ الأَطهار"، والتي أوجزها في خاتمة الكتاب، والتي ننقلها حرفيا، حيث يقول: "بعد هذه الرحلة المرهقة في بيان الحقائق المؤلمة، ما الذي يجب عليَّ فعْلُه؟، هل أبقى في مكاني ومنصبي وأجمع الأموال الضخمة من البسطاء والسُّذَّج باسم الخُمس والتبرعات للمَشاهد، وأركب السيارات الفاخرة [!!]، وأتمتع بالجميلات؟ أم أترك عَرَضَ الدنيا الزائل، وأبتعد عن هذه المحرمات، وأصدع بالحق - لأن الساكت عن الحق شيطانٌ أخرس؟

لقد عرفت أن عبد الله بن سبأ اليهودي هو الذي أَسَّسَ التشيع، وفَرَّقَ المسلمين، وجعل العداوة والبغضاء بينهم بعد أن كان الحب والإيمان يجمع بينهم، ويؤلف قلوبهم وعرفت أيضًا ما صنعه أجدادنا - أهل الكوفة - بأهل البيت، وما رَوَتْهُ كتبنا في نبذ الأئمة، والطعن بهم، وضَجَر أهل البيت من شيعتهم كما سبق القول، ويكفي قول أمير المؤمنين عليه السلام في بيان حقيقتهم: "لو ميزتُ شيعتي لما وجدتُهم إلا واصلة، ولو امتحنتُهم لما وجدتُهم إلا مرتدين، ولو تمحصتهم لما خلص من الألف واحد "[1].

وعرفت أنهم يُكَذِّبون الله تعالى، فإن الله تعالى بيَّن أن القرآن الكريم لم تعبث به الأيادي، ولن تقدر لأن الله عز وجل تَكَفَّلَ بحفظه، وأما فقهاؤنا، فيقولون: إن القرآن مُحَرَّفٌ، فيردون بذلك قول الله تعالى، فمن أُصَدِّقُ؟ أَأُصَدِّقُهُم؟ أم أُصَدِّقُ الله تعالى؟ وعرفتُ أن المتعة مُحَرَّمةٌ، ولكن فقهاءَنا أباحوها، وجَرتْ إباحتها إلى إباحة غيرها، كان آخرها اللواطة بالمردان من الشباب!!

وعرفت أن الخمس لا يجب على الشيعة دفعه ولا إعطاؤه للفقهاء والمجتهدين بل هو حِل لهم حتى يقوم القائم، ولكن فقهاءَنا هم الذين أوجبوا على الناس دفعه بإخراجه، وذلك

١ الكافي ٨/ ٣٣٨

Upload by : altawhedmag.com

لمآربهم [أي الفقهاء] الشخصية ومنافعهم الذاتية. وعرفت أن التشيع قد عبثت به أيادٍ خفية هي التي صنعت فيه ما صنعت كما أوضحنا في الفصول السابقة، فما الذي يُبْقِيني في التشيع بعد ذلك؟ ولهذا ورد عن محمد بن سليمان، عن أبيه، قال: قلتُ لأبى عبد الله عليه السلام: "جُعلْتُ فداكَ، فإنا قد نبزنا نبزًا أثقل ظهورنا، وماتت له أفئدتنا، واستَحَلَّتْ له الوُلاة دِماءَنا في حديث رواه لهم فقهاؤُهم. قال أبو عبد الله عليه السلام: الرافضة؟ فقلت: نعم. قال: لا والله ما هم سموكم به، ولكن الله سماكم به"[1].

خامسا: الرد على فكرة الإمامة في آل البيت.

عندما زرع عبد الله بن سبأ فكرة الوصاية على الدين، وحصر الإمامة في نسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فتح باب فتنة لم يغلق حتى اليوم، ولن يغلق حتى قيام الساعة، ولو كانت فكرة الوصاية أصل في الدين، لكانت معالجتها في الإسلام بشكل أكثر وضوحا وبيانا، وإذا تأملنا القرآن الكريم وتتبعنا سيرة سيد الأنبياء والمرسلين، فإننا سنصل إلى نتائج غاية في الأهمية:-

١. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب-٤٠]، شاءت إرادة الله تبارك وتعالى أن يموت أبناء النبي الذكور في حياته، ولو كانت فكرة الإمامة مطلب إلهي، فلماذا يكون اللجوء إلى أبناء البنت، طالما الأبناء موجودون؟ أما كان أبناء النبي ﷺ الذكور أولى الناس بهذا التعيين الإلهي، تحقيقا لفكرة الوصاية على الدين، وبالتالي تنتفي فكرة الوصاية؛ لأن مراد الله تعالى ومشيئته أن لا يعمر أبناء النبي ﷺ بعد وفاته.

٢. لقد خُيِّر رسول الله ﷺ بين أن يكون ملكا نبيا، أو عبدا رسولا، فاختار أن يكون عبدا رسولا، وهو بذلك يقدم الآخرة على الدنيا، ولو اختار أن يكون ملكا نبيا، لأصبح لورثته الحق في طلب الملك، أما طلب السلطان من ورثته، فيعد مخالفا لاختياره ﷺ.

٣. تعبر أوصاف النبي ﷺ في القرآن الكريم عن دوره في هداية الأمة إلى طريق الإسلام وهديه، ورسالته البلاغ، وليس عليه إدراك النجاح، فإذا كفر الناس جميعا فقد أدى

١ روضة الكافي ٥/ ٣٤

Upload by : altawhedmag.com

رسالته، وإذا آمن الناس جميعا فقد أدى رسالته؛ ولذلك يخاطبه ربه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾، ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾، ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾... فهو لا يخوف الناس بسلطان السيف، وإنما يأخذ بالقلوب والألباب بسلطان المحبة، أما الحاكم أو الخليفة فله دور آخر، وله سطوة ورهبة في قلوب رعيته، وسيفه مسلط على أعداء دولته، ولذلك كره الرسول ﷺ ما فعله خالد بن الوليد حينما قتل الرجل بعدما نطق بالشهادتين، وقال له هلا شققت عن صدره، فسلطان النبوة يختلف اختلاف كلي وجزئي عن سلطان الملك والخلافة.

٤. لو صحت مزاعم الشيعة أن النبي ﷺ قد أوصى لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، فهناك دليل دامغ على بطلان هذا الزعم، ولن نقول تكليفه لأبي بكر رضي الله عنه بإمامة المسلمين في مرضه الأخير، وإنما في اختياره للموضع الذي يموت فيه، فالنبي ﷺ لا يموت إلا بعد أن يخير، ولما نزلت سورة النصر أيقن النبي ﷺ بقرب الأجل، ولما دارس جبريل معه القرآن الكريم مرتين في شهر رمضان، أدرك قرب وفاته، قبل حدوثها بعد أربعة أشهر تقريبا، فلِم لم يختر - وعلى الملأ - أن يمرض في بيت فاطمة الزهراء ابنته وقرت عينه، ولو فعل ذلك لتولى بنو هاشم زمام الأمور كلها، ولزواره أصحابه في بيت فاطمة، ولسمعوا وصيته لعلي بن أبي طالب بين بني هاشم، ولاجتمع عندئذ بنو هاشم على قلب واحد خلف علي، ولما تمكن الشيخان من اغتصاب الخلافة من الوصي.

٥. بعد أن تجمعت الصورة كاملة في نهاية هذا الكتاب أستطيع أن أتوقع ماذا كان يريد النبي ﷺ أن يكتبه الصحابة عنه وهو في فراش الموت، حين طلب إداوة وقرطاسا يكتب فيه للمسلمين كتابا لن يضلوا بعده، إلا أن عمر بن الخطاب رفض ذلك، وبالطبع عمر بن الخطاب لم يغير المشيئة الإلهية، فمشيئة الله تعالى هي ما يكون في ملكه، ومشيئته سبحانه أن الأمور ستسير فيما سارت إليه، وبالتالي لن يحقق الكتاب المرجو منه، ومن ثم لم يكتب، فما هو المعنى الذي يريد النبي ﷺ توصية الأمة به، أقول وبالله تعالى التوفيق، والله أعلم، أن النبي ﷺ أطلعه الحق تبارك وتعالى على أحداث الفتنة بتفصيلاتها، فقد نعى له جبريل عليه السلام مقتل الحسين منذ مدة،

Upload by : altawhedmag.com

وأمر الله نافذ، ولكن كيف ينصح أمته ليجنبها سفك الدماء؟ ماذا لو ترك لهم كتابا يقول فيه: "لن تجتمع النبوة والخلافة في آل البيت، فليدعوا للناس أمر الخلافة، فليختاروا منهم الأصلح لإدارة شئون الدولة الإسلامية، وعلى الأنصار أيضا ترك الخلافة، وكل من يطلب الخلافة بنفسه لا ينالها، ولا يبايعه المسلمين عليها"، ومن المعلوم أن الجزء الأخير من هذه الرسالة ثابت في السنة، وأيضا ثابت متفق عليه أن الأمة لو اجتمعت على خليفة، وبويع إماما لها، فعلى المسلمين أن يقطعوا رأس من يطالب بها كائنا من كان، فكان من الضروري لو كان في مشيئة الله تعالى أن تتجنب الأمة الإسلامية هذه الفتنة، لتيسر للنبي ﷺ أن يكتب هذا الكتاب، أما ولم يتيسر، فمعنى هذا أن الأمة الإسلامية شأنها شأن كل الأمم السابقة، فهم بشر ممن خلق، ولا نقول نحن أبناء الله وأحباؤه، وإنما نحن نختبر كما اختبرت الأمم السابقة، ويؤكد هذا الفهم أن النبي ﷺ حذر أمته في حديث افتراق الأمة واتباعها لمن سبقها، خطوة وشبرا وذراعا حتى قاع جحر الضب، والله تعالى أعلم، ويضاف إلى مناقب عمر بن الخطاب هذا التصرف كيوم أسرى بدر، وهذه نقطة لم أعرف أحدا تعرض لها من قبل، ورغم أني تناولت تصرف عمر بن الخطاب هذا في كتابي عمر أمير المؤمنين: العدل الدولة الحضارة، إلا أني لم أكن قد توصلت لهذا الفهم بعد، وسأرجع إلى هذا الكتاب لأضيف عليه تلك المنقبة العظيمة للفاروق حيث وافق تصرفه مراد الله تعالى، بينما النبي ﷺ كان يتصرف من باب الشفقة والرحمة بالأمة لعل الله تعالى أن يعافيها من هذه الفتنة، وهذا يشرح لنا لماذا لم يصر النبي ﷺ على كتابة هذا الأمر، وهو ما سبق له أن فعله يوم أصر على الصلاة على عبد الله بن أبي سلول، فلقد اعترض عمر، وأصر النبي ﷺ وكان له ما أراد، بينما لم يصر هنا لإدراكه أن لله تبارك وتعالى الأمر من قبل ومن بعد.

٦. إذا ابتعدنا عن الغلو في شأن الأفراد، فإن فكرة تولي أبناء النبي ﷺ إمامة الأمة إلى يوم الدين، غير صائبة من الناحية العملية؛ لأن أخطاء أي إمام منهم سينسبها الناس - خاصة العوام منهم - إلى النبي ﷺ، فيقولون هذا ابن النبي ﷺ فعل كذا

Upload by : altawhedmag.com

وكذا، وهذه كارثة، فما بالك إذا هزم إمام في معركة؟ أو نال منه العدو في ميدان من الميادين؟ سيلحق الناس كل ذلك بالنبي ﷺ.

٧. إن إدارة الأمم اليوم تحتاج إلى دراسات متخصصة في مجالات شتى، فإذا ألحق ملك من الملوك ولي عهده بدراسات متقدمة في دول أخرى، لتلحق أمته بركب التقدم، فهل نبعث أحفاد النبي ﷺ إلى تلك المعاقل العلمية، أم نحجب عنهم تلك الخبرات، وكيف يديرون أممهم دون أن يحصلوا أسباب تسخير الدنيا؟

٨. عندما نجحت يد الغدر في قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، سارعت الشيعة إلى الحسن بن علي رضوان الله عليه، ولو كان تعيين الإمامة في الحسين ﷺ لتركوا الحسن ﷺ وتجاوزوه إلى الحسين ﷺ، ولما رأى الحسن ﷺ حال الأمة وانقسامها، وأدرك أن المزيد من دماء المسلمين ستهدر في خلاف حول السلطة، فقد بادر إلى التنازل عن الخلافة، لجمع شمل الأمة، والحفاظ على دماء أهل الإسلام التي من المفروض أن توجه إلى نشر الدعوة الإسلامية، وفتوح البلدان لإخراجها من عبادة الناس والأوثان إلى عبادة الواحد الديان، وعندما تصرف الحسن ﷺ بهذا التصرف، فقد حقق نبوءة النبي ﷺ حين قال: ﴿إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين﴾[1]. إن الله ﷻ ورسوله ﷺ يرضيان عن تصرف الحسن ﷺ، وقد أنبأه المولى تبارك وتعالى نبيه بهذه المنقبة للحسن، فأعلنها للناس ليعلم المراد من آل البيت وقت الفتن والمحن التي تقسم المسلمين، وتوهن جمعهم.

٩. فإذا انتقلنا إلى إمامة أبناء علي ﷺ، فنقول: إن تصرف الحسن بالتنازل عن الخلافة درءا للفتنة، يناقضه تصرف الحسين رضي الله عنهما لمواجهة من يغتصبون الخلافة، ولا شك أن مقام الحسن والحسين رضي الله عنهما أشرف وأعلى من كل الأئمة من بعدهم، واختلافهم في الرأي شيء طبيعي في البشر، فلماذا تشيعت الشيعة للحسين ﷺ، وسبوا الحسن ﷺ، وقالوا: مسود وجوه المؤمنين؟

١٠. وفي رواية عن زهير بن معاوية : ثنا أبو روق الهزاني، ثنا أبو الغريف، قال: كنا في

١ متفق عليه.

Upload by : altawhedmag.com

مقدمة الحسن اثني عشر ألفا تقطر سيوفنا من الجدة عليه، فقال الشاميون: فلما أتانا صلح الحسن لمعاوية كأنما كُسِرَتْ ظهورنا من الغيظ، قال: وقام سفيان من الليل إلى الحسن، فقال: السلام عليك يا مُذِلَّ المؤمنين، فقال: " لا تقل ذاك، إني كرهتُ أن أقتلكم في طلب المُلك"[١]، إذن فالمسألة ليست في اتباع الإمام، وإنما في التأثير على الإمام ليظل السيف مسلطا في الأمة.

١١. وليت الحسين ﷺ سمع نصيحة أخيه الحسن ﷺ، ففي رواية عن ابن عبد البر قال فيها: رُوِينَا من وجوه أنهُ لما احتضر[يقصد الحسن ﷺ]، قال : "يا أخي إياك أن تستشرف لهذا الأمر؛ فإن أباك استشرف لهذا الأمر فصرفه الله عنه، ووليها أبو بكر، ثم استشرف لها، فصُرِفَتْ عنه إلى عمر، ثم لم يَشُكَّ وقت الشورى أنها لا تعدوه، فَصُرِفَتْ عنه إلى عثمان، فلما مات عثمان بُويعَ، ثم نُوزِعَ حتى جرّد السيف، فما صَفَتْ له، وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة، فلا أَعْرِفَنَّ ما اسْتَخَفَّكَ سُفَهَاءُ الكوفة فأخرجوك"[٢].

١٢. إن أئمة الشيعة عموما تستبعد أبناء الحسن ﷺ من الإمامة، كأنه لم يعقب، ونظرهم لا يتحول عن أبناء الحسين ﷺ، وفي هذا غبن كبير لأبناء البكر، ويعبر في ذات الوقت على كراهية الشيعة لاجتماع شمل الأمة، ورغبتهم المستترة في إيقاد نيران الفتنة فيها.

١٣. عن كعب بن مالك، أن عبد الله بن عباس أخبره، "أن علي بن أبي طالب ﷺ خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا حسن كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئا، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب، فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإني والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى من وجعه هذا، إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فلنسأله فيمن هذا الأمر؟ إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في

١ تاريخ الإسلام الذهبي الجزء الرابع.

٢ تاريخ الإسلام الذهبي الجزء الرابع.

Upload by : altawhedmag.com

غيرنا علمناه، فأوصى بنا، فقال: علي إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ"[١]، يؤكد هذا الحديث على أن الرسول ﷺ لم يوصِ لعلي ولا لغيره من آل البيت قبل وفاته بثلاثة أيام، فمن أين جاءت الشيعة بهذه المفاهيم؟ لا شك أن الكذب على رسول الله ﷺ، والطعن في القرآن والصحابة هي أدواتهم لترسيخ هذه المفاهيم في قلوب أشياعهم.

١٤. أثبت التاريخ الإسلامي وغيره من تاريخ الأمم أن أغلب محاولات الخروج على الحاكم تحت أي مسمى لا تأتي بخير، كل ما هنالك سفك المزيد من الدماء، مع فشل المحاولة، وإذا تأملنا من طالب من آل البيت رضوان الله عليهم بأحقيته من قيادة الأمة، لم ينل سوى السجن أو القتل، فما هو الدور المأمول لآل البيت في حياة الأمة.

سادسا: الدور المرتقب لآل البيت في الأمة الإسلامية.

إن القارئ لسيرة النبي ﷺ لا يغيب عنه عبوديته ﷺ لربه ﷻ، وشفقته بأمته، وترفعه عن الدنيا وما فيها، فما طلب الملك ولا حرص عليه، ومن الثابت أن الله ﷻ قد مَنَّ عليه بمقاليد السموات والأرض، وتسخير جبال مكة ذهبا فأبى، وكان شغله الشاغل الدعوة إلى الواحد الأحد، وسبحان من سماه الرءوف الرحيم، فعندما أدمى سفهاء ثقيف قدمه الشريف ﷺ، وهرع إليه ملك الجبال يستأذنه أن يطبق عليهم الأخشبين، قال قولته الخالدة: ﴿بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا﴾، فالرحمة والدعوة هما أصل هذا الدين، وما كان القتل وسفك الدماء وشهوة الملك من سننه ﷺ.

لقد توارث المسلمون حب آل البيت رضوان الله عليهم أجمعين عن جدهم صلوات الله وسلامه عليه، فالحسن والحسين من النبي ﷺ، وفاطمة بَضْعَة منه ﷺ، وعلى ذلك فإن منزلتهم ومكانتهم في نفوس الناس يهون أمامها الغالي والنفيس، فهم فوق الشبهات، وهم أهل التقى والنقاء والحجى والإيمان، هم الصفوة والقدوة للأمة فإمامهم جدهم رسول الله ﷺ. فمن من المسلمين نتوقع منه أن يكون القدوة الحية الماثلة أمامهم؟

---

١ رواه البخاري وأحمد في مسنده.

Upload by : altawhedmag.com

رغم جهود علماء السلف عبر العقود والقرون الماضية في خدمة هذا الدين، وإسقاط الأحكام الشرعية على الظروف والملابسات العامة والخاصة، وما ينبغي تقديمه منها وما يجب تأخيره قليلا، وإن شئت قلت باب الاجتهاد في الدين، فإن لآل البيت دور عظيم في هذا الشأن، وحتى يتحقق النفع الكامل من الإئمة المجتهدين فلا بد لهم من العزوف عن الدنيا، وتركها لأهلها، حتى يكونوا في وسط الأمة، والكل متعلق بهم، راجع إلى مشورتهم، الحاكم قبل الرعية، فعندهم الحكمة والبصيرة، فإذا اتفق الحاكم مع العلماء والمجتهدين في الدين، فإن طاقة هائلة تصب في أفئدة الرعية، فيخوضوا البحار ويجوبوا الآفاق لنصرة هذا الحاكم، ورفعة هذا الدين، وإذا اختلفا فعند المجتهدين من وسائل النصح والقول اللين والحكمة ما يجعلهم يوصلون ما لديهم للحاكم، وفي النهاية فعلينا جميعا أن نرجع إلى الشورى فهي الآمرة في المجتمع الإسلامي، ولا أتجاوز الحقيقة حين أقول: إن آل البيت هم أصحاب ذاك المقام، والذين إذا تبوءوه استقامت أمور الدعوة، فعندهم الوسطية الحكيمة التي تضيء طريق الصواب في ظلمات الفتن.

لا شك أن أغلب آل البيت وهم عشرات ومئات عبر القرون الأولى للإسلام قد اقتدوا بالحسن رضي الله عنه، ولم يسيروا في درب الحسين رضي الله عنه، ذلك لأنهم آمنوا بالحقيقة التي توصل إليها الحسن وهو على فراش الموت حين قال ناصحا للحسين: " وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة" ، ولو أن من سار في درب الحسين لم يستجب لنزعة الشيعة لانتهت الخلافات وتوحدت الأمة، ووأدت الفتن في مهدها، فإذا علم الحكام والرعية اعتزال آل البيت للنزاع حول السلطة، وبرز دورهم بأنهم أتقى الأمة وأحرص أبنائها على وحدتها، لو اطمأن أهل الدنيا إلى تحصيل ما يريدونه منها، وزهد آل البيت فيما يتكالب عليه الآخرون، ستجد الحكام يقربونهم ويستشيرونهم، ويعلون قدرهم في الدولة، عندئذ يبرز الدور المرتقب لهم، فهم دائما يركبون الصعب لحل مشاكل الرعية، ويتمثل هذا الدور في القيام بالمصالحة الوطنية بين الراعي والرعية، وبين الراعي وبين خصومه، أو لِنَقُل القيام بدور التحكيم بين الخصوم في الأمة، وأيضا للإصلاح عند تنازع طائفتين من المؤمنين، وإذا نادى منادٍ للجهاد، استبقوا إلى الصفوف الأولى، فإذا رأى الجند أحفاد النبي ﷺ تعلوا

Upload by : altawhedmag.com

هاماتهم فوق الرماح والسيوف، فإن طاقات ملهمة، وعزيمة قوية ستنفخ في صدورهم، ولَبَثَّ الله في قلوب أعداء الإسلام الرعب كلما التقوا سرية من سرايا جيش الإسلام.

ونحن لا نتنازع أحدا في أفضلية آل البيت، ولا نُخطئ الحسين ﷺ، فهو مع أخيه الحسن ﷺ سيدا شباب أهل الجنة ما خلا عيسى ويحيى عليهم السلام، ولكن مسلك الحسين ﷺ ناقض فعل الحسن ﷺ، والنبي ﷺ أثنى على فعل الحسن ﷺ لإصلاحه بين فئتين عظيمتين من المسلمين، ولسنا نجتهد كثيرا عندما نقول: إن الحسين ﷺ مجتهد له أجر، ولا شك أن الحسن ﷺ مجتهد وله أجران، ولكننا نقول: ألم يتوقف الأنصار عن المطالبة بأي حق لهم في ملك الإسلام؟، ألم يرضوا أن يرجع الناس بالشاة والبعير ويرجعون برسول الله ﷺ؟، إن تصرف الأنصار منذ سقيفة بني ساعدة حتى اليوم، قد حفظ آلاف الأرواح أن تسفك دمائها دون طائل أو عائد على أمة الإسلام، أما كان من الأولى أن يتفطن الشيعة إلى تصرف الحسن بن علي رضوان الله عليهما، لقد سبب تصرف الشيعة مع أئمة آل البيت، وحثهم على المطالبة بما هم أهل له، في الزج بالأمة في أتون الفتنة وسفك الدماء.

لو جعلت الشيعة جمع شمل الأمة ركنا من أركان الإسلام بدلا من الإمامة لتغير وجه التاريخ. ولولا دسائس الشيعة

كنا نريد من آل البيت القيام بدور أَهَّلَهم له رب العالمين بنسبتهم للنبي ﷺ، وأرادت الشيعة أن تتخذهم ملوكا وأمراء وولاة المسلمين، ولم يتأملوا ما طرحناه من آفاق، لقد حرمتنا الشيعة وحرمت الأمة عبر تاريخها من واحد من أبرز أدوار آل البيت التي كانوا مؤهلين لها.

Upload by : altawhedmag.com

الفصل التاسع

الزنا واللواط قربان وطاعة

لم يكن في نيتنا الإشارة إلى موضوع زواج المتعة عند الشيعة على اعتبار التركيز على العقائد الشيعية عامة والمتعلقة ببغضهم وحقدهم على أهل السنة ثانيا، كما أن الحديث عن قضية المهدي القائم المنتظر تحتاج وحدها إلى بحث مستقل، ورغم أنني قمت بجمع مجموعة من النصوص المنقولة عن الأئمة في زواج المتعة، إلا أن اطلاعي على كتاب السيد/ حسين الموسوي وهو أحد علماء النجف الذي سماه: "لله، ثم للتاريخ، كشف الأسرار وتَبْرِئَةُ الأئمةِ الأَطهار"، أقنعني بضرورة إضافة هذا الفصل إلى الكتاب، وسبب الإقناع هو العرض الذي قدمه السيد/ حسين الموسوي للآثار الاجتماعية لجواز المتعة، ولسرده لوقائع شاهدها بنفسه، وليس أصدق ولا أبلغ ممن شاهد الأمر على حقيقته، والحق أقول أنني رغم معرفتي بالموضوع إلا أنني صدمت بما ساقه في كتابه، خاصة من كبار علماء الشيعة المعاصرين.

من المعلوم أن المتعة بالنساء كانت معروفة في الجاهلية، وأن الإسلام حين علم أتباعه خطورة الزنا وأنها من الكبائر، فبطلت المتعة ولم يمارسها أحد، حتى أن النبي ﷺ، يدعو من لا يستطيع الزواج إلى الصوم، ولو كانت المتعة مباحة، لما دعاهم إلى الصوم، وقد اتبع الإسلام في قضية تحريم المتعة نظام التدرج المتبع في كافة الأوامر والنواهي، لهذا فقد سمح بالمتعة أثناء الأسفار البعيدة، وبعد انتهاء الغزوة ترجع الأمور إلى عهدها المستقر على المنع، وحين ننظر إلى أحاديث تحريم المتعة في غزوة خيبر، ثم تحريمها في فتح مكة، ثم تحريمها في حجة الوداع، فهناك أقوال منها:

- يقول الشافعي: "لا أعلم في الإسلام شيئا أحل، ثم حرم، ثم أحل، ثم حرم غير المتعة".
- يقول الشيخ كمال الدين بن الهمام في فتح القدير عن الحازمي: "أن الرسول ﷺ لم يكن أباحها لهم وهم في بيوتهم وأوطانهم، وإنما أباحها لهم في أوقات بحسب الضرورات، حتى حرمها عليهم في حجة الوداع، وكان تحريم تأبيد، ولا خلاف فيه بين أئمة المسلمين، وعلماء الأمصار، إلا طائفة من الشيعة".

Upload by : altawhedmag.com

- يقول القاضي عياض: "روى أحاديث المتعة جماعة من الصحابة، وليس في هذه الأحاديث كلها أنها كانت في الحضر، وإنما كانت في أسفارهم في الغزو، عند ضرورتهم، وعدم النساء، مع أن بلادهم كانت حارة، وصبرهم عنهن قليل، وقد ذكر في حديث ابن عمر أنها كانت رخصة أول الإسلام لمن اضطر إليها كالميتة ونحوها".
- عن عمر بن الخطاب موقوفا، وعن أبي هريرة مرفوعا للنبي ﷺ، أنه قال: "هدم المتعة النكاح الطلاق والعدة والميراث"[1]، وهذا الحديث ينهي مرحلة التدرج في التشريع، ويحرمها تحريما باتا، والسبب في هذا المنع هو اكتمال مصفوفة الأحكام المنظمة للزواج وبيان أركان عقد الزواج والطلاق والميراث، فما بقي ثمة سبب واحد يدعو إلى التمتع.
- روي عن علي بن أبي طالب ﷺ، أن النبي ﷺ نهى عن متعة النساء، وعن أكل لحوم الحمر الإنسية"[2]. ومن المعلوم أن هذا التحريم كان في غزوة خيبر.
- عن سبرة الجهني، قال: غدوت على رسول الله ﷺ، فإذا هو قائم بين الركن والمقام، مسندا ظهره إلى الكعبة يقول: ﴿يا أيها الناس إني كنت أذنت بالاستمتاع من هذه النساء، ألا وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده من ذلك شيء فليخل سبيلها، لا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا﴾، وهذه الخطبة كانت في فتح مكة بعد أن استمتع بعض المسلمين لمدة ثلاثة أيام فقط، ثم جاء التحريم البات للمتعة إلى يوم الدين.
- نظرا لكراهية الشيعة لعمر بن الخطاب ﷺ، فقد نسبوا له تحريم المتعة رغم أن النبي ﷺ أحلها، والثابت أن تحريمها كان بوحي من الله تعالى وعلى لسان نبيه ﷺ، وما دور عمر في المتعة إلا إبلاغ من سمع ومن لم يسمع تحريم النبي صلى الله عليه وسلم،

١ أخرجه الدارقطني وحسنه الحافظ ابن حجر.

٢ متفق عليه.

Upload by : altawhedmag.com

ويشكر سعيد بن المسيب لعمر صنيعه هذا، فيقول: "رحم الله عمر، لولا أنه نهى عن المتعة، صار الزنا جهارا"[١].

- يبقى سؤال هام: ما حكم الشيعي الذي يتمتع الآن رغم ثبوت النسخ والتحريم؟

وللإجابة على هذا السؤال نسوق الأدلة التالية:

١. سمع ابن أبي ذئب عبد الله بن الزبير يخطب وهو يقول: "إن الذئب يكنى أبا جعدة، ألا وإن المتعة هي الزنا"[٢].

٢. جعفر الصادق ﷺ الذي نقله البيهقي في سننه الكبرى، حيث أجاب على سؤال عن المتعة، فقال: "هي الزنا بعينه"؛ لذلك لم نعنون هذا الفصل بلفظ المتعة، وإنما جعلناه بحقيقة المتعة، وهي الزنا كما أنبأ بذلك جعفر الصادق الإمام السادس عندهم.

وقبل أن نتناول المتعة ودورها في حياة الشيعة، يطيب لنا أن نسألهم: هل يعد تنازل المرأة عن كسبها من المتعة حلالا، وهل لو دفعت هي الأجر كانت العلاقة متعة أيضا؟ وهل يظل استمتاع الرجل بها، واستمتاعها به مباحا؟ ثم ما هو تعريف الزنا؟ وما هو الفارق بينه وبين المتعة؟

أولا: تعريف المتعة عند الشيعة.

تنقل الشيعة عن جعفر الصادق أنه سئل: "كيف أقول لها إذا خلوت بها؟ قال: تقول: أتزوجك متعة على كتاب الله وسنة نبيه، لا وارثة ولا موروثة، كذا وكذا يوما، وإن شئت كذا وكذا سنة، بكذا وكذا درهما، وتسمي من الأجر ما تراضيتما عليه قليلا كان أم كثيرا"[٣].

إن هذه الصيغة التي تدور بين رجل وامرأة بلا ولي، ولا شهادة شهود، ولا إعلان، ولا وليمة، يعتبرها الشيعة زواجا شرعيا، ويزيد الأمر غرابة أن الزوجين يتفقان على تعطيل أحكام المواريث بينهما، بالله عليك ما الفرق بين هذا الحوار وبين ما يدور بين الفاجر والزانية من اتفاق حول الأجر؟

---

١ مصنف ابن أبي شيبة.

٢ مصنف ابن أبي شيبة، وأخبار مكة للفاكهي.

٣ الفروع من الكافي للكليني ٥: ٤٦٥

Upload by : altawhedmag.com

ويبرر أبو عبد الله الإمام السادس عندهم إلغاء الشهود من عقد متعتهم حين سئل عن رجل تمتع امرأة بغير شهود، قال: أو ليس عامة ما تتزوج فتياتنا، ونحن نغترف الطعام على الخوان، ونقول: يا فلان زوج فلان فلانه؟ قال: نعم".

ثانيا: ثواب المتعة عند الشيعة.

يحث الشيطان أتباعة على ارتكاب المعاصي والموبقات، وليس له سلطان على عباد الله تعالى، فالمخلصون لا يستطيع الوسوسة لهم، أما العصاة والمذنبين والمبتعدين عن ربهم ومولاهم فلا يضرب الشيطان أحدا على يديه، وكل ما يستطيعه فقط هو أن يزين لهم المعصية، فينساق الحمقى خلفه حتى يوردهم موارد الهلاك.

وعلى نفس الدرب سار علماء الشيعة حين نشروا بين الناس أحاديث باطلة ينسبونها إلى النبي ﷺ، وإلى أئمتهم، وسيدهش القارئ الكريم من جرأة أكابرهم، ومن حمق أتباعهم، فالروايات أكثر من أن تحصر، ولكننا ننقل منها ما يفي بالغرض، فنقول:

قال النبي صلى الله عليه وآله: "مَنْ تَمَتَّعَ بامرأة مؤمنة كأنما زارَ الكعبةَ سبعين مرة".

قال النبي ﷺ وآله[في رواياتهم]: "من خرج من الدنيا ولم يتمتع، جاء يوم القيامة وهو أجدع"[1].

١. قال النبي صلى الله عليه وآله: "من تمتع مرة واحدة عتق ثلثه من النار، ومن تمتع مرتين عتق ثلثاه من النار، ومن تمتع ثلاث مرات عتق كله من النار"[2].

٢. عن النبي ﷺ وآله، أنه قال: "مَن تمتع مرة كانت كدرجة الحسين عليه السلام، ومن تمتع مرتين فدرجته كدرجة الحسن عليه السلام، ومَن تمتع ثلاث مرات كانت درجته كدرجة إلي بن أبي طالب عليه السلام، ومَن تمتع أربع فدرجته كدرجتي".

٣. أرأيتم قدرة الشيعة على تزيين الزنا، لا شك أن إبليس يقف مذهولا من قدرة تلاميذه التي فاقت قدرة أستاذه، أيزني الرجل أو المرأة أربع مرات فيكون مقامها عند الله تعالى في نفس مرتبة النبي ﷺ، لو كان الأمر كذلك، فلا شك أن رواد النار سيكون في غربة ووحشة من قلة الرفاق.

---

١ فتح الله الكاشاني في تفسير منهج الصادقين ٢: ٤٨٩

٢ علي عبد العال في كتابه عن المتعة

Upload by : altawhedmag.com

٤. عن محمد الباقر أنه قال: لما أسري بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: "لحقني جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد، إن الله تبارك وتعالى يقول: إني غفرت للمتمتعين من أمتك من النساء"[١].

٥. قال النبي صلى الله عليه وآله: "مَن تمتع مرة أَمِنَ سخطَ الجبار، ومَن تمتع مرتين حُشِرَ مع الأبرار، ومَن تمتع ثلاث مرات زاحمني في الجنان"[٢].

٦. روى الصدوق عن الصادق عليه السلام، قال: "إنَّ المتعةَ ديني، ودينُ آبائي فَمن عَمِل بها عَمِلَ بديننا، ومَن أنكرها أنكر ديننا، واعتقد بغيرِ ديننا"[٣].

٧. قيل لأبي عبد الله عليه السلام: هل للتمتع ثواب؟ قال: "إن كان يريد بذلك وجهَ الله لم يُكَلِّمْها كلمةً إلا كتب الله له بها حسنة، فإذا دنا منها غفر الله له بذلك ذنبًا، فإذا اغتسل غفر الله له بقدر ما مر من الماء على شعره"[٤].

يقول السيد حسين الموسوي في كتابه "لله ثم للتاريخ": ورغبة في نيل هذا الثواب فإن علماء الحوزة في النجف وجميع الحسينيات ومشاهد الأئمة يتمتعون بكثرة، وأَخُصُّ بالذكر منهم السيد الصدر، والبروجردي، والشيرازي، والقزويني، والطباطبائي، والسيد المدني إضافة إلى الشاب الصاعد أبي الحارث الياسري، وغيرهم، فإنهم يتمتعون بكثرة وكل يوم رغبة في نيل هذا الثواب، ومزاحمة النبي صلوات الله عليه في الجنان.

ثالثا: التمتع بالمرأة المتزوجة.

١. تروي الشيعة عن جعفر الصادق أنه قال: لا بأس بالرجل أن يتمتع بالمجوسية، واليهودية والنصرانية، ولا بأس بالفاجرة وحتى الزانية"[٥]

٢. ولا بأس أن يتمتع الشيعي بالمرأة المتزوجة، وقصة الرجل الذي سار خلف من تمتع بها ليعرف مسكنها وعرف أنها متزوجة، وسأل إمامه عما فعل؟ فقال: ﴿يَا

---

١ من لا يحضره الفقيه لابن بابويه القمي ٣: ٤٦٣

٢ من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٦٦

٣ مَن لا يحضره الفقيه ٣: ٣٦٦

٤ من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٦٦

٥ الفروع من الكافي وتهذيب الأحكام والاستبصار.

Upload by : altawhedmag.com

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾، فدله إمامه أن متعته حلال، والخلل أنه تتبع المرأة. ونفس القصة رواها الطوسي وكان الرد: "ولم فتشت، ليس هذا عليك، إنما عليك أن تصدقها في نفسها".

رابعا: التمتع بصبية أو الطفلة.

١. لا يُشْتَرَطُ أن تكون المتمتع بها بالغة راشدة بل قالوا: يمكن التمتع بمن في العاشرة من العمر، ولهذا روى الكليني في الفروع[١]، والطوسي في التهذيب[٢]، أنه قيل لأبي عبد الله عليه السلام: "الجارية الصغيرة، هل يَتَمَتَّعُ بها الرجلُ؟ فقال: نعم، إلا أن تكون صبية تخدع. قيل: وما الحد الذي إذا بَلَغَتْهُ لم تُخْدَع؟ قال: عشر سنين". وقد ذهب بعضهم إلى جواز التمتع بمن هي دون هذا السن.

٢. الخميني فارس الشيعة يتمتع بصبية:

يروي السيد/ حسين الموسوي قصة مروعة فارسها الخوميني، وذلك أثناء ملازمته له لسنوات عديدة.

- عندما كان الإمام الخميني مقيمًا في العراق كنا نتردد إليه، ونطلب منه العلم حتى صارت علاقتنا معه وثيقة جدًا، وقد اتفق مرة أن وُجِّهَتْ إليه دعوة من مدينة، وهي مدينة تقع غرب الموصل على مسيرة ساعة ونصف تقريبًا بالسيارة، فطلبني للسفر معه، فسافرت معه، فاستقبلونا وأكرمونا غاية الكرم مدة بقائنا عند إحدى العوائل الشيعية المقيمة هناك، وقد قطعوا عهدًا بنشر التشيع في تلك الأرجاء، وما زالوا يحتفظون بصورة تذكارية لنا تم تصويرها في دارهم.
- في طريق عودتنا ومرورنا في بغداد أراد الإمام أن نرتاح من عناء السفر، فأمر بالتوجه إلى منطقة العطيفية، حيث يسكن هناك رجل إيراني الأصل يقال له سيد صاحب، كانت بينه وبين الإمام معرفة قوية، فرح سيد صاحب بمجيئنا، وكان وصولنا إليه عند الظهر، فصنع لنا غداء فاخرًا، واتصل ببعض أقاربه فحضروا،

---

١ ٥: ٤٦٣

٢ ٥: ٢٥٥

Upload by : altawhedmag.com

وازدحم منزله احتفاء بنا، وطلب سيد صاحب إلينا المبيت عنده تلك الليلة، فوافق الإمام، ثم لما كان العَشاء أتونا بالعَشاء، وكان الحاضرون يُقَبِّلُونَ يد الإمام، ويسألونه، ويجيب عن أسئلتهم، ولما حان وقت النوم وكان الحاضرون قد انصرفوا إلا أهل الدار.

- أبصر الإمام الخميني صبية بعمر أربع سنوات أو خمس ولكنها جميلة جدًا، فطلب الإمام من أبيها سيد صاحب إحضارها للتمتع بها، فوافق أبوها بفرح بالغ، فبات الإمام الخميني والصبيةُ في حضنِه، ونحن نسمع بكاءَها وصريخَها!!
- المهم أنه أمضى تلك الليلة، فلما أصبح الصباح، وجلسنا لتناول الإفطار، نظر إليَّ فوجد علامات الإنكار واضحة في وجهي، إذ كيف يَتَمَتَّعُ بهذه الطفلة الصغيرة وفي الدار شابات بالغات راشدات كان بإمكانه التمتع بإحداهن، فلمَ يفعل!
- فقال لي الخوميني: سيد حسين ما تقول في التمتع بالطفلة؟
- قلت له: سيد القول قولك، والصواب فعلُك وأنت إمام مجتهد، ولا يمكن لمثلي أن يرى أو يقول إلا ما تراه أنت أو تقوله، ومعلوم أني لا يمكنني الاعتراض وقتذاك.
- فقال الخميني: سيد حسين، إن التمتع بها جائز، ولكن بالمداعبة، والتقبيل والتفخيذ. أما الجماع فإنها لا تقوى عليه. وكان الإمام الخميني يرى جواز التمتع حتى بالرضيعة، فقال: "لا بأس بالتمتع بالرضيعة ضَمًّا وتفخيذًا - أي يضع ذَكَرَهُ بين فخذيها - وتقبيلا"[1].

خامسا: المفاسد المترتبة على المتعة.

يقول السيد/ حسين الموسوي: إن المفاسد المترتبة على المتعة كثيرة يوجزها في النقاط التالية:-

١. فهي مخالفة للنصوص الشرعية لأنها تحليل لما حَرَّمَ الله.
٢. لقد ترتب على هذا اختلاق الروايات الكاذبة، ونسبتها إلى الأئمة عليهم السلام

١ انظر كتابه تحرير الوسيلة ٢: ٢٤١ مسألة رقم ١٢

Upload by : altawhedmag.com

مع ما في تلك الروايات من مطاعن قاسية لا يرضاها لهم مَن كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

٣. من مفاسدها إباحة التمتع بالمرأة المحصَنَة - أي المتزوجة - رغم أنها في عِصمة رجل دون علمِ زوجها، وفي هذه الحالة لا يأمن الأزواج على زوجاتهم، فقد تتزوج المرأة مُتْعَة دون علم زوجها الشرعي، ودون رِضاه، وهذه مَفْسَدَةٌ ما بعدها مفسدة[1]، وليت شعري ما رأي الرجل وما شعوره إذا اكتشف أن امرأته التي في عصمته متزوجة من رجل آخر غيره زواج متعة؟!

٤. والآباء أيضًا لا يأمنون على بناتهم الباكرات إذ قد يتزوجن متعة دون علم آبائهن، وقد يفاجأ الأب ان ابنته الباكر قد حملت... لِمَ؟ كيف؟ لا تدري... ممن؟ لا يدري أيضًا، فقد تزوجت من واحد فمن هو؟ لا يدري لأنه تركها وذهب.

٥. إن أغلب الذين يتمتعون، يُبيحون لأنفسهم التمتع ببنات الناس، ولكن إذا تقدم أحدٌ لخطبة بناتهم، أو قريباتهم فأراد أن يتزوجها متعة، لما وافق ولما رَضِيَ، لأنه يرى هذا الزواج أشبه بالزنا، وأن هذا عار عليه، وهو يشعر بهذا من خلال تمتعه ببنات الناس، فلا شك أنه يمتنع عن تزويج بناته للآخرين متعة، أي أنه يبيح لنفسه التمتع ببنات الناس، وفي المقابل يُحَرِّمُ على الناس أن يتمتعوا ببناته. إذا كانت المتعة مشروعة، أو أمرًا مباحًا، فَلِمَ هذا التحرج في إباحة تمتع الغرباء ببناته أو قريباته؟!!

٦. إن المتعة ليس فيها إشهاد، ولا إعلان، ولا رضى ولي أمر المخطوبة، ولا يقع شيء من ميراث المتَمَتِّع للمُتَمَتَّع بها، إنما هي مستأجَرة كما نُسِب ذلك القول إلى أبي عبد الله عليه السلام، فكيف يمكن إباحتها وإشاعتها بين الناس؟

٧. إن المتعة فتحت المجال أمام الساقطين والساقطات من الشباب والشابات في لصق ما عندهم من فجور بالدين، وأدى ذلك الى تشويه صورة الدين والمتدينين. وبذلك يتبين لنا أضرار المتعة دينيًا واجتماعيًا وخُلُقيًا، ولهذا حُرِّمَتِ المتعة، ولو

١ انظر فروع الكافي ٥: ٤٦٣، تهذيب الأحكام ٧: ٥٥٤، الاستبصار ٣: ١٤٥

Upload by : altawhedmag.com

كان فيها مصالح لما حُرِّمَت، ولكن لما كانت كثيرةَ المفاسد حرمها رسول الله صلى الله عليه وآله، وحرمها أمير المؤمنين عليه السلام.

٨. إن المتعة التي أباحها فقهاء الشيعة تعطي الحق للرجل في أن يتمتع بعدد لا حصر له من النسوة، ولو بألف امرأة وفي وقت واحد، وكم من مُتَمَتِّع جمع بين المرأة وأمها، وبين المرأة وأُختها، وبين المرأة وعمتها أو خالتها وهو لا يدْري.

سادسا: قصص من حياة الشيعة.

يروي السيد/ حسين الموسوي بعض قصص اطلع عليها بنفسه، فيقول:

١. جاءتني امرأة تستفسر مني عن حادثة حصلت معها، إذ أخبرتني أن أحد السادة وهو السيد حسين الصدر كان قد تمتع بها قبل أكثر من عشرين سنة، فحملت منه، فلما أشبع رغبته منها فارقها، وبعد مدة رُزِقَتْ ببنت، وأقسمت أنها حملت منه هو إذ لم يتمتع بها وقتذاك أحد غيره، وبعد أن كبرت البنت وصارت شابة جميلة متأهلة للزواج، اكتشفت الأم أن ابنتها حبلى، فلما سألتها عن سبب حملها، أخبرتها البنت أن السيد المذكور استمتع بها فحملت منه، فدهشت الأم وفقدت صوابها، إذ أخبرت ابنتها أن هذا السيد هو أبوها، وأخبرتها القصة، فكيف يتمتع بالأم، واليوم يأتي ليتمتع بابنتها التي هي ابنته هو؟!

٢. تمتع أحدهم بفتاة تبين له فيما بعد أنها أخته من المتعة، ومنهم من تمتع بامرأة أبيه.

٣. تقع في إيران حوادث من هذا القبيل لا يستطيع أحد حصرها، كما أن انتشار العمل بالمتعة جَرَّ إلى إعارة الفَرْجِ، وإعارة الفرج معناها أن يعطي الرجل امرأته أو أَمَتَه إلى رجل آخر فيحل له أن يتمتع بها، أو أن يصنع بها ما يريد، فإذا ما أراد رجل ما أن يسافر أودع امرأته عند جاره، أو صديقه، أو أي شخص كان يختاره، فيبيح له أن يصنع بها ما يشاء طيلة مدة سفره. والسبب معلوم حتى يطمئن الزوج على امرأته لئلا تزني في غيابه!!

٤. ابتكر الشيعة طريقة ثانية لإعارة الفرج، إذا نزل أحد ضيفًا عند قوم وأرادوا إكرامه، فإن صاحب الدار يعير امرأته للضيف طيلة مدة إقامته عندهم، فيحل له منها كل شيء، وللأسف يَرْوون في ذلك روايات ينسبونها إلى الإمام الصادق

Upload by : altawhedmag.com

عليه السلام، وإلى أبيه أبي جعفر سلام الله عليه. روى الطوسي عن محمد، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت: "الرجل يُحِلُّ لأخيه فرج جاريته؟ قال: نعم لا بأس به له ما أحل له منها"[١].

٥. وروى الكليني والطوسي عن محمد بن مضارب، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: "يا محمد خذ هذه الجارية تخدمك وتُصيبُ منها، فإذا خرجت فارددها إلينا"[٢].

٦. لقد زرنا الحوزة القائمية في إيران فوجدنا السادة هناك يبيحون إعارة الفُروج، وممن أفتى بإباحة ذلك السيد لطف الله الصافي وغيره، ولذا فإن موضوع إعارة الفرج منتشر في عموم إيران، واستمر العمل به حتى بعد الإطاحة بالشاه محمد رضا بهلوى ومجيء آية الله العُظْمَى الإمام الخميني الموسوي، وبعد رحيل الإمام الخميني أيضًا استمر العمل عليه، وكان هذا أحد الأسباب[٣] التي أدت إلى فشل أول دولة شيعية في العصر الحديث كان الشيعة في عموم بلاد العالم يتطلعون إليها، مما حدا بمعظم السادة إلى التبرؤ منها، بل ومهاجمتها أيضًا، فهذا صديقنا العلامة السيد موسى الموسوي سماها [الثورة البائسة]، وألَّفَ كُتبا وبحوثًا ونشر مقالات في مهاجمتها، وبيان أخطائها.

٧. وقال السيد جواد الموسوي: إن الثورة الإسلامية في إيران ليس لها من الإسلام إلا الاسم، وكان آية الله العُظْمَى السيد محمد كاظم شريعتمداري من أشد المعارضين لها لما رآه من انحراف واضح عن جادة الإسلام، وهناك كثير من السادة ممن أعرفهم معرفة شخصية انتقدوا حكومة الإمام الخميني، ونَفَّروا منها. ومما يُؤْسَفُ

---

١ الاستبصار ٣/ ١٣٦

٢ الكافي، الفروع ٢/ ٢٠٠، الاستبصار ٣/ ١٣٦

٣ لقد خاب ظني وظن كثير من السادة بحكومة الإمام الخميني، فإننا كنا نتوقع أن تكون إيران معقل الإسلام ولكن للأسف فقد بدأت تصفية المعارضين وإراقة دمائهم مع عوائلهم وصارت أنهار الدماء تجري بلا رحمة، وكان يفترض أن يتم القضاء على ما أحدثه آل بهلوي من فساد، ولكن الفساد استمر حتى بعد مجيء الإمام الخميني، فالحمامات مختلطة رجالًا ونساء، والزنا كان علنًا فأصبح سرًا ولكن بصورة أوسع، والتبرج بقي كما هو بحيث تخرج المرأة بالبنطال وبكامل زينتها وقد وضعت فقط غطاء الرأس عدا الرشوة والسرقة وغيرها.

Upload by : altawhedmag.com

له أن السادة أفْتَوْا بجواز إعارة الفرج، وهناك كثير من العوائل في جنوب العراق وفي بغداد في منطقة الثورة ممن يمارس هذا الفعل بناء على فتاوى كثير من السادة منهم: السيستاني، والصدر، والشيرازي، والطباطبائي، والبروجردي، وغيرهم، وكثير منهم إذا حَل ضيفًا عند أحد منهم استعار امرأته إذا رآها جميلة، وتبقى مُستعارةً عنده حتى مغادرته!!

سابعا: إباحة اللواط بالنساء.

١. ولم يقتصر الأمر على متعة النساء، بل أباحوا اللواطة بالنساء، وَرَوَوْا أيضًا روايات نسبوها إلى الأئمة سلام الله عليهم، فقد روى الطوسي عن عبد الله بن أبي اليعفور قال: "سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يأتي المرأة من دبرها قال: لا بأس إذا رضيت، قلت: فأين قول الله تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ﴾، فقال: هذا في طلب الولد، فاطلبوا الولد من حيث أمركم الله، إن الله تعالى يقول: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾[١].

٢. وروى الطوسي أيضًا عن موسى بن عبد الملك عن رجل قال: "سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن إتيان الرجل المرأة من خلفها في دبرها، فقال: أحَلَّتها آية من كتاب الله قول لوط عليه السلام: ﴿هَؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾، فقد علم أنهم لا يريدون الفرج"[٢].

٣. روى الطوسي عن علي بن الحكم، قال: "سمعت صفوان يقول: قلت للرضا عليه السلام: إن رجلًا من مواليك أمرني أن أسالك عن مسألة فهابَكَ، واستحيى منك أن يسألك، قال: ما هي؟ قال: للرجل أن يأتي امرأته في دبرها؟ قال: نعم ذلك له"[٣].

---

١ الاستبصار ٣: ٢٤٣

٢ الاستبصار ٣: ٢٤٣

٣ المصدر السابق.

Upload by : altawhedmag.com

٤. وكلما التقيت واحدًا من السادة، وفي كل مكان فإني أسأله في حرمة إتيان النساء في الأدبار أو حله؟ فيقول لي بأنه حلال، ويذكر الروايات في حِلِّيَتِها منها الروايات التي تقدَمت الإشارة إليها.

ثامنا: إباحة اللواط بالرجال والصبيان.

لم يكتف علماء الحوزات العلمية بإباحة اللواطة بالنساء، بل أباح كثير منهم اللواطة بالذكور وبالذات المردان، والقصص في ذلك مشهورة، منها:

١. يروي السيد/ حسين الموسوي قصة أفتى فيها السيد شرف الدين مؤلف كتب المراجعات والنص والاجتهاد، وهو إمام مشهور سطع نجمه عند عوام الشيعة وخواصهم، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: "إذا طال بك السفر فعليك بنَكْحِ الذكر"[1]!! هذا جواب سؤالك، خرج الرجل وعليه علامات الارتياب من هذا الجواب، وأما الحاضرون، ومنهم السيد زعيم الحوزة، فلم يلفظ أحد منهم ببنت شَفَه.

٢. ضُبِطَ أحدُ السادة في الحوزة وهو يلوط بصبي أمرد من الدارسين في الحوزة. وصل الخبر إلى أسماع الكثيرين، وفي اليوم التالي بينما كان السيد المشار إليه يتمشى في الرواق، اقترب منه سيد آخر من علماء الحوزة أيضًا - وكان قد بلغه الخبر - فخاطبه بالفُصْحَى مازحًا: سيد، ما تقول في ضَرْبِ الحلق[2]؟ فأجابه السيد الأول بمزاح أشد قائلًا له وبالفصحى أيضًا: يُسْتَحْسَنُ إدخال الحشفة فقط، وقهقه الاثنان بقوة!؟

٣. وهناك سيد من علماء الحوزة مشهور باللواطة، رأى صبيًا يمشي مع سيد آخر من علماء الحوزة أيضًا، فسأله: من هذا الصبي الذي معك؟ فأجابه: هذا ابني فلان. فقال له: لِمَ لا ترسله إلينا لنقوم بتدريسه وتعليمه كي يصبح عالمًا مثلك؟ فأجابه

---

١ أخبرني بعض تلاميذ السيد شرف الدين أنه في زيارته لأوروبا كان يتمتع بالأوروبيات كثيرًا وبخاصة الجميلات منهن، فكان يستأجر كل يوم واحدة، وكان متزوجًا من شابة مسيحية مارونية اسمها نهار كتابيات أيضًا فلماذا يحل لنفسه ما يُحَرِّمُهُ على غيره ؟!!

٢ يريد بذلك حلقة الدبر.

Upload by : altawhedmag.com

ساخرًا: أيها السافل الحقير، أتريد أن آتيك به لتفعل به [كذا وكذا]؟! وهذه الحادثة حدثني بها أحد الثقات من أساتذة الحوزة.

٤. لقد رأينا الكثير من هذه الحوادث، وما سمعناه أكثر بكثير حتى أن صديقنا المفضال السيد عباس جمع حوادث كثيرة جدًا، ودوَّنها بتفاصيلها وتواريخها وأسماء أصحابها، وهو ينوي إصدارها في كتاب أراد أن يسميه "فضائح الحوزة العلمية في النجف"؛ لأن الواجب كشف الحقائق للعوام من الشيعة أولئك المساكين الذين لا يعلمون ما يجري وراء الكواليس، ولا يعلمون ما يفعله السادة، فيرسل أحدهم امرأته، أو بنته، أو أخته لغرض الزيارة، أو لطلب الولد، أو لتقديم [مراد للحسين]، فيستلمها السادة وخاصة إذا كانت جميلة ليفجروا بها ويفعلوا بها كل منكر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

Upload by : altawhedmag.com

ملخص الباب السابع

- بَنَت الشيعة عقيدتها على مبدأ الغلو في شأن الأئمة من آل البيت، حتى قالوا بقدم نورهم، وبالتالي اتصافهم بما وصف الله تبارك وتعالى به نفسه.
- إن الأئمة أوصياء على الدين، وهم عندهم أفضل من جميع الأنبياء، وأن مناقبهم تشمل جميع ما للأنبياء من مآثر ومناقب.
- إن طبيعة الأئمة ليست كسائر البشر كما يعتقدون، بل إنهم يدعون أنهم مخلوقون من طينة مخزونة من تحت العرش، وأنهم نور من نور الله، وأن لهم وجودا باطنيا قبل أن يولدوا في الدنيا.
- إن علي بن أبي طالب أفضل من النبي عندهم، بل إن النبي ﷺ سيحارب بنفسه تحت راية علي قبل أن تقوم الساعة، والغريب أن يقرروا أن هذه الحرب لن تكون ضد الكفار، أو اليهود بل هي حرب على أهل السنة، وتقتيل وفناء للعرب.
- إن الأئمة يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة.
- إن عليا يحاسب الناس يوم القيامة، وهذه مقولة النصارى عن عيسى ابن مريم عليه السلام.
- إنهم زعموا أن الصحابة تآمروا على عليّ بن أبي طالب وغصبوه حقه في إمارة المؤمنين.
- الزعم بتحريف القرآن الكريم واستبعاد ثلثي آياته، وحذف كل ما يشهد بولاية علي وآل بيته، ومناقبه وأهليته لإمامة الناس.
- ارتداد جميع الصحابة ما عدا ثلاثة، أو أربعة فقط.
- ومن ثم استحلت الشيعة لعن أصحاب رسول الله ﷺ، وتسميتهم بأسماء رمزية لإخفاء سبهم، دون أن يدرك أهل السنة مرادهم من هذه الرموز.
- الإيمان بدخول الإمام الثاني عشر السرداب سنة ٢٥٦ هـ وحياته إلى الآن، وظهوره آخر الزمان، وأن الخضر يحيا ليسليه في وحدته.
- زعم أربعة من الشيعة أنهم سفراء المهدي إلى شيعته، وانتهت بهم السفارة سنة ٣٢٩ هـ، وبذلك استمرت مهمة السفارة من السرداب ٧٣ سنة، يسميها الشيعة الغيبة الصغرى. ولما طالت الغيبة، ومات السفراء الأربعة، أخذوا ينتظرون خروجه من

Upload by : altawhedmag.com

السرداب مع دعائهم له على الدوام أن يعجل الله فرجه، وهم يعلمون من الآن أنه إذا خرج من السرداب سيأتيهم بمصحف جديد، لن يحكم به، ونبوة جديدة، ووحي جديد، وأمر خفي، أدواته أسفار من التوراة، وسيحكم بحكم سليمان بن داود.

- تزعم الشيعة قاتلهم الله أنه إذا خرج المهدي في آخر الزمان، سيهدم المسجد الحرام، وينقل الحجر الأسود، ويحول القبلة إلى الكوفة، ثم المسجد النبوي صلى الله على ساكنه، وأنه سيُخرج أبا بكر وعمر رضي الله عنهما من جوار رسول الله ﷺ، ليصلبهما في البقيع، ثم يقيم الحد على عائشة رضي الله عنها، ثم يهدم الكعبة، ويقتل العرب ويُعمل في رقاب أهل السنة السيف دون أية شفقة أو رحمة، بل ويهدم أيضا المسجد الأقصى المبارك.
- إن الإنجاز الوحيد الذي سيفعله مهدي الشيعة حين يظهر هو بناء هيكل سليمان في القدس!، وهنا تضح المؤامرة الكبرى، فاليهود لن يستطيعوا مهما طغوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد، أن يتصدوا مباشرة لهدم المسجد الأقصى، فبركان الغضب سيفجر انتفاضة من شرق بلاد الإسلام إلى غربها، فكيف يحقق اليهود مآربهم؟ والمخرج الوحيد أن يقوم من ينتسب للإسلام بهدمه، فلا بد لهم من قفاز إسلامي يمسكون به معاول الهدم. ولكن كيف يقوم المهدي بهذا الفعل، وهذا ما يوصلنا للنقطة الأخيرة.
- إن الباحث عن الحقيقة والمجرد عن الهوى، والقاصد وجه الله تعالى، لا شك سيصل إليها، شيعيا كان أم سنيا، وهذا السيد/ حسين الموسوي وهو من أكابر علماء النجف، يصل إلى الحقائق المجردة، فلا يجد مناصا من نصيحة قومه، وإبلاغ ما توصل إليه، وهو بهذا يخلي ذمته، ويريح ضميره، وكم أدرك مشاعره والحرب التي يتعرض له أمثاله، فقد مررت بنفس التجربة، فبعد أن صرت شيخا من مشايخ التصوف، وجدت الحق في غيره، فلم أتردد من ترك المناصب والمكانات الزائفة بين الناس، والله وحده ولي التوفيق.

Upload by : altawhedmag.com

- لا يعلم الشيعة وأعوانهم أن رسول الله ﷺ قد أنبأنا عن المهدي الذي تنتظره الشيعة وعرفناه يقينا أنه بعينه المسيخ الدجال.
- إن تزيين علماء الشيعة لأتباعهم على ارتكاب الكبائر فاق ما يفعله إبليس بمراحل، فالمعصية التي يرتكبها ابن آدم يعرف أنها معصية وتغضب الله تعالى، فربما ثاب إلى رشده، أو سيقت إليه أسباب التوبة، فرجع وأناب، وباب التوبة مفتوح أمام العبد ما لم يغرغر، أم المتعة التي يرتكبها الشيعي واللواط الذي يبيحه آيات الله فإنهم يجعلونها قربانا وطاعة، فويل لمن لم تحدثه نفسه بالزنا أقصد بالمتعة، فكيف يتوب مرتكبها؟! وهو يتوقع من فعلته تلك أن يزاحم النبي ﷺ، والحسن والحسين، إذن إبليس أهون خطرا من الآيات سواء الصغرى أم العظمى.
- إصرار علماء الحوزة ومراجع الشيعة الكبار على المتعة يتيح لهم ممارسة الزنا ليس فقط تحت غطاء شرعي وإنما زلفى وقربا، يوصلهم إلى التمتع بأجمل النساء وأشهاهن، كما يصرون على التزام أتباعهم بدفع ٢٠ ٪ مما دخولهم وهو ما يسمونه بالخمس يملأ خزائنهم ويحقق لهم أموالا طائلة، كل ذلك يعمي أبصارهم عن الحق، ويجعل تركه إلى غيره من التقشف والتعفف ضربا من المستحيل، لذلك ينفقون أموالا غير متوفرة لدى دول إسلامية في عمل دراسات تهاجم أهل السنة، وتطعن في رموزها وأساس عقيدتها، ويستميلون الأغرار والمستضعفين من أهل السنة لينضموا إلى عقيدتهم، ولهذا ظهرت في الآونة الأخيرة العديد من الأقلام السامة في أوساط السنة، حتى التلفاز والإنترنت يستخدمان الآن للترويج لتلك الأفكار.

Upload by : altawhedmag.com

Upload by : altawhedmag.com

الباب الثامن

عقائد غلاة الباطنية

١. الباطنية والإمامة.

٢. نظرية الدور والتناسخ.

٣. الباطنية والإلهيات.

٤. الباطنية والنبوة.

٥. نظرية التأويل الباطني.

٦. الشريعة عند الباطنية.

٧. التوفيق بين الأديان.

٨. إعادة بعث الباطنية في مصر.

Upload by : altawhedmag.com

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الأول

الباطنية والإمامة

أولا: الإمامة أعلى دعائم الدين عندهم.

يعتقد غلاة الباطنية من الإسماعيلية والدروز والعلوية أو النصيرية كما يعتقد أسلافهم من الشيعة أن إمامة علي بن أبي طالب ﷺ هي أصل الدين وجوهره، ويشرح عارف تامر أحد دعاة الإسماعيلية عقيدتهم في الإمامة فيقول:[1] "وتجعل الإسماعيلية الإمامة إحدى دعائم الدين، وسموها الولاية، وقالوا: إنها أفضل دعائم الدين وأهمها بعد النبوءة والوصاية، وإنه لا يستقيم الدين إلا بها، ومما يجب أن نذكره: أن الوصاية أرقى بدرجة واحدة من الإمامة، فالإمام الذي يكون في عهد الناطق[2] يأخذ اسم الوصي، والوصي المرافق للرسول يكون مفضلا وأعلى من الإمام الذي يأتي بعده، ومهما يكن من أمر فالإمامة هي المركز الذي تدور عليه دائرة الفرائض، فلا يصح وجودها إلا بإقامتها، ثم قالوا بالنص، وأن الإمامة تستمر مدى الدهر، وأنها بدأت بالتسلسل من عهد آدم الأول، وأن الكون لا يستطيع البقاء لحظة واحدة دون إمام، وأنه لو فقد ساعة واحدة لماد الكون وتبدد، فهي تعادل درجة الإيمان، أو القلب في الجسم، أو العقل بالنسبة للإنسان، وبالإضافة إلى ذلك، فالإمام هو الذي يحل الحلال، ويحرم الحرام، ويقيم حدود الله، ويذب عن دين الله،... وفي الاعتقادات الإسماعيلية يجب أن تنتقل الإمامة بنص شرعي، فالإمام مما يؤته من معرفة خارقة يعرف أي أبنائه جدير بها، ويعتقدون أن الإمام لا يخطئ في معرفته هذه بحال من الأحوال، وإلا ما كان إماما، ويستطرد الداعي الإسماعيلي بقوله: "إن الله لا يترك العالم خاليا من إمام لأنه حجة الله على خلقه، والهادي بهم إلى الصراط المستقيم، والحارس للشريعة، والوارث للنبوة، والساهر على تطبيق أحكام تعاليم القرآن".

---

١ تاريخ الإسماعيلية، المجلد الأول، الدعوة والعقيدة ص ٧٤ -٧٦ لعارف تامر، لاحظ قولهم إن الكون لا يخلو من إمام، ولو فقد ساعة لماد الكون. نفس هذا القول تقول به الصوفية عن القطب، والذي يجب أن يكون شريفا منسبا لعلي بن أبي طالب أيضا. فالمضمون واحد والاختلاف فقط في المسمى

٢ سيأتي شرح مصطلح الناطق في نفس هذا الباب.

Upload by : altawhedmag.com

ويؤولون قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف-٢٨]، بأن الكلمة هي الإمامة، لذلك تنتقل الإمامة في عقيدتهم من الآباء إلى الأبناء، ولا تنتقل من الأخ إلى أخيه، إلا مرة واحدة لا تتكرر، وذلك حين انتقلت من الحسن إلى الحسين رضي الله عنهما.

"ويتفق غلاة الباطنية في القول بضرورة وجود إمام معصوم منصوص عليه من نسل محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، والنص على الإمام يكون من الإمام الذي سبقه بحيث تتسلسل الإمامة في الأعقاب، وذلك بأن ينص الإمام على إمامة أحد أبنائه، ولكن الإسماعيلية لم يلتزموا هذا النص منذ عهد الفاطميين حين نص المعز لدين الله على إمامة ابنه عبد الله من بعده، فمات عبد الله في حياة أبيه، فلم ينص على إمامة ابن عبد الله من بعده، وإنما نص على إمامة ابنه الثاني العزيز"[١]، وكلما خالف الإمام هذا المبدأ في تعيين من يخلفه، كلما انقسمت الشيعة إلى فرق، وتسمت كل فرقة منها باسم الإمام الذي يوافق هواهم، وقد حدث أن مات المستنصر فقام الوزير الجبالي بتعيين ابن شقيقته المستعلي وأبعد نزارا صاحب النص وهو الابن الأكبر للمستنصر، مما تسبب في انقسامهم إلى مستعلية ونزارية.

وتدور عقيدة الباطنية حول مبدأ الإمامة، لذلك تراهم يؤمنون "أن للإسلام سبع دعائم بغيرها لا يكون المرء مسلما مؤمنا، أولها الولاية، ثم الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد"[٢] ونلاحظ أن الإمامة عندهم حلت محل شهادة التوحيد، وهي بالتالي مُقَدَّمَة على ما سواها من الدعائم، ليس هذا فقط بل إنهم يعتبرونها الدين كله، ومن ثم يقولون "وإذا بطلت من الدين ولاية الوصي والأئمة بطلت الطهارة والصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد"[٣].

ويقرر أحد دعاة الباطنية المعاصرين هذه الأفكار بقوله: "فالولاية أفضل هذه الدعائم، فإن أطاع المؤمن الله تعالى، وأقر برسالة الرسول الكريم، وقام بفروض الدين كلها، ثم عصى الإمام أو كذب عليه، فهو آثم في معصيته، وغير مقبولة منه طاعة الله وطاعة الرسول"[٤].

---

١ إسلام بلا مذاهب لمصطفى الشكعة ٢٥٢

٢ دعائم الإسلام للقاضي النعمان ١:٨ نقلا عن الحركات الباطنية في العالم الإسلامي للخطيب ١٠٠

٣ ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة تحقيق محمد كامل حسين ٧٠، نقلا عن الحركات الباطنية في العالم الإسلامي للخطيب ١٠٠

٤ الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب ٩٨

Upload by : altawhedmag.com

ويعللون هذا المنطق المنحرف بقولهم: "إن من أشرك في إمامه سلطة أخرى، أو ارتاب في وجوب الطاعة له كان كمن أضاف للنبي نبيا آخر، أو كمن شك في الإمامة وأنكرها، صار نجسا، ليس بطاهر، وأصبح ما يقتنيه هذا الرجل مما لا يصح استعماله"[١].

ثانيا: الغلو في الأئمة.

١. أئمة الإسماعيلية:

ذكرنا في الباب الخامس غلو الشيعة في أئمتهم، وكيف جعلوا علمهم مطابقا لعلم الله، وأنهم يعلمون ما كان وما سيكون، وما إلى ذلك، ولكننا هنا نركز على الغلو في ذات الأئمة، واختلاف تكوينهم عن باقي البشر، حيث تعتقد الباطنية أن ذوات الأئمة نور من نور الله، كما يعتقد أسلافهم من الشيعة، ويطرحون تأويلاتهم الباطنية حول مقام الأئمة بأن: "الإمام هو وجه الله، ويد الله وجنب الله، وأنه [أي الإمام] هو الذي يحاسب الناس يوم القيامة، فيقسم بين الجنة والنار، وأنه هو الصراط المستقيم، والذكر الحكيم، والقرآن الكريم، والواحد والأحد والفرد والصمد، وأنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن، والرحمن، وكل هذه الصفات يوردونها في خطبة الكوفة التي ينسبونها افتراء إلى علي بن أبي طالب، وهو منها براء، والخطبة تتكون من مجموعة من الجمل تبدأ بأنا وبعدها وصف من كلمة أو جملة، منها" "وجه الله"، "ممد الخلائق"، "الظاهر والباطن"، "الفرقان"، "شديد القوى"،.... وهكذا، ويزعم هؤلاء أن الإمام من نور الله، وجسمه أشرف الأجسام، وفي نفس الوقت جسمه يمثل العقل بالنسبة لأجسام البشر.

ومن يرجع إلى عقيدة النصارى حول المسيح يجد تطابقا تاما مع ما تؤمن به الباطنية، فالسيد المسيح عندهم هو: الحق والحقيقة والقاضي والعدل والحي القيوم ورب العالمين وملك يوم الدين، وإليه الحساب يوم القيامة، وتقول الدراسات الإنجيلية: "هذه صورة المسيح المجاهد، ثم رأيت السماء مفتوحة وإذا بفرس أبيض، والراكب عليه اسمه الأمين والصادق وهو يقضي ويحارب بالعدل"، فهو رب العالمين وملك يوم الدين: ها أنا ذا آت عن

---

١ العقيدة والشريعة في الإسلام لجولد تسيهر، عن مخطوط في جامعة ليدن ٢٤٥، نقلا عن الحركات الباطنية في العالم الإسلامي للخطيب ١٠١

Upload by : altawhedmag.com

قريب، وجزائي معي، لأجازي كل واحد على حسب أعماله"، "وبامتلاكه السفر المفتوح ليشرف إلى يوم الدين على تنفيذ قضاء الله وقدره على رومة الفاجرة، ثم على يأجوج ومأجوج، أهل الكفر وأهل الشر في الدنيا، وأخيرا يقضي على التنين، وساعديه وحش البحر، والنبي الكذاب، فالسيد المسيح هو القاضي والعدل مثل الله، وباسم الله يقوم مقامه في خلقه"[1]. إن اعتقاد الباطنية بحتمية وجود إمام، ويمسك الكون أن يزول، وأن الأرض لا تخلو أبدا من إمام، وهذا الإمام إما ظاهر معروف وإما مستور، وبالتالي تكون شيعته في مرحلة الستر، وإذا كان الإمام مستورا فلا بد أن يكون دعاته وحجته معروفين ظاهرين، قد فرض عليهم أن يتمادوا في ضلالهم، فكيف يستقيم الكون قبل ميلاد أئمتهم؟، فالمخرج إذن أن يقولوا بتناسخ الأرواح، مع إضافة أخرى أطلقوا عليها نظرية الدور، حتى يثبتوا أن الأئمة لم يتركوا الكون طرفة عين، وسنفرد فصلا لعرض أفكارهم.

٢. أئمة الدروز:

يقول الدروز وهي إحدى شعب الباطنية الإسماعيلية: إنه يجب على الدرزي أن يعتقد أن الإله المعبود أظهر ناسوته عشر مرات، وأن يعرف معبوده في هذه المقامات العشرة الربانية، وكلهم إله واحد لا إله إلا هو، وآخر هذه المقامات هو الحاكم بأمر الله، الذي ينتظرون رجعته، وقد استطاع أحد الملتصقين بالحاكم بأمر الله ويدعى حمزة بن علي أن يؤسس العقيدة الدرزية التي انشق بها عن الإسماعيلية، وقد زعم حمزة هذا أنه رسول من قبل الحاكم بأمر الله، وأنه تلقى عنه كتابا أسماه مصحف المنفرد بذاته، ويتكون مصحفه هذا من مجموعة من الأعراف [تقابل السور في القرآن الكريم]، تدور كلها حول زعم ألوهية الحاكم. ولا يعتنق أحد ضلال الدرزية حتى يكتب على نفسه ما ورد في المصحف المنفرد في عرف العهد والميثاق، ويوقع عليه أمام شاهد وكاتب ونصه ما يلي: "توكلت على مولانا الحاكم الأحد، الفرد الصمد، المنزه عن الأزواج والعدد، من لا تأخذه سنة ولا نوم، ذي التجلي والإشراق، ومن هو في السماء إله، وفي الأرض إله، وقد أقر [فلان بن فلان يكتب اسمه] إقرارا أوجبه على نفسه، وأشهد به على روحه في جميع الأدوار، في صحة من عقله وجسمه

١ سفر الرؤيا ١١:١٩، ١٢:٢٢ نقلا عن صوفية المسيحية ليوسف حداد ١٨٢

Upload by : altawhedmag.com

وخالص أمره، طائعا غير مكره ولا مجبر، بظاهره وبباطنه، ومؤمنا غير منافق ولا مخاتن، بتباينها واختلافها، وأنه قد سلم روحه وجسمه وماله وولده، وجميع ما ملكته يداه في جميع أدواره، ما كرّ الجديدان ومر الملوان، وما كوّر الليل على النهار، وكوّر النهار على الليل، هو وذريته في شتى أدوارهم ومحياهم لمولانا الحاكم - جل ذكره - ورضي بجميع أحكامه له وعليه، غير معترض أو منكر شيئا من أفعاله ساءه ذلك أم سره، ومتى رجع عن دين مولانا الحاكم وهو ما كتبه على نفسه، وأشهدنا به على روحه، أو أشار بالرجوع عنه إلى غيره، أو خالف شيئا من أوامره، كان [فلان بن فلان] محروما من جميع الحدود، وكان مولانا الحاكم بريئا منه، والمؤمنون الموحدون في جميع أدوارهم، واستحق العقوبة من الباري العلي جل ذكره بأيدي المؤمنين، وأن [فلان بن فلان] هو قد أقر أن ليس له في السماء إله معبود، ولا في الأرض إمام موجود إلا مولانا الحاكم، جل ذكره وتعالت مطالعه ومشارقه، وبذلك دخل [فلان بن فلان] وأصبح من الموحدين المؤمنين الفائزين السابقين، كتب في شهر.. من سنة.. من سني عبد مولانا جل ذكره، ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد، هادي المستجيبين المنتقم من المشركين المرتدين، بسيف مولانا جل ذكره، وبشدة سلطانه وحده". مصحف المنفرد بذاته ١١٢ - ١١٤[١]، وقد أضاف زعيم الدروز في القرن الحالي - كمال جنبلاط - إلى الميثاق نصا آخر وكتبه في مصحف المنفرد بذاته قال فيه: "آمنت بالله، ربي الحاكم، العلي الأعلى، رب المشرقين ورب المغربين، وإله الأصلين والفرعين، منشئ الناطق والأساس، مظهر الصورة الكاملة بنوره الذي على العرش استوى، وهو بالأفق الأعلى، ثم دنا فتدلى، وآمنت به، وهو رب الرجعى، وله الأولى والآخرة، وهو الظاهر والباطن"[٢]، وهذا ابن هانئ الأندلسي يمدح المعز لدين الله الفاطمي بقوله:

ندعوه منتقما عزيزا قادر ... غفار موبقة الذنوب صفوحا

أقسمت لولا أن دعيت خليفة ... لدعيت من بعد المسيح مسيحا

شهدت بمفخرك السموات العلا ... وتنزل القرآن فيك مسيحا[٣]

١ نقلا عن إسلام بلا مذاهب لمصطفى الشكعة ٢٢٩

٢ الحركات الباطنية في العالم الإسلامي للخطيب ٢٢٩

٣ شعر محمد البديل أورده في إسلام بلا مذاهب مصطفى الشكعة ٢١٤

Upload by : altawhedmag.com

ويقول في قصيدة أخرى:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار[١]

وهذا شاعر آخر يمدح عبيد الله المهدي بقوله

حل برقاده المسيح حل بها آدم ونـــوح

حل بها أحمد المصطفى حل بها الكبش والذبيح

حل بها الله ذو المعالي وكل شيء سواه ريح

والآن نستطيع أن نفهم أسرارهم وإشاراتهم ومرادهم منها، ولما يصف أحد الشعراء معبودهم الخليفة الفاطمي بأنه خليل الله وكليمه والمسيح الذي يحيى الموتى، نعرف أن الشاعر لا يمدح ويبالغ مبالغات تقتضيها طبيعة الشعر وإنما يقصد أن الإمام الفاطمي كان خليل الله في الدور الثاني، ثم انتقل إلى موسى في الدور الثالث وهكذا، ولا نجد غرابة في تتبع ما يرمي إليه الشاعر، حيث يقول:

سلام على العترة الطاهره وأهلا بأنوارها الزاهره

سلام بديا على آدم أبي الخلق باديه والحاضره

سلام على من بطوفانه أديرت على من بغى الدائره

سلام على من أتاه السلام غداة أحفت به النائره

سلام على قاهر بالعصا عصاه فراعنة حائره

سلام على الروح عيسى الذي بمبعثه شرفت ناصره

سلام على المصطفى أحمد علي الشفاعة في الآخره

سلام على المرتضى حيدر وأبنائه الأنجم الزاهره

سلام عليك بمحصولهم لديك أيا صاحب القاهره[٢]

---

١ قضية نسب الفاطميين أمام منهج النقد التاريخي د. عبد الحليم عويس.

٢ الإسماعيلية كامل حسين ١٦٩ - ١٧٠، نقلا عن إسلام بلا مذاهب مصطفى الشكعة ٢١٣، ومن العجيب أن نجد هذه المعاني منسوبة إلى بعض الصوفية، ومدونة في كتبهم ومنها: المآثر القادرية، وكتاب بهجة الأسرار ومعدن الأنوار،....

Upload by : altawhedmag.com

ويختلف الدروز عن غيرهم من ملل الباطنية بغلوهم الشديد في سلمان الفارسي، ولا ندري ما علة ذلك إلا كونه فارسي الأصل.

٣. أئمة العلويين:

يؤلف العلويون ثالوثا جديدا على غرار الأقانيم الثلاثة عند النصارى، ويضم هذا الثالوث:

- المعنى: الغيب المطلق أي الله الذي هو علي بن أبي طالب، ويرمز بحرف ع.
- الاسم وهو صورة المعنى الظاهر أي محمد ويرمز إليه بحرف م.
- الباب وهو طريق الوصول للمعنى أي سلمان الفارسي ويرمز إليه بحرف س.

ويتخذون من ذلك شعارا من حروف ثلاثة [ع م س]، أو ما يسمى "سر عقد ع م س" وللعقيدة عندهم مفهوم شبه نصراني يتمثل في التثليث، ويدل على ذلك احتفالهم الكامل بالأعياد المسيحية مثل عيد الميلاد ورأس السنة وعيد الغطاس والشعانين ومريم المجدلية وغيرها، وأيضا يحتفلون بالأعياد الفارسية مثل عيد المهرجان والنيروز، مع أعياد ابتدعوها في الإسلام مثل عيد الغدير الأول والثاني [أي غدير خم]، وعيد الفراش الذي بات فيه عليّ ﷺ في فراش النبي ﷺ قبل الهجرة.

ويورد الدكتور عبد الرحمن بدوي تعاليم العلويين على شكل أسئلة وأجوبة تتألف من مائة سؤال وجواب، نذكر منها قدرا يسيرا يوضح عقيدتهم من خلال إجاباتهم:

س١: من الذي خلقنا؟

ج١: علي بن أبي طالب أمير المؤمنين.

س٢: من أين نعلم أن عليا إله؟

ج٢: مما قاله عن نفسه في خطبة البيان وهو واقف على المنبر إذ قال: "أنا سر الأسرار[١]، أنا شجرة الأنوار، أنا دليل السموات، أنا سائق الدعوات، أنا شاهد

١ هذه الخطبة يعتقد صحتها ويقر بما فيها محمد عثمان البرهاني شيخ البرهانية في مصر والسودان، وأوردها في كتابه تبرئة الذمة في خمس صفحات من القطع الكبير ص ٢٩٤ - ٢٩٩

Upload by : altawhedmag.com

العهد، أنا زاجر القواصف، أنا محرك العواصف، أنا مزن السحائب، أنا حجة الحجج، أنا جوهر القدم، أنا الأول والآخر، وأنا الظاهر والباطن"

س٣: من الذي دعانا إلى معرفة ربنا؟

ج٣: محمد، كما قال في خطبة ختمها بقوله: إنه [أي علي] ربي وربكم.

س٤: إذا كان علي الرب، فكيف تجانس مع المتجانسين؟ [أي اتخذ صورة بشرية]

ج٤: إنه لم يتجانس بل احتجب في محمد في دور تحوله، واتخذ اسم علي.

س٥: كم مرة تحول ربنا ليتجلى في صورة إنسانية؟

ج٥: سبع مرات، فقد احتجب في شخص آدم باسم هابيل، وفي شخص نوح باسم شيث، وفي شخص يعقوب باسم يوسف، وفي شخص موسى باسم يوشع، وفي شخص سليمان باسم آصف، وفي شخص عيسى باسم باطرة، وفي شخص محمد باسم علي ونكتفي بهذا القدر من أفكار الدروز والعلويين حول الأئمة، ونستكمل باقي عقائدهم في الإلهيات، ثم النبوة.

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الثاني

نظرية الدور والتناسخ

أولا: نظرية الدور.

تقوم نظرية الدور على تقسيم الأنبياء إلى مجموعات، كل منها تمثل شريعة، وتضم المجموعة الواحدة سبعة أنبياء، أول هؤلاء السبعة يسمى الناطق، وهو من جاء بالشريعة، فإذا مات أعقبه ستة أنبياء يسمى كل منهم الصامت حيث يدعون الناس إلى شريعة النبي المسمى بالناطق، وتنصرم شريعة هذه المجموعة، ببعث نبي ينسخ الشريعة الأولى، ويسمى هذا النبي بالناطق لأنه جاء بشريعة نسخت ما قبلها، ثم يعقبه ستة أنبياء يسمى كل منهم بالصامت، وهكذا.. ولفهم أفكار الباطنية نوضح المراد بمصطلحاتهم:

١. الدور: مدة شريعة كل نبي سبعة قرون، وتبدأ الدورة الجديدة مع نهاية الدورة السابقة.

٢. الناطق: هو الإمام [المقصود هنا النبي] الذي يبعثه الله لينسخ شريعة الأنبياء من قبله.

٣. الباب: هو الإمام الأول المبعوث بعد الناطق، ويسمى أيضا سوس، وهو الباب إلى علم الناطق في حياته، والوصي بعد وفاته، والإمام لأهل زمانه.

٤. الصامت: هم خمسة أئمة يبعثون بعد الباب وهم على شريعة الناطق السابق لهم، وهم قائمون على ما أسسه غيرهم [الناطق].

٥. مرتبة الاستيداع: هي مرتبة يمثلها الإمام المستودع، ويُقصد بها النبي منذ آدم وحتى محمد ﷺ ويسمونها أيضا حد النبي، وكما هو واضح من لفظ المستودع أن الرسالة عنده وديعة يبلغها لغيره.

٦. مرتبة الاستقرار: يمثلها إمام مستقر، أو الوصي، وهي حد الإمام أو الوصي.

٧. ويمكن تقسيم الدور إلى نوعين:

Upload by : altawhedmag.com

- الدور الصغير: وهي الفترة التي تقع بين كل ناطق وناطق، وتضم كل دورة سبعة أئمة.
- الدور الكبير: وهو الدور الذي يحتوي جميع الأدوار الصغيرة، لذا فالدور الكبير يبدأ من عهد الخليقة إلى قيام القائم المنتظر [المهدي]، الذي يسمى دوره السابع، فيكون بنفس الوقت متمما لعدد النطقاء الستة"[١].

ويطبقون هذه النظرية بقولهم: "إن السبعة قرون التي تبدأ بنبي ثم السوس أو الباب، ثم صامت، ثم صامت، ثم صامت، ثم صامت، ثم صامت يسمى دورا، وهذا الدور يتكرر بنفس الأسلوب منذ آدم الذي كان سوسه شيث، ولما تم دور آدم سبعة، ابتعث الله نوحا ينسخ شريعة آدم، وكان سوسه سام، فلما تم دوره ابتعث الله إبراهيم، ينسخ شريعته، وكان سوسه إسحاق، ثم موسى وسوسه هارون، فلما مات هارون في حياة موسى صار سوسه يوشع بن نون، ثم عيسى وسوسه شمعون، ثم ابتعث الله محمدا ﷺ وسوسه علي، وقد استتم [أي اكتمل] دوره بجعفر الصادق صارت شريعته ناسخة وهكذا يدور الأمر أبد الدهر"[٢].

ويتأول الإسماعيلية قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۞ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ۞ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ۞ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ۞ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۞ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[عيسى ١١-١٦] فالأئمة هم السفرة الحاملون الصحف المطهرة، يسلمها الأول منهم إلى الثاني، ويأخذها الثاني منهم ممن سلف من الماضي، فيُظهر كل إمام منهم في زمانه، ما يرى أن المصلحة فيه، ويقيم للإبلاغ عنه من يتخيره لذلك ويرتضيه، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[الحجر -٨٧] فالقرآن العظيم حسب التأويل الإسماعيلي هو الكتاب المنزل، وقرينه في التأويل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، لأنه في زمانه قرين القرآن، والقرآن قرينه".[٣]

---

١ الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب ١٠١

٢ فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي ٣٧ - ٣٨

٣ الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب ١٠٣

Upload by : altawhedmag.com

لذلك يزعم الباطنية أن محمدا رسول الله ﷺ هو الإمام المستودع، ودوره فقط أن يتلقى ظاهر التنزيل كوديعة عنده، يعطيه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه الذي يمثل مرتبة الاستقرار في الإمامة، وأن هذا التسليم تحقق يوم غدير خم، ثم انتقل النبي إلى الرفيق الأعلى، وترك إمامين: إماما صامتا هو القرآن، وإماما ناطقا هو علي بن أبي طالب، الذي قرأ يوما في المصحف حتى بلغ قوله تعالى: ﴿هَـٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾(الجاثية- ٢٩) فصاح علي ثلاث مرات قائلا: "يا كتاب الله انطق"، معلنا بذلك (أي علي): أنه هو الإمام الناطق، وأن القرآن هو الإمام الصامت".[١]

بهذه النصوص جعلوا كتاب الله صامتا، وإمامهم ناطقا، وله الحق في إظهار ما يراه مناسبا لقومه، كما أن الدور الذي انتهى بجعفر الصادق، قد نسخ شريعة الإسلام التي جاء بها سيد الأنام صلوات الله وسلامه عليه، ومحمد بن إسماعيل هو الناسخ والفاتح لعهد جديد، وصاحب شريعة عطلت بقيامها ظاهر شريعة محمد ﷺ[٢].

ولما كان محمد بن إسماعيل فاتحا لدورة جديدة، فلا بد حسب نظريتهم أن يروجوا لنبوة محمد بن إسماعيل، وهذا ما يقرره الحامدي حيث يقول: "ومحمد بن إسماعيل متمم شريعته وموفيها حقوقها وحدودها وهو السابع من الرسل"[٣].

وبهذا ينسلخ الدروز بالكلية من الإسلام، فهم الآن على شريعة نبي جديد هو محمد بن إسماعيل، الذي نسخت شريعته ما جاء به محمد ﷺ، ولذلك يخطئ كثير من المصنفين في الفرق الإسلامية حين يحسبون الدروز فرقة من فرق المسلمين، نعم هم فرقة انشقت عن الإسلام من حيث النشأة التاريخية، إلا أنهم الآن يدينون بدين جديد!

ثانيا: إيمان الباطنية بالتناسخ.

يشرح أحد دعاة الباطنية عقيدة قومه فيقول: "يُستدل من النصوص الواردة في الكتب الدرزية المقدسة بأن الدروز يعتقدون بالنسخ والتقمص، أي بانتقال النفس من جسم بشري إلى جسم بشري آخر، باعتبار أن النفس لديهم لا تموت، بل يموت قميصها الجسم ويصيبه

---

١ مشكاة الأنوار الهدامة لقواعد الباطنية الأشرار ليحيى بن حمزة العلوي ٣٧

٢ كنز الولد للحامدي نقلا عن الحركات الباطنية للخطيب ٩٧

٣ مذاهب الإسلاميين د. عبد الرحمن بدوي ٢ :٢٩٣

Upload by : altawhedmag.com

البلى، فتنتقل إلى قميص آخر، ولا تنتقل إلى حيوان، لأن في انتقالها إلى جسم حيواني ظلما لها، لأن العقاب مرجأ إلى يوم الدين، وهي تمر في مختلف أدوار الحياة، والذي نلاحظه في أقوال حمزة هادي المستجيبين أن العذاب الواقع على الإنسان ينقله من درجة عالية إلى درجة دونها من درجات الدين، وقلة معيشته وعمى قلبه في دينه ودنياه، ويستمر تنقله من جسد إلى جسد تقل منزلته الدينية، أما الجزاء في الثواب ما دام يتكرر في الأجساد فهو زيادة درجته في العلوم الدينية، وارتفاعه من درجة إلى درجة إلى أن يبلغ درجة حد "المكاسر" فيزيد في ماله، وينبسط في الدين من درجة إلى درجة إلى أرقى حد من حدود الدين، ويستطرد قائلا: "وقد تكون النفس صالحة في دور بينما تكون خاطئة في دور آخر، وحسابها على ما فعلت من خير أو شر يبقى معلقا إلى أن يُنصب الميزان، فإذا رجحت حسناتها كان لها الثواب، وإذا رجحت سيئاتها كان لها العقاب"[1].

ومن أغرب عناصر نظرية الدور القول بأن الأحداث التي تقع في أي دورة هي تكرار لما سبق حدوثه في الدورات السابقة، فما حدث في عصر نوح عليه السلام، تكرر نفسه في عهد موسى الكليم، ويتكرر أيضا حاليا، وهو قول بتناسخ الأفعال، ثم زعموا أن للشخص الواحد حضورا في كل دورة، يفنى جسده، إلا أن روحه تظهر مرة ثانية في الدور التالي.

وانحدروا نحو الهاوية حين أنكروا يوم القيامة، وأوّلوه على أنه يوم خروج المهدي، وهو السابع الناسخ للشرع، المغير للأمر، ومعنى القيامة انقضاء الدور الذي نحن فيه، أما المعاد فأنكروا ما جاءت به الرسالات، ولم يثبتوا الحشر والنشر للأجساد، ولا الجنة ولا النار، ولكن قالوا إن معنى المعاد: عود كل شيء إلى أصله، ولذلك سُمي رجوعا، حيث أولوا قوله تعالى: ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ [الفجر-٢٨]، لمن آمن بأفكارهم، أما من خالفهم فإنهم يزعمون أن أرواحهم تبقى في العالم الجسماني، تتناسخها الأبدان، فلا تزال تتعرض فيها للألم والأسقام، فلا تفارق جسدا، إلا ويتلقاها آخر، ويستدلون على هذه الأفكار الهندية القديمة، بتأويلهم الباطني والرمزي لقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا

١ الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب ٢٦٣

Upload by : altawhedmag.com

غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء-٥٦]، فالنار تكون باستمرار التناسخ، والجنة في رجعة عوالم الإنسان إلى أصلها، فتتخلص بموتها من نار التناسخ[١].

كما يؤمن الباطنية بقدرة الأئمة والمخلصين من أتباعهم على التشكل في أية صورة يريدونها، وقد ورد في كتبهم أمثلة كثيرة يسوقون بها فكرة تطور شكل أئمتهم ومن والاهم بحيث يراهم أتباعهم في هيئة معينة، ثم ينقلب شكله في أقل من لمح البصر إلى هيئة أخرى[٢]، وهم يعتمدون على مجموعة من الحكايات يتناقلونها فيما بينهم، ويتسامرون بترديدها بين الحين والآخر، ومن تكرارها صدقوها وأثبتوا بها عقيدة التناسخ، ويقرر ذلك مصطفى غالب بقوله: "وإليك قصة أخرى قُصد من ورائها إثبات نظرية التقمص وتناسخ الأرواح في صور، فالروح الشقية برأيهم تدخل في صورة خنزير أو كلب أو ذئب، بينما الروح المؤمنة الطاهرة تنتقل إلى الأجساد البشرية والحدود النورانية غير المرئية..."[٣].

وقد انتقلت هذه الخرافات إلى كتب الصوفية واتخذت مساحة كبيرة في طبقات الشعراني، ولطائف المنن وغيرها، وربما تتاح لنا الفرصة لضرب أمثلة عن ذلك في كتابنا الرابع من هذه السلسلة والخاص بالتصوف. ومن هنا يتبين اتفاق الفرق الباطنية على أصول الضلال والغلو في مذاهبهم المختلفة، وإن اختلفت في تحديد الأشخاص الذين يغالون فيهم.

١ فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي

٢ الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب ٢٧٧

٣ الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب ٢٧٨

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الثالث

الباطنية والإلهيات

أولا: عقيدة الإسماعيلية.

يقول الإسماعيليون "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، ولكنهم في نفس الوقت ينكرون صفات الله، ويعللون ذلك بأن الله فوق متناول العقل، فتراهم يقولون إن العقل قاصر عن إدراك كنه الله، فالأولى نفي الصفات الإلهية عن الله ﷻ فهم يقولون في الله ﷻ:

١. "لا نقول هو موجود ولا نقول غير موجود، ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز، وعلى ذلك فلا يقولون بالإثبات المطلق ولا النفي المطلق، بل هو إله المتقابليْن، وخالق المتخاصميْن، والحاكم بين المتضاديْن، وليس هو بالقديم كما أنه ليس بالمحدث، فالقديم أمره وكلمته، والحديث خلقه وفطرته".

٢. "إن الله لا يقال عليه حي، ولا قادر، ولا عالم، ولا عاقل، ولا كامل، ولا تام، ولا فاعل، لأنه مبدع الحي القادر العالم التام الكامل الفاعل، ولا يقال له ذات لأن كل ذات حاملة للصفات"[١]، ويزعمون "أن جميع الأسماء والصفات الإلهية إنما تليق بمبدعاته التي هي الأعيان الروحانية، ومخلوقاته التي هي الصور الجسمانية"[٢]، ويتأولون قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف-١٨٠]، بأن المقصود بالأسماء هم الحدود، أي تطلبون الوصول إلى توحيد الله من جهتهم"[٣].

وقد تحول التوحيد عند الإسماعيلية إلى معرفة الحدود، ويرون سلب الإلهية عن الله هو قمة التجريد، وسلب الأسماء والصفات عنه سبحانه هو غاية التنزيه، لأنك إذا أثبت هذه الأسماء لله تكون مشركا، حيث جعلته متصفا بما وصف به سائر الموجودات.

---

١ كنز الولد لإبراهيم الحامدي ١٤، نقلا عن الحركات الباطنية للخطيب ٨٥

٢ ديوان المؤيد في الدين لداعي الدعاة ٨٩، نقلا عن الحركات الباطنية للخطيب ٨٥

٣ ديوان المؤيد في الدين لداعي الدعاة. ٩٠

Upload by : altawhedmag.com

ولا يجد داعي الإسماعيلية أي حرج في أن يقرر "أن الإسماعيلية يجردون الله من كل صفة، وينزهونه التنزيه كله، وينفون عنه جميع ما يليق بمبدعاته التي هي الأعيان الروحانية، ومخلوقاته التي هي الصور الجسمانية، وهي الأسماء والصفات، ويعتبرون نفي المعرفة هي حقيقة المعرفة، وسلب الصفة هي نهاية الصفة، ودعموا هذه المعتقدات بنظريات فلسفية وتأويلات باطنية، إما اكتسابا أو استنباطا، فأصبحت الفلسفة بنظرهم وسيلة لتقييم العقيدة، وطريقا إلى تكشف جوهر الخالق والدين"[١].

إذن فالرجل يعترف أن قومه دعموا عقيدتهم بالنظريات الفلسفية والتأويلات الباطنية. ولا ننسى ما سبق ذكره من رسالة عبيد الله المهدي إلى سليمان الجنابي التي يوصيه فيها بأسلوب دعوتهم مؤكدا على أهمية الفلسفة قائلا: "وإذا ظفرت بالفلسفي، فاحتفظ به، فعلى الفلاسفة معولنا، وإنا وإياهم مجمعون على رد نواميس الأنبياء، وعلى القول بقدم العالم"[٢].

ثم يزعم الإسماعيليون أن الإله المجرد عن جميع الأسماء والصفات، أبدع العقل الأول، الذي هو بمثابة الصور الناسوتية التي احتجب بها عن الناس، ويصفون العقل الأول بقولهم: "إذا كان الله عريا عن كل صفة، فإن صفات الكمال موجودة في أول مبدع أبدعه الذي هو الحق والحقيقة، وهو الوجود الأول، وهو الوحدة، وهو الواحد، وهو الأزل، وهو الأزلي وهو العقل الأول، وهو العالم الأول، وهو القدرة، وهو القادر الأول، وهو الحياة، وهو الحي الأول"[٣].

ولا ندري كيف قَبِلَ الباطنيون - وهم دعاة تعظيم العقل والفلسفة - أن يبدع من لا صفة له إلها آخر متصفا بجميع الأسماء والصفات، وفاقد الشيء لا يعطيه! وعلى كل حال يزعم القوم أن هذا الإله الثاني هو العقل الأول، ويطلقون عليه اسم السابق، وهو الإله ممثلا في مظاهره الخارجية، لذلك يمكن إدراكه وتوجيه العبادة له، فالسابق هو المعبود الحقيقي.

ويفسر الدكتور مصطفى الشكعة تصرف الإسماعيلية في عقيدتهم بهذا الشكل فيقول: "إن ما يقوله المسلمون عن الله ﷻ خلعه الإسماعيليون على "العقل الكلي" الذي هو الإله

١ الحركات الباطنية لمصطفى غالب ٩٩

٢ راحة العقل للكرماني ١٨٩، نقلا عن الحركات الباطنية للخطيب ٨٧

٣ راحة العقل للكرماني ١٨٩، نقلا عن الحركات الباطنية للخطيب ٨٧

Upload by : altawhedmag.com

عندهم، وهم لم يذهبوا هذا المذهب في التعريف بالله ولم يركبوا هذا المركب الصعب عبثا، بل عمدوا إلى ذلك لإسباغ صفة خاصة على الإمام، الذي قالوا إنه من البشر، فقالوا إن "العقل الكلي" في العالم العلوي يقابله الإمام في العالم الجسماني، وانتهوا من ذلك إلى أن جميع الأسماء والصفات التي خلعت على العقل الكلي هي أيضا أسماء وصفات خلعت على الإمام، لأن الإمام مَثَلٌ "للعقل الكلي"، فأسماء الله الحسنى جميعا هي أسماء للإمام"[١].

وتزعم الإسماعيلية أن "العقل الأول" هو الإبداع الأول عن الله، ثم أبدع العقل الأول ما يسمى بـ "التالي" وهي "النفس الكلية"، ويرمزون "للسابق" بالقلم و"للتالي" باللوح المحفوظ، ثم زعموا أن جميع ما في الكون من موجودات وجدت من تفاعل "السابق" و"التالي".

وبهذا الافتراء حولت الباطنية شهادة التوحيد، بمعناها البسيط، إلى تثليث لا يختلف كثيرا عن ثالوث النصارى، فالإله واحد له ثلاثة أسماء، إله مجرد من أسمائه وصفاته، ثم "السابق" الموصوف بكل صفات الإله، ثم "التالي" الناتج عن إبداع "السابق". ولو توقف الأمر عند هذا الحد لكانت عقيدة الإسماعيلية صورة طبق الأصل من نظرية أفلاطون الخاصة بالإنسان الأول، ولكنهم أضافوا القول "إن النفس الكلية انبعث عنها سبعة عقول بالتتابع، كل عقل منهم ينتج عنه عقل آخر كما يلد الوالد ولده، ثم حفيده، وهكذا"، ونستطيع أن نفهم ما يرمي إليه الإسماعيلية من وراء اعتناق أفكار أفلاطون أو الانتصار لفلسفة السفروت العشرة عند فلاسفة اليهود، إذا طبقوا نظريتهم المثل والممثول التي تقول إن الموجودات في العالم الأرضي لها ما يماثلها في الملأ الأعلى، فالنبي أو الناطق عندهم يمثل العقل الكلي أو السابق، والإمام يمثل النفس الكلية أو التالي، والأئمة السبعة يمثلون العقول السبعة.

لذا يرى الإسماعيليون أن أئمتهم السبعة هم: إسماعيل، وجعفر الصادق، ومحمد الباقر، وعلي زين العابدين، والحسين، وهؤلاء هم خمسة أئمة، ثم الحسن وأبوه علي بن أبي طالب، يمثلون بالتتابع العقول العلوية السبعة الصادرة عن النفس الكلية والعقل الأول.

١ إسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفى الشكعة ٢٥١

Upload by : altawhedmag.com

وهذه الأفكار تناقض بعضها بعضا، وتوفر علي الناس بيان بطلانها، فتارة يقولون النبي يمثل السابق، وتارة أخرى الوحي هو السابق، وثالثة: إن الوحي هو التالي، وأخرى إن الوحي هو العقول السبعة، والقوم يتبعون الظن والظن لا يغني من الحق شيئا، فتراهم في غلوهم في علي بن أبي طالب، يختلفون، فمنهم من يراه إلها، وآخرون يرون أنه فوق النبي، وغيرهم يزعمون أنه الوحي من بعد النبي، وأنه أول الأئمة السبعة، وفريق يقول إنه النبي والوحي، والإمام يقابل السابق والتالي وأول السبعة.

ثانيا: عقيدة الدروز.

يعبد الدروز الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي الذي ادعى الألوهية فترة من حياته، ثم زعم حلول الإله فيه، وقد بشر بألوهيته داعية من أتباعه يسمى نشتكين، كما كان لحمزة بن علي دوره البارز في وضع أسس العقيدة الدرزية من خلال رسائله العديدة التي ينص فيها صراحة على ألوهية الحاكم، ومنها: السيرة المستقيمة، وكتاب فيه حقائق ما يظهر قوام مولانا جلّ ذكره من الهزل، ورسالة البلاغ والتوحيد ورسالة الغيبة وغيرها.

وتقول الدروز بالتثليث كما تقول النصارى، مع اختلاف المسميات، فهم يؤمنون بثلاثة ألفاظ هي "المعنى - الباب - الاسم". ويريدون بذلك أن المعنى دخل في الباب، واحتجب بالاسم واتخذه لنفسه، والثلاثة لا ينفصلون، كما في قولنا بسم الله الرحمن الرحيم، فالله هو المعنى، والرحمن هو الاسم، والرحيم هو الباب، وكذلك محمد هو الاسم، وعلي هو المعنى، وسلمان الفارسي هو الباب. وكما تؤمن الإسماعيلية بحلول الإله في عليّ، تؤمن الدروز بأن الله حل في معبودهم الحاكم بأمر الله: "ومما لا شك فيه أن الإمام الحاكم بأمر الله [ع]، هو عند الدروز بشر في الأعين المجردة، ويعيش بين الناس كما يعيش غيره من البشر، ولكن الإله المعبود اتخذ لنفسه صورة إنسية سماها الناس "الحاكم بأمر الله"، مثل ما يتخذ الإنسان ثيابه فيرتديها، ثم ينزعها ويرتدي غيرها، والثياب ليست من جنس من يرتديها، ولا تشبهه في شيء، وكذلك الإله المعبود ليس من جنس الصورة التي اتخذها ولا هي شبيهة به، وهو يظهر في هذه الصورة الناسوتية المتغيرة، ففي كل عصر ظهر فيه اتخذ صورة ناسوتية تختلف عن الأخرى، واعتقادي أن هذه النظرية لا تختلف عن النظرية الإسماعيلية التي تعتبر الإمام من حيث الظاهر من البشر، وأنه خلق من الطين، وتتعرض للأمراض والآفات والموت، مثل

Upload by : altawhedmag.com

غيره من البشر، ولكن في التأويلات الباطنية يسبغون عليه "وجه الله"، "يد الله"، و"جنب الله"، وأنه يحاسب الناس يوم القيامة.

ثالثا: عقيدة العلويين.

تعتقد النصيرية أو العلويون بحلول علي ﷺ في أتباعه، ويقولون: "بالإضافة إلى اعتقاد النصيرية بالمسوخية، فإنهم يؤمنون بالحلول أي حلول العلوية الروحانية بالأشخاص البشرية، ولهذا المعتقد ظاهر وباطن، فالظاهر أحرف معدودة تشير إلى أشخاص معلومة، والمعنوية قد استقرت أخيرا في عليّ الأعلى الذي ارتدى الحلة الزرقاء، وسكن في الشمس، وجميع ما في السماء من الكواكب فهي أنفس الصالحين، وفي كتبهم ورسائلهم السرية المقدسة يلتمسون الخيرات من عليّ الأعلى بحرمة الكواكب الزاهرة، والأحرف الظاهرة من الله فهي اسم يحتوي على ثلاثة أحرف، ويبتدئون بأحرف الاسم من أوله، ويجعلون حرف الميم هو محمد بن عبد الله ﷺ، ويسمونه الميم إليه التسليم، وحرف السين وهو الباب والحجاب سلمان الفارسي، والألف هو المقداد بن الأسود ويسمونه رب الناس، ويعتقدون بأن الباري تعالى ظهر بالنورانية ولم يزل ظاهرا، ولهم في ذلك ثلاث نظرات: النور - الدال على نظرة الاسم الأعظم، الضياء - الدال على نظرة الباب الأكرم، الظل - الدال على نظرة اليتيم الأفخم، وهذه النظرات تطبق على الترتيب عندما يكون القمر طفلا وشابا وشيخا".

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الرابع

الباطنية والنبوة

مفهوم النبوة عند الإسماعيلية يختلف عن مفهومها عند أهل السنة، فهم يقولون: "إن جبريل عليه السلام ليس خلقا من أشرف أنواع الملائكة، وإنما هو العقل الفائض عليه من السابق، وأن النبي له قوة قدسية صافية مهيأة يدرك بها الكليات العقلية عند شروق نور الفيض من السابق بواسطة التالي"[١]. والوحي عندهم هو "ما قبلته نفس الرسول من العقل، وقبله العقل من أمر باريه[٢] من علم"، والنبي عندهم هو "شخص فاضت عليه من السابق بواسطة التالي قوة قدسية صافية، والقرآن إنما هو "تعبير النبي ﷺ عن المعارف التي فاضت عليه من العقل، ويسمى كلام الله مجازا، وهذه المعارف باطن لا ظهور لها، وكلام النبي وعبارته عنه ظاهر لا بطون له، وزعموا أن هذه القوة القدسية الفائضة على النبي لا تستكمل في أول حلولها، كما تستكمل النطفة الحالّة في الرحم إلا بعد تسعة أشهر، فكذلك هذه القوة كمالها في أن تنتقل من الرسول الناطق إلى الأساس الصامت"[٣].

والإسماعيليون ينكرون قصص الأنبياء كما يفهمها المسلمون، ويقولون: إن التفسير الظاهري يرمي الأنبياء بارتكاب المعاصي، ويقدمون لأتباعهم تأويلا باطنيا تجعل حياة الأنبياء رموزا وإشارات ومعاني أدركوها وحدهم، ومن هذه التأويلات: "أن آدم لم يكن أول الخلق، وأن حواء ليست بزوجة له، وإنما كانت أقرب الدعاة إليه، وأنهما كانا ينعمان في دعوة الإمام الذي كان قبلهما، وهي دعوة إسماعيلية عبر الله عنها بالجنة، فتطلع آدم إلى مرتبة دينية أعلى من مرتبته، فأخرجه الإمام من الدعوة، ولكن آدم عاد إليها بعد أن تاب الإمام عليه". "ومعنى أن المسيح لا أب له أنه لم يأخذ العلم عن إمام، وأن إحياءه الموتى إشارة إلى علمه الذي يهدي به"[٤] مختصرا، وإذا أضفنا تأويلاتهم عن حياة الأنبياء إلى قولهم بنظرية

---

١ فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي.

٢ تاج عقائد ومعدن الفوائد لعلي بن محمد الوليد، نقلا عن الحركات الباطنية للخطيب ٩٦

٣ فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي.

٤ الحركات الباطنية للخطيب ٩٨

Upload by : altawhedmag.com

الدور نصل إلى حقيقة ما يقصده الإسماعيليون عن النبوة والأنبياء حيث يقولون: "إن الأنبياء والأئمة هم فيض من نور العقل الأول وأن هذا النور يتسلسل في الأنبياء والأئمة في كل الأدوار، ولما كانت طبيعة النور واحدة، وهي من فيض وإبداع الإله، فإن آدم هو نوح في دورته، ونوح إنما هو موسى في دورته، وموسى هو عيسى، وعيسى هو محمد ﷺ وهو محمد بن إسماعيل في دورته، وهو أيضا المهدي القائم المنتظر صاحب الزمان، الوارث لكل الأنبياء ومن سبقه من الأئمة، فهو صاحب صفات الأنبياء والأئمة جميعا".

لقد مرق الباطنية بعقيدتهم حول الإمامة والإلهيات والنبوة من دين الإسلام، وأي محاولة لحسابهم على الإسلام إنما يقوم بها رجل حسن النية يجامل الناس على حساب الإسلام يريد أن يجمع بين المشرقين، أو رجل لا يعلم فهو معذور بجهله، وإليهما نسوق تحذير علماء الأمة من خطورة هذه الفرق، ومنهم أبو الفرج بن الجوزي الذي يقول: "الباطنيون قوم عجزوا عن مقاومة الإسلام علنا، فقالوا سبيلنا أن ننتحل الإسلام، ونظهر الحزن على ما جرى لآل البيت، وذلك ليتمكنوا من شتم القدماء الذين نقلوا إليهم الشريعة، فإذا هان أولئك عندهم أمكن استدراجهم عن الدين، فإن بقي منهم معتصم بالكتاب والسنة أوهموه أن تلك النصوص لها ظاهر وبواطن، وأن المتوقف عند ظواهرها من أهل العامة، وأهل الخاصة هم الذين يفهمون بواطن الآيات والأحاديث، وبذلك يمنعونهم من الالتزام بظاهر النصوص، فيعطلوا الأحكام والعمل بالدين.

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الخامس

نظرية التأويل الباطني

تقوم عقيدة الباطنية على نظرية التأويل الباطني، فبدونها لا يستطيعون أن يروجوا بضاعتهم المنقولة عن أسلافهم من الفلاسفة، وسنوضح دعائم ملتهم لنرى كيف أصبحت الطهارة الركن الثاني، من أركان عقيدتهم، ومرادهم ليس الطهارة الظاهرة التي نعرفها من اغتسال ووضوء وإنما هم يقصدون الطهارة الباطنة، والطهارة عندهم هي تصديق خرافاتهم، ومن أنكر مبادئهم وأفكارهم يصبح غير طاهر، وبالتالي لا يصح له إيمان. ويقول أحد دعاتهم: "يمكننا أن نعتبر التأويل ونظرية المثل والممثول المدماك الذي ترتكز عليه أسس العقائد الباطنية الإسماعيلية، فهو بمثابة الشريان الحيوي الذي يمد الأفكار الفلسفية العقلانية التعليمية بالتجدد والتطور نحو الأكمل والأمثل، ويفتح مغاليق النفس العاقلة إلى دنيا زاخرة بالمعرفة وكوامن الفلسفة الباطنية بالحكم والمنطق والبيان".

ويقرر مصطفى غالب في موضع آخر من كتابه عقيدة النصيرية: "لو ترجمنا المصطلحات والرموز العقائدية النصيرية لوجدنا بأن الغاية الرئيسية التي ترمي إليها هي أن لكل عمل وكل قول تأويلا خاصا لا يعرفه إلا المشايخ الذين تعلموه عن الأئمة، وهذا التأويل الباطني هو الذي يفرقهم عن إخوانهم الشيعة، لغلو النصيرية في تأويلاتهم بسبب إسباغ مناقب خاصة، وصفات قدسية عالية على الإمام علي بن أبي طالب [ع]، هذا بالإضافة إلى الغموض الشديد الذي يشوب الأصول والأحكام النصيرية، مما يحملنا على التروي والحذر والانتباه الشديد للمعنى المقصود من وراء الرموز والمصطلحات والكرامات والمعجزات التي بنوا عليها عقيدتهم ومصطلحاتهم".

يتلخص قول داعي الإسماعيلية الباطنية فيما يلي:-

١. إقراره بالغلو في علي بن أبي طالب.
٢. الأئمة أصل الفهم الباطني.
٣. لا ينتقل العلم الباطني إلى الناس إلا من خلال التلقي عن علي وآل بيته من بعده.
٤. التأويل الباطني يشمل كل قول وكل علم، فمخالفة الباطن للظاهر ليست محدودة، وإنما هو تباين عام وشامل.

Upload by : altawhedmag.com

٥. إقراره بأن الإيمان بعقيدة الباطنية هو الطهارة الباطنية.

٦. لا يخفى من كلامه الاعتراف بالعلاقة الوثيقة بين عقيدة الباطنية والفلسفة.

Upload by : altawhedmag.com

الفصل السادس

الشريعة عند الباطنية

أولا: الشريعة عند الإسماعيلية.

يشرح داعي الإسماعيلية الاختلاف بين التأويل والتفسير بقوله: "والتأويل حسب المفهوم الإسماعيلي يختلف تمام الاختلاف عن التفسير كما يفهمه عامة الفرق الإسلامية الأخرى، لأن التأويل يقصد به باطن المعنى أو رموزه أو إشاراته أو الجوهر الخفي وراء الكلمة التي لا تدل عليه، لذلك لا نستغرب إذا وجدنا أن المذهب الإسماعيلي يخص الناطق [النبي ﷺ بالتفسير الظاهر، ويعطي حق التأويل الباطني للإمام، لأن الناطق يمثل الشريعة والأحكام والفقه والقانون الظاهر، أما الإمام تتجسد فيه الحقيقة والتأويل والفلسفة الباطنية باعتبار أن القرآن أنزل على محمد ﷺ بلفظه ومعناه الظاهر للناس، فهو إذا صاحب التنزيل للقرآن، أما أسرار القرآن التأويلية الباطنية، وإظهار معاني الرموز والإشارات فقد خص به علي والأئمة من بعده إلى يوم الدين".

وهنا يجدر الإشارة إلى تطابق هذه النصوص مع أفكار من سبقهم من الباطنيين كفيلون البهودي، وأوريجانوس النصراني، وإذا قارنا بين أقوال باطنية اليوم وباطنية الأمس فإننا نجد أن: الناطق [أي النبي ﷺ] يمثل الشريعة والأحكام والفقه والقانون الظاهر، أما الإمام فتتجسد فيه الحقيقة والتأويل والفلسفة، وهذا يطابق قول [يوسف دره حداد] في كتابه صوفية المسيحية حيث يقول ردا على اليهود الذين يظنون الحقيقة في الشريعة: "إن الشريعة نزلت بموسى، وبيسوع المسيح النعمة والحقيقة".

والإسماعيلية بهذا المفهوم يُقسمون العلم إلى: ظاهر يعرفه النبي ﷺ، وليس له أن يعرف شيئا من التأويل، لأنه خاص بالإمام وحده، وباطن هو معجزة الأئمة وليس للنبي حظ منه، لذا يخاطب دعاة الباطنية أتباعهم قائلين: "ومن معجزات وغرائب القرآن أنه يأتي بالشيء الواحد وله معنى في ظاهره، ومعنى في باطنه، فجعل ﷻ ظاهره معجزة رسوله، وباطنه معجزة الأئمة من أهل بيته، لا يوجد إلا عندهم، ولا يستطيع أحد أن يأتي بظاهر الكتاب غير محمد رسول الله ﷺ جدهم، ولا أن يأتي بباطنه غير الأئمة من ذريته".

Upload by : altawhedmag.com

ولم يكتف الإسماعيليون بتطبيق نظرية التأويل الباطني على القرآن الكريم، وإنما أوهموا أتباعهم أن للكون أيضا ظاهر وباطن، وأن الظاهر يدل على الباطن، كجسم الإنسان الذي هو يظهر منه الجسد، ويبطنه النفس، وكذلك الكون فهو جسماني ظاهر، يماثل العالم الروحاني الباطن، وسموا هذا التطبيق نظرية المَثَل والممثول، وبموجب هذه النظرية والتأويل الباطني يقولون أن اللهﷻ جعل كل معاني الدين في المخلوقات التي تحيط بالإنسان، فيجب إذن أن يستدل بما في الطبيعة، وبما على وجه الأرض على فهم حقيقة الدين، فالموجودات مَثَل وحقائق الدين هي الممثول، والإنسان مَثَل، والخالق هو الممثول".

ويمكننا أن نرى مدى التطابق بين بضاعة الإسماعيلية وبين آراء الفيلسوف هرميس، وزيتون الرواقي، ونظرية العالم الكبير والعالم الصغير، وأفكار جماعة القبالة اليهودية، وآدم الأرضي وآدم السماوي، وهم بذلك يتبعون سنن اليهود والنصارى، ومن كان قبلهم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، وما تركوا جحر ضب إلا دخلوه وراءهم. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ [التوبة-٣٠].

نعرض فيما يلي بعض تأويلات الإسماعيلية عن الشريعة، ونريد أن نسترجع من الباب الأول الفصل الثاني، ما سبق أن ذكرناه عن فكر الباطنية الجدد الذين يحاولون إعادة بعث أفكارهم تحت اسم جماعة الوارثين، وسيجد القارئ الكريم أن هناك تطابقا تاما بين أفكار باطنية الأمس وباطنية اليوم.

إن تطبيق نظريات التأويل الباطني، وأن لكل ظاهر باطنا، يُخْرِج الشريعة عن مقاصدها ويجعلها معطلة، وكل ما هناك مجموعة من الرموز التي تطلب من أتباعها طهارة الباطن، وتزكية النفوس، ولا يوجد أي معيار نرجع إليه لقياس صحة هذه التأويلات، فطالما الأمر منسوب لأحد الأئمة، فما على الأتباع إلا السمع والطاعة، ولنضرب بعض الأمثلة والتي نريد من القارئ الكريم أن يبقي هذه المعلومات في ذهنه حين يقرأ الفصل الثامن بعد قليل، وأن يقارن بينها وبين مزاعم جماعة الباطنية الجدد الذين يسمون أنفسهم الوارثين، وكيف أن تأويلاتهم تتطابق مع تأويلات الإسماعيلية كما يظهر من تتبع الأمثلة التالية عن بعض المصطلحات الشرعية وأحكام الشريعة وتأويلاتها الباطنية عند الإسماعيلية:

- الباب: علي

Upload by : altawhedmag.com

- الطوفان: طوفان العلم أُغرق به المتمسكون بالشبهة
- الفُلك: الحرز الذي يحصن به من استجاب لدعوتهم
- نار إبراهيم: غضب النمرود
- ذبح إسحاق: أخذ العهد عليه.
- عصا موسى: حجته
- الحلال: الواجب إظهاره وإعلانه
- الحرام: الواجب ستره وكتمانه
- الربا: الرغبة في الإكثار وطلب الحكام وإفشاء الأسرار
- المسكر الحرام: ما يصرف العقل عن التوجه إلى طلب معرفة الإمام
- الجنابة: إفشاء السر
- الغسل: تجديد العهد على من أفشى السر
- الزنا: إلقاء نطفة العلم الباطن في نفس من لم يسبق معه العهد
- الصيام: الإمساك عن كشف السر
- الصلاة: الداعي إلى دار السلام بصلة الأبوة في الدعوة إلى الإمام
- الزكاة: إيصال الحكمة إلى المستحق
- الحج: القصد إلى صحبة الإمام
- الكعبة: النبي
- الإحرام: الخروج من مذهب الأضداد
- والمصلي يستقبل الكعبة بجسمه الترابي، وروحه تتجه إلى الإمام،
- ولذلك يقول المؤيد:

أبيت من الأحجار أعظم حرمة

أم المصطفى الهادي الذي نصب البيتا

- الحج في الظاهر هو القصد لأشرف البقاع.
- الحج في الباطن والتأويل قصد الإمام.

ولذا يعتقدون أن العبادات تنتفي إذا عدم الإمام، وتراهم يقولون: "إن ولاية الإمام حسب المفهوم الإسماعيلي ركن من أركان الدين، ودعامة من دعائمه، بل هو الإيمان

Upload by : altawhedmag.com

بالحقيقة، والإمامة هي المحور الذي تدور عليه الفرائض التكليفية، فلا يصح وجودها إلا بوجوده، والإمامة تستمر بالنص مدى الدهر، لأن الكون لا يستطيع البقاء لحظة دون إمام، فلو فقد ساعة واحدة لماد الكون وتبدد".

وتزعم الإسماعيلية أن من يفهم بواطن هذه التكاليف وعرف أسرارها، انحط عنه أعباء القيام بها، وأولئك هم المرادون بقوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف-١٥٧]، وقد انتقل هذا المفهوم إلى الصوفية فنرى بعض المشايخ يشيع بين أتباعه أنه قد تحقق، وبالتالي فقد سقطت عنه التكاليف!

ثانيا: الشريعة عند الدروز.

تتميز عقيدة الدروز بالسرية التامة، حتى أن أصول العقيدة مكتوبة في كتب لا يطلع عليها أحد، وهناك نقص كبير في المعلومات المتاحة حول عقيدة القوم، لذا فإننا ننقل عن الدكتور مصطفى الشكعة من كتابه القيم إسلام بلا مذاهب أن: "الشريعة الدرزية مأخوذة من القرآن ومن ستة عشر كتابا خطيا لا يسمح لأحد بالاطلاع عليها، كما أنها تأخذ تعاليمها من الفلسفة اليونانية، وبخاصة الأفلاطونية القديمة، والمسيحية والإسلام والبوذية والفرعونية القديمة، ويعتبرون إخوان الصفا من الدروز لتشابه الأفكار بينهما.

ويلخص الدكتور الشكعة لقاءاته مع بعض علماء الدروز تلخيصا وافيا ننقله عنه لعموم الفائدة، ويتلخص ما سمعه عن عقيدة الدروز فيما يلي:

١. يؤمنون بشهادة التوحيد وينطقون "بلا إله إلا الله محمد رسول الله"، وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود لهم المقام الأسمى بين الصحابة جميعا باستثناء علي بن أبي طالب بطبيعة الحال.

٢. محمد ﷺ له مكانة محدودة عندهم، وهو ليس إلا واسطة الرسالة فحسب، وللدروز خمسة أقطاب منذ القدم، خامسهم الحاكم بأمر الله الفاطمي.

٣. يتمتع أبي اليزيد البسطامي بمكانة عالية سامية عندهم.

٤. الصلاة تختلف عن صلاة المسلمين في عدد ركعاتها، ولها طريقة أخرى.

٥. الوضوء ليس ضروريا ما دام المصلي نظيفا.

Upload by : altawhedmag.com

٦. الصوم معناه الامتناع عن الرفث، ويجوز الأكل والشرب فيه، ومدته عشرة أيام من ذي الحجة، وصوم رمضان مستحسن عن غيره.

٧. الزكاة معطلة، ولا حدود لها، والصدقات اختيارية.

٨. الحج لا يعتبر فرضا ويرون في ظاهر مناسكه وثنية.

٩. الحديث والسنة معطلان ولا يؤخذ بهما.

١٠. الطلاق مرة واحدة ولا رجعة فيه، والوصية مطلقة ولا يعتدون بالثلث [أي ليس لها حد الثلث كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ].

١١. التناسخ [أي تناسخ الأرواح] أمر مؤكد، وتبعا لذلك لا توجد عندهم حياة برزخية، فالأرواح تنتقل من الأموات رأسا إلى مواليد جدد.

١٢. العقيدة الدرزية عقيدة باطنية، فلا يجوز لأحد الإطلاع على الكتب الدرزية، ويعتبر كتاب "مجموع الدرر والنوادر وكتاب النقط والدوائر" أهم كتاب من كتب العقيدة الدرزية، وينسبونه إلى حمزة بن علي، وقد قسم المؤلف كتابه هذا إلى مجموعة من النقط منها: نقطة النور، نقطة العبادات، نقطة العالم العلوي، ومجموعة من الدوائر لها نفس أسماء النقط مثل دائرة النور، ودائرة العبادات وهكذا، ويربط المؤلف بين كل نقطة ودائرتها، ويصف مؤلف النقط والدوائر الإمام بأنه العقل الكلي، والجوهر الأزلي، والعنصر الأولي، والأصل الجلي، والجنس العلي، فيه بدأت الأنوار، ومنه برزت الجواهر، وعنه ظهرت العناصر، ومنه تفرعت الأصول، وبه تنوعت الأجناس، فهو صلوات الله عليه إرادة المبدع، وصفي الباري، وعالم مراده، وغاية مبدعاته، ومدبر مخلوقاته".

ويشرح صاحب النقط والدوائر في نقطة العبادات دعائم الإسلام الأربعة: الصلاة والزكاة والصوم والحج، ويقدم معنى كل منها في اللغة، وفي الظاهر [يعني عقيدة أهل السنة]، وفي الباطن [يعني عقيدة الباطنية]، ثم في الحقيقة [يعني من وجهة نظر عقيدة التوحيد]، وفي الفرائض [يعني التكليف الجديد] على هذا النحو:

*** الصلاة في اللغة: معناها الصلة.**

- وفي الظاهر: معناها الركوع والسجود وإقامة شروطها الظاهرة.

Upload by : altawhedmag.com

- وفي الباطن: معناها الاتصال بعهد علي بن أبي طالب.
- وفي الحقيقة: صلة قلوبنا وقلوبكم بتوحيد مولانا [أي الحاكم بأمر الله الفاطمي] جل ذكره في كل عصر وزمان
- وفي الفرائض: صدق اللسان.

*** الزكاة في اللغة: الطهارة والنمو والزيادة.**

- وفي الظاهر: زكاة الأموال.
- وفي الباطن: ولاية علي بن أبي طالب.
- وفي الحقيقة: تزكية القلوب بالتوحيد [أي توحيد الحاكم بأمر الله].
- وفي الفرائض: حفظ الإخوان.

*** الصوم في اللغة: معناها الصمت.**

- وفي الظاهر: معناها ترك الأكل والشرب والجماع وتعمد القيء.
- وفي الباطن: ترك المفاتحة لغير الإخوان.
- وفي الحقيقة: صيانة القلوب بالتوحيد [أي توحيد الحاكم بأمر الله].
- وفي الفرائض: ترك العدم والبهتان.

*** الحج في اللغة: معناها القصد.**

- وفي الظاهر: معناها المجيء إلى مكة والوقوف بعرفات وإقامة شروطه.
- وفي الباطن: معناها أن البيت يدل على الناطق [سيدنا محمد]، والحجر يدل على الأساس [أي علي بن أبي طالب].
- وفي الحقيقة: البيت هو توحيد مولانا [أي الحاكم بأمر الله الفاطمي] جل ذكره موضع السكنى والمأوى الذي يطلب المعبود فيه.
- وفي الفرائض: البراءة من الأبالسة والطغيان.

ثالثا: الشريعة عند العلويين.

"ومن جملة ما كتب أحد كبار أئمة العلويين وهو: الأمير/ حسن المكزون السنجاري المتوفى سنة ٦٣٨ هـ رسالة أسماها "تزكية النفس في معرفة بواطن العبادات الخمس" بناها على مقدمة وسبعة أبواب هي:

Upload by : altawhedmag.com

الباب الأول: في معرفة العبادة وبواطنها وأقسامها

الباب الثاني: في معرفة باطن الإسلام وأقسامه ومستقر الإيمان ومستودعه.

الباب الثالث: في بواطن الصلاة ولوازمها ومعرفة أشخاصها

الباب الرابع: في معرفة بواطن الصيام ولوازمه ومعرفة أشخاصه.

الباب الخامس: في معرفة الزكاة ولوازمها وأقسامها

الباب السادس: في معرفة باطن الحج ولوازمه وأقسامه.

الباب السابع: في معرفة الجهاد ولوازمه وأقسامه.

والمسألة التي تدعو إلى التساؤل هنا هو أن الأمير المكزون في معرض ذكره بواطن الصلاة والصيام والحج، جعل لكل فريضة أشخاصا، أي أن لكل صلاة شخصا أو أشخاصا ترتبط هذه الصلاة أو تلك به أو بهم بشكل أو بآخر، ونفس الشيء ينسحب على الصيام والحج، ومصدر الخطر أن بعض من كتبوا عن العقيدة العلوية قد ذكروا ارتباط الفرائض التي ذكرت بأشخاص بعينهم ممن يحتلون مكانة في نطاق الرتب العلوية وحددوا أسمائهم،

ويشرح المؤلف المعرفة الحقيقية عند العلويين بقوله: "هي شجرة ذات أصل ثابت وفرع باسق، لا تنال ثمرتها إلا برفع أيدي السؤال إلى فروعها الزكية: فأصلها الأزل، وفرعها الأبد، وثمرها السرمد، وهذه الرتب الثلاث هي التي عبر عنها أهل التوحيد بـ"المعني"، و"الحجاب"، و"الباب"، وقد عبر عنها الحكماء بـ"الباري"، و"العقل"، و"النفس"، وهي التي تعرف بمعرفتها سائر الأشياء.

و"المعنى" من هذه الرتب الثلاث هو الحق الأول الذي ابتدع "الحجاب" الأول، و"الحجاب الأول" هو الذي خلق "الباب"، و"الباب" هو الذي اختص "الأيتام" بقدرة المشيئة الظاهرة فيه، وكذلك ظهرت "المقامات الخمس" من العالم النوراني، رتبة رتبة، وعن الرتب الأخيرة تكونت سائر الموجودات مما دونهم.. ثم يبين المكزون ما يرمي إليه بقوله: "وإنما ذكرت ذلك ليعرف العبد الوسائط التي بينه وبين باريه،.."

ويتسم أسلوب دعوة الباطنية بالتدرج، فالمريد يتلقاها مرحلة بعد أخرى، وكلما استجاب إلى قدر من هذه المفاهيم أعطوه المزيد، وهم بذلك لا يعطون المريد هذا الزخم من المفاهيم المنحرفة مرة واحدة، ومن وصل إلى مرتبة الدعوة عندهم يكون قد نال حظا ومقاما عند الناس، ومكانة بين الأتباع تجعله وإن عرف الحق، لا يستطيع أن يرجع إليه، ويساعدهم

Upload by : altawhedmag.com

على نشر هذه المفاهيم أنهم يرسون في قلوب أتباعهم خطورة الاعتراض، فمن أنكر عند الباب رُدَّ إلى الحجاب، وقد سارت الصوفية على درب الإسماعيلية في مبدأ التدرج مع المريد، وترسيخ فكرة خطورة الاعتراض، ويقولون من يعترض ينطرد.

Upload by : altawhedmag.com

الفصل السابع

التوفيق بين الأديان

بعد أن وفق الباطنيون بين الأديان ومزجوا بين أفكارها، حتى أن عقيدتهم أصبحت عقيدة تلفيقية، صبت فيها كل روافد الفلاسفة واليهود والفرس والهنود والنصارى، راحوا ينادون بالتوفيق بين الأديان، ويدعون الناس إلى ذلك، ولا يعنيهم من الناس إلا أهل السنة، الذين تمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فنحن بتوفيق الله تعالى ما زلنا على الصراط المستقيم، ولن نحيد عنه بإذن الله حتى نلقاه جل في علاه، وللباطنية في كل وقت أعوان يعيدون طرح قضية التوفيق بين الأديان وغيرها من الأفكار الهدامة، حتى يشغلوا الناس عن دينهم، وربما نجحوا في اكتساب جاهل منحرف، أو مثقف أحمق منبهر بالحضارة الغربية لا يعرف من أمر دينه شيئا، ولا يجرؤ دعاتهم أن يظهروا عقيدتهم الفاسدة إلا في آونة الضعف والهوان التي يعيشها المسلم في هذه الأيام.

لذا لا غرابة أن تقرأ ما كتبه داعي الباطنية المعاصر د. مصطفى غالب الذي يقول فيه: "ولا بد لنا من تقديم الدليل القاطع الذي يدعم قولنا بأن الإسماعيلية حاولوا أن يوفقوا بين كافة الأديان السماوية التي سبقت الإسلام، وهذا الدليل نجده في قول السجستاني عندما حاول أن يوفق بين الصليب وشهادة التوحيد فقال: "إن الشهادة مبنية على النفي والإثبات، فالابتداء بالنفي، والانتهاء إلى الإثبات، وكذلك الصليب خشبتان: خشبة ثابتة لذاتها، وخشبة أخرى ليس لها ثبات إلا بثبات الأخرى، والشهادة أربع كلمات، وكذلك الصليب له أربع أطراف، فالطرف الذي هو ثابت في الأرض منزلته منزلة صاحب التأويل الذي تستقر عليه نفوس المرتادين، والطرف الذي يقابله علوا في الجو منزلته منزلة صاحب التأييد الذي تستقر نفوس المؤيدين، والطرفان اللذان في الوسط يمنة ويسرة، دليل على التالي والناطق، اللذين أحدهما صاحب التركيب، والآخر صاحب التأليف، أحدهما مقابل الآخر، والطرف القائم دليل على السابق الممد لجميع الحروف، والشهادة سبعة فصول [كلمات]، وكذلك الصليب أربع زوايا، وثلاث نهايات، وللزوايا الأربع والنهايات الثلاث، دليل على الأئمة السبعة في أدوارهم.." ولحديثه بقية اختصرناه لتفاهته

Upload by : altawhedmag.com

وبغض النظر عن هذه المحاولة الرخيصة للتوفيق بين شهادة التوحيد وشكل الصليب، فإن عقيدة الباطنية قد مهدت ووضعت الأسس التي جعلت التوفيق بين الأديان خطوة طبيعية، ومن هذه الأسس نظرية الدور التي وفقت بين الأنبياء وجعلت نوحا هو نفسه إبراهيم وهو نفسه موسى وهكذا، فلِم لا ينادي الباطنيون بفكرة التوفيق بين الأنبياء؟ ولا سيما أن عقيدتهم مؤلفة من أفكار فلاسفة اليهود والنصارى ومن كان قبلهم، لذا نجد داعيهم المعاصر يقول: "ولما كان الفلاسفة الإسماعيليون يتمتعون بخصائص عقلية نادرة وعمق نظر واستعداد فلسفي وإلمام واسع بجميع العلوم، فقد حاولوا التوفيق بين الأديان السماوية التي سبقت الإسلام، وبين ما جاء به الإسلام، وكانت مؤلفاتهم مصدر ثورة فكرية، بل ثورة عقلية وتعاليم فلسفية ينهل من ينبوعها الفياض كل متعطش للمعرفة" ثم يستطرد قائلا "ومن المؤكد أن الحركة الإسماعيلية أصبحت مع مرور الزمن وتطور أنظمتها ومعتقداتها حركة فكرية ثورية علمانية، تهدف إلى قلب النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي كانت تسيطر على البلدان الإسلامية، وإلى تحقيق أهداف انقلابية في النظم والأفكار والمعتقدات".

أولا: تنبيه وتحذير.

ولا شك أن تصريح أحد دعاة الإسماعيلية بهذا الوضوح - والذي يشبه كلام أعضاء الإتحاد الاشتراكي في الستينيات - يفسر لنا أمرا تاريخيا كما يشير إلى حدث مستقبلي على جانب بالغ الأهمية ألا وهما:

١. ما يخص الجانب التاريخي: يلاحظ كل من يتأمل التاريخ الدموي للحركات الباطنية، أنه منذ ظهور دعوى الباطنية ولا يخلو عصر ولا تخلو دولة من الدول سواء: الأموية أم العباسية وما بعدها من الدول من حركات وثورات وخروج على حكام المسلمين، تلك الحركات التي كان لها الدور الواضح في إنهاك الدولة الإسلامية، وسفك دماء المسلمين. ويُفسر داعي الإسماعيلية هذه الظاهرة والدافع من وراءها على أن الهدف هو القيام بحركات إصلاح تهدف إلى قلب النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.."

Upload by : altawhedmag.com

٢. أما الأمر المستقبلي: إن تصريح الداعي وكشف أوراق دعوة الباطنية في هذه الآونة، يمثل تغييرا خطيرا في أسلوب دعوتهم ونحن نعتبر ذلك انتقالا خطيرا من مرحلة الستر إلى مرحلة العلن، وليس لهذا سوى تفسيرا واحدا وهو أنهم وجدوا المناخ مناسبا لإظهار دعوتهم، وهذا ما سنؤكده حين نلقي الضوء في الفصل التالي - بتوفيق الله تعالى - على المحاولات التي تجري الآن لإعادة بعث الإسماعيلية والباطنية في مصر. فمصر حماها الله من كيدهم هي حلمهم القديم وقاعدة انطلاقهم المأمول حتى يعيدوا غزو العالم الإسلامي ثانية، خيب الله ظنهم، وجعل كيدهم في نحورهم، إنه ﷻ نعم المولى ونعم النصير.

ثانيا: الإسلام والباطنية.

وهنا يجدر بنا أن نتأمل قليلا في نسبة الباطنية عامة والدروز خاصة إلى الإسلام، فالقوم نطقوا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وبالتالي هم مسلمون، ولكنهم بدلوا كل شيء في الدين:

ففي العقيدة: جعلوا مع الله شريكا هو الحاكم بأمر الله، الذي خلعوا عليه ثوب الألوهية وراحوا يعبدونه من دون الله، كما أنكروا الإيمان باليوم الآخر، فعقيدتهم التناسخ، وهم يعتقدون في العودة إلى الدنيا بعد الموت، وينكرون الثواب والعقاب والجنة والنار، ونحن لا نتأول كلامهم ولكنهم يصرحون بذلك ولا ينكرونه، كما أنهم يعطلون الحديث والسنة.

وفي الشريعة: أنكروا أركان الإسلام، فالطهارة لا تجب، والصلاة غير صلاتنا، والزكاة ليست فرضا، والحج وثنية.

وفي الأحوال الشخصية: الطلاق مرة واحدة، وقواعد الميراث مختلفة عما يعرفه أهل السنة. فأي مسلم مهما كانت سذاجته لا يطمئن قلبه إلى اعتبار القوم من المسلمين، ورضي الله تبارك وتعالى عن أبي بكر الذي رأى أن قتال مانعي الزكاة فرض لازم، فكيف به ﷺ لو عايش الباطنية القدامى والمعاصرين.

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الثامن

إعادة بعث الباطنية في مصر

احتل الفاطميون مصر ما يزيد على مائتي عام، بنوا خلالها دولة الشيعة، وأنشئوا المدارس لنشر مذهبهم منها الجامع الأزهر، وأقاموا في مصر أضرحة لآل البيت بعد وفاتهم بقرون عديدة، كمسجد رأس الحسين ﷺ، وضريح علي زين العابدين ﷺ، حتى يجذبوا العامة إلى عقيدتهم من خلال حب أهل مصر الفطري لآل البيت، وراحوا يلعنون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما على منابر الجامع الأزهر لأكثر من قرنين من الزمان، إلى أن قيض الله لهم صلاح الدين الأيوبي فهدم دولتهم، ومحا شيعتهم من مصر، وأعاد الناس إلى عقيدة أهل السنة، وصحح ما فسد من عقائد الناس، ومع هذا نراهم لم ييأسوا بعد هذه القرون السبع التي مرت على زوال دولتهم، بل هم يحاولون ويخططون بأقصى جهد لاختراق الإسلام وضرب عقيدة أهل السنة، وذلك بإعادة بعث الباطنية في مصر، فالوصول إلى مصر والانتشار فيها والانطلاق منها، أمل يراود الكثيرين منذ فجر التاريخ، فمكانة مصر ومكانها جعلاها مطمعا يود المغامرون أن ينالوه، وبرغم أن أحداث التاريخ أثبتت أن مصر دائما قاهرة الغزاة، ومحطمة آمال الجبابرة والبغاة، وأن وافدا على مصر من العتاة يذوب في مصر ويتحلل ويندثر هو وجنده وخيله، دون أن يغير فيها، أو يبدل في ثوابتها، ويتجاهل القائمون وراء جماعة الوارثين هذه الحقائق، ولا يعلمون أن مصر التي عاشت ما يزيد على مائتي عام تنزح تحت نير دولة غلاة الشيعة من الفاطميين، إلا أنها وقفت وراء صلاح الدين الأيوبي حين أعاد مصر إلى عقيدة أهل السنة والجماعة، وزالت تلك الأيام ومرت تلك السنون وبقيت مصر كما هي قلعة الإسلام وقلبه النابض على مر الأيام، وكلما هلك فريق من الباطنيين، ظن المؤمنون أن أفكارهم قُبرت معهم، إلا أن الواقع غير ذلك، فالأفكار تُبعث من جديد وقد يتغير فقط الاسم والشكل، ويثبت المضمون وربما يتلون أحيانا، ولكنه لا يتغير، وأتباع الباطنية اليوم أيضا تتبدل ثيابهم ووظائفهم، وتسير عقولهم على درب زعمائهم الأقدمين، وأوضح دليل على هذا ظهور جماعة من المثقفين في مصر - منذ وقت قريب - يطلقون على أنفسهم اسم "الوارثين"، يظن أغلب الناس أنهم جماعة صوفية، فهم يسمون

Upload by : altawhedmag.com

شيخهم "يحيى كامل أحمد قنديل" المربي الفاضل، وحضرة العارف بالله، والشيخ، إلى آخر هذه المسميات، ومقر هذه الجماعة مسجد النور الأحمدي التابع لجمعية رسالة الإسلام بحدائق القبة، حيث يعقدون اجتماعاتهم في قلب القاهرة جهارا نهارا، ولا يدرك أحد من الناس أنهم دعاة باطنيون يعملون ببطء شديد وحذر بالغ، وبنفس أسلوب سلفهم الذين فتحوا على الإسلام والمسلمين ويلات الفتنة والفرقة. ويكتبون كتبا تحت عنوان الإسلام دين العقل. وأنَّى لهم ذلك، فالله ﷻ يرعى مصر ويصونها من كيد الكائدين، فهي البلد الوحيد الذي ورد في القرآن الكريم خمس مرات، ونرجع إلى موضوعنا ونتعرف على أفكار الباطنيون الجدد فيما يلي ما يبثه "الوارثون" من أفكار هدامة سواء فيما يخص القرآن أو الحديث، مع أمثلة من ضلالاتهم وتأويلاتهم الباطنية حتى نحذر الناس من شرهم، ونلفت أنظار العلماء لخطورة ترك هؤلاء المفسدين دون التصدي لأفكارهم، وكشف معتقداتهم، وبيان حقيقة ما يرمون إليه من هدم الدين بالكلية.

أولا: الباطنية والقرآن.

أصدرت جماعة "الوارثين" كتابا يمهد لأفكارهم سموه: "القرآن تفسير أم تأويل" كتبه شيخ الجماعة، ثم بدأت الجماعة تسترسل في إصدار سلسلة من الكتب تحت عنوان: "الإسلام دين العقل"، وكتابهم الأول بعنوان: "مواجهة الفكر المتطرف في الإسلام"، والثاني بعنوان: "حقيقة الحكم بما أنزل الله"، ولا تهدف هذه الكتب إلى مناقشة الفكر المتطرف في الإسلام بقدر ما تهدف إلى بث أفكارهم الباطنية، كما توزع الجماعة على أتباعها خطب الشيخ، وأبحاث بعض تلاميذه منها بحث عن جماعةالتكفير والهجرة[1]، ومجموعة من الخطب عن الخلافة، واليهود وسليمان، وعصمة موسى، كلها تطفح بأفكار الإسماعيلية الباطنية، وتهاجم كتب تفسير القرآن، وصحاح الحديث كالبخاري، وكتب مذاهب الفقه، والمؤلفات الفقهية القديمة والحديثة.

وسنعرض في هذا الفصل أبرز أفكار هذه الجماعة ننقلها من كتاب شيخهم، ونبين كيف انساقوا وراء فكر أسلافهم حين صرفوا آيات القرآن الكريم عن أهدافها؟ وكَذَّبُوا سنة

١ كتبه د. حامد حسان، ود. محمد عبد العظيم علي، ود. علاء الدين زيدان، وحاسب محمد زغلف، ومهندس زراعي عبد السلام عبد الفتاح، وكثير من أبحاث هذه الجماعة مكتوب على الآلة الكاتبة أو بخط اليد.

Upload by : altawhedmag.com

رسول الله ﷺ، وهاجموا السلف الصالح وعلماء الأمة، كي يدسوا علومهم الباطنية، وبضاعتهم الفاسدة. ويقول "يحيى كامل" تحت عنوان القرآن بين التفسير والتأويل: "أنزل الله القرآن على قلب سيدنا رسول الله ﷺ قسمين:-

القسم الأول: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران-٧]، أي أن منه آيات فاصلة لا تحتمل الخروج عن مرمى ألفاظها في المعاني التي تشتملها تتحكم في تفكير الإنسان حتى لا يشتط في تفسيرها". ويستطرد شارحا مناسبة هذا النوع من الآيات التفسير وليس التأويل فيقول: "وعلى هذا فإن التفسير يكون قاصرا على آيات كتاب الله المحكمات، التي تتناول العبادات والمعاملات فقط.

القسم الثاني: والذي يقصد به ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران-٧]، بأن هذا القسم لا يحتمل إلا التأويل، وأما التأويل فيشمل باقي آيات القرآن الكريم المتشابهات[1].

ثم يُعَرِّف التأويل بقوله: ومعنى التأويل هو: "العدول عن ظاهر اللفظ إلى حقيقة المعنى المراد، ولا يشترط أن يكون ظاهر اللفظ مرتبطا بالمعنى المقصود". ويتصف أسلوب هذه الجماعة بالجرأة ومجاوزة الحد، عكس الطرق الصوفية التي لا تكشف عن معتقداتها بسهولة.

والشيخ يحيى كامل بهذا المنطق يخصص تفسير القرآن للآيات الخاصة بالعبادات والمعاملات فقط، أما باقي آيات القرآن الكريم فلا يناسبها إلا العدول عن ظاهر اللفظ إلى حقيقة المعنى، ثم يتحرر من اللفظ القرآني بالكلية ليفتح باب الباطنية على مصراعيه، فيقول ما وسعه القول، ولا حد يمنعه، ولا نص يقيم عليه الحجة، ويعبر الرجل عن عقيدته صراحة فيقول: "ولا يشترط أن يكون ظاهر اللفظ مرتبطا بالمعنى المقصود". وتؤول جماعة الوارثين الآيات القرآنية تأويلا باطنيا، ويخرجونها عن مرادها، ويعلقون على كتب التفسير المعتمدة وأقوال مصنفيها، وما ينقلونه عن علماء الأمة وسلفها الصالح بوقاحة شديدة ومن أمثلة ذلك: "من هذا المنطلق نجد علماءنا الأقدمين، وقد تبعهم المحدثون جريا على منهاجهم دون

١ رسالة الإسلام: القرآن تفسير أم تأويل الجزء الأول ليحيى كامل قنديل ٥١

Upload by : altawhedmag.com

روية وتدبر"[1]. وقولهم: "المفسرين قديمهم وحديثهم يفسرون لنا القصص القرآني مجردا من واقعه ويضعونه في قالب الرويات التاريخية، ويخلقون لنا الأبطال الوهميين، ويخترعون لهم أسماء ما أنزل الله بها من سلطان، ويصطنعون لها من الأحداث الباطلة الملفقة ما يبعدها عن الحق". ويقول الوارثون أيضا: "كيف فسر الأقدمون آيات الله وجردوها من واقعها، وعلى آثارهم يهرع المحدثون، وأن تفسير الأقدمين هو مؤامرة لإبعاد القرآن عنا، وحرماننا من النور الذي جاء به".

ويصف الوارثون تفسير مجاهد بقولهم: "إلى آخر هذه الترهات التي تطمس واقع الآيات القرآنية". ويهاجم الوارثون ابن كثير بقولهم: "ولا يمكن أن نعلق على تفسير ابن كثير بأكثر مما ينم عليه لفظه من سطحية وسذاجة وجهالة وتطاول". أرأيت جهلا وعدوانا بهذا القدر من الجرأة والتهور، فالمفسرون للقرآن الكريم عندهم يتآمرون لإبعادنا عنه.

تفتح جماعة الوارثين باب التأويل الباطني للقرآن على مصراعيه، وقد ساروا في ذلك وراء من سبقهم من الباطنية، وللقارئ أن يقارن تأويلات جماعة الوارثين التي ترتدي مسوح التصوف، وبين التأويلات الباطنية ليتأكد أن هذه الجماعة إن هي إلا فرقة باطنية إسماعيلية تهدف إلى هدم الإسلام واختراق أهل السنة. ونعرض فيما يلي مجموعة من الألفاظ القرآنية وتأويلها الباطني عندهم:

* ﴿يس﴾ ليس هو محمد وإنما هو النذير المستمر في الأمة.
* ﴿الْحَاقَّةُ﴾ ليد الإلهية العظمى التي تحق الحق وتبطل الباطل.
* ﴿الْقَارِعَةُ﴾ يد البطش الإلهي التي تبطش بالجاحدين كما بطشت بعاد وثمود دائما أبدا.
* ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ النفوس التي تنزع إلى الشر دائما حتى تغرق فيه وتهلك.
* ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ النفوس التي تنشط من جهاد نفسها وهواها لتسلك طريق الله.
* ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ النفوس التي تسبح في ملكوت الله بالتأويل والتدبر والذكر.
* ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ النفوس التي تتسابق في طريق الله.

---

١ خطبة عنوانها: "إن الدين لواقع" وتوزع على الأتباع بخط اليد صفحة ١

Upload by : altawhedmag.com

* ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ النفوس المؤمنة التي تقف صفا واحدا في سبيل نصرة الحق.
* ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ النفوس التي تزجر نفسها دائما وتنهاها عن الهوى والشيطان.
* ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ النفوس الذاكرة. سليمان هو القائد الذي سينتصر على اليهود.
* الهجرة ليست انتقال من مكان لآخر وإنما هجرة بالقلب إلى الله.
* النمل هم: اليهود.
* وادي النمل أي فلسطين حيث تجمع اليهود.
* الكلب هو: تارك طريق الله. والنحل هو: المؤمن الصادق.
* البعوضة هي: الفاسق العاصي.

ونكتفي بهذا القدر من الأمثلة ، فالأمر واضح لا يحتاج إلى المزيد. ، وللقارئ أن يقارن بين فكر الوارثين الباطني، وبين عقيدة الباطنية حتى يعرف من أين يستقي الوارثون ميراثهم.

ثانيا : الباطنية والحديث الشريف.

يوضح الوارثون في العديد من كتبهم ومنها: كتاب "مواجهة الفكر المتطرف في الإسلام" منهجهم في الحكم على الحديث فيقولون "إذا أردنا أن نحدد الأسلوب الأمثل في الحكم على أي حديث يصل إلينا بأنه صحيح أو مدسوس، فإن المقياس الحاسم في ذلك إنما يكون بإرجاع الحديث إلى القرآن فإن اتفق معه يكون صحيحا، وإن تعارض معه يكون مدسوسا". والوارثون بذلك يقلدون الباطنية ويروجون حديثا موضوعا يفترونه على النبي ﷺ، يقولون فيه: إذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافق فخذوه، وما خالف فاتركوه"، وقد وضع الزنادقة هذا الحديث ليعطلوا سنة النبي ﷺ، وقد عارض هذا الحديث بعض أئمة العلم فقالوا: "عرضنا هذا الحديث الموضوع على كتاب الله فوجدناه مخالفا له، والقرآن يكذبه ويرده، فقد وجدنا في القرآن الكريم: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر-٧]، ووجدنا فيه ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهَ﴾ [آل عمران-٣١]، ووجدنا فيه : ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ [النساء-٨٠].

Upload by : altawhedmag.com

١. حديث قتال الكفار :

إن من عِظَم البلوى أن يطبق الوارثون أسلوب شيخهم هذا على الأحاديث المتواترة وهم لا يدركون قيمة التواتر ولا معناه، فالتواتر لغة: التتابع، والحديث المتواتر في الاصطلاح: هو ما رواه جمع من الصحابة ثم التابعين يحيل العقل تواطؤهم على الكذب عادة من أمر حسي أو حصول الكذب منهم اتفاقا. ويقرر العلماء أهمية الحديث المتواتر فيقولون: "الحديث المتواتر يفيد العلم الضروري [اليقيني]، ومنكره كافر"[١]. فهذا حديث متواتر رواه جماعة من الصحابة تزيد على عشرة كلهم يرفعه إلى النبي ﷺ[٢]، حيث يقول: ﴿أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها﴾.

يرفض الوارثون هذا الحديث ويبررون ذلك بقولهم: "ومن البديهي أن الدعوة إلى مقاتلة الناس لإكراههم على الدخول في الإسلام هي دعوة باطلة". ويرد الدكتور البوطي على هذه الشبهة بقوله: "هناك فرق بين: أمرت أن أقتل الناس، وبين أمرت أن أقاتل الناس، فلو ورد الحديث بلفظ أقتل الناس لكان مناقضا للآيات القرآنية والأحاديث الكثيرة الأخرى الدالة على النهي عن القسر والإكراه"،ويستطرد الدكتور البوطي شرحه بقوله: "كلمة أقاتل على وزن أُفاعل تدل على المشاركة، فهي لا تصدق إلا تعبيرا عن مقاومة من طرفين، بل هي لا تصدق إلا تعبيرا عن مقاومة لبادئ سبق إلى قصد القتل، فالمقاوم للبادئ هو الذي يسمى مقاتلا،.. والبادئ في الحقيقة يسمى قاتلا بالتوجه والهجوم أو بالفعل والتنفيذ"[٣].

---

١ المنهل اللطيف في أصول الحديث الشريف لمحمد بن علوي المالكي ١٠١

٢ حديث أبي بكر أخرجه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة حديث ٦٧٤١، ومسلم حديث ٢٠، وأحمد صفحة ١: ١١، والنسائي ٣٩٧١، ٣٩٧٢، ٣٩٧٦، وحديث عمر بن الخطاب أخرجه البخاري في استتابة المرتدين حديث ٦٤١٣، وأحمد صفحة ١: ١٩، حديث أبي هريرة أخرجه البخاري في الجهاد والسير حديث ٢٧٢٧، ومسلم حديث ٢٢، وأحمد حديث ٢: ٥٢٨، والنسائي ٣٩٧٧، وابن ماجه في الدعوات ٣٩٢٧، والطبراني في الأوسط ٢٨٠٢، ١٢٩٤، والترمذي حديث ٢٦٠٨، والنسائي في الاستئذان ٥٠٠٣، حديث أوس بن أبي أوس أخرجه الدارمي في السير حديث ٢٤٤٦، حديث معاذ بن جبل أخرجه الطبراني في الكبير ٢٠: ٣٦

٣ الجهاد في الإسلام كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟ للدكتور محمد سعيد البوطي ٥٨ - ٥٩

Upload by : altawhedmag.com

٢. حديث محاجة آدم وموسى عليهما السلام:

وهو حديث رواه البخاري من حديث أبي هريرة[١]، يزعم الوارثون أنه حديث مدسوس ويقولون: "إن هذا الحديث موضوع وأن نسبته إلى رسول الله ﷺ محض افتراء وكذب".

٣. حديث الشفاعة:

يؤمن أهل السنة والجماعة بالشفاعة، ويقرون بشفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر وشفاعة غيره، ولكن لا يشفع أحد حتى يأذن الله ويُحد له حدا، ودليل ذلك ثابت في القرآن والحديث المتواتر الذي رواه جماعة من الصحابة منهم أبو بكر وأبو موسى وأبو سعيد الخدري وعثمان وكعب وعمران بن حصين وواثلة بن الأسقع وعبد الله بن سلام وأوس بن أوس وعوف بن مالك وابن عمر وأنس وجابر ومعاذ كلهم يرفعه إلى النبي ﷺ، قال: ﴿أنا سيد الناس يوم القيامة..﴾ وفيه: ﴿... فيأتون نوحا، فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك﴾[٢].

هاجم الوارثون هذا الحديث بقولهم: "إن حديث ابن كثير الذي ذكره البخاري، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، أن هذا الحديث موضوع وأن نسبته إلى رسول الله ﷺ محض افتراء وكذب". وهكذا سار الوارثون على نهج المعتزلة والخوارج حين أنكروا شفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر، ولا يعرف عامة الناس أن الوارثين يرفضون هذه الأحاديث

---

١ أخرجه البخاري أحاديث ٣١٥٧، ٤٣٦٧، ٤٣٦٩، ٦١٢٤، ٦٩٦١، ومسلم ٢٦٥٢، وأبو داود ٤٧٠١، وابن ماجه ٨٠، وأحمد في مسنده ٢: ٢٤٨، ٢٦٤، ومالك في الموطأ.١٦٦

٢ حديث أبي سعيد الخدري أخرجه البخاري في الرقاق حديث ٦٠٧٩، ومسلم حديث ٢١٠، وأحمد في مسنده ٣: ٥٠ - ٥٥، وابن ماجه ٤٣٠٨، حديث أبي موسى الأشعري أخرجه ابن ماجه في الزهد حديث ٤٣١١، حديث عبد الله بن عمر أخرجه البخاري في تفسير القرآن حديث ٤٣٤٩، ومسلم حديث ١٠٤٠، والنسائي في الزهد ٢٥٨٥، وأحمد في مسنده ٢: ٨٨، ٢٦٤، حديث أبو هريرة أخرجه البخاري في الرقاق حديث ٦٠٨٥، وابن ماجه في الزهد حديث ٤٠٣٧، وأحمد حديث ٢: ٣٧٣، والنسائي ٣٩٧٧، وابن ماجه في الدعوات ٣٩٢٧، والطبراني في الأوسط ٢٨٠٢، ١٢٩٤، والترمذي في الإيمان ٢٦٠٦، حديث أنس بن مالك أخرجه في التوحيد حديث ٦٩٥٥، وابن ماجه حديث ٤٣١٢، حديث جابر بن عبد الله أخرجه البخاري في الرقاق حديث ٦٠٧٣، والترمذي ٢٥٩٧، وابن ماجه ٤٣١٠، وأحمد ٣:٣٢٦، وابن حبان في صحيحه ٦٤٣٣، حديث عثمان بن عفان أخرجه ابن ماجه:٤٣١٣

Upload by : altawhedmag.com

لسبب خفي غير أسباب المعتزلة والخوارج، وهذا السبب هو إيمانهم بتناسخ الأرواح، وما يسمى بعلم الدورة، وأن نوح عليه السلام هو نفسه آدم، وأن إبراهيم عليه السلام إنما هو بعث آخر لنوح عليه السلام وهكذا، ولذلك فهم مضطرون حسب عقيدتهم الفاسدة إلى إنكار محاجة آدم لموسى، وأحاديث الشفاعة برغم ثبوتها في القرآن، إلا أن عقيدتهم لا تسمح بوجود الأنبياء جميعا يوم البعث.

ثالثا: الدعوة للإمام.

يقول الباطني الجديد "إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة-٣٠]، ولفظ جاعل يفيد دوام هذا الأمر واستقراره، ويستشهد بالحديث الشريف: ﴿يبعث الله على رأس كل مائة عام رجلا من أمتي يجدد لها أمر دينها﴾، فهو إذن المصطفى من خاصة المحسنين في الأمة الإسلامية ليقوم بتجديد الصحبة المحمدية والمعرفة الإلهية، ويفند ويدحض كل ما أضيف إلى الدين من البدع وأباطيل وخرافات على مدار القرون، وإن من شروط خليفة الإيمان أن يكون مدركا لكل أسرار القرآن عالما بكل صغيرة وكبيرة فيه فهو الوارث لكتاب الله، المجدد لأمر دينه وأن علمه هو علم وهبي إلهي يقذفه الله نورا في القلوب"، ثم يحاول من ناحية أخرى إثبات الإمام الناطق والصامت أو النذير الناطق والصامت حيث يوجه السؤال التالي: لماذا لا يكون النذير بعد سيدنا محمد هو القرآن، أليس هو كتاب الله؟

ثم يجيب نفسه قائلا: إن القرآن وحده لا ينذر ولكن لا بد أن يكون هناك من ينذر به، والقرآن وحده لا يذكر، ولكن لا بد أن يكون هناك من يذكر به، ويوضح القرآن ذلك، فيقول: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ﴾ [الأنعام-١٩]

ويقول تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام-٥١].

Upload by : altawhedmag.com

رابعا: أفكار باطنية.

١. نظرية الدور عند الإسماعيلية:

يقول الباطني القديم في ثوبه الحديث: إن قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ [النجم-٥٠]، يذكرنا الحق تبارك وتعالى بأنه يتوعد الآن أمثالهم، عادا الثانية والثالثة إلى ما شاء الله، ويحاول إثبات باطله، فيقول في الآية: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ [القمر-٢٣]، كلنا يعلم أن ثمود الأولى لم يأتها غير نذير واحد وهو سيدنا صالح عليه السلام، ولكن المولى ﷻ يقول: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾، إذن فهو يقصد ثمودا التي تأتي من بعد دائما أبدا وتمثل خط الإنكار في الأمة.

وقوله تعالى على لسان قوم ثمود: ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ﴾ [القمر-٢٤]، يعني أن النذير في وقته يكون دائما نذيرا ولا يتعدد أبدا، وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء-١٢٣]، إشارة إلى مجموع الرسل والمرسلين إلى أقوام عاد الأولى والثانية وهكذا، ثم يقرر بناء على هذا التأويل أنه هو شخصيا النذير والوارث الوحيد في هذا الزمان، وهكذا يتضح لنا أن المولى ﷻ قد شرف الأمة المحمدية بأن جعل فيها دائما وارثا نذيرا، يقوم على هداية المؤمنين إلى طريق الحق ويجدد لهم أمر دينهم ويبين لهم الغث من الثمين والصحيح من المدسوس ويزيل الخرافات ويبين العقائد من واقع الدين لا من الإلهام أو الاجتهاد أو الظن أو التخمين بل من واقع النبيين كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت-٤٩].

٢. نظرية المثل والممثول:

ينقل الباطني المعاصر تأويلات سلفه من الإسماعيلية لآيات سورة النحل حتى يثبت أن النحل المراد به المؤمن الصادق فيقول: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل-٦٨]، أي المؤمن النقي الصادق أن يتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر أي يبحث عن مصادر العلم والرسالات الحقة، ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [النحل-٦٩]، أي تعلم هذا العلم من هذه المصادر ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ [النحل-٦٩]، أي اتبع عندئذ الطريق المستقيم ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ [النحل-٦٩]، أي أن معاني العلم والمعرفة تتعدد - ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل-٦٩]، أي فيه شفاء للمتاهات الفكرية الموجودة في التفسيرات المختلفة

Upload by : altawhedmag.com

للقرآن.. ، إلى آخر هذه التأويلات الفاسدة ثم يصل إلى ما يريده من ذلك بقوله "كما أن النحل له ملكة يرتبط بها كرمز للأخوة والمحبة في الله ، فإن للأتقياء رجلا من أهل الذكر تحلى بالتقوى والإيمان فربط القلوب حوله.

٣. إنكار الجنة :

يُؤَوِل الباطنيون الجدد قول الله تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد : ٦] وفق نظرية المثل والممثول فيقول: أي يدخلهم الجنة في الآخرة، عرفها لهم في الدنيا، بأن عاشوا في مثل إقامه لهم في الدنيا، وهل هناك نعيم أسمى من القرب الإلهي، وهل هناك ظلال أعظم من ظلال الرحمة الإلهية، وهل هناك شراب أطهر من شراب المعرفة الإلهية العظيمة، ومن هذا المنطلق فلابد أن تكون هنا جنة في الدنيا يضربها لنا المولى ﷻ مثلا لجنة الآخرة، وهذه الجنة تجري فيها هذه الأنهار المتنوعة إذن فما تكون الأنهار؟ الأنهار هنا تشير إلى الفيض الإلهي، وإلى مجالات المعرفة الإلهية المتعددة التي ينعم بها المولىﷻ على عباده المؤمنين في الدنيا والآخرة على السواء.

٤. إنكار جهنم:

يزعم الباطنيون أن جهنم موجودة في الدنيا وأن أبوابها السبعة ما هي إلا صفات الفطرة الإلهية التي أودعها المولى ﷻ في الإنسان، وهي صفات نورانية إذا ما تعهدها الإنسان بالإيمان السليم والتقوى الصادقة، زكاها الله لهم، فكانت هى الأبواب التي يدخل منها إلى الجنة في الدنيا ثم الآخرة، أما إذا طمسها الإنسان ولم يسلك بها طريق المولى ﷻ وانطلق بها في طريق الشيطان كانت مصادر نقمة عليه، وأصبحت هي الأبواب التي ينفذ فيها إلى جهنم في الدنيا ثم الآخرة.

٥. إنكار إبليس:

يقول "إن إبليس هذا ليس شخصا واحدا، ولم يكن طاوس الملائكة كما يفترون ولكن يمثل جنس العاصين من الجن الذين يكفرون بالخليفة كل في وقته ويرفضون تأييد رسالة الحق التي يدعو إليها"، ولنا هنا وقفة مع إشارته لوجود الإمام أو الخليفة في كل وقت الذي يأتي الناس برسالة الحق، لاحظ أنه يسمى كتابه "رسالة الإسلام"، فالرجل يزعم أنه الخليفة،

Upload by : altawhedmag.com

ويلمح بذلك في مواضع كثيرة، وفي نفس الوقت تراه يصرح في مواضع أخرى بأخطر من مجرد تأويلات باطنية.

٦. إنكار خلق آدم من الطين:

ينكر الوارثون وجود نبي الله آدم في كثير من مطبوعاتهم حديثا في مصر، منها:

- إن المراد بآدم في القرآن ليس أبا البشر وإنما هو كل البشر".
- أن كل مخلوق على وجه الأرض منذ خلقها الله هو آدم بالنسبة لذريته.
- فقد خلق آدم من أمر الله إذ قال له كن فيكون، لأن الله تعالى غير مفتقر إلى الأسباب لإيجاده من العدم إلى الوجود، ومن ثم فإن اسم آدم الذي ورد في هذه الآيات يدل أو يشير إلى عموم الجنس، ولا يمكن أن يعني اسم الرسول حتى لا نقع في تعارض خطير في هذه الآيات، يسوق كل هذه المقدمات حتى يستطيع أن يفصح عن اعتقاده الفاسد فيقول "إن آدم الخليفة قد تواجد فعلا بمقتضى الأمر الإلهي كما يقول تعالى: ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران-٤٧]، إذن فالتمثيلية التي تحكي كيف خلق الله آدم من طين في أربعين سنة والتي تمتلئ بها كتب التفسير - هي افتراء على الله بالكذب - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام-٢١]، انتهى كلام الإسماعيلي الجديد.

ولا نجد أبلغ من حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: ﴿إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إن لم تستح فافعل ما شئت﴾.

٧. إنكار تحويل القبلة:

ينكر شيخ الوارثين كل ما جاء عن تحويل القبلة ويقول "لم يكن هناك تحويل للقبلة على الإطلاق في الصلاة، وأن الرسول ﷺ كان دائما متوجها في صلاته إلى الكعبة".

٨. إنكار الناسخ والمنسوخ:

يقول أحد مشايخ الباطنية الجدد من جماعة الوارثين: "وهكذا نرى أنه لا ناسخ ولا منسوخ ولكنه قول بغير علم وكذب وافتراء على الله ورسوله ومن أظلم ممن افترى على الله

Upload by : altawhedmag.com

الكذب أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين "[١]، ويقول أحد تلامذة الشيخ: "وبالتالي فعلم الناسخ والمنسوخ علم باطل مفترى على الله فيه"[٢].

لعلنا بعد أن عرضنا أفكار الباطنية ومن قبلهم الشيعة نكون قد وفقنا في بيان عقيدة القوم وأوضحنا مدى خطورتها على الإسلام، وقد جعلنا عنوان هذا الفصل: إعادة بعث الباطنية في مصر، ليس من باب المبالغة أو التحذير الأجوف، وإنما هي القراءة الدقيقة للأحداث وما نحن مقبلون عليه، وللأسف الشديد فإن كبار الدعاة والإسلاميين في مصر لا يدركون حقيقة أن الشيعة والباطنية قد انتقلت من مرحلة العمل السري إلى مرحلة الدعوة النشطة، ولن أدلل على ذلك بمسار الأحداث التي تقع على الساحة السياسية، وإنما أسوق الأدلة التالية:

١. ظهور جماعة الوارثين الذين يكتبون الكتب تحت عنوان: "الإسلام دين العقل"، ويهاجمون فيها السنة من خلال أبحاثهم مثل كتاب: تطبيق الشريعة الإسلامية بين الحقيقة وشعارات الفتنة، وكتاب: حقيقة الحكم بما أنزل الله،.... وهذه الكتب تؤلفها لجنة من الجماعة ويقدم لها حضرة العارف بالله الشيخ يحيى كامل أحمد مؤسس الجماعة في مصر.

٢. ظهور كتب مصطفى غالب الداعية الباطني المعاصر الذي يفصح عن اعتقاده ويدافع عنه بحرارة شديدة.

٣. ظهور الشيخ حسن شحاته داعيا لأفكار الشيعة من فوق منبر أحد المساجد في قلب القاهرة قرب كوبري الجامعة، ومكفرا الصحابة حيث يقول عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ أنه كافر ابن كافر وأبوه كافر، كما يهاجم أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب، ويدعو إلى نكاح المتعة وغيرها من عقائد الشيعة، وهيهات أن يتصدى له أحد، فنحن في زمن الحرية التي يستغلها أصحاب الأفكار الهدامة لنشر مبادئهم.

---

١ خطبة مكتوبة على الآلة الكاتبة توزع على أتباع الجماعة، موضوعها الناسخ والمنسوخ في القرآن ص ٥، والخطبة مليئة بالأخطاء

٢ وصايا إسلامية إعداد مهندس عادل محمد رشاد الغمري ص ١

Upload by : altawhedmag.com

٤. انتشار مؤلفات باسم الصحفي المصري صالح الورداني تدعو إلى التشيع ومنها: الخدعة رحلتي من السنة إلى الشيعة، يشرح فيها الرجل كيف تحول من السنة إلى الشيعة، وكتاب شعب الله المختار [أهل السنة]، والشيعة في مصر منذ الإمام علي إلى الخوميني، وكتبه تفيض بالمغالطات والتناقضات.

٥. ظهور برامج موجه في القنوات الفضائية، والقنوات المصرية الخاصة تلك التي اشتهر مقدم البرامج فيها بجرأته في السياسة، فإذا به خبير في التاريخ الإسلامي، ومتشيع لآل البيت، وتراه يستدعي من يسمون أنفسهم مفكر إسلامي، وما أن ينطق الرجل حتى تتبين ضحالة معارفه، وليه للحقائق، وجرأته على الصحابة، وطعنه في الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، والخوض في معاوية بن أبي سفيان وكل من توقف في الفتنة أو سار في ركب معاوية، حتى قال أحدهم: إن عندي مفاجأة كبرى وهي أن معاوية ليس صحابيا، ولا يعد منهم، حتى أبا بكر الصديق لم يسلم من غمزهم، حين يترك الحديث على خلافه وجمهور الصحابة مع السيدة/ فاطمة الزهراء حول فدك.

كل ذلك ليس من قبيل الصدفة، وإنما هي خيوط تتجمع، وتدبر بليل، وكما أن هناك دولا تتصاعد فيها إيقاع الأحداث، نجد دولا أخرى يسير فيها التوطئة على نار هادئة، ولنا في اليمن أقرب مثال: ففي صبيحة يوم ظهرت الرايات السود، مدعومة من يهود اليمن، متحدية للدولة، ومحدثة للفتنة، فهم دائما أحق بدولنا منا، أليس في هذه الأحداث ما يلفت انتباه الأزهر الشريف، وعلماء المسلمين، وولاة الأمر لاتخاذ الإجراءات الكفيلة بردع هذا المد الشيعي؟

اللهم هل بلغت، اللهم فاشهد.

Upload by : altawhedmag.com

ملخص الباب الثامن

- لم تتوقف الباطنية عند حد التشيع لآل البيت كما ذهبت الشيعة الإمامية الاثنا عشرية بل غالت وفاقتها في الغلو حتى جاوزت المدى.
- إن الإمامة أصبحت حجر الزاوية، أو عمود الرحى الذي تدور حوله دين الباطنية.
- إن الغلو في الأئمة قد بلغ مداه حين عبد الفاطميون والدروز الحاكم بأمر الله، وعبد العلويون عليّ بن أبي طالب.
- إن نسبة الباطنيين إلى الإسلام مشكوك فيها حيث لا تعدو علاقتهم بهذا الدين أكثر من قول عبارة لا إله إلا الله محمد رسول الله باللسان، ثم يتبعونها تكذيب بالجنان، وهدم لكل الأركان.
- إيمان الباطنية بتناسخ الأرواح.
- ترويج الباطنية لأفكار الدور والناطق والباب والصامت ومرتبة الاستيداع والاستقرار.
- يسلب الإسماعيليون معبودهم من جميع الصفات التي أتت بها الشرائع السماوية، وهم يظنون بذلك أنهم ينزهونه التنزيه كله.
- إقرار الباطنيين بأن مذهبهم يعد مذهبا تلفيقيا، تداخلت فيه الفلسفة والأفكار الباطنية، وشطحات العقل مع بقية من حقائق الدين بعد تأويلها وصرفها عن مرادها.
- أوصل التأويل الباطني أتباعه إلى إنكار حقائق الدين بالكلية، حتى قصص الأنبياء التي ذكرها القرآن الكريم ينكرونها، ويزعمون أن لها دلالات باطنية وأنه ليس هناك وجود تاريخي لهؤلاء الأنبياء في اعتقادهم.
- إيمان الباطنيين بمبدأ التوفيق بين الأديان، ودمج عقائد الناس في عقيدة من تأليفهم، لذلك تراهم منسجمين مع أعداء الإسلام، ويتودد لهم كل من يريد أن ينال من الإسلام.

Upload by : altawhedmag.com

- إن أتباع الباطنية قد انتقلوا من مرحلة السكون إلى التحرك النشط لنشر أفكارهم، وما ذلك إلا لأنهم وجدوا المسلمين في سبات عميق، وأن الأجواء مهيأة لهم الآن عن ذي قبل، فراحوا يروجون لبضاعتهم تحت مسميات جديدة.

Upload by : altawhedmag.com

خاتمة الكتاب

الحمد لله المستحق للحمد وحده، سبحانه وتعالى هو الكبير المتعال، الذي لم يكن له ولي من الذل، ولا شريك في الملك، ولا مُشير يشير عليه، ولا وزير يعاونه في شأنه، ولا حاجب أو شفيع بين يديه، والصلاة والسلام على محمود الخصال، وكريم الفعال، الصادق الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين، وأصحابه الغر الميامين، وعلى أزواجه أولات الفضل والجاه العظيم، وبعد..

فإننا قد استكملنا بتوفيق الله تعالى الحديث الذي بدأناه بدراسة الأسس التي قام عليها الفكر الباطني، وذلك في **كتابنا الأول** من هذه السلسلة وهو: **"موسى والخضر عليهما السلام علما الظاهر والباطن"**، كما عني **كتابنا الثاني**: **"جذور الشيعة وجيش المهدي"**، بتتبع جذور الفكر الشيعي، وحياض الحقد التي يستقي منها كراهية أهل السنة. لقد سلك بنا الكتاب في دروب الماضي، حيث تأملنا نشأة الفكر الباطني، من قبل التوراة، مرورا بدور فلاسفة اليهود، حيث بدأ بالتأويل والرمز، وانتهي بتفريغ العقيدة من محتواها، ثم جاء دور الفلسفة اليونانية في انحراف عقيدة النصارى، التي فرت من التوحيد السهل الواضح، وأوجدت الوسيط بين الله ﷻ، خلقه، فتعطلت الشرائع، وجعلوها للعامة يشقون في الالتزام بها، وأراحوا أنفسهم من عناء افعل ولا تفعل، والنتيجة انقسام الدين إلى ظاهر للعامة، وفلسفة وأسرار وفتوحات ملك للخاصة.

وحولوا توحيد الشرائع السماوية إلى الثالوث والأقانيم، وبرز دور المجامع الكنسية: نيقية وغيرها في إعادة صياغة العقيدة، قالوا لأتباعهم إن الأقانيم والفداء والخلاص فوق مستوى العقل البشري، فتحول أتباع الدين إلى قوالب يدينون بما لا يفهمون، وطاف الفكر المسيحي حول فكرة الإيمان بالمسيح، ليس كأي نبي من الأنبياء، وإنما بصفته نور من نور الله ﷻ، أوكل الآب إليه كل مسئولياته، ونعته بكل أسمائه وصفاته، حتى مثول الناس يوم الدينونة لن يكون بين يدي الآب، وإنما الجنة والنار مفاتيحها بين يدي الابن.

Upload by : altawhedmag.com

لم نهدف من كتابنا هذا دراسة عقائد اليهود إجمالا، أو أن ننال من عقيدة النصارى، وإنما كان التركيز على تسرب أفكارهم الباطنية إلى الإسلام، وحين ارتكزت عقائد الشيعة على فكرة الإمامة، ومن ثم الوصاية على الدين، جاء التماثل بين علي بن أبي طالب، ويوشع بن نون، فالأول الوصي على الإسلام، والثاني الوصي على اليهودية كما يزعمون، ثم أخذ الإمام نفس خصائص المسيح، ففي البدء – عندهم – كان الإمام من نور الله ﷻ، وفي نهاية المطاف يفتح أبواب الجنة والنار، ويدخل شيعته الجنة، ومن سواهم يدخلون النار، لقد أوضح الكتاب أن انحراف الشيعة ليس من تأليف المسلمين ولا من اختراعهم، وإنما من سيرهم شبرا بشبر، وذراعا بذرع خلف اليهود والنصارى.

إن إلقاءنا الضوء على ماضي الشيعة أظهر خطورة الفكر الباطني، كمعول من المعاول التي تضرب بشدة في أساس هذا الدين، كما أظهرت بجلاء مخططات القوم في قابل الأيام، وعند هذا المنعطف يتحول الكتاب من دراسة نظرية تضرب في ظلمات الماضي من الأيام، إلى كاشف يلقي الضوء على ما يحاك حولنا من مؤامرات، وناقوس يوقظ الخراف النيام، وهم يساقون إلى مقصلة المهدي، حيث توضع رءوسهم بين المقصلة والسندان.

رب عاتب علينا تدفعه نواياه الحسنة يقول: "أما ترى ما نحن فيه؟ هل تريد فرقة أكثر مما نحن عليه الآن؟ ألا يلقي ظهور هذا الكتاب في هذا التوقيت الوقود والديناميت على النار؟

الجواب على مثل هذه التساؤلات:

١. إن هذا الكتاب الذي بين يديك هو الطبعة الثالثة من كتاب تسرب الفكر الباطني إلى الشرائع السماوية، وكانت طبعته الأولى سنة ١٩٩٥، والثانية سنة ١٩٩٦، ولم تكن الشيعة آنذاك بمثل ما هي عليه اليوم.

Upload by : altawhedmag.com

٢. من أهم أبواب كتاب "جذور الشيعة وجيش المهدي" الذي كان تحت عنوان "تسرب الفكر الباطني إلى الشريعة الإسلامية" هو ظهور المهدي المنتظر، أما اليوم فقد كشف احتلال العراق وجود جيش المهدي، التابع للإمام الصدر، ولا يوجد ما يمنع أن يكون عند كل إمام من أئمة الشيعة سواء في العراق، أو إيران تنظيم سري آخر له نفس أهداف جيش المهدي، لذلك أردنا أن نغير عنوان الكتاب لإظهار الخطط التي سيسعى إليها هذا الجيش، أو من يتحالف معه من مليشيات الشيعة في المستقبل القريب.

٣. إن المخططات الإسرائيلية الهادفة إلى إقامة إسرائيل من النيل غربا إلى الفرات شرقا، ولا يعرف الكثيرون أن حدودها الجنوبية تصل إلى المدينة، وعلى هذا ستلتقي الأهداف، وكيف لا تلتقي والمهدي سيخرج من أصبهان في سبعين ألف يهودي؟

٤. لا يخفى أن الولايات المتحدة الأمريكية في عهد إدارتها الحالية برئاسة جورج بوش قد أعلنت الحرب الصليبية على الإسلام، وكشفت جميع الأقنعة، ونزعت حتى ورقة التوت، ورغم أنها دولة عملاقة إلا أنها دمية في يد الصهيونية، وقد قطعت مخططاتها شوطا بعيدا في كسر شوكة الإسلام والمسلمين.

٥. اجتمع اللئام على موائد النيام، فإذا أذن مؤذن في الناس يكشف لهم ما يُحاك من حولهم، تثاءب أصحاب العزائم المتهالكة قائلين: دعونا نقارب بين المذاهب، ألا يعلم هؤلاء أن الأمر انتقل من عداوة دفينة في سراديب التقية، قد تحولت إلى هجمات علنية.

٦. إن المتتبع لنشاط الشيعة يلاحظ كثرة الكتب التي تظهر بين أوساط السنة، وأن عنوانيها: رحلتي من السنة إلى الشيعة، المراجعات، وركبت السفينة،.. بل إن دارا لنشر الفكر الشيعي قد تأسست في مصر، كما لاحت وجوه جديدة في ساحة الدعوة، أفسح لها التليفزيون المجال، ولم يجدوا ما يحدثون فيه الناس إلا فتنة عثمان

Upload by : altawhedmag.com

بن عفان رضي الله عنه، ثم ما حدث بين علي ومعاوية، وكثر الهجوم على الصحابة أمثال: "عثمان بن عفان، وأبي هريرة، ومعاوية وعمر بن العاص رضي الله عنهم"، بل إن أحد من ينعت نفسه بالمفكر الإسلامي فاجأ الناس بقوله: "إن معاوية وعمرو بن العاص ليسوا من الصحابة.

ويبقى لنا حتى نستكمل هذا الموضوع أن نشير إلى **كتابنا الثالث** من هذه السلسلة: **"عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة"**، ولم تأتِ دراستنا للصوفية من باب البحث العلمي المجرد فقط، وإنما هي بالنسبة لي أمانة ومسئولية، لأنني كنت صوفيا، بل وشيخا من مشايخ الطريقة الخلوتية، وظللت أكثر من عشر سنوات، وأنا أتصدر الحضرات وأستفتحها، وأتحدث في المجالس عن السلوك الصوفي، وخصائص الأولياء وكراماتهم، وبالرغم من ميلي منذ اليوم الأول إلي ذكر الله تعالى إلا أني كنت - بتوفيق الله - متوجها إلى الكتاب والسنة، حريصا على طلب العلم، مدركا خطورة الإفتاء بغير علم، وبطبيعة الحال كان المريدون يتوقعون أن أجيبهم على كل ما يطرحونه من أسئلة، لذلك ورغم شغفي بالعلم، إلا أنني كنت أمهل السائل لأبحث عن الإجابة الصحيحة، ومن هنا كان الحرص على طلب الصحيح من العلم، والسعي له بإخلاص شديد، حتى أكرمني الله تعالى بكشف مواطن حيود الصوفية عن الكتاب والسنة، وقد استغرقت مرحلة التحول من الصوفية إلى الكتاب والسنة بضع سنوات، طالت لأنني حرصت أن أجد إجابة عن العديد من الاستفسارات دارت حول كل مظهر من مظاهر هذا الحيود.

ولم أكتفِ بمعرفة الحق في كل قضية بل حرصت على البحث عن أصل كل اختلاف، ومن أول من قال به، ومراحل التدرج في كل انحراف، وقد كان هذا هو السبب الأساسي في الدخول في موضوعات الفلسفة، وتتبع نشأة هذه الأفكار قبل الإسلام، ثم عدت أتساءل: هل هذا الانحراف الذي وجدته أهو خاص بطريق واحد فقط؟ أو أن هناك طرقا صوفية

Upload by : altawhedmag.com

أخرى وقعت في نفس الشَّرَك؟ ومن هنا شرعت في جمع أوراد الطرق الصوفية المعاصرة، وعكفت على دراستها، وسيعرف القارئ الكريم نتيجة هذا البحث في الكتاب الثالث من هذه السلسلة، وعنوانه: "عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة" وهو ليس كتابا نظريا، بل هو في حقيقته محاكمة شاملة للفكر الصوفي، ودراسة وافية لجذوره التي ضربت في أرض الباطنية الإسلامية، وشربت منها كثيرا، حتى وصلت هذه الجذور إلى أرض باطنية المسيحية واليهودية والأفكار الفلسفية اليونانية وغيرها.

إن الأمر بالنسبة لي أمانة أريد أن أؤديها لكل سالك إلى الله تعالى، سواء سمع مني أمورا رجعت عنها، أم سمع مني تصحيحها فانتفع به، أم لم يبلغه ما هدانا الله ﷻ إليه من الحق، فإليه وإلى مشايخ الطريق الذين طال النقاش بيننا وامتدت ساعاته الطوال، إليهم وإلى أتباعهم كتبت هذه السلسلة.

ثم أضفت إلى هذه السلسلة **الكتاب الرابع: "القول الصريح عن حقيقة الضريح"**، وكنت أريد أن أضيف إلى الاسم [مدد يا أم هاشم، مدد يا حسين] على اعتبار أن الزائرين لضريحي الحسين والسيدة زينب رضي الله يسألون المدد، وما خطر على بالهم أن السيدة زينب والإمام الحسين لم يدخلا مصر، وأن هذه الشواهد التي يقفون أمامها خاشعين، لا علاقة تربطها بآل البيت الأطهار، وكأن الله تبارك وتعالى قد طهرهم عما يرتكب في تلك الأماكن باسمهم من معاصي وموبقات.

لقد أظهرت الحقائق التاريخية نتائج لا يعلمها كثير من الناس، كما ناقش الكتاب آراء القائلين بوجود رأس الحسين في مصر المحروسة، ولا مجال لصحة تلك المزاعم.

أما سبب إدخال هذا الكتاب في هذه السلسلة بعد عقائد الصوفية، فيرجع إلى مكانة الأضرحة عند الصوفية، سواء من ناحية العقيدة ورئاسة الديوان، أو من ناحية الفولكلور الشائع في الموالد والليلة الكبيرة، وكأن الكتاب الرابع هو امتداد طبيعي لعقائد الصوفية، وعندما تفرغ حجج أهل الزيغ والبطلان، وتفضحهم سهام الكتاب والسنة، لا يجدوا ما يبرر

Upload by : altawhedmag.com

تلك الموالد سوى الرواج الاقتصادي، وهذا ما قاله خليفة أحمد البدوي في رده علينا [المنشور في جريدة عقيدتي]، وهكذا أصبحت حصيلة صندوق النذور سببا من أسباب جواز الاحتفال، والرقص، والزمر، والغناء، وإن سألتهم قالوا: مدد يا أم هاشم، مدد يا حسين.

وقد ختمت هذه السلسلة بالكتاب الخامس: **"السلوك القويم على الصراط المستقيم"**، وأتناول فيه بتوفيق الله تعالى بيان حقيقة الإنسان، والمراد منه، ودوره في هذا الكون، وهو تحليل مستفيض لرحلة الإنسان في الكون، وعوالمه المختلفة، مع بيان دور الجسد، والقلب، والعقل، والنفس، والروح في هذا السلوك، مع وصف لملكات هذه العوالم وكذلك أمراضها، والعلاقة بينها سواء للكافر، أو العاصي، أو العبد الطائع السالك لمولاه، ويضع الكتاب منهجا وافيا يسلك به المسلم لربه ﷻ على ضوء الكتاب والسنة، ودون الدخول في انحرافات الباطنية، أو الاعتماد في السلوك على الأحاديث الضعيفة والموضوعة، فليكن موعدنا أخي الكريم مع السلوك القويم على الصراط المستقيم، وهو الكتاب الخامس من هذه السلسلة، إن كان في العمر بقية. والله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل، وأسأل المولى الكريم رب العرش العظيم أن يجعل جهدنا هذا في ميزان حسناتنا يوم المثول بين يديه سبحانه، وأن ينفع به المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، والله ﷻ هو القادر على ذلك، وهو نعم المولى ونعم النصير، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا. وأستغفر الله العظيم من جميع الذنوب والآثام، والحمد لله الذي قامت بحمده السموات والأرض. وسبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، وأستغفر الله.

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه إعداد الطبعة الأولى من الكتاب في القاهرة يوم الخميس الموافق ٢٤/ ٨/ ١٩٩٤م، الموافق ١٧ من ربيع الأول ١٤١٥هـ، والفراغ من الطبعة الثانية في يوم الأحد ٨ مارس ١٩٩٨، الموافق ٩ ذي القعدة ١٤١٨ هـ.

Upload by : altawhedmag.com

ثم الطبعة الثالثة بعنوان: "جذور الشيعة وجيش المهدي"، يوم السبت ١٩/ ٦/ ٢٠٠٤م، الموافق غرة جمادى الأولى ١٤٢٥ هـ.

محمود المراكبي

٠١٠٦٣٥٩٠٠

Upload by : altawhedmag.com

مراجع الكتاب

١. القرآن الكريم.

٢. جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري - دار المعرفة بيروت.

٣. الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي - كتاب الشعب.

٤. تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي - دار الفكر للطباعة والنشر.

٥. التفسير الكبير للفخر الرازي - دار إحياء التراث العربي.

٦. البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي - دار الفكر.

٧. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز - للفيروزابادي.

٨. البرهان في تفسير القرآن - تفسير شيعي.

٩. تفسير الصافي.

١٠. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان لابن بلبان - الكتب العلمية بيروت.

١١. برنامج موسوعة الحديث الشريف تطوير شركة صخر للبرامج.

١٢. كتب السنة التسعة وشروحها الأساسية (فتح الباري، النووي، الأحوذي، عون المعبود، الفتح الرباني للساعاتي).

١٣. سلسلة الأحاديث الصحيحة والسنن الأربعة والضعيفة للألباني - مكتب التربية.

١٤. صحيح الجامع الصغير للسيوطي - تحقيق الألباني - مكتب الإسلامي.

١٥. شعب الإيمان للبيهقي.

١٦. المنار المنيف في الصحيح والضعيف - ابن قيم الجوزية.

١٧. المعجم الكبير للطبراني.

١٨. المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري.

١٩. دفاع عن السنة ورد المستشرقين للدكتور أحمد محمد أبي شهبة.

Upload by : altawhedmag.com

٢٠. الاعتصام الشاطبي - دار المعرفة.

٢١. العواصم من القواصم - تحقيق محب الدين الخطيب.

٢٢. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك - أبو الفرج بن الجوزي.

٢٣. تهذيب تاريخ دمشق - لابن عساكر - دار المسيرة.

٢٤. الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد - دار صادر بيروت.

٢٥. تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري - عز الدين للطباعة والنشر.

٢٦. البداية والنهاية للحافظ ابن كثير - دار الكتب العلمية.

٢٧. الكامل في التاريخ - لابن الأثير - دار الكتاب العربي.

٢٨. شذرات الذهب في أخبار من ذهب - عبد الحي بن العماد الحنبلي - دار الآفاق الجديدة.

٢٩. تاريخ الإسلام لمحمود شاكر - المكتب الإسلامي.

٣٠. سير أعلام النبلاء - الإمام الذهبي - الرسالة.

٣١. تذكرة الحفاظ - الإمام الذهبي.

٣٢. الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار عالم الكتب بالرياض.

٣٣. الأصول من الأصول لمحمد بن صالح العثيمين - مكتبة المعارف الرياض.

٣٤. الجواب الصريح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية - مطابع المجد.

٣٥. النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الكتب العلمية.

٣٦. منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الكتب العلمية.

٣٧. الإسلام الدين الفطري الأبدي لمبشر الطرازي - - دار الكتب العلمية.

٣٨. الجهاد في الإسلام كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟ للدكتور محمد سعيد البوطي.

٣٩. التفسير الإسلامي للجاهلية للدكتور نوح محمود الغزالي.

Upload by : altawhedmag.com

٤٠. إسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفي الشكعة - الدار المصرية اللبنانية.

٤١. دراسات في الفرق للدكتور صابر طعيمة - مكتبة المعارف بالرياض.

٤٢. الملل والنحل للشهرستاني - دار المعرفة بيروت.

٤٤. الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري - دار المعرفة بيروت.

٤٥. في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق للدكتور إبراهيم مدكور.

٤٦. التفكير الفلسفي في الإسلام - الدكتور عبد الحليم محمود.

٤٧. الفرق بين الفرق لعبد الله البغدادي الإسفرائيني.

٤٨. مذاهب الإسلاميين للدكتور عبد الرحمن بدوي.

٤٩. لسان العرب لابن منظور - كتاب الشعب.

٥٠. فصول في فقه العربية - الدكتور رمضان عبد التواب.

٥١. تبرئة الذمة في نصح الأمة لعبده عثمان البرهاني.

٥٢. الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق للدكتور إبراهيم مدكور - دار المعارف.

٥٣. الفتوحات المكية محمد بن علي المعروف بابن عربي - دار الفكر.

٥٤. الإنسان الكامل في الإسلام لعبد الرحمن بدوي - وكالة المطبوعات الكويت.

٥٥. الأصول من الكافي للكليني - دار الصعب ودار التعاون.

٥٦. الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب - دار الأندلس.

٥٧. أساس التأويل للنعمان.

٥٨. الحقائق في محاسن الأخلاق للكاشاني دار الكتاب العربي.

٥٩. الشيعة والتصحيح للعلامة الدكتور موسى الموسوي طبعة لوس أنجيلوس.

٦٠. رسالة الإسلام: القرآن تفسير أم تأويل - يحيى كامل قنديل.

٦١. بحث عن أسباب ظهور جماعة التكفير والهجرة - د. محمد حسان وآخرين.

Upload by : altawhedmag.com

٦٢. خطبة بعنوان إن الدين لواقع بخط اليد.

٦٣. فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي.

٦٤. طائفة الإسماعيلية للدكتور محمد كامل حسين.

٦٥. تاريخ الإسماعيلية - الدعوة والعقيدة لعارف تامر.

٦٦. القرامطة - لعارف تامر.

٦٧. القرامطة بين المد والجزر - الدكتور مصطفى غالب - دار الأندلس.

٦٨. الشيعة في عقائدهم وأحكامهم لأمير محمد الكاظمي القزويني - دار الزهراء.

٦٩. ينابيع المودة للقندوزي.

٧٠. الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري.

٧١. شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد.

٧٢. إلزام الناصب لعلي اليزيدي الحائري.

٧٣. مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين - للحافظ الشيعي رجب البرلسي.

٧٤. منتخب الأثر في مناقب الإمام الثاني عشر لأمير الكاظمي.

٧٥. قضية نسب الفاطميين أمام منهج النقد التاريخي د. عبد الحليم عويس.

٧٦. مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار ليحيى بن حمزة العلوي.

٧٧. وصايا إسلامية رسالة من إعداد مهندس عادل محمد رشاد الغمري.

٧٨. الناسخ والمنسوخ خطبة بخط اليد من إصدارات جماعة الوارثين.

٧٩. الشيعة والتشيع فرق وتاريخ لإحسان إلهي ظهير - إدارة ترجمان السنة.

٨٠. الشيعة والقرآن لإحسان إلهي ظهير - إدارة ترجمان السنة.

٨١. بين الشيعة وأهل السنة لإحسان إلهي ظهير - إدارة ترجمان السنة.

٨٢. الشيعة وآل البيت لإحسان إلهي ظهير - إدارة ترجمان السنة.

Upload by : altawhedmag.com

٨٣. لمحة تاريخية عن مشهد الإمام علي في النجف لكاظم الحلفي.

٨٤. الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة لمحب الدين الخطيب.

٨٥. الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام للشيخ عمر منظور نعماني.

٨٦. حقيقة الجفر عند الشيعة - أكرم بركات العاملي.

٨٧. الغيبة للنعماني.

٨٨. بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصغار.

٨٩. عقيدة الدروز عرض ونقد - الدكتور محمد أحمد الخطيب.

٩٠. فرق الشيعة للنوبختي - المطبعة الحيدرية النجف.

٩١. حوار هادئ بين السنة والشيعة - عبد الله الجنيد - دار المنارة للنشر والتوزيع.

٩٢. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط للمقريزي - دار صادر.

٩٣. الإمام المهدي وظهوره - السيد جواد السيد حسين الحسيني الشاهرودي.

٩٤. الكتاب المقدس.

٩٥. الإلهيات للقس صموئيل مشرقي - الكنيسة المركزية للمجمع.

٩٦. النصرانية والإسلام للمستشار محمد عزت الطهطاوي - دار الأنصار القاهرة.

٩٧. أقانيم النصارى - أحمد حجازي السقا.

٩٨. محاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبي زهرة - دار الفكر العربي.

٩٩. لماذا ولد المسيح؟ - مكس ميشيل طبعة ثانية - دار يوسف كمال للطباعة.

١٠٠. تاريخ الأديان - حبيب سعيد.

Upload by : altawhedmag.com

١٠١. مناظرة بين الإسلام والنصرانية الرئاسة العامة للإفتاء السعودية - دار الحديث.

١٠٢. أخطر مناظرات الشيخ أحمد ديدات: هل مات المسيح على الصليب؟ تعليق وترجمة الجوهري.

١٠٣. صوفية المسيحية - يوسف دره حداد - منشورات المكتبة البوليسية.

١٠٤. ما معنى المسيح ابن الله - نخبة من خدام الإنجيل - المطبعة الفنية الحديثة.

١٠٥. تاريخ الكنيسة - جون لوريمر.

١٠٦. تاريخ الأقباط.

١٠٧. تفسير العهد الجديد لشرح بشارة يوحنا - وليم باركلي - دار الثقافة بالقاهرة.

١٠٨. مقارنة الأديان - المسيحية - د. أحمد شلبي - مكتبة النهضة المصرية.

١٠٩. الأناجيل دراسة مقارنة - أحمد طاهر - دار المعارف.

١١٠. لله ثم للتاريخ - الحسين الموسوي.

Upload by : altawhedmag.com

Upload by : altawhedmag.com

فهرست
كتاب جذور الشيعة وجيش المهدي

مقدمة الطبعة الثالثة ٣

الباب الأول: نشأة علم الباطن ٩

الفصل الأول:علم الباطن قبل التوراة ١١

أولا: نظرية الإنسان الأول ١٢

ثانيا: وحدة الوجود ١٥

الفصل الثاني: علم الباطن عند اليهود ١٧

أولا: إله واحد رغم التحريف ١٧

ثانيا: تحريف التوراة ١٩

ثالثا: تسرب الفكر الباطني إلى اليهودية ٢٢

الفصل الثالث: الكلمة في الفكر اليهودي ٢٦

استقلال الكلمة ٢٦

قوة الكلمة ٢٦

تطور الحياة العبرانية ٢٧

التأثير اليوناني ٢٧

تغلب الماديات على عقيدة التوحيد ٢٨

ملخص الباب الأول ٢٩

الباب الثاني: علم الباطن عند النصارى ٣١

الفصل الأول: التفسير الرمزي عند النصارى ٣٣

التفسير المثلث للكتاب المقدس ٣٣

الفصل الثاني: الشريعة والحقيقة عند النصارى ٣٧

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الثالث: كلمة الله عند النصارى ٣٨
الفصل الرابع: تزاوج المسيحية والفلسفة الغنوسية..... ٤٠
الفلسفة الغنوسية..... ٤٠
دعوة الغنوسية ٤٠
ملخص الباب الثاني ٤٤
الباب الثالث: أطوار عقيدة النصارى ٤٥
الفصل الأول: في البدء كان التوحيد ٤٧
أولا: صلاة المسيح لمن؟ ٤٩
ثانيا: عيسى يحدد الهدف من بعثته ٤٩
ثالثا: عيسى يقر بالرسالة ٥٠
الفصل الثاني: بولس مؤسس المسيحية..... ٥٣
أولا: شخصية بولس وقدرته على التلون ٥٤
ثانيا: بولس صاحب بدعة المسيح ابن الله ٥٦
ثالثا: شاءول يقسم الدين إلى قسمين ٥٨
رابعا: شاءول يحلل ويحرم ٥٩
خامسا: عدم صلب المسيح خطر على بولس ٦١
سادسا: علاقة الثالوث: بولس وبرنابا ولوقا ٦٢
الفصل الثالث: كتابة الأناجيل ٦٦
أولا: إنجيل مرقس ٦٩
ثانيًا : إنجيل متى ٧٠
ثالثا: إنجيل لوقا ٧٣

Upload by : altawhedmag.com

رابعا: إنجيل يوحنا ومكانته في الفكر المسيحي..... ٧٥
إنجيل يوحنا وعين النسر ٧٦
الدافع لكتابة بشارة يوحنا ٧٩
الفصل الرابع: مولد عيسى في الأناجيل المعتمدة..... ٨٣
أولا: المولد في إنجيل متى ٨٣
ثانيا: المولد في إنجيل لوقا ٨٥
ثالثا: الاختلافات بين رواية المولد عند متى ولوقا..... ٨٧
الفصل الخامس: إنجيل برنابا..... ٩١
أولا: هل برنابا من الحواريين؟ ٩١
ثانيا: إنجيل برنابا ينفرد بالحقيقة ٩٣
الفصل السادس : قرون المسيحية الأولى..... ٩٥
أولا: اعتقاد الحلول والاتحاد ٩٥
ثانيا: الروح القدس أقل من الآب والابن ٩٧
ثالثا: القائلون ببشرية المسيح ٩٨
الحوار مع أريوس ١٠١
مجمع نيقية ١٠٢
القضاء على التوحيد ١٠٢
قرارات مجمع نيقية ١٠٣
ملخص الباب الثالث..... ١٠٥
الباب الرابع: أركان عقيدة النصارى ١٠٩
الفصل الأول: الخطيئة والكفارة..... ١١١
أولا: لعنة الأرض بخطيئة آدم ١١٢

Upload by : altawhedmag.com

ثانيا: كيف كان المخرج؟ ١١٢
الفصل الثاني: عقيدة الثالوث ١١٦
أولا: الثالوث عقيدة قديمة ١١٨
ثانيا: الاختلاف في طبيعة أقانيم الثالوث ١٢٢
وحدة في الجوهر ١٢٢
الأقانيم الثلاثة لأشخاص ثلاثة ١٢٥
الأقانيم الثلاثة مظاهر لإله واحد..... ١٢٦
الفصل الثالث: ألوهية المسيح الابن..... ١٢٩
أولا: القول بقِدَم نور المسيح ١٢٩
ثانيا: المسيح أصل الموجودات عندهم..... ١٣١
ثالثا: وحدة الوجود تحققت في المسيح..... ١٣١
رابعا: المسيح له الأسماء الحسنى والاسم الأعظم – عندهم..... ١٣٢
خامسا: المسيح يدين الأحياء والأموات ١٣٤
ملخص الباب الرابع ١٣٦
الباب الخامس: مناقشة فكر المسيحية..... ١٣٩
الفصل الأول: الخطيئة والكفارة..... ١٤١
أولا: مغفرة الله –عندهم- لا تعمل إلا بعد صلب ابنه..... ١٤٢
ثانيا: أنبياء إلى قوم ملعونين ١٤٤
ثالثا: بركات في زمن اللعنات؟ ١٤٥
رابعا: ما الداعي لسفر اللاويين؟ ١٤٥
خامسا: الفداء هو عين الظلم ١٤٥

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الثاني: مناقشة قضية أبناء الله..... ١٤٧
أولا: أبناء الله في الكتاب المقدس ١٤٧
اليهود أبناء الله..... ١٤٧
أتباع المسيح أبناء الله..... ١٤٧
يعقوب ابن الله البكر..... ١٤٨
داود ابن الله ١٤٨
سليمان ابن الله..... ١٤٨
ثانيا: كيف حدث الخطأ في استعمال ابن الله؟ ١٤٨
الفصل الثالث: مفاجئات بين سطور المخطوطات..... ١٥٠
أولا: مخطوطات كهوف قمران ١٥٠
ثانيا: أناجيل نجع حمادي ١٥١
ثالثا: مفاجئات من نجع حمادي..... ١٥٢
الفصل الرابع: كلمة الله في الإسلام..... ١٥٤
أولا: الكلمة في اللغة ١٥٤
ثانيا: "كلمة الله" في القرآن..... ١٥٥
ثالثا: تأملات حول ميلاد عيسى ويحيى عليهما السلام..... ١٥٦
ملخص الباب الخامس ١٦٠
الباب السادس: تاريخ الباطنية..... ١٦١
الفصل الأول: الفتنة الكبرى ١٦٣
أولا: التخطيط ١٦٤
ثانيا: التنفيذ ١٦٧
ثالثا: مواقف الصحابة..... ١٧٠

Upload by : altawhedmag.com

رابعا: انقسام حزب علي ١٧٣
الفصل الثاني: أطوار التشيع ١٧٦
أولا: بداية الشيعة والإمام الأول ١٧٦
ثانيا: الشيعة وأبناء علي ١٨٢
الإمام الثاني: الحسن بن علي ١٨٢
الإمام الثالث: الحسين بن علي ١٨٣
الإمام الرابع: علي زين العابدين ١٨٥
الإمام الخامس: محمد الباقر ١٨٥
الإمام السادس: جعفر الصادق ١٨٦
الفصل الثالث: الحركات الباطنية ١٨٩
أولا: سِرِّيَّة الحركة ١٨٩
ثانيا: ميمون القداح ١٩٠
ثالثا: البنوة الروحية ١٩٣
رابعا: أسماء برزت في الحركة الإسماعيلية ١٩٤
الفصل الرابع: نشأة دولة الباطن ١٩٧
أولا: قرامطة اليمن ١٩٧
ثانيا: الموحدون في المغرب ١٩٨
ثالثا: قرامطة الكوفة ١٩٨
رابعا: قرامطة البحرين ١٩٩
خامسا: الباطنية في الشام ٢٠٠
سادسا: الفاطميون في مصر ٢٠١

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الخامس: تأثير حركة الترجمة ٢٠٢
أولا: أول ترجمة في الإسلام ٢٠٢
ثانيا: عصر الترجمة الذهبي ٢٠٣
ملخص الباب السادس ٢٠٧
الباب السابع: عقيدة الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ٢٠٩
الفصل الأول :**تهيئة لما بين دفتي الباب** ٢١١
الفصل الثاني: الغلو في شأن الأئمة ٢١٤
أولا: وصاية الإمام على الدين ٢١٦
ثانيا: حديث غدير خم ٢١٨
ثالثا: الإمام أفضل من النبي عند الشيعة ٢١٩
رابعا: علم الأئمة عند الشيعة مطابق لعلم الله ٢٢١
خامسا: الأئمة أصل علم الباطن ٢٢٢
علم الجفر وعلاقته باليهود ٢٢٦
الشيعة على آثار اليهود ٢٢٧
السريانية ابتكار شيعي ٢٢٩
سادسا: جهات علوم الأئمة ٢٣٠
سابعا: الأئمة والاسم الأعظم ٢٣٢
الفصل الثالث: قِدَمُ نور الإمام ٢٣٤
أولا: الوجود الباطني للأئمة ٢٣٤
ثانيا: النبي والأئمة من نور الله ٢٣٤
ثالثا: عليٌّ عندهم أفضل من النبي ﷺ ٢٣٩
رابعا: النبي ﷺ - عندهم - يقاتل تحت راية علي ٢٤٠

Upload by : altawhedmag.com

خامسا: رجعة الأئمة ٢٤١
سادسا: علي يحاسب الناس يوم القيامة..... ٢٤١
الفصل الرابع: الشيعة والقرآن..... ٢٤٤
أولا: مصحف علي..... ٢٤٤
ثانيا: مصحف فاطمة..... ٢٤٥
ثالثا: الشيعة وتحريف القرآن..... ٢٤٧
رابعا: الشيعة المعاصرون والقرآن..... ٢٤٨
خامسا: أمثلة من التحريف المزعوم..... ٢٤٩
الفصل الخامس: الشيعة والصحابة..... ٢٥١
أولا: ارتداد جمهور الصحابة ٢٥١
ثانيا: دعاء صنمي قريش ٢٥٢
ثالثا: أسماء رمزية للصحابة..... ٢٥٣
الفصل السادس: قيام دولة الشيعة يبدأ من السرداب..... ٢٥٥
المهدي والسرداب والسفراء ٢٥٥
لِمَ سمي المهدي؟ ٢٥٦
الخضر والإمام الغائب..... ٢٥٧
سفراء المهدي إلى شيعته..... ٢٥٧
علامات ظهور المهدي ٢٥٨
المهدي يقتل إبليس ٢٦٠
المهدي يعمل السيف في رقاب العرب ٢٦١
المهدي يهدم الحرمين الشريفين ٢٦٣

Upload by : altawhedmag.com

المهدي يحول القبلة إلى الكوفة ٢٦٣
المهدي يصلب أبا بكر وعمر ٢٦٥
انتقام الشيعة من عائشة أم المؤمنين..... ٢٦٥
المهدي يشيد هيكل سليمان ٢٦٦
المهدي يعيد حكم داود وسليمان عليهما السلام..... ٢٦٧
الفصل السابع: مَنْ مهدي الشيعة المنتظر؟ ٢٦٩
أولا: اختلاف الشيعة في أئمتهم ٢٦٩
ثانيا: موقف أهل السنة من قائم الشيعة المنتظر..... ٢٧١
ثالثا: طبيعة أفعال القائم من السرداب ٢٧٣
رابعا: المهدي كما ينتظره أهل السنة ٢٧٣
خامسا: مَنْ القائم المنتظر؟ ٢٧٤
الفصل الثامن: مقارنات ومناظرات..... ٢٧٨
أولا: مقارنة مهمة ٢٧٨
ثانيا: مناظرة بين سني وشيعي ٢٧٩
ثالثا: مناظرة مشهورة ٢٨٠
رابعا: شهادة حق لعالم من علماء الشيعة..... ٢٨١
خامسا: الرد على فكرة الإمامة في آل البيت ٢٨٢
سادسا: الدور المرتقب لآل البيت في الأمة الإسلامية..... ٢٨٧
الفصل التاسع: الزنا واللواط قربان وطاعة..... ٢٩٠
أولا: تعريف المتعة عند الشيعة ٢٩٢
ثانيا: ثواب المتعة عند الشيعة ٢٩٣
ثالثا: التمتع بالمرأة المتزوجة ٢٤٩

Upload by : altawhedmag.com

رابعا: التمتع بصبية أو الطفلة..... ٢٩٥
الخميني فارس الشيعة يتمتع بصبية..... ٢٩٥
خامسا: المفاسد المترتبة على المتعة ٢٩٦
سادسا: قصص من حياة الشيعة ٢٩٨
سابعا: إباحة اللواط بالنساء ٣٠٠
ثامنا: إباحة اللواط بالرجال والصبيان..... ٣٠١
ملخص الباب السابع ٣٠٣
الباب الثامن: عقائد غلاة الباطنية..... ٣٠٧
الفصل الأول: الباطنية والإمامة ٣٠٩
أولا: الإمامة أعلى دعائم الدين عندهم..... ٣٠٩
ثانيا: الغلو في الأئمة ٣١١
أئمة الإسماعيلية ٣١١
أئمة الدروز ٣١٢
أئمة العلويين..... ٣١٥
الفصل الثاني: نظرية الدور والتناسخ ٣١٧
أولا: نظرية الدور ٣١٧
ثانيا: إيمان الباطنية بالتناسخ ٣١٩
الفصل الثالث: الباطنية والإلهيات..... ٣٢٢
أولا: عقيدة الإسماعيلية ٣٢٢
ثانيا: عقيدة الدروز ٣٢٥
ثالثا: عقيدة العلويين..... ٣٢٦

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الرابع: الباطنية والنبوة..... ٣٢٧
الفصل الخامس: نظرية التأويل الباطني..... ٣٢٩
الفصل السادس: الشريعة عند الباطنية ٣٣١
أولا: الشريعة عند الإسماعيلية ٣٣١
ثانيا: الشريعة عند الدروز ٣٣٤
ثالثا: الشريعة عند العلويين..... ٣٣٦
الفصل السابع: التوفيق بين الأديان..... ٣٣٩
أولا: تنبيه وتحذير ٣٤٠
ثانيا: الإسلام والباطنية..... ٣٤١
الفصل الثامن: إعادة بعث الباطنية في مصر..... ٣٤٢
أولا: الباطنية والقرآن ٣٤٣
ثانيا: الباطنية والحديث الشريف ٣٤٦
حديث قتال الكفار ٣٤٧
حديث محاجة آدم وموسى عليهما السلام..... ٣٤٨
حديث الشفاعة ٣٤٨
ثالثا : الدعوة للإمام..... ٣٤٩
رابعا : أفكار باطنية ٣٥٠
نظرية الدور عند الإسماعيلية..... ٣٥٠
نظرية المثل والممثول ٣٥٠
إنكار الجنة ٣٥١
إنكار جهنم ٣٥١
إنكار إبليس..... ٣٥١

Upload by : altawhedmag.com

إنكار خلق آدم من الطين..... ٣٥٢
إنكار تحويل القبلة ٣٥٢
إنكار الناسخ والمنسوخ..... ٣٥٢
ملخص الباب الثامن ٣٥٥
الخاتمة ٣٥٧
المراجع..... ٣٦٤
الفهارس..... ٣٧١
صورة من موافقة الأزهر على طبع سلسلة كتب الظاهر والباطن ٣٨٤

Upload by : altawhedmag.com

Upload by : altawhedmag.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهـــر الشريف
مجمـع البحـوث الاسـلامية
الادارة العـامة
للبحـوث والتأليف والترجمـة

- AZHAR AL - SHARIF
IIC RESEARCH ACADEMY
ENERAL DEPARTMENT
search, Writting & Translation

السـيد / الاستاذ / محمود عوض المراكـبي

السـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ـ وبعـد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : تسرب الفكر الباطـني الى الشرائح المسلمة من تاليفكم .....

نفيد بان الـكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مانع من طبعـه ونشره على نفقتـكم الخـاصة .

مع التـاكيد على ضرورة العنـاية التامة بكتـابة الآيات القـرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والالتزام بتسليم ٥ خمس نسخ لمكتبة الأزهر الشريف بعد الطبـع .

واللـه المـوفق ،،،

والسـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ،،،

مـدير عـام
ادارة البحوث والتـاليف والترجمـة

تحريرا فى ٨ / ٥ / ١٤١٦ هـ
الموافق ٣ / ١٠ / ١٩٩٥ م

مبروك / ..

Upload by : altawhedmag.com

Upload by : altawhedmag.com

الكتاب في سطور

- هو الثاني من سلسلة الظاهر والباطن، والذي يستخرج معلومات مهمة وخطيرة ومذهلة من بطون كتب الشيعة، وذلك بعد أن يتناول نشأة علم الباطن قبل التوراة وبعدها، ثم يبين تأثير الفكر الباطني على عقيدة النصارى ، ودور اليهودي بولس في تغيير شريعة عيسى عليه السلام، ويناقش أسس العقيدة المسيحية التي تقوم عليها، وكيف أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، حتى وصفوه بصفات الإله؟ ثم يوضح الكتاب حقيقة كلمة الله مع تأمل غير مسبوق حول ميلاد المسيح ويحيى بن زكريا عليهما السلام.

- يتعرض الكتاب تفصيلا لمراحل الفتنة الكبرى، وكيف تمكن اليهودي عبد الله بن سبأ من تكرار دور بولس؟ حتى انحرفت الشيعة عن شرائع الإسلام، ودخلت جحور الضب التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم، ويقدم الكتاب تحليلا تفصيليا لعقائد الشيعة، ويتبع جذورها عبر القرون الماضية، ثم يستعرض مخططات الشيعة للقابل من الأيام، وكيف تستخدم القردة والخنازير مع طواغيت البيت الأبيض تراث الشيعة في محاولات ضرب الإسلام، بزعم قيام دولة المهدي، وغايتهم القصوى هدم المسجد الأقصى وبناء هيكل سليمان وذلك بعد هدم الحرمين ونقل الكعبة المشرفة إلى الكوفة، والانتقام من أبي بكر وعمر وعائشة، بعد إعمال سيوف جيش المهدي في رقاب أهل السنة، كما يكشف الكتاب اللثام عن وجه مهدي الشيعة المنتظر ، مع تفسير شامل لما يجرى الإعداد له من مؤامرات يغفل عنها أهل السنة.

- كما يستكمل الكتاب عرض عقائد غلاة الباطنية من الإسماعيلية والدروز والطويين ويلقي الضوء على مخططاتهم لإعادة السيطرة على مصر حماها الله من كل سوء.

- جدير بالقارئ المسلم اقتناء هذا الكتاب الذي نتعهد له أنه سيقرأ عدة مرات، وسيضيء له فهما يكشف مغزى الغموض الذي أحاطتنا به مخططات أعدائنا خيبهم الله تعالى، والله غالب على أمره والعاقبة للمتقين.

سلسلة الظاهر والباطن

صدر منها خمسة كتب كل منها قائم بذاته، ويعالج موضوعا مستقلا ، وهذه الكتب هي:

١ – موسى والخضر علما الظاهر والباطن.

٢ – جذور الشيعة وجيش المهدي.

٣ – عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة.

٤ – القول الصريح عن حقيقة الضريح.

٥ – السلوك القويم على الصراط المستقيم.

محمود المراكبي

الطبعة الثالثة

الظاهر والباطن الظاهر والباطن الظاهر والباطن الظاهر والباطن الظاهر والباطن
Upload by : altawhedmag.com